

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر**01** (بن يوسف بن خدّة)

كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة والحضارة العربية الاسلامية

علماء الغرب الإسلامي في عصر بني الأحمر - دراسة في أحوالهم الإجتماعية ودورهم في إنقاذ مملكة غرناطة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدّكتوراه في الحضارة الإسلامية الإسلامية

إعداد الطالب :

عبد الكريم حماتيت

إشراف :

أ/د : سامية جباري

السّـــــــنة الجامعيـــــــــــة:

1443*1444هـ/2021*2022م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر **01** (بن يوسف بن خدّة)

كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة والحضارة العربية الاسلامية

علماء الغرب الإسلامي في عصر بني الأحمر - دراسة في أحوالهم الإجتماعية ودورهم في إنقاذ مملكة غرناطة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدّكتوراه في الحضارة الإسلامية

	الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
01	الأستاذ الدكتور:عبد الرحمن سنوسي	جامعة الجزائر **01**	رئيسا
02	الأستاذ الدكتور:سامية جباري	جامعة غرداية	مقررا
03	الدكتور:عبد الرحمن طيبي	جامعة الجزائر **01**	عضوا
04	الدكتورة:سعيدة لكحل	جامعة الجزائر **01**	عضوا
05	الأستاذ الدكتور:توفيق مزاري عبد الصمد	جامعة المدية	عضوا
06	الأستاذ الدكتور:نذير بولمعالي	جامعة المدية	عضوا

إعداد الطالب :

حماتيت عبد الكريم

إشراف :

أ/د :جباري سامية

السّــــــنة الجامعيــــــــــة

1443-1444هـ 2021-2022 م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

سورة الأحزاب ، الآية 23

شكر وتقدير

بعد الإنتهاء من إعداد هذه الأطروحة بتوفيق من الله عزّ وجلّ لا يسعني إلّا أن أتقدم بالشكر والتقدير الى الأستاذة المشرفة الدّكتورة سامية جباري التي رافقتني طيلة أطوار البحث بتوجيهاتها السّديدة التي مكنتني من إتمامه وتقديمه في صورته النّهائية

كما لا أنسى أن أوجه شكري وإمتناني الى الأستاذ الدّكتور الأزهر الماجري الأستاذ بكلية العلوم الإنسانية بجامعة منوبة الذي تولى مهمة الإشراف على بحثي في إطار التّكوين الإقامي بتونس والذي لم أجد منه إلّا ما يساعد الباحث على إنجاز عمله في ظروف مميزة غير أنّ الجائحة حالت دون إتمام التّواصل بيننا

والشّكر موصول لكل أساتذتي كل بإسمه ومقامه وأخصّ بالذكر الأستاذ محمد الأمين بلغيث والأستاذ توفيق مزاري عبد الصّمد

كما لا يفوتني أن أشكر كل من قدّم لي تسهيلات مهما كان نوعها أو وقف بجانبي من أساتذة المكتبات .

الاهداء

إلى من وضع المولى سبحانه وتعالى الجنة تحت قدميها ووقّرها في كتابه العزيز...أمي الحبيبة

إلى صاحب السّيرة العطرة والفكر المستنير، الذي كان له الفضل الأول في بلوغي التّعليم العالي ...والدي الحبيب.....أطال الله في عمره.

إلى كل أفراد عائلتي

.إلى أصدقائي وكل من وقف بجانبي وساعدني

ولا ينبغي أن أنسى أساتذتي ممن كان لهم الدّور الأكبر في مساندتي ومدي بالمعلومات القيمة

داعياً المولى عز وجل أن يطيل في أعماركم ويرزقكم الخيرات

أقدم لكم هذا البحث وآمل أن يرضيكم

مقدمة

مقدمة:

تواصل ضعف دولة بالأندلس بتراجع دولة الموحدين في مستهل القرن(7هـ/13م) (الثالث عشر الميلادي) وزاد تكالب القوى النّصرانية حيث أخذوا يحتلون المدن والثّغور الإسلامية مستغلين ما يعانيه المسلمون من تفرق الكلمة فوضى وتمزق سياسي بالمغرب والأندلس، وتمكنوا خلال تلك الفترة من بسط نفوذهم على بلدان كثيرة وأراضٍ إسلامية، وأمام هذا الواقع المرير، عزم مسلمو الغرب الإسلامي على رفع التّحدي ومجاهدة النّصارى في كل أنحاء الأندلس، وقد بارك هذا العزم فئة العلماء ،فتعالت نداءاتهم واستمرت جهودهم الملموسة لتجنب التّفكّك المريع الذي ضرب أطنابه بأرض الأندلس،ومن جهة أخرى لا نكاد نجد جيشا من الجيوش الإسلامية في الأندلس أو الوافدة من المغرب إلّا ونجد فيه عدداً من العلماء المشهورين الذين دونت أخبارهم في المصادر التاريخية، فشاركوا في جملة من المعارك التي شهدتها أرض الأندلس، وتنوعت مشاركاتهم بين السّيف الذي كلف في غالب الأحيان العلماء أرواحهم فسقطوا شهداء، وتارة بالقلم فكان بعضهم موقوفا على نشر العلم في الرّبط وغيرها من مواقع الجيوش، ولم يتوان البعض الآخر من المساهمة بما يملك أو بما أفاء عليه الله من مال في سبيل تجهيز الجيش الإسلامي بالعدة والعتاد .فعلى هذا يهدف بحثنا هذا إلى إجراء دراسة تاريخية عامة لطبقة العلماء الذين تربطهم علاقة وطيدة بأفراد المجتمع و السّلطة السّياسية ومحاولة رصد إسهاماتهم في الميادين المختلفة.

فرغم أن تاريخ الأندلس قد حظي بالكثير من الدّراسات السّياسية و الحضارية التي قام بها الباحثون عرباً كانوا أومستشرقون،إلّا أن بحوثهم حصرت مجموعة من الحكام والأمراء بالدراسة وعدّدت إنجازاتهم في حين أهملت ما كان لغيرهم من العلماء من مواقف تاريخية في مجتمعاتهم، ويأتي بحثنا هذا لرصد إسهامات هذه الفئة في مناحي الحياة المختلفة والتي عادت بالنفع العميم على أفراد المجتمع خاصة وعلى مناحي الحياة الأخرى، ولهذا كان لزاما علينا أن نسعى إلى بلورة هذه الأدوار ورصدها في دراسة ارتأينا أن تكون دراسة جامعة بعنوان:"**علماء الغرب الاسلامي في عصر بني الأحمر دراسة في أحوالهم الإجتماعية ودورهم في إنقاذ مملكة غرناطة** ".

أولا: أهمية الموضوع:

1*تكمن أهمية هذا الموضوع في كونها عالجت فترة زمنية قلّ تناولها في تاريخ الغرب الإسلامي عامة وفي غرناطة زمن بني الأحمر خاصة، حيث انصبت الدراسة على دراسة المواضيع المتعلقة بفترة المرابطين

والموحدين في الأندلس والمغرب وتناولتها بإسهاب ،في حين أهملت القرنين الثامن والتاسع من تاريخ الأندلس.

2*يعالج الموضوع طبقة العلماء في حلة جديدة بالتطرق الى الجوانب الحياتية للعالم وحضوره الشخصي في ميدان الدفاع عن الحوزة الإسلامية بالسيف القلم ،على عكس الدراسات التي تُعنى بالجوانب السّياسية والعلمية للعالم.

ثانيا: أسباب أختيار الموضوع: لعل من الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع نذكر:

* ميلي إلى الدّراسات الأندلسية بالخصوص والمغرب الإسلامي عامة، كونه يحتاج إلى دراسة معمقة في كل الميادين كونه لم يحظ بالاهتمام الذي ناله المشرق الإسلامي.

* تسليط الضّوء على الدّراسات الإجتماعية، لما لها من أهمية في إبراز الجوانب الخفية في حياة العلماء وربطها مع الجوانب الحياتية الأخرى واستخلاص العبر.

* تسليط الضوء على الجانب الجهادي للعلماء بالأندلس،لأنه جانب أهملته باقي الدّراسات واقتصرت على الجوانب الأخرى مـع إشارات قليلة تُفهم من خلال السّياق أومدرجة في التّراجم هكذا عرضا أو تفهم بين السّطور.

ومن الأسباب الموضوعية الأخرى نذكر:

* حاجة المجتمعات الإسلامية إلى مثل هذه الدّراسات للتعرف على نماذج من العلماء المجاهدين الذي أعطوا نموذجا في البطولة والجهاد ضد النّصارى، ومحاولة دفع علماءنا المعاصرين للقيام بدورهم، وضرورة استلهام الدّروس والعبر من تاريخ أُمَّتِنا الإسلامية في الأندلس .

ثالثا: إشكالية البحث: لذلك ارتأيت أن أسلط الضّوء في دراستي هذه على إثراء هذا الموضوع الذي من خلاله أُعرج على دراسة فترة مهمة من تاريخ الإسلام وتاريخ الأندلس في فترة حكم بني الأحمر ملوك غرناطة

ويأتي هذا البحث للإجابة عن الاشكالية التالية:

- هل خدم العلماء مجتمع الغرب الإسلامي وهل لبت جهودهم تطلعات العامة ؟ وكيف انعكس واقعهم الإجتماعي على دورهم في محاولة إنقاذ مملكة غرناطة من السّقوط ؟

رابعا: منهج البحث:اعتمدت في دراستي على المنهج الوصفي الذي يعتمد على تحليل النّصوص التّاريخية وشرح أفكارها والإستنباط منها والوصول إلى معلومات تهم الموضوع، ويتجلى المنهج الوصفي أثناء سرد الأحداث التّاريخية والترجمة لعلماء الغرب الإسلامي، ويظهر المنهج التّحليلي من خلال

تفسير أدوار العلماء في المناحي المختلفة ومحاولة التّعليق عليها وتفسيرها وإستخراج النتائج، كما اعتمدنا على إيراد النّصوص التّاريخية نثرية كانت أو شعرية وأكثرنا الإستشهاد بها في يخدم الموضوع .

خامسا: الدّراسات السّابقة: فلا توجد في حدود علمي دراسة تناولت الموضوع بكل جوانبه فمن أهم الدّراسات التي تناولت الموضوع من إحدى جوانبه رسالة ماجستير معنونة ب"دور الفقهاء في الحياة السّياسية والإجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة" فرغم الفارق الزّمني بين الدّراستين إلّا أنها أعطت إضافة فيما تعلق بكيفية معالجة الموضوع من النّاحية الإجتماعية وصياغة خطة تتناسب مع طبيعة الموضوع في المجالات التي برع فيها العلماء وإسقاطها على عصر بني الأحمر.

سادسا: دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع المعتمدة:

المصادر:

من الذين إستفدت من مؤلفاتهم كثيرا ذو الوزارتين لسان الدّين بن الخطيب،وتم توظيفها تقريبا في كامل جزئيات البحث بما يخدم الموضوع،وتكمن أهميتها في موسوعية صاحبها الذي حوت مصادره أخبار عموم الغرب الاسلامي، ليتوسع أكثر من ذلك إلى العناية بتاريخ الممالك النّصرانية، ساعده في ذلك معرفته باللسان القشتالي ودلّت على ذلك رسائله بالقشتالية وقد حفظت لنا دور المخطوطات نسخا منها، أما عن نسبة الإستفادة فقد تباينت من مؤَلفٍ إلى آخر كان في مقدتها كتاب **الإحاطة في أخبار غرناطة**:الذي يُعد من المصادر المهمة في التّاريخ الأندلسي عامة و موسوعة شاملة لكل مايتعلق بمدينة غرناطة خاصة وهو من أضخم مؤلفاته، ويبدو واضحا لنا الغاية من تأليفه من خلال العنوان وهي العمل على تقديم صورة عامة عن كل ما يتعلق بمدينة غرناطة ففي الجزء الأول من الكتاب استفدنا من القسم الذي يدور حول إسم مدينة غرناطة حيث قدم لنا وصفا جغرافيا دقيقا لهذه المدينة وذكر مروجها وجبالها وأنهارها، حيث تناول بالموازاة مع ذلك تاريخها منذ أن نزلها العرب أيام الفتح الإسلامي حتى سلاطين بني نصر،أما الأجزاء الأخرى المتبقية فاعتمدنا عليه في باقي فصول الدّراسة التي تُعنى بتاريخ تأسيس دولة بني الأحمر وأهم ملوكها، وكذا النّشاط السّياسي والعسكري حتى عصر الغني بالله(768هـ)تاريخ وفاته، وزاد من أهمية الكتاب إيراده أيضا تراجم وافية لعدد كبير من الأعلام والأعيان من علماء ومشايخ وصلحاء غرناطة والوافدين عليها من عموم الغرب الاسلامي، وذكر مختلف الميادين التي شغلوها أو الأقاليم التي نزلوا بها، حيث ترجم لأربعمائة وثلاثة وتسعين شخصية أندلسية ممن حكموا غرناطة أو وفدوا عليها من المشرق والمغرب من ملوك وأمراء وأعيان وقضاة وعلماء وزهاد وغيرهم متبوعة بنبذة عن حياته وأهم محطاته .

ومع مؤلفاته دائما نذكر كتابه **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام وما يَجُرُّ ذلك من شجون الكلام** حسب العبادي الذي استقر على هذا العنوان بمقارنته للمصادر بعضها بعضا لأن تسمية الكتاب تختلف عند بعض المؤرخين، ألّفه ابن الخطيب في عهد السّلطان المريني السّعيد أبي زيان محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن وهو آخر كتب بن الخطيب، تكمن أهمية في كونه يترجم لبعض علماء الغرب الإسلامي من الفقهاء والقضاة والخطباء والصّلحاء والمقرئين والشّيوخ كابن الحاج البلفيقي،والطنجالي،وابن الجياب،وابن الفخار وغيرهم، بالإضافة إلى الإستفاضة في سرد الوقائع التّاريخية دون تجاوز مرحلة لحساب أخرى و التي تمكن الباحث من وضع تصور كامل لتاريخ الأندلس، استفدنا منه في الفصل الأول والثّالث والرابع مع تفاوت في النّسبة بين الفصول .

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب لأحمد بن محمد المقري التّلمساني(ت:1041هـ/1631م) وهو عنوان كان عدّله عن عنوان سابق سمّاه "عرف الطيب في التّعريف بالوزير ابن الخطيب"فلما ألحق به أخبار الأندلس سماه بالعنوان الشّهير.حيث يكتسي الكتاب أهمية بالغة خاصة فيما يتعلق بإحاطته بكل ماله علاقة بالأندلس وكذا بالعلاقات التي جمعت العدوة الاندلسية بالمغرب الإسلامي والرّسائل التي تمّ تبادلها بين دول المغرب الإسلامي والدّول المجاورة أوردنا بعض منها في الملاحق بما يخدم الموضوع،كما يحتوي على تراجم كثير من الشّخصيات محل دراستنا على غرار ابن الخطيب الذي جاء القسم الثّاني من الكتاب للتعريف به وبعصره فالكتاب هو بحق أحد المصادر الأساسية في مجال الدّراسات الأندلسية،وما زاد من أهمية هذا المصدر بأن المقري يذكر مصادره بشكل واضح وجلي يسهل الرّجوع إليها، وإعتماد المؤلف لمصادر متنوعة في تأليف الكتاب إنطلاقا من الرّواية الشّفوية لشيوخه،كالفشتالي وابن شاهين، والقصار وكذا المصادر المكتوبة كالإحاطة الذي إعتمده في كثير من فصول الكتاب، واعتمد بنسبة أقل على مصادر أخرى لا تقل أهمية عن الإحاطة كديوان العبر لإبن خلدون ونيل الإبتهاج لأحمد بابا التّنبكتي والتّكملة لإبن الأبّار والوافي بالوفيات للصّفدي وتاريخ الإسلام للذهبي وتاريخ دمشق لإبن عساكر وكتاب الرّوضتين لأبي شامة وغيرها لايسع المجال لذكرها، غير أن ما يؤخذ عليه ذكر الحادثة التّاريخية وبإطناب في مواطن كثيرة من الكتاب دون مراعاة المنهج العلمي القائم على عدم التكرار.

الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للناصري أحمد بن خالد(ت:1315هـ/1897م) في جزئيه الثّالث والرّابع،اعتمدنا عليه في تتبّع الأوضاع السّياسية لبلاد الغرب الإسلامي عامة والمغرب الأقصى بالخصوص بإعتبار أن المؤرخ بن أبي زرع الفاسي(كان حيا عام 726هـ/1326م)توقف في

كتابه روض القرطاس في هذه السّنة أو التي تليها، حوى هذا الكتاب في ثناياه معلومات هامة عن جهود العلماء المختلفة في الميادين خاصة ماتعلق بالجوانب السّياسية

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لأبي الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي:ألف كتابه في عهد السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني (710هـ-731هـ/1310-1331م) وبيّن في مقدمته أنّ السّبب في تأليفه هو التّقرب إلى الدّولة المرينية،بدأ بالتأريخ لدولة الأدارسة بالمغرب منذ عام 72هـ/788م فتحدث عن ملوك الأدارسة، ثم تحدث بعد ذلك عن دولة الزّناتيين بالمغرب الأقصى (المغراويين واليفرنيين)،ثم عن دولة المرابطين بالمغرب والأندلس ثمّ دولة الموحدين، وخصّص آخر الكتاب للحديث عن دولة بني مرين،حيث فصّل القول فيها حيث بدأ بالحديث عن نسبهم ثم دخولهم المغرب، ثم تحدث بعد ذلك عن جدهم الأمير عبد الحق بن محيو وهكذا حتى وصل إلى عهد السّلطان أبي سعيد، حيث ختم كتابه بالحديث عن أحداث عام 726هـ/1326م ،ذكر ابن أبي زرع عن مصادره التي اعتمد عليها بقوله"فألفت في هذا المجموع المقتضب وانتقيت جواهره من كتب التّاريخ المعتمد على صحتها والمرجو عاليها سوى ما رويته عن أشياخ التّاريخ والحفاظ والكتاب وقيدته عن الرّواة الثّقات الأنجاب ..."

أمّا منهجه في التّأليف فإنه يبحث أولا في نسب مؤسس الدّولة التي يريد الحديث عنها وأسباب قيامها ثم ينتقل إلى بقية الملوك أو السّلاطين فيذكرهم حسب الترتيب الزّمني، حيث يذكر سيرهم والأحداث التي وقعت في أيامهم ثم يذكر بعد نهاية كل دولة الأحداث الإقتصادية والإجتماعية التي وقعت إبان عصر الدولة التي فرغ من الحديث عنها،كما يترجم لبعض الشّخصيات المشهورة في تلك الدّول من العلماء والأشياخ، غير أنه اهتم كثيرا بالترجمة للملوك والسّلاطين دون غيرهم من العلماء،أسهب إبن أبي زرع في عرض الأحداث إسهابا جعله يتعرض للنقد غير أن فائدته البحثية تتجلى في ذكر معلومات عن الدّولة المرينية في جوانب من حياتهم بشكل مفصل.

يمتاز هذا الكتاب أنه يُعْنَى بتفصيل أحداث الجهاد الذي قام به المسلمون عامة والمرينيون خاصة في بلاد الاندلس، حيث تتبع أحداثه سنة سنة و تفرّد عن غيره من المؤرخين المعاصرين له من مسلمين ونصارى بذكر كثير من تفاصيل أحداث الجهاد، حيث اعتمدنا عليه في فصول كثيرة من موضوع الدّراسة خاصة الفصلين الثّالث والرّابع الذين تحدثنا فيهما عن موضوع الجهاد بشكل موسع

الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية: نُسِبَ إلى وقد ألف الكتاب بطريقة الحوليات حيث يبدأ المؤلف بذكر الوفيات والأحداث حسب السّنوات ثم يورد المعلومات عنهم، قسمه المؤلف إلى

عشرة أبواب يبدأ الأول بذكر بني مرين قيامهم وقبائلهم، وينتهي الباب العاشر بعهد السّلطان يعقوب المريني أي أواخر أحداث 679هـ/1279م ويعد ابن أبي زرع من معاصري السّلاطين المرينيين، ومما يؤخذ على الكتاب تّكرار الأحداث الواردة في كتاب الأنيس المطرب والتّوسع في عرضها.

ومن كتب التّراجم التي اعتمدتها نذكر كتاب **تاريخ قضاة الاندلس وسماه المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا** لأبو الحسن النباهي المالكي(كان حيا أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي) لأنه كان من رجال الدّولة وأعيانها المرموقين في المملكة، ويعتبر كتابه هذا مكملا للإحاطة ولهذا أفادني في التّعريف بالعلماء ودورهم في مناحي الحياة الأخرى ذات الصّلة بموضوع البحث .

الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لإبن حجر العسقلاني (773هـ/852هـ)وهو أول كتاب ضمّ تقريبا كل تراجم القرن الثّامن الهجري وصل فيه إلى وفيات 832هـ، ثم أضاف له زيادات وصل به الى وفيات 837هـ،متفوقا في أهميته على كتاب الوفيات للصفدي وكتاب اعلام المغرب لإبن الأحمر،خدم هذا الكتاب بحثنا هذا حيث ضمّ تراجم لعلماء القرن 8هـ من المغرب والأندلس مرتبة على حروف المعجم تسهّل من البحث والعودة إليها ويعتبر بحق من المصادر الرئيسية في بحثنا هذا.

نيل الإبتهاج بتطريز الدّيباج لأحمد بابا التنبكتي (1036هـ/1627م)والذي يعد موسوعة كبيرة ترجم فيه لثمانمائة وإثنين (802) شخصية من الأعيان والمشاهيير والفقهاء والمحدّثين،مما جعله سجلا أساسيا لأعلام الغرب الإسلامي، وتكمن أهمية في كونه ذيلا على كتاب الدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لإبن فرحون(ت:799هـ) فكان مشاركا له في موضوعه جابرا للنقص في مادته ومضيفا عليه من جاء بعده من أعيان الفقهاء والعلماء حتى عصر التّنبكتي أحمد بابا.

***جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس أحمد بن قاضي المكناسي (ت:1012)**الذي يحتوي على 645شخصية مرتبة هجائيا، واستفدنا منه في ترجمة عدّة علماء من الأندلس والمغرب زمن الدّراسة، حيث حوت التّرجمات المناصب التي تولاها هؤلاء من وزارة وكتابة كونهم عملوا في بلاط الدّولة المرينية .

* وكتاب **درّة الحجال في أسماء الرجال** لنفس المؤلف الذي يعتبر من كتب التّراجم المتأخرة الذي يحوي 1519ترجمة للعلماء والأعيان، ذيّل فيه على وفيات إبن خلكان منذ وفاة هذا الأخير عام 681هـ/1282م وحتى نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، حيث رتبه بداية من الألف إلى آخر حروف المعجم،ومما يُؤخذ على ابن القاضي عدم ذكره مصادره غالبا غير أن الذي خدم الموضوع في أغلب فصوله لأن تراجمه حوت مادة لابأس بها من

العلماء موضوع الدّراسة من المغرب والأندلس والتي مكنتنا من جمع مادة معتبرة، غير أنّ الترجمات تميزت في كثير من الأحيان بالإختصار الكبير ففي الكثير من الحالات لانجدها تعدو أن تكون سطرا واحد ورغم هذا فقد اعتمدنا عليه كثيرا خاصة في التّراجم التي إنفرد بها دون جذوة الإقتباس .

*كتاب **نثير الجمان** لإبن الأحمر(ت:807هـ) وهو كتاب تراجم قسمه إبن الأحمر إلى عدد من الأبواب بحسب اختصاص التّراجم الذين منهم الكتاب والقضاة والشعراء وغيرهم كانو قد عاشوا في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي.

والباحث في التّاريخ لابد له أن يشمل موضوعه بعض المدن والاقاليم التي يقوم عليها موضوع بحثه بل نجد أن بعضها يمثل عمودا فقريا في الكثير من محاوره كونها توفر له مايحتاجه وما يدور في ذهنه وتفك غموض والتّساؤلات ونذكر منها :

نزهة المشتاق في إختراق الآفاق للإدريسي أبي عبد الله محمد بن عبد الله(548-ت:560هـ/1153-1165م)، إذ يعد من المصادر المهمة في رصد جغرافية الأمصار وكان لمعلوماته الغزيرة عن مدن الأندلس موقعها من الرّسالة، وقد استفدت منه كثيرا سواءا بتعريف المدن الأندلسية في معظم فصول الرّسالة وبما تضمنه من معلومات أخرى خاصة في الفصل الأول من الدّراسة، حيث تميّز الإدريسي بالدقة في ما شاهده في أسفاره عبر أقاليم الغرب الإسلامي.

كتاب الرّوض المعطار في خبر الأقطار لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ولد في أواخر القرن التّاسع الهجري/السّادس عشر الميلادي)،وتكمن أهميته في أن مؤلفه قد إستعرض جغرافية الأندلس ومدنها وحصونها وقلاعها، ومما زاد الكتاب قيمة أنه لم يقتصر على المدن والأقاليم فقط بل تعدى ذلك إلى ذكر المحيطات والبحار والجزر وما سواها من الأعلام الجغرافية على حسب تعبير حسين مؤنس في كتابه الجغرافية والجغرافيين، وقد استفدت كثيرا من هذا الكتاب في كل فصول البحث تقريبا خاصة ماتعلق بتوصيف الأقاليم كيف لا وهو الذي قدّم لنا مادة جغرافية دسمة وهامة جعلت المؤرخيين والجغرافيين من بعده يعتمدونه في مؤلفاتهم، حيث ذكر القلقشندي في كتابه صبح الأعشى أنه اعتمد عليه في ذكر الشّام والجزيرة ومصر، كما حوى الكتاب أيضا على معلومات كثيرة عن الحالة السّياسية لدولة بني الأحمر .

معجم البلدان للحموي وهو من الكتب النّادرة التي صُنفت على طريقة المعاجم وهو يُرتب المدن والبلدان على أساس التّرتيب الهجائي، فيورد لمحة تاريخية عن كل مدينة ولمحة عن موقعها والقلاع والمرافئ التي فيها، ولمحة عن الذي سكنها من المشاهير، وتنعكس في هذا الكتاب الجغرافيا التّاريخية إلى

جانب الدّين والحضارة وعلم الأجناس والأدب الشّعبي ويعتمد ياقوت الحموي على عدّة مصادر أدبية وتاريخية سابقة عليه إضافة إلى كونه سمع من أفواه الرواة .

أما الدّراسات الحديثة التي لا تكاد تقل أهمية عن المصادر فلم ندخر جهدًا صغيرا كان أو كبيرًا في سبيل الإستفادة منها،وبما أنّ موضوع بحثنا يتعلق بأمور سياسية في كثير من مباحثه فقد اعتمدنا على المراجع التي تصبّ في الموضوع هذا، و حاولنا أن نستقي منها ما هو مهم،ونذكر على سبيل المثال كتاب **الحلل السّندسية**"لصاحبه شكيب أرسلان،وكتاب شعر الجهاد في عصر بني الأحمر الذي حوى في الكثير من جوانبه الأمور المتعلقة بجهاد العلماء خاصة ما تعلق منها بالتعبئة الرّوحية، وكتاب العبادي أحمد مختار،**صور من حياة الحرب والجهاد** الذي استفدت منه في الجزء المتعلق بالإنفاق الحربي و بناء الحصون ،بالإضافة إلى كتب أخرى التى حوت معلومات عن بحثنا على غرار كتاب **دولة الإسلام في الأندلس** لعبد الله عنان ولا سينا الجزء الأخير منه والذي يعرف ب "**نهاية الاندلس**" الذي حوى على مادة تاريخية هامة استفدت منها في غالب فصول البحث، وكتب كمال السّيد أبو مصطفى وهي مذكورة في المراجع، بالإضافة إلى ما جمعناه من مراجع عربية أو مترجمة تمس الموضوع مباشرة أو في إحدى جوانبه، مع الإشارة إلى بعض الدّوريات والمجلات والمقالات

سابعا: صعوبات البحث:

لا يكاد يخلو أي بحث من الصّعوبات والمشاكل التي تعترض طريق الباحث خاصة في مرحلة جمع المادة العلمية وما يرافقها من صعوبة الحصول على بعض المصادر المهمة التي تخدم الموضوع في كثير من جوانبه، خاصة ما تعلق منها بالجانب الإجتماعي العلماء في الفصل الثّاني من الدّراسة، ضف إلى ذلك تشعب موضوع الدّراسة التي تستلزم ذكر كل الجهود التي قام بها العلماء في سبيل إنقاذ مملكة غرناطة وتوزيعها على مباحث الدّراسة، ضف إلى ذلك طول المدة الزّمنية للبحث التي قاربت القرنين ونصف والتي تبدأ من بداية حروب الإسترداد أو كما تسمى في الأدبيات النّصرانية عقب تراجع دولة الموحدين وسقوطها إلى غاية سقوط غرناطة وما تلاها من أحداث مع إطار جغرافي شمل عامة الغرب الإسلامي،كون الموضوع على حسب علمي لم يُفرد ببحث مستقل بهذه الكيفية صعّب عليّ صياغة خطة تلّم كل حيثيات الموضوع كون مادة الموضوع منثورة في كتب التّاريخ والتّراجم والسّير وتكمن صعوبة إستخراجها في القراءة المستفيضة المطولة التي كلفتنا زمنا غير الذي

توقعنا فيه إنهاء الدّراسة، ومع كون أحداث الصّراع في البحث كانت الأندلس مسرحاً لها ،فقد كانت معظم الكتابات بالإسبانية مما صعب علينا الوصول إلى حقائق لم ترد في المصادر والمراجع العربية.

ثامنا: خطة البحث :

إقتضت طبيعة دراسة هذا الموضوع تقسيمه الى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة تم الملاحق التي اشتملت على مجموعة من الرسائل الداعية للجهاد ثم في الاخير ضمناها بقائمة للمصادر والمراجع .

أما الفصل الأول الذي جاء بمثابة تمهيد للدخول إلى صلب الموضوع فقد أفردته للحديث عن مملكة غرناطة ، حيث تضمن وصفًا جغرافيًا للمدينة من حيث المفهوم والموقع والحدود الجغرافية ، ثم تطرقت فيه الى التّطور السّياسي الذي عرفته مدينة غرناطة عبر تاريخها إلى غاية سقوطها في يد النّصارى و عرجت إلى ذكر قيام دولة بني الأحمر من خلال التّطرق إلى أصلهم وصراعهم مع بني هود ثم وصولهم الى سدّة الحكم ،ثم عملت على ذكر ابرز سلاطين دولة بني الأحمر الذين تعاقبوا على حكمها إلى غاية سقوطها مع ذكر أهم الأحداث البارزة في فترة حكم كل واحد منهم .

جاء الفصل الثّاني تحت عنوان الحياة الإجتماعية لعلماء المغرب الإسلامي من خلال ذكر أخلاقهم التي اتصفوا بها وزهدهم في مجتمعاتهم وعلاقاتهم مع أسرهم وبعض خصوصيات كل عالم من زواج وطلاق وغيرها ، و تناول الشّطر الثّاني من هذا الفصل المهن والوظائف التي شغلها العلماء أو بالأحرى طرق عيش العلماء الوظائف التي تولاها العلماء سواءا كانت مهنا حرّة أو من قبيل الوظائف السّلطانية والتي أكسبتهم مكانة لدى المجتمع ، وأوصلت البعض منهم إلى إعتلاء المناصب في السّلطة على غرار مهمة الكتابة والوزارة والقضاء والتي انعكست على الأوضاع العامة للعلماء الذين نالوا إزاء ذلك جاها ومالا عريضين،ولكن رغم هذا التّحول في النّمط المعيشي للعلماء من درجة الفقر والفاقة إلى درجة المال والشّهرة الاّ أنّ الكثير منهم بقي محافظا على سمت العالم الذي لا يتغير بتغير الظروف، وآثر تسخير ثروته في مايرضي ربه كالصدقات وغيرها من سبل الخير،إلّا أنّ هذا النّمط من الحياة جلب على الكثير من العلماء متاعب كثيرة وصلت الى حدّ السّجن والقتل في كثير من الأحيان نتيجة الوشايات الكثيرة والطموح الزائد لبعض العلماء .

ثم التّعريج إلى دور العلماء في المجتمع حيث لمسنا في هذا مدى التّرابط بين العالم وأبناء المجتمع فلا عجب أن يتخذهم المجتمع مثلهم الأعلى، عالجنا في هذا الفصل مجموعة من المحطات التي شغلت العلماء في مجتمعاتهم وعلى رأسها قضاء حوائج النّاس من خلال إهتمامهم بتلمس هموم أفراد المجتمع وقضاء حوائجهم وحلّ مشكلاتهم سواء على المستوى المجتمعي الضيّق أو على مستوى السّلطة

الحاكمة من خلال التوّسط لهم لدى الحكام والأمراء ،كما عالجنا في هذا الفصل دور العلماء في الإنفاق والصّدقة والتّطوع على الفئات الهشّة من المجتمع في محاولة منهم التّخفيف من حدّة الأزمات الإقتصادية كغلاء الأسعار والمجاعات وغيرها، فنجدهم السّباقين إلى إحتواء الأوضاع ودعوة النّاس إلى الإنفاق ، غير أنّ محدودية النّصوص في هذا المجال حالت دون الوصول إلى الجوانب المتعلقة بالإنفاق المالي ، والسّبب يعود في كثير من الأحيان إلى دعوات الدّين الحنيف إلى إخفاء الصّدقات طمعا في الأجر مخافة الوقوع في المنّ، وساهم العلماء أيضا في دعوة الحكام إلى التّخفيف من حجم التّضييق المضروب على فئات المجتمع جراء الضّرائب المفروضة عليهم ظلما وزورا، وتصدوا لها في كثير من الأحيان بدعواتهم إلى التّخفيف من حدّتها وفي كثير من الأحيان نادوا بتحريمها ووجوب التّصدي لها مما أوقعهم في مشكلات لا حصر لها نالوا حظهم من غضب السّلاطين .

ومن جملة ما خصصه العلماء للنفقة ما كان لإفتكاك الأسرى من أسر النّصارى، فقد كانت تجمع المبالغ الضّخمة في هذا السّبيل، فكان بعضها يجمع سرا كما سلف ذكره والبعض الآخر بطلب من الأئمة والعلماء في المساجد والبعض الآخر خصصه الأمراء وحبسوه على عمليات الفكاك، وكان للعلماء أيضا نصيب من محنة الأسر التي تجروعوا مرارتها، ونظرا لأهمية هذه العملية خصص العلماء مباحث كبيرة في مؤلفاتهم تضبط عملية الفداء وتخضعها إلى قواعد الشّريعة ،لننتقل بعدها إلى مبحث آخر تضمّن حياة العلماء الإجتماعية وعلاقاتهم الأسرية وبأفراد المجتمع عامة .

أما الفصل الثّالث والمعنون بدور علماء الغرب الاسلامي في ميادين الحروب فحاولت فيه رصد وعرض إسهامات العلماء في الجهاد الحربي ضدّ النّصارى ويتعلق الأمر بالمشاركات في ساحات المعارك، وقسمت هذا الفصل إلى ثلاث مباحث ،فالمبحث الأول عالج الحضور الشّخصي في المعركة وتتبع الأحداث كل عالم على حدى، وتم إحصاء العلماء في هذا مغاربة كانو أو أندلسيين،أما المبحث الثّاني فكان دور العلماء في التّحريض على الجهاد وأشتمل التّحريض على تحريض العامة والأمراء على الجهاد ،وتعددت طرق التّحريض من عالم لآخر فاستعمل بعضهم الخطب المنبرية في شحذ همم النّاس، وفضّل الآخر ساحات المعارك، وفضّل الآخرون الأسلوب الأدبي الذي مثلته قصائدهم ومقالاتهم ومراسلاتهم للأمراء والحكام،أما المبحث الثّالث فقد توج المبحثين السّابقين بضرورة حتمية لما ينتج عن الحضور الشّخصي للمعارك وهو الإستشهاد الذي كان غاية كل واحد منهم ،مع إحصاء من نال هذا الشّرف و ذكر السّنة التي استشهد فيها العالم والموقعة، كما أتينا على

ذكر مفصل لمعركة طريف وهي أشهر المعارك خاصة من ناحية عدد العلماء الذين سقطوا فيها شهداء، وهذا لا ينفي أهمية المعارك الأخرى ودور العلماء فيها وإنما الخطة اقتضت ذلك فقط .

أما الفصل الرّابع تعرضنا فيه إلى تصدي العلماء للحملات الفكرية النّصرانية على الإسلام والعمل على إستقصاء أهم الرّدود في ذلك مع ذكر أهم المناظرات مع شرح مفصل لهذا الجانب، وجاء المبحث الثاني مكلّلا ما سبقه من خلال محاولة إحصاء أهم المؤلفات التي ألفها العلماء في مجال الجهاد و التّحريض عليه، فمنها تأليف الكتب في التّحريض على الجهاد، مع ذكر مناقب السّابقين في الدّعوة إليه مستأنسين في ذلك بكتب المغازي، ومنها ما كان مشجع على الجهاد كالكتب التي تدعو إلى الارتباط بالخيل وتربيتها وذكر أصنافها، وكذا مصنفات صناعة الأسلحة وغيرها ، وكذا إسهامات العلماء في دعوة النّاس والحكام والأمراء إلى توحيد الكلمة من أجل توحيد الأندلس، والإبقاء عليها مترابطة أمام الخطر النصراني من خلال الدّعوة إلى إعادة الخلافة الأموية التي كانت تمثل الوحدة، وكذا دورهم في الحفاظ على الهوية الاسلامية تجاه التأثيرات النّصرانية وهذا نتيجة حتمية للإختلاط والاتصال بين أفراد الملّتين، تلاه بعد ذلك الدّور المهم الذي قام به العلماء من خلال سفاراتهم بين الأقاليم الإسلامية والنّصرانية في سبيل المهادنة وربط العلاقات والتّحالفات وبين الأقاليم الإسلامية بغية جمع الكلمة وتوحيد الصّفوف، وأخيرا موقفهم من مسألة الهجرة عشية السّقوط النّهائي للأندلس الذي تراوح بين الدّعوة إليها والنّهي عنها .

وأخيراً أنهيت الموضوع وكما هو مقرر في البحوث العلمية بخاتمة حول بعض نتائج البحث ثم أردفتها بمجموعة من الملاحق التي رأيت أنها في صلب الموضوع.

ختاما أحمد الله حمد الشّاكرين على أن وفقني لإتمام عملي، ولكن رغم هذا فإني مهما قدمت من عمل فإنه يبقى ناقصا لأنه لا يمكن الإلمام بمختلف جوانبه، فإن وفقت في ذلك فبفضل الله وعونه وإن كان هناك تقصير فمن نفسي، وعزائي في ذلك قول الثّعالبي" إنّ أول مايبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتابا فيبيت عنده ليلة الّا أحب من غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عديدة " وشاطره في هذا العماد الأصفهاني حين قال "إني رأيت أنه لا يكتب أحدا كتابا في يومه إلّا قال في غده لو غُير هذا لكان لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قُدم هذا لكان أفضل ولو تُرك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر ودليل على إستيلاء النقص على جملة البشر"

الفصل الأول

مملكة غرناطة جغرافيا وسياسيا

بقي إقليم غرناطة صامدا في وجه النّصارى لأكبر مدةّ أطول، ما جعله محط أنظار الفارين من بطش النّصارى من جهة والرّاغبين في النّهل من روافد العلم المختلفة، ولعل الزّحف الكبير باتجاه هذه المدينة ساهم في اتساع أقاليمها وزيادة كثافتها السّكانية الأمر الذي جعلها تحمل لقب الحاضرة التي نافست حواضر الشّام والعراق، وبهذا شكلت أيضا أكبر قوة عسكرية جعلت من النّصارى يعيدون حساباتهم في السّيطرة عليها أكثر من مرة. من هنا ارتأيت أن أعطي لمحة مبسطة عن مملكة غرناطة من حيث الموقع الجغرافي والدّور السياسي الذي اضطلعت به إلى غاية سقوطها.

01: مملكة غرناطة جغرافيا وسياسيا:

نحاول في هذا المبحث وضع تصور عام لمملكة غرناطة بداية برسم الإطار الطبيعي الذي كان خاضعا لسلطان المسلمين في الثّلاث قرون الأخيرة من تاريخ الإسلام في الأندلس، ونأتي هنا إلى التّعريف بالأقاليم المهمة التي تضمّها مملكة غرناطة كما وردت في المصادر التّاريخية القديمة والعمل على مقارنتها بالحاضر خاصة من حيث التّسمية أو الحدود الجغرافية.

01: الموقــــع:

يقع اقليم غرناطة[1]في جنوب شّرق شبه الجزيرة الأيبيرية أو ما يسمى حاليا الأندلس الصّغرى شرقي المتوسط ليتسع شمالا في اتجاه المرية وجنوبا جبل طارق، أما حدودها الغربية فتنتهي عند سفوح

[1] – **غرناطة**: هناك اختلاف في أصل التّسمية بين الباحثين فالبعض منهم يرى أنّ الإسم يعود إلى عهد الرّومان وأنه مشتق من الكلمة الرّومانية(اللاتينية) GRANATA والتي تعني الرّمانة، يرجع السّبب في تسميتها بهذا الاسم إلى أشجار الرّمان المحيطة بها ،وهذا ما يقول به الجغرافيون العرب إذ أجمعوا أن معنى كلمة غرناطة هو الرّمانة بلسان عجم الأندلس وسمي البلد كذلك لحسنه حتى أصبحت الرّمانة شعارا لغرناطة. وتشتمل غرناطة على خمسة جبال وسطها فسيح يشبه غوطة دمشق،وهي مدينة محصنها لها ثلاثة عشر بابا تطل كل منها على أرباضها أضخمها باب البيرة ، ويحيط بسورها عدد من الأرباض ومئات من الحصون والقرى والأرجاء، وقيل أن الرّاجح أن الاسم أُطلق عليها زمن القوط وأنّ الإسم عبارة عن مزيج من كلمة "ناطة" وهو اسم قديم لقرية كانت تقع على مقربة من البيرة و"غار" هو المقطع الذي أضافه المسلمون فصارت غرناطة و سماها البربر كذلك عند نزولهم بها(انظر: لسان الدّين بن الخطيب:الاحاطة في اخبار غرناطة.تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي، الشركة المصرية للطباعة ط2.القاهرة 1393ه/1973.ص91. الحميري ابن عبد الله بن عبد المنعم ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفسال، دار الجيل ط2، بيروت ،لبنان، 1408ه–1988م، لسان الدّين بن الخطيب: اللّمحة البدرية في الدّولة النّصرية،تحقيق محي الدّين الخطيب، المطبعة السّلفية ومكتبتها،القاهرة1347ه–ص15.

الجبل الأحمر(سييرامورينا)،هذه المسافة يقطعها المسافر سيرا على الأقدام من الشّمال إلى الجنوب في 10 أيام ومن الغرب إلى الشّرق في ثلاثة أيام[1] مملكة غرناطة تحوي ثلاث ولايات،ولاية غرناطة في الوسط وفيها الحاضرة غرناطة،وولاية ألمرية[2] في الشّرق، وولاية مالقة[3]

ابن سعيد المغربي(ت:685هـ):كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خينيس، مطبعة كريماديس، تطوان، المغرب، 1958،ص100- شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري(ت:749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب،تحقيق حمزة أحمد بن عباس (السفر الرابع، دار الكتب الوطنية، ابو ظبي ،2003،ص227 وما بعدها- المقدسي المعروف بالبشارى: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل ، عام 1906.

[1]- ابن خلدون عبد الرحمن: كتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1971، ج7، ص171- المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار الثقافة، بيروت، 1968، مج3، ص217- يوسف شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الاحمر دراسة حضارية ، ط1دار الجيل ، بيروت ،1413هـ1993م، ص09.

[2] -**المرية** :اسمها مشتق من والوظيفة التي بنيت لأجلها أي من الرؤية بإعتبارها مرأى ومحرس بحري للأندلس هي مدينة قديمة على شاطئ البحر(بحر الزقاق) جنوب غرناطة بين مدينتي مالقة ومرسية، تشتهر بكثرة اشجار التّين إلى درجة أنه كان يصدر منها إلى مصر والشام وغيرها، أمّا عن بناء المدينة فقد أمر عبد الرّحمن النّاصر بنائها سنة 344هـ لتكون قاعدة بحرية رئيسية للأسطول الأموي (انظر:ابن صاحب الصّلاة: المن بالامامة ط3، دار الغرب الإسلامي ،لبنان ، 1987، ص128،ج2- الحميري:صفة جزيرة الأندلس،ص177،179-ياقوت الحموي :معجم البلدان،دار صادر، بيروت،لبنان، 1397هـ،1977م،ج5 ص43- محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة ألمرية الاندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، الاسكندرية ، 1981،ص26 ، 27

[3] – **مالقة**: مدينة ساحلية جنوب شرق الأندلس أسسها الفينيقيون عام 12ق م اعطوها اسم MALACA . ومعناها المملح وذلك نسبة إلى مستودعات الأسماك المملحة التي كانت تعمل فيها وتحفظ فيها، واشتهرت بزراعة الفواكه الممتازة ولاسيما التّين المالقي والرّمان، كما اشتهرت بصناعة الفخار أما من النّاحية السّياسية فكانت عاصمة الحموديين الأدارسة ايام ملوك الطوائف، كانت تعتبر العاصمة الثانية بعد مدينة غرناطة كتب عنها كثير من الكتاب المسلمين أمثال لسان الدّين بن الخطيب (انظر:لسان الدين بن الخطيب:مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله)مؤسسة شباب الجامعة للطباعة، الاسكندرية ، مصر، 1983،ص76-الإصطخري المعروف بالكرخي :أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم ص422، 443 .الحميري الروض المعطار ،ص177-ابن سعيد المغربي:كتاب الجغرافيا،تحقيق اسماعيل العربي،المكتب التجاري للطباعة ،ط1،بيروت، 1970 ص140.وقد تم فتح مدينة مالقة سنة(92هـ/711م) على يد عبد الأعلى بن موسى. وبقيت مالقة بلدة قليلة الأهمية من كورة رية تستحوذ عاصمة الكورة مدينة أرشذونة على الأهمية الأولى بالكورة الى أن تنبه إلى أمرها الخليفة عبد الرّحمن النّاصر الذي زاد من أهميتها فجعلها إحدى القواعد البحرية للأسطول البحري ، ازدادت أهمية مالقة وبسقوط الخلافة الأموية وأصبحت عاصمة كورة ريـّة واتخذها بني حمود قاعدة لهم. واتسعت المدينة كغيرها من المدن .مرت المدينة بعدة مراحل من تاريخها حيث استولى عليها بني حمود في عصر الطوائف، ثم حاكم غرناطة باديس بن حبوس، ثم بن بلقين ثم حفيده ثم وقعت تحت حكم المرابطين، ثم وصارت تحت حكم امارة أرغون، إلى أن أصبحت تحت إمرة الموحدين وأخيرا استولى عليها ملوك بني الاحمر بغرناطة قبل أن تقع في النّهاية تحت الحكم الإسباني .انظر:لسان الدّين بن الخطيب :الاحاطة في أخبار غرناطة، مج3،ص529- يوسف احمد ياسين ،بلدان الاندلس في اعمال ياقوت الحموي الجغرافية (574،626هـ/1178،1229م)

في الجنوب [1]

كانت غرناطة منذ قيام دولة بني الأحمر تضمّ بين جنباتها ثلاث ولايات كبرى هي ولاية غرناطة وولاية المرية وولاية مالقة.

أمّا ولاية غرناطة تضم مدن وادي آش[2]وبسطة[3]

دراسة مقارنة ،مركز زايد للتراث والتاريخ ط1 ،العين الامارات العربية المتحدة،2000م،ص470،463-خالد بن عبد الله بن حسن آل زيد الشريف: مدينة مالقة عند عصر الطوائف حتى سقوطها (دراسة سياسية واقتصادية)422هـ-892هـ) رسالة ماجيستير التاريخ الاسلامي ،قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ،جامعة ام القرى ،1425هـ،1426هـ،ص 13، 14.

[1] - لسان الدين بن الخطيب:مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ،ص 68، 89 – ابن الخطيب: كناسة الدكان، تحقيق محمد كمال شبانة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1966، ص16 ،17،- ناظم ابراهيم كريم محمد العبدلي: العمران الحربي في مدينة غرناطة حاضرة سلطنة غرناطة (636هـ-897هـ/1230-1492م) مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية،العدد الثاني ،2012نص235- جميلة مبطي السعودي الهذلي: التعايش الاسلامي عشية فتح الاندلس والتعايش المسيحي عند الاحتلال الاسباني للاندلس (92-897هـ/711-1492م) دراسة مقارنة، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، قسم التاريخ والحضارة الاسلامية ، جامعة ام القرى، السعودية، ص13 .

[2] **- وادي آش**:مدينة كبيرة بالأندلس قريبة من غرناطة وهي بين غرناطة وبجانة نهرها ينحدر من جبل شلير.تشتهر كغيرها من مدن الأندلس بكثرة التوت والأعناب وأصناف الثّمار والزيتون و القطن، كما تحوي حمامات كثيرة ، يوجد بها بابان شرقي على النّهر وغربي على خندق.بينها وبين غرناطة أربعون ميلا قال ابن حوقل"بينها وبين ماردة ومدلين يومان ومنها إلى ترجيلة يومان ومنها إلى قصر آش يومان من قصر آش إلى مكناسة يومان".(أنظر:الحموي:معجم البلدان ،ج1،ص198-محمد عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار—معجم جغرافي مع فهارس شاملة،تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان،بيروت،لبنان، ط1 1975،ط1984،2،ص204- ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج1،ص109-المقدسي المعروف بالبشارى ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل ، عام 1906 ، ص223.

[3] **-بسطة**: بلدة تقع شمال شرق غرناطة قريبة من وادي آش بنحو 123كم تسمى بالاسبانية BAZA كانت تعرف باسم BASTIوهي من كور جيان، حرصّ ملوكها على جعلها محصنة بالأسوار واشتهرت بكثرة الزعفران و الزروع والفواكه الموسمية على غرار التّوت والزّيتون والحرير ازدهر فيها صناعة المنسوجات خاصة البسط من الدّيباج. و اشتهرت كذلك بكثرة وتنوع الصّناعات (انظر: ابن الخطيب :مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص31-ابي عبد الله بن ادريس الحمودي الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الوطنية-القاهرة ،مصر،2002،1422،ص468-أبي العباس أحمد القلقشندي:كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشا، المطبعة الأميرية بالقاهرة 1333هـ،1915هـ،ج5ص221- ابن الخطيب:الاحاطة في أخبار غرناطة،ج1،ص109. زكريا بن محمد بن محمود القزويني: آثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت ، لبنان ،دت ط،ص512.

واشكر [1] ولوشة[2]والحامة[3] والمنكب[4] وشلوبانية[5] [6]

أمّا ألمرية فتقع على ساحل البحر المتوسط بين مالقة ومرسية، وتعد من أجمل المدن الأندلسية من حيث الموقع والأهمية لتمتعها بحركة تجارية كبيرة نظرا لتنوع منتوجاتها، ومن أهم مدنها بيرة[7]

---

[1] **- أشكر** : تقع شمال بسطة وهي بلدة حصينة وعصيّة على العدو انظر:ابن الخطيب:الاحاطة في أخبار غرناطة ،ج1-ص391 ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدّين ،ص87.

[2] **-لوشة**: مدينة على نهر شنيل وتبعد عن مدينة غرناطة بنحو 50 كم من ناحية الجنوب الغربي ، اسمها القديم LACIVIS ، وتعرف اليوم باسم لوجا LOJA . ألبيرة أنظر: ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص93- الحميري: الروض المعطار ،513.

[3] **-الحامة أو الحمة**: مدينة تقع في الوسط من دولة بني الأحمر إلى الجنوب الغربي.من غرناطة وقد ذكرها ابن الخطيب أنها تشتهر بزراعة الحبوب وخاصة القمح وتعتمد في الزراعة على مياه الأمطار وحصنها يقع في الطريق إلى مدينة لورقة (أنظر:الادريسي،نزهة المشتاق،ص561- لسان الدين ابن الخطيب: صفة المملكة غرناطة وهي مأخوذة من كتاب معيار الاختبار مطبعة الدولية المسيحية، 1870م،مجريط(مدريد) ص24.

[4] **-المنكب**: هي مدينة بالقرب من شلوبين وقيل مرفأ ساحلي مرتفع يقع جنوب شرق الأندلس بمقاطعة غرناطة نزل الأمير الأموي عبد الرّحمن بن معاوية بهذا الميناء عند دخوله الأندلس سنة 138هـ واشتهرت بكونها تحوي دار صناعة السّفن وبها قصب السّكر ومنها يحمل السّكر إلى البلاد الأخرى .وبها فاكهة الموز ولا يوجد في بلد من البلدان الإسلامية إلاّ وبها زبيبها مشهور انظر: لسان الدين ابن الخطيب السّلماني (713هـ-776هـ):معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار تحقيق محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،مصر، 2002، ص94، ابن الخطيب: اللّمحة البدرية ،ص19.

[5]- **شلوبانية**:.هي قرية تقع جنوب غرناطة وتعدّ من حصونها البحرية على بحر الزّقاق بينها وبين المنكب عشرة أميال، ويقال إنها تقابل من العدوة المغربية مرسى مدينة مليلة، وإليها ينتسب العالم النّحوي علي عمر محمد الشّلوباني إمام نحاة المغرب ،اشتغل أهلها بزراعة السّكر والموز،وصيد الأسماك (أنظر:ابن الخطيب :الإحاطةفي أخبار غرناطة ،ج1،ص112-ابن الخطيب :مشاهدات ابن الخطيب ،ص80-الحميري :الرّوض المعطار ،ص343-ابن عبد الله بن عبد المنعم الحميري: صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفسال،دار الجيل ط2، بيروت،لبنان ،1408هـ-1988م،ص111-ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب.تحقيق شوقي ضيف،ط4 دار المعارف، القاهرة ،مصر ،1995،ج2،ص129- ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج3،ص360.

[6] -القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا5ج،214-رياض احمد عبيد العاني: الأحوال العامة في مملكة غرناطة (635هـ-897هـ/1237-1492م) مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، المجلد 17، العدد9، ص 344.

[7] **- بيرة**: وتسمى بالاسبانية VERA، هي مدينة صغيرة تقع على مقربة من البحر إلى الشّمال الشّرقي من مدينة المرية، وهي من من المدن المحصنة جدا ،وكانت عندما احتلها النّصارى أقصى ثغر من ثغور المسلمين، وهي أرض اشتهرت بأنها عبارة عن جنة كثيرة الأنهار والأشجار، فمن بعض المراسلات التي كانت تتم بين ملوك غرناطة وملوك الدّول المجاورة تفهم أن مدينة بيرة كانت تعتبر أقصى حدود المسلمين في تلك المنطقة(أنظر: لسان الدين الخطيب :مشاهدات لسان الدّين بن الخطيب ،ص40- ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة ،ج1،ص109.

والمنصورة[1] وبرشانة[2] وبرجة[3] ودلاية[4] وأندرش[5] [6]

أما مدينة مالقة فتقع شرق غرناطة على السّاحل الجنوبي الشّرقي لبلاد الأندلس وهي من أشهر مراسي البحر المتوسط وأهم مدنها بلش مالقة [7]

---

[1] -**المنصورة**: وهي بمثابة حصن يقع على نهر المنصورة والذي سمي كذلك نهر ألبيرة، تقع شمال غرناطة إلى الشّمال من المرية على نهر المنصورة -أنظر: ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة ،ج1،ص109.

[2] – **برشانة**: بلدة تبعد عن المرية بنحو 18 ميلا، مشهورة بكثرة البساتين والأشجار (انظر: الحميري:الروض المعطار،ص88.ابن الخطيب– مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص36.

[3] – **برجة**:كانت تسم BERJA ، ومن قبلها VRIGI– بها فواكه كثيرة ،اشتهرت بمعدن الرّصاص وعُرف أهلها بتجارة الحرير. يقول عنها ابن سعيد المغربي:"كان والدي متولعا بالفرحة فيها(يقصد برجة) لما خصها الله بها من حسن المنظر. أخبرني أنّ الجنات محدقة بها وهي على نهر بهيج يعرف بوادي عذراء وفيها الفواكه الجليلة وبها معدن الرّصاص وينسب إلى هذه المدينة عدد من الشّعراء منه الشّاعر ابو عبد الله بن بكر البرجي احد شعراء بني الأحمر في القرن السّابع الهجري"وفيها يقول ابو الفضل بن شرف القيرواني رحمه الله تعالى: رياض تعشقها سنـــدس * توشت معاطفها بالزهر

مدامعها فوق خدي ربـــي * لها نظرة فتنت من نظر

وكل مكان بها جـــــنة * و كل طريق اليها سقر

انظر: ابن سعيد المغربي :المغرب في حلى المغرب، ج2،ص228– المقري التلمساني: نفح الطيب،ج1، ص150.

[4] – **دلاية**: بلدة تقع بين وادي آش والمرية، تشتهر بمادة الحرير والمعادن قال ابن الخطيب:" قلت في فدلاية قال خير رعاية وولاية وولاية .حرير ترفع عن الثمن وملح يستفاد مع الزمن...إلاّ انها لسرايا العدو البحري مجر العوالي ومحل الفتكات"(لنظر: ابن الخطيب: مشاهدات ابن الخطيب، ص81، 82.

[5] – **أندرش**:بلدة من اقاليم المرية وكانت مدينة حصينة بنيت على شكل حصن، وحصون هذه المملكة كثيرة جدا فليس بها من بلد إلاّ وحوله حصون كثيرة، وهي غير موجودة الآن ولكن لايزال اسمها يطلق على اسم وادي هناك ينبع من جبال شلير، ،اشتهرت بصناعة الفخار الذي يستعمل للطبخ .انظر: المقري التّلمساني:نفح الطيب،ج1،ص166–ابن الخطيب:مشاهدات لسان الدّين بن الخطيب ،ص88– القلقشندي :صبح الأعشى، ج5، ص221.

[6] –رياض أحمد عبيد العاني : الأحوال العامة في مملكة غرناطة ، ص344.

[7] - **بلش مالقة**: هي مدينة تقع شرقي مالقة على بعد ثلاثين كيلومتر منها وتبعد عن البحر حوالي خمس كيلومترات. اشتهرت في قصة سقوط الأندلس بدفاعها المجيد.وسقطت في أيدي النّصارى في عام 892هـ (افريل 1487م) كانت أيام مملكة غرناطة من أهم وأمنع قواعدها الجنوبية وكانت فوق ذلك تُعدّ موطن كثير من العلماء والأدباء الذين اشتهرت بهم الأندلس، عُرف عنها أنها ضخمة الأسواق،غلبت حضارة أهلها على بداوتهم، وليس في قواعد مالقة شبيه في الحضارة (انظر:ابن سعيد:المغرب ،ج1،ص442)، انظر:محمد عبد الله عنان:الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال،دراسة تاريخية أثرية مكتبة الخانجي–القاهرة–مصر 1417هـ/1997م– ص254. ابن الخطيب:الاحاطة في أخبار غرناطة، ج1،ص112(هامش3)

وطرش[1] وقمارش[2] ورندة[3] ومربلّة[4] وأرشذونة[5] وانتقيرة[6]

[1] – **طُرَّشْ**:مدينة تقع على السّاحل الشّرقي وهي من كور ألبيرة وتسمى أيضا باسم حصن طرش وتعد اليوم في مديرية مالقة (أنظر :المقري التلمساني ، نفح الطيب، ج3،ص32، 50.)

[2] – **قُمارش**:هي إحدى الحصون الهامة أيام مملكة غرناطة وتقع بالقرب منها. قال ابن الخطيب" مودع الوفر ومحط السفر ومزاحم الفرقد...حيث الماء المعين والقوت المعين...طالما فزعتح إليه نفوس الملوك بالذخائر ...وبه الأعناب التي راق بها الجنان والزياتين واللّوز والتين والحرث الذي له التمكين" (انظر: ابن الخطيب: معيار الاختيار،ص92، 94.

[3] – **رُندة**: وهي من أهم مدن مملكة غرناطة الاسلامية و تقع غرب مالقة تتمتع بموقع طبيعي رائع، وكانت معقلا حصينا يحمي مالقة من الغرب كونها تقع في مكان مرتفع يكفل تحصينها، فهي تقع فوق منطقة مرتفعة تحيط بها الوديان السّحيقة، وصفها ابن بطوطة في رحلته عندما زار الاندلس عام 1350م بقوله "وهي من أمنع معاقل المسلمين وأجملها وصفا" وينسب إليها الفقيه المتفوق ابن عباد الرّندي شارح حكم بن عطاء الله السّكندري (انظر: القلقشندي:صبح الأعشى،ج5، ص220–ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج1،ص334 –ابن الخطيب: مشاهدات بن الخطيب،ص95.

[4] – **مربلّة**: تسمى بالاسبانية MARBILLA كانت تسمى أيام الرّومان POLIS-MARO ثم أطلق عليها المسلمون اسم مربلة وهي ثغر أندلسي صغير يقع على البحر المتوسط جنوب غربي مالقة و أستبونة أو أشتبونة تقع بحدها على الشاطئ تبعد عن مالقة حوالي 60كم غربا، ولبثت مربلة من ثغور مملكة غرناطة الاسلامية حتى بدأت قواعد هذه المملكة تسقط تباعا في أيدي القشتاليين، قال ابن الخطيب:"...قُلت فمربلة قال بلد التأذين على السّردين ومحل الدّعاء والتأمين لمطعم الحوت السمين..وحدقاتها مغرس العنب العديم القرين ...وعقارها غير ثمين..."أنظر :ابن الخطيب:مشاهدات لسان الدّين بن الخطيب ،ص76،75–الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص180–القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص219 – ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2،ص145– عبد الله عنان، المرجع السابق، ص256

[5]- **أرشذونة**: بلدة على البحر ذات مياه غزيرة وزوع كثيرة لإتساع سهولها، تعتبر قاعدة كورة ريــــّة ومنزل الولاة والعمال يُعــدّ جبلها الحامي لها من الأعداء ولها حصن فوق المدينة ولها مدن كثيرة (الحميري، الروض المعطار،ص25) قال فيها ابن الخطيب "شرّ دار وطلل لم يبق منه غير جدار.....وعورة ساكنها لعدم الماء مستأسر، وقومها ذو بطر وأشر وشيوخها تيوس في مسالخ بشر..." انظر: ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدّين بن الخطيب،ص94. ولعل موقعها الوعر صعّب الوصول إليها ، ذلك أن البسائط الخضراء الممتدةمن غرناطة نحو الجنوب الغربي التي تظلّلها الأكام العالية تنتهي جنوب غربي مدينة لوشة بمجموعة من الهضاب العليا الوعرة(عبد الله عنان، المرجع السابق ،ص 338.)

[6] –**انتقيرة**: وهي تسمى اليوم بالاسبانية ANTEQUERA وهي مدينة قديمة عامرة بالسكان وتبعد عن مالقة 59كم وهي عبارة عن حصون تمتد بين مالقة وغرناطة أنظر: ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدّين بن الخطيب–ص94–ابن الخطيب: صفة مملكة غرناطة، ص26–ابن خلدون التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ، دار الكتاب اللبنانية مكتبة المدرسة ، بيروت ، 1983 ، ج14، ص804– تحتوي على الحوت السّمين.وحدقاتها مغرس العنب العديم القرين...وعقارها غير ثمين.." انظر:ابن الخطيب:مشاهدات لسان الدّين بن الخطيب، ص75، 76–الحميري:صفة جزيرة الأندلس، ص180.القلقشندي:صبح الأعشى ،ج5 ،ص219–ابن الخطيب :الاحاطة، ج2–ص145–عبد الله عنان: المرجع السابق ، ص256.

والجزيرة الخضراء[1] وطريف[2] [3]

02 :غرناطة حتى قيام دولة بني الأحمر:

اختلف المؤرخون في السّنة التي افْتَتَحَ فيها المسلمون مدينة غرناطة فذهب البعض إلى القول بسنة 92هـ وقال البعض الآخر أن المسلمين لم يفتحوا غرناطة ومالقة وتدمير إلّا في ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة 93هـ ويدعم هذا الرأي المؤرخ حسين مؤنس يقول" وكان عبد العزيز بن موسى رجلا شهماً ومسلماً عظيماً وقد اجتهد في فتح شرقي الجزيرة وغربها...."[4] ولم يقف المؤرخون عند هذا الحد بل اختلفوا أيضا في تحديد ما كانت عليه غرناطة أثناء الفتح، ففريق يرى أنها كانت

---

[1] -**الجزيرة الخضراء**: ويقال لها جزيرة أم حكيم أيضا وهي جارية طارق بن زياد مولى موسى بن نصير كان قد حملها معه ثم تركها هناك، سقطت الجزيرة في يد القشتاليين سنة 742هـ عقب موقعة طريف الشّهيرة (741هـ) التي هزمت فيها جيوش المغرب والأندلس، وهي مدينة مما يلي جبل الفتح من الغرب على السّاحل وموقعها في الإقليم الرّابع من الأقاليم السّبعة، والجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الأندلس في صدر الاسلام سنة 90من الهجرة. وهي مدينة أمام سبتة من بر العدوة من بلاد المغرب ومنها تغلب ملوك الاندلس على ما تغلبوا عليه من الاندلس والمغرب حين احتلوها ومرسى الجزيرة مأمون في الغالب ويحاذيه مرسى مدينة سبتة ويتلوه جبل طارق، وبالمدينة دار للصناعة ، بناها عبد الرّحمن بن محمد أمير المؤمنين أتقن بناءها ورفع أسوارها ، (أنظر: القلقشندي: صبح الأعشى ،ج5،ص220-الحميري: صفة جزيرة الاندلس ،ص75-الحميري:الروض المعطار،ص223- عبد الله عنان :الآثارالأندلسية الباقية ،ص 283-الادريسي: وصف افريقيا الشمالية، تحقيق، هنري برس، الجزائر،1376 -1957م، ص106، 107- مصطفى شاكر : المدن في الاسلام حتى العصر العثماني ،ط1 ، الكويت ،1988 ، ص476 .

[2] – **طريف**: تقع جزيرة طريف أو مدينة طريف جنوب غرب اسبانيا في قبالة الجزيرة الخضراء وتفصل بينهما سلسلة من التلال المتصلة ، تتخللها بعض الوديان الصغيرة وهي بقعة جرداء لا تبدو فيها سوى بعض النباتات والحشائش البرية، وطريف من المدن الأندلسية القديمة وقد كانت أيام الدولة الإسلامية مثل جبل طارق والجزيرة.ذات أهمية بحرية خاصة ومركزا لنزول الجيوش المغربية العابرة وقاعدة من قواعد الوصل بين المغرب والاندلس ولبثت حتى آواخر الدولة الإسلامية تحتفظ بأهميتها الحربية.وسقطت في يد النصارى في سنة 691هـ في عهد ملكهم الشّجاع سانشو ومنذ ذلك الحين وهي في يد النصارى الاسبان.وسميت معركة طريف باسم الجزيرة وقد مات في هذه الوقعة 741هـ من المسلمين جمع كثير.(أنظر: القلقشندي،صبح الأعشى ،ج5،ص225-الحميري:صفة جزيرةالأندلس– ص127-ابن الخطيب:مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ،ص123- عبدالله عنان، المرجع السابق.ص278

[3] -القلقشندي:صبح الأعشى، ص218.-محمد نوح يونس عبد الله :الشعر في إقليم غرناطة في القرن السابع هجري،أغراضه وقضاياه الفتية ،ماجيستيرالآداب ،جامعة نبغازي،2011،ص17.

[4] -حسين مؤنس:موسوعة تاريخ الاندلس(فكر تاريخ-حضارة –تراث) مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،مصر،1416هـ /1996م ،ص185-مريم قاسم طويل:مملكة غرناطة في عهد بن زيري البربر(403-483هـ/1012-1090م)، ط1، دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان 1414هـ،1994م ،ص19.

عاصمة كورة البيرة[1]،وفريق ثان يرى أنها كانت مدينة صغيرة من مدن كورة البيرة، وفريق ثالث يرى بأنها قرية من قرى المدينة الكبيرة البيرة فيقول صاحب كتاب "أخبار مجموعة" المجهول: في معرضه حديثه عن حملة طارق بن زياد إلى الأندلس"...وبعث جيشا إلى مدينة ريّة وبعث إلى غرناطة مدينة البيرة وسار هو بريد طليطلة[2] وفي هذا إقرار أن غرناطة كانت تابعة لكورة غرناطة، يضيف أن ابن سعيد المغربي في معرض ذكره عن غرناطة وبعد وصف دقيق لها "...غرناطة ومأأدراك ما غرناطة حيث أدارت الجوزاء وشاحها وعلق النّجم أقراطه[3]...إلى أن قال ...كانت قاعدة المملكة البيرة ..."[4] .

وكانت غرناطة عند الفتح مدينة صغيرة ضمّت أغلبية من اليهود وبقية من العرب ثم ازداد عدد العرب فيها حتى غلب وفاق اليهود، وكانت في عهد الأمويين بالأندلس مع تدفق الشّاميين عليها[5]

---

[1]-**ألبيرة**: وهي مدينة كبيرة قريبة من غرناطة بينهما ستة أميال وحول البيرة أنهار كثيرة.وبساحلها نزل جند دمشق وكذا الأمير عبد الرّحمن الدّاخل (الأموي)في رحلته إلى الأندلس .ولكن هناك إختلاف بسيط في الموضع الذي نزل به الدّاخل(الأموي)غير أننا لا نقف على خبر يقين عن مكان نزول الداخل، فمرة نجد المنكب ومرة البيرة (أنظر:المقري التلمساني:نفح الطيب،ج1،ص143- الحميري:صفة جزيرة الأندلس،ص29، 30.

[2]-مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ،تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري، القاهرة،دار الكتاب اللبناني،بيروت، 1410هـ/1989م،ص20-عبد الله عنان،نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين،مطبعة مصر،1985، ص17.

[3]- إبن السعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب ، ج2-ص102.

[4] - إبن السعيد المغربي:المغرب في حلى المغرب ،ص105- إبن الخطيب :الإحاطة في أخبار غرناطة،ج1،ص93.

[5]- مارمول كريخال:تاريخ ثورة وعقاب أندلسي مملكة غرناطة ،ترجمة جعفر بن الحاج السلمي،الجمعية المغربية الأندلسية ،جمعية تطوان اسمير،ط1،مطبعة الخليج العربي،تطوان، 2013ص68،67- أحمد توفيق محمد محاسنة: الحياة السّياسية في دولة بني الأحمر من 629هـ-1232م/897هـ-149م ماجيستير-تاريخ–كلية الدراسات العليا-الجامعة الاردنية -1998م-ص29.كفلت القوانين والشّرائع الاسلامية السّمحة لليهود ولغيرهم من أصحاب الدّيانات الأخرى في الأندلس جملة من الحقوق ضمنت لهم نوع من الاستقرار والهدوء وبفضلها واستعادوا حياتهم الطبيعية وفتحت لهم أبواب المشاركة في الحياة الاقتصادية لخبرتهم الواسعة فيها خاصة منها التجارة ، بل وذهب المسلمون في تعاملهم معهم إلى أبعد من ذلك حيث أبقوا على مجموعات منتخبة من اليهود في كل مدينة من المدن التي افتتحوها إلى جانب كتيبة من الجيش الإسلامي خاصة غرناطة والبيرة لتكون عونا في تسيير أمورهم الإدارية حيث وصل من اليهود شخصيات إلى أعلى المناصب في الدولة مثل الوزارة أنظر:عبد القادر عثمان محمد: الحضور الاجتماعي والثقافي لليهود في مملكة غرناطة (403-483هـ/1012-1090م)الاسباب والمظاهر والنتائج،مجلة كلية الآداب،ام درمان ،السودان،العدد1434هـ،2013م،ص 13

- HAIM BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.825-

- BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198; LINDO, THE JEWS, P.6.

ولعل هذا التّدفق الكبير كان مرده الخلاف بين القبائل والصّراع على الإمارة بين الشّاميين من ناحية واليمنيين من ناحية أخرى، الأمر الذي عجّل بتدخّل أمير الأندلس أبو الخطار الكلبي و القضاء على هذه العصبية وهذا بتوزيعها وتشتيتها على أنحاء الأندلس، فأنزل أهل دمشق ألبيرة، وأهل الأردن ريّـــة، وأهل فلسطين شذونة، وأهل حمص إشبيلية، وأهل قنسرين جيان، وأهل مصر باجة ،وبعضهم في تدمر، وبهاذا تجنب الخلاف والفتنة العصبية [1].

03: فتح غرناطة :

تولى حكم غرناطة الأمير الأموي عبد الله بن محمد بن سوار بن أحمد في ولاية عبد الله المرواني سلطان الأندلس انحاز العرب إلى غرناطة فقتله أهل ألبيرة وحكمها بعده سعيد بن سليمان بن جودي السّعدي[2] لكنه اغتيل بأيدي أصحابه في ذي القعدة عام 284هـ[3] وثار بها محمد بن أضحى الهمذاني بعده ودانت له[4] ازدهرت مدينة ألبيرة في زمن الخلافة الأموية وأصبحت ولاية وعاصمة واستمرت كذلك إلى غاية أواخر القرن الرّابع زمن انهيار الخلافة الأموية وثوران البربر في الأندلس[5]

=تحدّث ابن الخطيب عن اليهود في غرناطة قال"ثم انهزم ذلك الجيش بالجيوش المتوجه إلى البيرة فحاصروا مدينتها وفتحوها عنوة وألفوا بها يهودا ضموهم إلى قصبة غرناطة(أنظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج1،ص101- محمد بشير حسن راضي العامري:مظاهر الإبداع الحضاري في التاريخ الأندلسي، دار غيداء للنشر والتوزيع ،ط1، عمان، 1433هـ،2012م،ص72.

[1] -قاسم مريم طويل: مملكة غرناطة في عهد بني زيري ،ص28.

[2] -قال فيه ابن الأبار"...له عشر خصال تفرّد بها في زمانه لا يدفع عنها الجود والشّجاعة والفروسية والجمال والشّعر والخطابة والسّد والطعن والضّرب والرّماية. هابه ابن حفصون هيبة لم يهبها أحد ممن مارسه إذ لم يلقه قط إلاّ غلبه وهزمه..."- أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبّار(595-658هـ/1199-1260م): الحلة السّيراء ،تحقيق ،حسين مؤنس، ط1 ،دار المعارف،1963م، وط1985،2م، القاهرة ،مصر ،ص154.

[3] -ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب ،ج2،ص105.

[4] - نفس المصدر ، ج2، ص106.

[5] – "...كان أهل ألبيرة قد اشتهروا بالغش فكان كل واحد منهم يخاف من جاره حتى أنهم وصلوا إلى اتخاذ لكل واحد فيهم مسجدا بالقرب منه فرارا من جاره.ولا يرجعون لطاعة ولا حكم والٍ وكانوا مع ذلك أجبن الناس وأخوفهم على مدينتهم ولا يستطيعون عنها دفاعا.فلم رأوا حال الأندلس وما آلت إليه من ثورات وجهوا طلب استغاثة إلى زاوي بن زيري جاء فيها" إن كنتم جاهدتم قبل اليوم فهذا الجهاد أكد عليكم.أنفس تحيونها وديار تحمونها وغيرة تأوون إليها ونحن شاركوكم بأموالنا وأنفسنا لكم منا =الأموال والسكنى ولنا منكم الحماية والذب عنا" فأجاب زيري دعوتهم .فلما دانت لهم البلاد قسّموها بينهم فحكم زاوي البيرة حكم جيان وحصن وآشر حبوس بن أخيه ولكن جند الأندلس لم يعجبهم هذا الصّنيع فقرروا مهاجمة ألبيرة وتحصن بنو زيري

دانت لبني زيري غرناطة بعدما خربوا ألبيرة ثم بدأت على إثر هذا مدينة غرناطة في النّمو شيئا فشيئا حتى غدت قاعدة الولاية لتصبح مركز حكم بنو زيري ومنذ ذلك الحين بدأ نجم غرناطة بالظهور، وعلى النّقيض من ذلك أفل نجم ألبيرة رويداً رويداً[1] ومدّها حبوس الصّنهاجي وحصّن أسوارها، ثمّ ابنه باديس الذي زاد من عمرانها أكثر[2]

استمرت غرناطة تحت حكم بني زيري الصّنهاجيين إلى آخر أمرائهم عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس.الذي خلف جده (باديس الذي وضع له السّم عام 467هـ من طرف بعض يهود غرناطة)[3].

وبعد تدهور الأحوال السّياسية زمن ملوك الطوائف واشتدّ عدوان النّصارى على الإمارات الأندلسية المتناحرة فيما بينها حتى وصل الأمر في الكثير من الحالات إلى الإستعانة بالنّصارى في قتال أبناء الملّة الواحدة، وأمام هذا الوضع المتردّي للمسلمين ضيّق النّصارى الخناق عليهم تارة بالزحف على الأقاليم المجاورة التي عجلت بسقوط طليطلة الثّغر الحصين وإحدى أكبر القواعد الأندلسية عام 487هـ،وتارة أخرى بإرهاق ملوك الطوائف وإرغامهم على دفع الجزية لألفونسو، مقابل الحفاظ على سلطانهم أو التّخلي عن بعض الحصون إن هم عجزوا على ذلك[4].

فلما ازدادت تحرشات ألفونسو المتكررة ذاق ملوك الطوائف ذرعاً منها فقرّروا الإستنجاد بالقوة المغربية الصّاعدة المتمثلة في المرابطين، وعمل الفقهاء على دعوة باقي إمارات الطوائف للاستنجاد

وعملوا على تخريب البيرة والرحيل منها إلى موقع غرناطة الحالية.."(أنظر الأمير عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس:التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بن زيري في غرناطة،تحقيق علي عم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،2006م،م1427م،ص33، 34، 36.

[1] – سامية مصطفى مسعد: الحياة الإقتصادية والإجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1، 1423هـ،القاهرة 2003م، ص29- يوسف شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص15.

[2] –ناظم ابراهيم: العمران الحربي في مدينة غرناطة حاضرة سلطنة غرناطة، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية ،العدد2 ،2012،ص235،- ابن الخطيب: الاحاطةفي أخبار غرناطة،ج1،ص514.

[3] –أحمد توفيق محاسنة: الحياة السياسية في دولة بني الأحمر،ص31.

[4] – سامية مسعد: المرجع السابق ،ص30.عن أحداث سقوط طليطلة تحت حكم النّصارى أنظر: ابن بسام الشّنتيريني:الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ط، القاهرة،ص127.

بهذه القوة الفتية وكان على رأس أمراء الطوائف عبد الله بن بلقين أمير غرناطة والمتوكل بن الأفطس بطليوس والمعتمد بن عباد أمير اشبيلية[1]

مكّن الله ليوسف بن تاشفين العبور إلى الأندلس عام(479هـ-1086م) وإجابة دعوة وصريخ ملوك الطوائف بنية توحيد الأندلس ودحر العدو المتغلب عليهم في أكثر من مرّة [2]ولكنه بعد جوازه الأول سمع بتحالف عبد الله بن بلقين أمير غرناطة وبعض ملوك الطوائف مع النّصارى ضدّ المرابطين كونهم أوجسوا خيفة من جند المرابطين وقائدهم يوسف بن تاشفين الذي ظنّوا أنه يطمع في إمارة الأندلس وعزموا على صدّه عنها بكل وسيلة اتيحت لهم، ولكن جواز يوسف إلى الأندلس عام (483هـ-1090م) أبطل هذه المؤامرة ودخلت هذه الإمارات ومنها غرناطة تحت حكم المرابطين[3].

بعد أن دانت غرناطة للمرابطين أصبحت كغيرها من الإمارات الأخرى خاضعة إلى السّلطة المركزية في المغرب أي (مراكش).من جهة أخرى يؤكد على الأهمية الجغرافية لغرناطة بقوله "وهي دار منعةٍ وكرسي ملكٍ ومقام حصانة، وكان ابن غانية يقول للمرابطين في مرض موته:"الأندلس درقة وغرناطة قبضتها فإذا اجشمتم يا معشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من أيديكم "[4] .

تولى غرناطة بعد وفاة يوسف بن تاشفين إبنه علي بن يوسف وتناوب على إمارتها العديد من أبناء الأمراء اللّمتونيين وقرابتهم كالأمير أبي الحسن على بن الحاج وأخيه موسى والأمير أبي زكرياء يحي

---

[1]-بذكر صاحب الحلل الموشية عن وفد ملوك الطوائف إلى يوسف بن تاشفين قائلا "وفي سنة أربع وسبعين وأربع مائة وفد عليه جماعة من أهل الأندلس وشكو إليه ما حلّ بهم من أعدائهم فوعدهم بإمدادهم وإعانتهم وصرفهم إلى أوطانهم وكان ممن كتب إليه بذلك المتوكل على الله ابن الأفطس ......وأنه لما بلغ هذا الخطاب لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتب إليه يعده بالجواز والامداد على العدو..." مجهول :كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،تحقيق سهيل زكار،عبد القادر زمامة ، ط1، دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء، المغرب، 1399هـ/1979م،ص33، 36-حمدي عبد المنعم محمد حسين:التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين،دار المعرفة الجامعية ، مصر 1997، ص55.

[2]-يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد بن عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، بالقاهرة ،1417هـ - 1997م،ص82.

[3] - يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص97.

[4] - سامية مسعد: الحياة الإقتصادية والإجتماعية في اقليم غرناطة،ص32-ابن الخطيب: الإحاطة في اخبار غرناطة، ج1،ص140

بن أبي بكر بن إبراهيم والأمير أبي الطّاهر تميم والأمير أبي محمد مزدلي والأمير أبي بكر بن أبي محمد، وأبي طلحة الزّبير بن عمر، وعثمان بن بدر اللّمتوني إلى أن انتهى أمرهم عام خمسمائة وأربعين[1].

تميزت فترة حكم المرابطين بجهادهم المستمر ضدّ القوى النّصرانية خاصة بعد أن تكرر عبورهم إلى الأندلس عكس سابقتها، ولكن مع بداية بوادر الضّعف في جسد الدّولة ظهر الموحدون في المغرب وتنكّر أهل الأندلس للمرابطين مع ازدياد ضغط النّصارى منتهزين فرصة إنشغال المرابطين في مواجهة الإضطرابات الدّاخلية وعملوا على مهاجمة الأراضي الإسلامية وبالتالي تواصل نزيف الأقاليم المرابطية لصالح النّصارى وتوالت هزائمهم من الجانب الموحدي والنّصراني معلنة عن نهاية فترة تميزت بسيطرة مطلقة على الأندلس[2].

بدأ ابن تومرت الموحدي دعوته على أساس الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ووصل به الحدّ إلى اتهام المرابطين بالكفر وأباح قتالهم ، وبعد عدّة معارك كان النّصر حليفا له، توفي تاركا المجال لعبد المؤمن بن علي[3] لاتمام المهمة فواصل تشديد الخناق على الدّولة المريضة، وضيق الحصار وانتهى بسقوط عاصمة المرابطين مراكش،وصار الأمر للموحدين وحكم عبد المؤمن ومن بعده بَنِيه وقرابته.كالسّيد أبي عثمان بن الخليفة والسّيد أبي إسحاق بن الخليفة والسّيد أبي إبراهيم بن الخليفة والسّيد أبي محمد بن الخليفة والسّيد عبد الله إلى أن انقرض منها أمر الموحدين[4]

بعد هزيمة المرابطين لم يبق لهم إلاّ غرناطة التي بقى قائد المرابطين [5]هناك يدافع عنها سبع سنين، وفي الأخير خضع لسلطة الموحدين وعرض تسليم المدينة مقابل الأمان لنفسه وأهله [6] يقول النّويري:

---

[1] –ابن الخطيب: الإحاطة في اخبار غرناطة ، ج1، ص141.

[2] – سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والإجتماعية، ص32– 33.

[3] – عبد المؤمن بن علي: هو خليفة المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين وثاني رؤسائها وأعظم زعمائها ، تولى الزعامة بعد وفاة المهدي وأتم افتتاح المغرب، وإنتزاعها من يد المرابطين والقضاء على دولتهم بافتتاح مراكش سنة 543ه وانتزع الأندلس من أيدي المرابطين وحلفائهم، ووطّد دولة الموحدين في المغرب والأندلس، توفي عام 558ه/1163م : أنظر: لسان الدّين بن الخطيب ، الإحاطةفي أخبار غرناطة،ج1،ص141).

[4] – المصدر نفسه، ص141.

[5] – صاحب غرناطة هو ميمون بن بدر.

[6] – سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والإجتماعية، ص35

"..وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة كاتب ميمون بن بدر صاحب غرناطة أبا سعيد بن عبد المؤمن صاحب مالقة والجزيرة الخضراء وسبتة أن يسلم إليه غرناطة فتسلمها منه وسار إلى مالقة بأهله وولده فسيره أبو السّعيد إلى مراكش فأقبل عليه عبد المؤمن وإكرمه، وانتهت دولة الملثمين ولم يبق لهم إلّا جزيرة مايورقة مع حمو بن غانية اللمتوني..."[1] .

بقيت غرناطة حاضرة الموحدين إلى أن نجح ابن هود[2] حاكم بلنسية سنة 628هـ/1231م من ضمّ سلطنة غرناطة إلى ملكه [3]يقول ابن الخطيب:"وتملكها المتوكل على الله أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد يوسف بن هود في عام ستة وعشرين وستمائة" (626هـ)[4].

02: مملكة غرناطة سياسيا

لم يستطع ابن هود الحفاظ على الأقاليم التي سيطر عليها وجمعها تحت راية واحدة ومنها غرناطة، بسبب الضّغط الممارس عليه من طرف النّصارى ومنافسه أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر، وبوفاة ابن هود تدخل الأندلس في مرحلة سياسية جديدة مثّلها بنو الأحمر دامت قرابة الثّلاثة قرون.

---

[1] -النّويرى شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت:733هـ):نهاية الأرب في فنون الأدب ،تحقيق ،عبد المجيد ترحيني،دار الكتب العلمية ،لبنان،1424هـ/2004م، ج24،ص170.

[2] – يترجم ابن الخطيب لابن هود هنا أمر هذا الانقلاب الحاسم في الأندلس وذلك أنه لما اشتدت وطأة الموحدين والنصارى على الأندلس في أوائل القرن 7هـ ، ظهر المتوكل بن هود سليل بني هود ملوك سرقسطة السّابقين أيام الطوائف –في أحواز مرسية سنة 625هـ ودعا إلى تحرير الأندلس من النّصارى والموحدين معا، وقوي أمره ومالت إلى جانبه عدّة قواعد من الأندلس الرافضة لسلطة الموحدين وغطرسة النّصارى مثل جيان وقرطبة وماردة وبطليوس وفي سنة 628هـ و تمكّن من غرناطة وانتزعها من الموحدين ، غير أنّ قوة النّصارى عززت مركزهم في الأندلس واخذت قواعدها تتهاوى أما الضّربات المتكررة للنصارى وتسقط تباعا ،ولكن جهود ابن هود لم تكف لتحقيق حلمه في ردّ العدوان وتوحيد الأندلس حتى عاجله الموت سنة 630هـ/1237م) ،ليخلفه محمد بن يوسف بن نصر (ابن الأحمر)الذي ظهر في جنوب الأندلس و استطاع أن يبسط حكمه على كثير من أقاليمها ثم استولى على غرناطة .وجعلها عاصمة حكمه– أنظر: ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج1،ص141.

[3]– للمزيد عن ابن هود: شكيب أرسلان:الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت ،لبنان ،د.ت ،ج3،ص431، 436.

[4] – شكيب أرسلان: المرجع نفسه ،ص434– ابن الخطيب :الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج1، ص142.

01: أصل بني الأحمر:

ينتسب ملوك بني الأحمر أو بني نصر إلى مؤسس دولتهم الغالب بأمر الله أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي[1] من ولد سعد بن عبادة

[1] – يقال سعد بن عبادة بن دليم بن حليمة ويقال ابن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري السّاعدي يكنى أبا ثابت ، وقد قيل أبو القيس والأول مرجح ، كان سيد الأنصار مقدما له رياسة وسيادة ، وكان نقيبا شهد العقبة وبدر في قول بعضهم ، ولم يذكره ابن اسحاق في البدريين وذكره الواقدي والكلبي – انظر : أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر :الاستيعاب في معرفة الأصحاب ،تحقيق علي محمد البجاوي ،دار الجيل ط1،بيروت ،لبنان ،مج، 1412هـ/1992م، ص594، 595.-ابن عذاري المراكشي،البيان المعرب(قسم الموحدين) ،ص296- عبد الرحمن بن خلدون : ديوان العبر،ج4،ص 219- ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة،ج2، ص 92- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص277- المقري التلمساني: نفح الطيب، ج1،ص447– توفيق محاسنه:الحياة السياسية في دولة بني الأحمر ،ص41-عبد القادر بوحسون: الأندلس في عهد بني الأحمر دراسة ثقافية وتاريخية(635-897هـ/1238-1492م) اطروحة دكتوراه- تاريخ المغرب الإسلامي،قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان(1433-1434هـ/2012-2013م)،ص23- عبد القادر زمامة:بنو الأحمر في غرناطة، إصدارات جامعة محمدالخامس،العدد:26، السنة13، المعهدالجامعي للبحث العلمي، الرباط،1396هـ/1976م،ص102 -عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة(92-897هـ/711-1492م) دار القلم ،ط2،دمشق ،بيروت ،1402هـ/1981م، ص516، 517.

وعن تسميته الأوس والخزرج بالأنصار "قيل لأنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنهما أرأيت اسم الأنصار أكنتم تُسمون به أم سماكم الله قال بل سمانا الله.وعن قتادة في قوله تعالى"يأأيها الذين آمنوا كونوا أنصارا لله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله"الصف 14.قال كان ذلك بحمد الله جاء سبعون رجلا من الأنصار فبايعوه في العقبة ونصروه وآووه حتى أظهر الله دينه قال ولم يُسَمَ حي من الناس باسم لم يكن لهم إلاّ هم ".وقال حسان بن ثابت:

سماهم الله أنصارا بنصرهم *** دين الهوى وعوان الحرب تستعر

(أنظر: شمس الدين الذهبي:سير أعلام النبلاء،تحقيق شعيب الأرناؤوط،حسين الأسد،مؤسسة الرسالة بيروت ،ط3 ،1985،ج1، ص270،272- حامد محمد خليفة: الأنصار في العصر الراشدي سياسيا وعسكريا وفكريا، ط1،مكتبة الصحابة،الشارقة ،الأمارات، -1424هـ/2003م، ص29–القلقشندي:صبح الأعشى في صناعة الانشا،ج5،ص251- ابن حجر العسقلاني :الاصابة في تميز الصّحابة ،تحقيق،علي احمد البجاوي، دار الجيل، ط1، بيروت ،1412هـ ،ج3،ص65-عبده عواجي:علاقات مملكة غرناطة ، ص32.

بهذا النّسب يفتخر يوسف الثّالث في ديوانه بنسبه الشّريف الذي ينتهي إلى سعد بن عبادة وابنه قيس بن سعد ضمن قصيدته "خطرت فأزرت بالغصون الميد" فيقول: سعد وقيس في القديم حديثهم *** در اناف بسلكه المنتضد

(انظر:يوسف الثالث:ديوان ملك غرناطة ،تحقيق عبد الله كنون،ط2،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،165،ص172-شريف عويضة:شعر أبي الحجاج يوسف الثالث ،ص08.

رضي الله عنه وهذا الانتساب إلى الصّحابة أضاف إليه عراقة في المجد والنّسب– فالمصادر التّاريخية التي أرخت لهذا النّسب أجمعت على ذلك ولا أحد قال بغير ما أثبتته المصادر، فقد كان سعد بن عبادة نقيبا وكان ممن شهد معركة بدر الشّهيرة كما سبق وأن أشرنا[1].

ولعلّ شهرة هذا النّسب في ملوك بني الأحمر أعطى فرصة لبعض العلماء وفتح الباب واسعا لإبرازه، فعملوا على مدحهم به ومحاولة إبرازه للناس مستعملين في ذلك الشعر و النّثرا أو التّأليف فمن الشّعر ما وجدناه في كتاب: رقم الحلل لابن الخطيب:

أول أملاكـــــــهم محـمد *** وهو الأمير الغالب المــؤيد

قام وشمل الدين في شـــتات *** والروم تستولي على الجهات[2]

يضيف و يشرح منظومته فيذكر النّسب العريق لهذه العائلة والمتصلة بسيد الخزرج[3] أما في المؤلفات فقد كتب القاضي أبي بكر عتيق بن الفراء الغساني الأندلسي (635-698ه)كتابا في فضل الأنصار سماه"نزهة الأبصار في فضائل الأنصار"وهو في هذا يدعو فيه إلى محبتهم وإعطاء المنتسبين إليهم المكانة التي يستحقونها ويمدح فضلهم و يشيد بدورهم في مسيرة الدّعوة الإسلامية. وفيه خصّ السّلطان الغالب بالله كونه أنصاري فقال:"واستوهب من الله جلّ جلاله لوارث بشرفهم اليمني وقسيمهم في النّسب الأنصاري المدني مولانا الغالب بالله المجاهد في سبيله أمير المسلمين وناصر الدّين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن نصر.تمهيدا يَمد على البسيطة ظلاله وتأييدا يبلغه في حياطة الإسلام وأهله وآماله"[4]

=تجمع الخزرج والأوس علاقة أخوة ، وهما ابنا **"قيلة"** وهي أمهما وأبوهما حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السّماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد من عرب اليمن- شكيب أرسلان،الحلل السندسية ،ج1، ص276..

[1] – محمد نوح ،الشعر في غرناطة، ص20–عبيد العاني:الاحوال العامة في مملكة غرناطة، 345.

[2] – لسان الدّين بن الخطيب السّلماني: رقم الحلل في نظم الدّول، المطبعة العمومية، محاضرة ،تونس،1216،ص108- ابن الخطيب : اللّمحة البدرية في الدّولة النّصرية،ص21.

[3] – رقم الحلل في نظم الدّول ،ص115.

[4] - ابي بكر بن عتيق :ابن الفراء الغساني الأندلسي(635-698ه) نزهة الأبصار في فضائل الأنصار،تحقيق عبدالرزاق بن محمد مرزوق، ط1،اضواء السّلف ،الرياض(1425ه/2004م)، ص94- محمد نوح:الشعر في إقليم غرناطة ، ص21.

والأسرة النّصرية إلى فرعان يرجعان إلى نصر بن عقيل وهو جدّ الأسرة النّصرية الذي ترك في عقبه ولدين هما"يوسف ابن نصر ومحمد بن نصر"[1]ومحمد مؤسس دولة بني الأحمر هذه من الفرع اليوسفي الذي قال فيه الشّاعر أبو عبد الله البرجي مادحا:

يا آل نصر يا بني يوسف *** يا لَأَبْحُرَ الجودِ وأسد الكفاح

و بدوره الفرع اليوسفي ينقسم إلى فرعين أولهما الفرع الغالبي والذي يرجع أصله إلى مؤسس دولة بني الأحمر محمد بن يوسف الملقب بالغالب بالله حكم هذا الفرع الأندلسي من سنة 635هـ إلى سنة 713هـ، أو بالأحرى من تأسيس مملكة بني الأحمر وملكها محمد بن يوسف بن الأحمر إلى غاية الأمير نصر أبو الجيوش الذي حكم الأندلس (708-713هـ) وفيها انتهى حكم الفرع اليوسفي ودوره السّياسي ليحل محله الفرع الإسماعيلي نسبة إلى شقيق الغالب بالله اسماعيل بن يوسف المتوفى سنة(654هـ) واستمرت الإمارة في هذا الفرع إلى أن طويت صفحة الأندلس وأفل نجمها[2] .

انتقل أسلاف بني الأحمر من المشرق إلى بلاد الأندلس استوطنو قرية الخزرج ثم رحلوا إلى مدينة أرجونة ونصروا الاسلام في الجزيرة،كما كان لهم دور في قيادة الجند وهو النّشاط الذي برعوا فيه فكانوا قادة وجنودا وسعوا إلى جمع كلمة الأندلسيين على كلمة واحدة في العمل على مجاهدة النّصارى[3] يقول ابن الخطيب:"جمع الله ما أسأره(أبقاه) العدو من الأندلس بعد الخضم والقضم على قوم من خيار الأمة من سكان الموسطة القرطبية ممن الجهاد شأنهم والفلح معاشهم.والنّجدة شهرتهم وإلى سعد بن عبادة سيد أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبتهم يعرفون ببني نصر ...ومدافعة وجهاد وموافقة..."[4]

[1] - محمد نوح:الشعر في إقليم غرناطة ، ص20.

[2] - المرجع نفسه ،ص21.

[3] - عبد القادر بوحسون: الأندلس في عهد بني الأحمر ص23، 24.-عبد الرحمن بن خلدون:كتاب العبر،ج4، ص218- عبد الغاني: الأحوال العامة في غرناطة،المرجع السابق،ص346.-المقري التلمساني،نفح الطيب،ج1، ص447-ابن الخطيب: اللمحة البدرية في الدّولة النّصرية، ص21.

[4] - المصدر نفسه، ص21.

أما عن إتخاذهم لقب ابن الأحمر فنسبة إلى جدهم عقيل بن نصر الذي لقب بالأحمر للّون الأشقر الذي ميزه،وشاع هذا اللّون في كل أفراد الأسرة على غرار محمد السّادس الذي لُقّب في المصادر الإسبانية –البرميخو- bermego ومعناه اللّون البرتقالي الضّارب إلى الحمرة وهو لون شعره ولحيته والغريب في الأمر أن سلاطين بني الأحمر اتخذوا اللّون الأحمر شعارا لهم .في قصورهم بالحمراء[1]وكذا أعلامهم وقبابهم، ووصل الأمر إلى اتخاذ اللّون الأحمر للورق المستعمل في المراسلات الرسمية [2].

02: مملكة بني الأحمر:

بعد هزيمة جيش الموحدين في معركة العقاب عام 609هـ أضحت دولة الموحدين تعدّ ساعاتها الأخيرة نتيجة الضّعف والهوان الذي أصابها خاصة في فترة حكم أميرهم أبي العلاء ادريس الملقب بالمأمون[3] (624-629هـ/1226-1231م) والذي وعلى الرّغم من جهوده في إرساء قواعد الحكم وبسط السّيطرة على المغرب والأندلس منتهجا سياسة الإستبداد بالحكم والتّفرد بالرأي، والذي استغله النّصارى وعملوا على مضاعفة مجهوداتهم قصد السّيطرة على أقاليم الأندلس خاصة المجاورة منها والزّحف على أكثر عدد ممكن منها فأرغون تهاجم من الشّرق والبرتغال من الجنوب[4]خاصة أن

---

[1] -**معنى الحمراء**: الأرجح أن هذا الإسم راجع إلى لون تربة الهضاب التي بنيت عليها والتي سميت بالسّبيكة monte de la asoble هو اسم قديم ورد ذكره لأول مرة في أيام ثورة المولدين التي قام بها عمر بن حفصون في القرن الثالث الهجري وفي ذلك يقول الشّاعر بن مالك الرّعيني:

ترى الأرض منها فضة فإذا اكتست *** بشمس الضّحى عادت سبيكتها ذهب

ومادام إسم الحمراء يسبق بكثير، قيام المملكة فإنّ تسمية الحمراء وتسمية بني الأحمر جاء محض صدفة وفقط (انظر: أحمد مختار العبادي:دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،د ط،د ت ، ص 225، 226.-زمامة عبد القادر : عبد الله ابن جزي، ص107.-ابو الوليد ابن الاحمر : نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزّمان ،تحقيق محمد رضوان الدّاية، دار الثقافة ،بيروت ،1967، ص215-ابن عذارى المراكشي :البيان المغرب –قسم الموحدين ، ص279.

[2] -العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ،ص227-عبد القادر بوحسون: المرجع السابق ، ص25.

[3] – أبو العباس أحمد خالد الناصري: كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،تحقيق جعفر النّاصري،محمد الناصرين ،دار الكتاب ،الدار البيضاء ،1954،ج2، ص210.- هشام ابو رميلة: علاقات الموحدين بالممالك النّصرانية والدّول الإسلامية في الأندلس ،دار الفرقان ،ط1،1404هـ/1984م،ص292 .

[4] - كان النّصارى في هذا الوقت موزعون على ثلاث ممالك قوية البرتغال وقشتالة وارغون ، وقشتالة هي أقواهم سواءًا من حيث المساحة حيث كانت تحوز إقليما عظيما يشمل طليطلة وأحوازها ، أو من حيث تعداد الجيش الذي استطاعت ان تخضع قرطبة

القبائل سخطت على الموحدين وأصبح الزّعماء يترقبون الفرصة للثورة في أي لحظة، وبمرور الوقت نفذ صبرهم بعد ظهور بوادر تحالفات مع النّصارى فقامت ثورات مناهضة[1] لحكمه كثورة ابن مردنيش [2]شرق الأندلس وثورة أبي سعيد عثمان بن الحكم الأموي

=واشبيلية وجيان وأصبحت منذ ذلك الحين اشبيلية عاصمة قشتالة ، وكانت أرغون تعمل دائما كحليف لقشتالة ، أما البرتغال فكانت تصبو دائما الى ضم الأقاليم الاندلسية الجنوبية في ولايات الغرب – الحموي: معجم البلدان ، ج4، ص352– عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الاندلسي من الفتح الى سقوط غرناطة 92،897هـ/711-1492م ،ط2، دار القلم ، دمشق ، بيروت ،1402هـ،1981 ، ص38

[1] –لسان الدين بن الخطيب:السّلماني: تاريخ اسبانيا الاسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام ،تحقيق ليفي بروفسال، دار المكشوف ،ط2، بيروت، لبنان 1956، ص270-وما بعدها –بوحسون عبد القادر: الأندلس في عهد بني الأحمر، ص26–ابن عذاري المراكشي:البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين ،تحقبق محمد إبراهيم الكتابي وآخرون ،ابن خلدون: ديوان العبر،ج6، ص321.

[2] – **ابن مردنيش** إسمه زيان ، وهو أبو جميل زيان ابن أبي الحملات مدافع ابن الرئيس بن يوسف بن سعد بن مردنيش فجده يوسف هو شقيق محمد بن سعد بن مردنيش أمير شرقي الأندلس في آواخر عهد المرابطين ومستهل دولة الموحدين، قاد والده الأسطول الموحدي(أنظر: ابن الخطيب–أعمال الأعلام، ص272–ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب،ج2، ص250. غضب الأمير الموحدي من تصرف أمير بلنسية أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب الذي دخل في طاعة ملك قشتالة وأرغون ورضي بالجزية. بعض المسلمين وخاصة زيان بن مردنيش الذي دفعته حميته عام 626هـ/1229م إلى إعلان الثورة والسّيطرة على مدينة بلنسية قادما إليها من أبدة وأخذ البيعة لنفسه هناك باسم الخلافة العباسية– أنظر:قتيبة علي ابراهيم سمور:العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الاسبانية في شمال الأندلس (540-620هـ/1148-1228م)،ماجستيرتاريخ إسلامي، كلية الدراسات العليا،الجامعة الأردنية،1996، ص168–للمزيد: مغنية غرداين :شرقي الاندلس بعد المرابطين(518-545هـ/1134-1151م)،كان التاريخية،س6، ع20،2013، ص70 ومابعدها–للمزيد–عن ابن مردنيش:محمد عبد الله عنان :أندلسيات: سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربي،الكتاب 20-1988/07/15، ص84، 92.عن أصل ابن مردنيش (انظر شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي(ت:748):نزهة الفضلاء تهذيب سيرة أعلام النبلاء،دار الأندلس ،1991،ج3، ص1416– عبد الله عنان– المرجع السابق،ج2، ص 52– صديقي عبد الحبار :سقوط الدولة الموحدية،دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات ،ماجستير تاريخ المغرب الإسلامي ،قسم التاريخ ،جامعة أبو بكر بلقايد ،تلمسان(1434هـ،1435هـ/2013،2014م)، ص109. وفي سنة 636هـ – بعد أن هاجم النّصارى بلنسية أرسل زيان بن مردنيش نداء استصراخ إلى الأمير الحفصي أبي زكرياء ووجه إليه بيعته مع رجال من أهل دولته وفيهم ابن الأبار الذي أنشد يقول:

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلِ اللَّهِ أندلُساً * إنَّ السَّبِيلَ إلَى مَنْجاتِهَا دَرَسَا

انظر:الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ،تحقيق محمد منصور ، المكتبة العتيقة ،تونس،2002، ص27.

بمنرقة[1] ورغم كل المحاولات فشل الموحدون في صدّ تلك الثّورات وقمعها فاظطر السّلطان إلى محالفة ملك قشتالة فرناندو الثّالث والرّضوخ له للقضاء عليها مقابل امتيازات يحصل عليها النّصارى منها التّنازل على عديد المدن والحصون ناهيك عن الأموال التي كانوا يحصلون عليها [2].

وفي ظلّ الظروف التي سبقت الإشارة إليها نجد جموع المسلمين في شوق وترقب إلى من ينقذهم من مخلفات الشّتات والفرقة واعتداءات النّصارى المتتالية، ليظهر على ساحة الأحداث السّياسية شخصية ابن هود[3] مرسية ثائرا وتملكها عام 625هـ[4] الذي تصدّر لجهاد النّصارى بعد انسحاب الموحدين و الذي دعا إلى تحرير الأندلس من بطش النّصارى تحت قيادته فاستبشر النّاس به خيرا وبايعوه منقذا لهم.

---

[1] – لسان الدّين بن الخطيب: أعمال الأعلام،ص276، 277.

[2] – المقري التلمساني :نفح الطيب،ج4، ص284. – أبو العباس النّاصري:الإستقصا،ج2، ص235.

[3] – **ابن هود** :هو محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العظيم بن أحمد بن سليمان المستعين محمد بن هود من أحفاد بني هود بني هود ملوك سرقسطة في عهد ملوك الطوائف، إلى أن استولى عليه المرابطون سنة 503هـ.اتصف بكونه شجاعا، وكان خروجه من مرسية ، وكان الناس يرتقبون ظهور رجل يطلب الحكم اسمه محمد، وبنوا ذلك على بعض النبوءات التي مفادها أن المنقذ اسمه محمد بن يوسف ، فصدق النّاس ذلك لعجزهم واعتبروه المنقذ لدولتهم، ولكن هذه النّبوءات جعلت بني عبد المؤمن في ترقب صدق النّبوءة وعمدو إلى قتل اثنان من أهل جيان حملوا هذا الاسم،وكثرت الرّوايات حول ذلك فيقال أن شخصا ممن يتقن علوم الحدثان لقي ابن هود وقال له: أنت سلطان الأندلس فانظر لنفسك واطلب كامن سعدك وأنا أدلك على من يقوم بأمرك، فدله على المقدم الغشتي وهو رجل صعلوك بيده قوة من الرجال الصعاليك، فاوض ابن هود الرجل حول رغبته في قيادة الأسطول الأندلسي الذي يفتح له أبواب النصر على مصراعيه فوافق وتمّ له ماشاء . وتم له الأمر بالأندلس (أنظر: ابن الخطيب:أعمال الاعلام،ص277 278، 27–ابن الأبار:الحلة السّيراء، ج1،ص245،246–ابن خلدون:ديوان العبر،ج4،ص215– المقري: نفح الطيب–ج1، ص446–ابراهيم سمور:العلاقات الحربية بين المودين والمماللك الإسبانية، ص163، 164– شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص17.

[4] – **مرسية**:مدينة محدثة بناها الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط (216هـ/831م) وهي تقع في الجنوب الشرقي من الأندلس وتبعد عن ساحل البحر المتوسط 64كم واسمها الذي كان معروفا أيام الفتح الإسلامي تسمى–تدمير– التي صالح عليها صاحبها تدمير بن عبدوش عبد العزيز بن موسى بن نصير تحتوي على حمامات وأسواق عامرة وبها من المعادن معدن الفضة انظر: الزهري ، الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق، منشورات المعهد الفرنسي، دمشق ،1970 ، ص100–ياقوت الحموي:معجم البلدان ، ج5، ص107.يضيف الحميري في وصف مرسية جيدا للمزيد: الحميري: صفة جزيرة الأندلس،ص181، 182، 183– فائزة حمزة عباس: الحياة العلمية في مدينة مالقة ، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية، العدد 4، مجلد 12، الموصل، العراق، ص100.

ودعا لنفسه في حصن الصّخيرات[1] أو (الصّخور)[2] .

أعلن بن هود ولاءه للعباسيين عقب مبايعته أميراً، وعزم على جهاد النّصارى وإعلاء كلمة الحق والعمل بمقتضى الشّرع الإسلامي[3] وتمكن من السّيطرة على عدة مدن منها مرسية، وقرطبة وغرناطة ومالقة والمرية، وأعلن نفسه أميرا عليها وسمى نفسه (المتوكل على الله)[4].

زاد أتباع ابن هود وقويت شوكتهم فأصبح همّ الدّولة الموحدية القضاء على هذه الثّورة، واستطاع الموحدون هزم ابن هود في مدينة مرسية لولا أن الإضطربات الحاصلة في مراكش حالت دون إتمام الإنتصارات وجعلت المأمون الموحدي يرجع إلى المغرب لتصحيح الأوضاع، الأمر الذي منح محمد بن هود فرصة استرجاع أنفاسه وأعاد تنظيم قواته و السّيطرة على شاطبة وجزيرة شقر وجيان، ونازل حتى المأمون عند عبوره إلى المغرب في معركة سميت ب **طريف** عام (626 هـ) وهي ليست طريف الشّهيرة عام 741هـ[5].

استطاع إبن هود أن يحقق انتصارات متتالية مكنته من السّيطرة على أغلب مدن الأندلس خضعت بموجبها باقي المدن في الخضوع له تباعاً، على غرار ماردة ومالقة وبطليوس التي أعلنت له الولاء ، وهذا النّزيف الحادّ الذي أصاب مدن الأندلس عجّل بخروج الجيش الموحدي من الأندلس مضطرا[6] واستمر في الزّحف على المناطق الحدودية المتاخمة للسّواحل واستولى على الجزيرة الخضراء وجبل الفتح (جبل طارق)[7] وأعلنت له سَبْتَةَ الخضوع وكذا بعض القبائل في المغرب[1]

---

[1] – **الصّخيرات** : هو حصن منيع يقع على نحر شقورة بالقرب من مرسية (انظر: الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص118.

[2] –عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر، ج4، ص216.-شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص17–عبد القادر بوحسون: الأندلس في عهد بني الأحمر، ص27– ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب،1972، ص274.

[3] –أحمد محاسنة: الحياة السياسية في دولة بني الأحمر، ص38.

[4] –ابراهيم سمور: العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الاسبانية، ص164.

[5] – ابراهيم سمور: المرجع نفسه، ص165– ابن أبي زرع الفاسي: روض القرطاس، ص274.-عبد الرحمن بن خلدون، ديوان العبر ،ج4، ص216.

[6] – ابراهيم سمور: بين الموحدين والممالك الاسبانية، ص164– ابن الأبار القضاعي: الحلة السّيراء،ج2، ص303، ابن خلدون : : ديوان العبر،ج4، ص217.-شكري فرحات:غرناطة في ظل بني الأحمر، ص17.

[7] – عبد القادر بوحسون: الأندلس في عهد بني الأحمر ، ص28

مع خروج القوات الموحدية من أرض الأندلس خلا الجو لابن هود وحاول التّفرد بحكمها تحذوه في ذلك رغبة جامحة ونزوة الإنتصارات المتتالية، ولكن وجدت القوى النّصرانية نفسها وجها لوجه مع ابن هود، وخلا لها الجو بتراجع الموحدين وحاولت الإنقضاض على أقاليم الأندلس، لهذا اتخذ ابن هود على الطرق السّلمية ومهادنة النّصارى حتى يأمن جانبهم ويتفرغ لإرساء قواعد الدّولة الجديدة، حتى أنه اضطر إلى دفع الجزية في الكثير من المرات و التي أرهقت خزائن دولته، كل هذا لم يشفع له أمام عدو متربص له كل وقت يغتنم الفرصة للانقضاض عليه وهذا ما تم فعلا إذ وجه ملك قشتالة الحملات العسكرية بداية من قرطبة التي استولى عليها عام 633ه مع عجزه عن انقاذها.ضف إلى ذلك دخول دولة الأندلس عهد التّمردات من جديد ممثلا في تمرد والي المرية أبو عبد الله الرّميمي على ابن هود وإليه. وتمكن من قتله ليتولى إبنه الواثق(635ه) الذي أجبرته الظروف المحيطة على انتهاج أسلوب التّبعية لملوك قشتالة في غالب فترات حكمه[2].

المطلب03: قيام دولة بني الأحمر:

وبالتوازي مع القبضة التي أحكمها ابن هود على معظم أقاليم شرق الأندلس أعلن محمد بن يوسف بن الأحمر ثورته، كون هجمات الممالك النّصرانية على المدن الأندلسية ازدادت بشكل ملحوظ مع عجز إبن هود على التّصدي لها، مما دفع النّاس للبحث عن منقذ فوجدوا في إبن الأحمر ضالتهم المنشودة[3] وأعلن الأخير ثورته سنة 626ه/1232م بمدينة أرجونة[1] .

---

[1] – ابراهيم سمور: بين الموحدين والممالك الاسبانية، ص165.–ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص279.–أبو العباس الناصري : الاستقصا، ج2، ص215 – ابن أبي زرع الفاسي : الأنيس المطرب، ص276.

[2] – المقري التلمساني: نفح الطيب، ج4،ص472–عبد الرحمن بن خلدون :ديوان العبر، ج4، ص217– ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص276–سمور: المرجع السابق ، ص166–ابن الخطيب: أعمال الأعلام ، ص280، 281 –شكري فرحات: المرجع السابق ، ص18.

[3] –أمنة محمد الذيابات البطوش: أخبار مملكة غرناطة في المصادر المشرقية–مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات،العدد الثامن والثلاثون،2016، ص147–ابن الخطيب: أعمال الاعلام ، ص279، 280–ابراهيم سمور: العلاقات الحربية، ص169 – عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر، ج4، ص218– يقول بروكلمان "...وفي الحال برزت الى الميدان شخصية عربية وحاولت أن تمكن لنفسها على حساب ابن هود وتفصيل القول أنه كان يقيم في أرجونة شمالي جيان أحد أحفاد زعيم الخزرج على عهد النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن يوسف بن أحمد بن نصر الذي عرفت أسرته بإبن الأحمر فسارع عام 1231م الى إعلان

وتذكر بعض المصادر سبب ظهوره بالأندلس إلى أنّ إبن الأحمر كان يخدم منويل عمّ الفونسو الحادي عشر، فلما ضعفت دولة الموحدين أصحاب عبد المؤمن ووهنت مملكتهم، ظهر إبن هود على السّاحة وحاول السّيطرة على بعض البلاد التي يحكمها ألفونسو أرسل إليه محمد بن نصر بن الأحمر فكان كما قيل:

ولكل شيء آفة من جنسه * حتى الحديد سطا عليه المبرد[2]

تمكّن ابن الأحمر بحنكته أن يكسب ودّ باقي الأقاليم في وقت قصير فسارعت للدخول في طاعته الكثير منها على غرار مدينة وادي آش، وبسطة، وشريش[3]وبعض مدن الأندلس بعد أن تمكن من إخضاع مدينة جيان[4]

نفسه أميرا على الأندلس وتم له الاستيلاء على جيان ووادي آش وبسطة ..."كارل بروكلمان: تاريخ الشّعوب الاسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي ، ط5 ، دار العلم للملايين ، القاهرة ، 2001 ،ص 332 ، 333

[1] – **أرجونة** :هي بلدة من حصون قرطبة وتعد من ولاية جيان على مقربة من الوادي الكبير (أنظر:المقري التّلمساني: نفح الطيب–ج1، ص477–ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج2،ص93. يضيف الحميري "مدينة أو قلعة بالأندلس" إليها ينسب محمد بن يوسف بن الأحمر الأرجوني من متأخري سلاطين الأندلس— الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص12 .

[2] – الأمير ركن الدّين بيبرس المنصوري الدواداري :زبدة الفكر في تاريخ الهجر ،تحقيق رونالد.ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع. بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م، ص125.

[3] – **شريش**:هي بلدة من كور شذونة بالاندلس ،وهي مدينة متوسطة حصينة ،تبلغ المسافة بينها وبين مدينة قلشانة خمسة وعشرون ميلا وبين المغرب والقبلة من شريش(شرق) حصن روطة، وهو موضع من الرباط ومقر للصالحين والزّهاد. تحيطها أشجار الكروم الكثيرة وأشجار الزيتون والتين والحبوب أنظر: الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص102.

[4] – **جيّان**: بالفتح تمّ التشديد وآخره نون ، وكانت جيان تسمى عند الرّومان Auringis وجيان اليوم هي مديرية واسعة من مديريات الأندلس، وتقع المدينة إلى الشّمال من غرناطة وتبعد عنها بمسافة 97كم، ومدينة جيان من أعظم مدن الأندلس في من حيث الحصانة و هي مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة ، مشهورة بالخصب، وعرفت بالحرير وسميت جيان الحرير إذ أنها لها اكثر من ثلاثة آلاف قرية كلها ينتج بها الحرير ولها مزارع وبساتين تقع بالقرب من نهر "بلون"وهو نهير صغير من روافد نهر الوادي الكبير، سقطت جيان في يد النصارى نهائيا عام 647 هـ/1248م على يد فرناندو الثالث في الوقت الذي استولى فيه على قرطبة ،انظر: أحمد بن يعقوب اسحاق جعفر بن وهب بن واضع الشّهير باليعقوبي :البلدان، تحقيق محمد امين ضناوي، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، د س ن، ص294.– الادريسي:نزهة المشتاق مج2، ص603.–أحمد بني ياسين: بلدان الأندلس في أعمال ياقوت الحموي، ص299 – أحمد بن عمر بن أنس العذاري (الدّلائي):نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، تحقيق عبد العزز الاهوائي ، 1965م ،ص89

ثم المرية ثم مالقة عام 635هـ[1].

تواصلت انتصارات ابن الأحمر على أقاليم الأندلس الواحد تلوى الآخر ولم يبق أمامه إلّا إعلان الإمارة في الأندلس لنفسه وداعياً لخلفاء بني العباس في بغداد، ليتمرد بعدها ويتحول عنها عام 637هـ داعيا للموحدين في مراكش على عهد الأمير الموحدي الرّشيد(629هـ-640هـ/1231م-1242م)ومن بعده للحفصيين في افريقية إلى أن توفي الأمير الحفصي أبي زكرياعام(647هـ/1249م)ثم قطع الخطبة إجمالا وانتقل إلى إمارة الأندلس معلنين عن الإنفصال [2].

أدت موت ابن هود عام (635هـ)إلى تجدد آمال ابن الأحمر في امتلاك الأندلس وهذا مردّه إلى خلو السّاحة من المنافس الشّرس الذي سيطر على تفكيره ونغّص عليه أموره [3]وفي هذه الأثناء تواصلت تحرشات النّصارى بأقاليم الأندلس التي لا تكاد تتوقف وسيطروا على بعض المدن المهمة مثل بلنسية عام636هـ بعد حصار طويل حتى وصلوا إلى ألمرية وحصونها واستمروا في السّيطرة على أقاليم الأندلس حصنا تلوى الآخر [4] وهكذا تمكنوا من الإستيلاء من بعد بلنسية والمرية خلال أعوام قليلة على سائر القواعد القريبة منها مثل جزيرة شقر. ودانية وشاطبة والبيضاء ولقنت وغيرها من المدن [5].

توجه نظر ابن الأحمر إلى غرناطة زمن واليها عتبة بن يحي المغيلي خصمه اللّدود الذي ولّاهُ ابن هود عليها حيث اتسمت فترة ولايته لغرناطة بالظلم والجور وكان. و تسببت سياسته السّيئة مع الرّعية إلى ثورتهم بزعامة بن أبي خالد الموالي لإبن الأحمر، وبعد نجاح الثّورة في غرناطة أرسل ابن أبي خالد البيعة إلى ابن الأحمر، وهكذا ساهمت الظّروف في تسهيل مهمتة في اعتلاء عرش غرناطة وتأسست

---

[1] - محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس(ق2، عصر الموحدين)،ص432 -هشام أبو رميلة: علاقات المودين بالممالك النصرانية ،المرجع السابق، ص234-ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة ،ج2، ص95 -ابن الخطيب: اللّمحة البدرية في الدّولة النّصرية، ص31.

[2] -المقري التلمساني: نفح الطيب، ج2، ص142- شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص22- ابن الخطيب: اللّمحة البدرية، ص31.

[3] - عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر: ج4،ص 219.

[4] - عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص343، 344.

[5] - دولة الإسلام في الأندلس ، ص459.

دولته في رمضان من سنة 635هـ/1238م وجعلها عاصمة للدولة النّصرية[1] وبنى فيها قصر الحمراء [2]، وبقي كذلك حتى سقوط الدّولة نهائيا [3].

بعد هجرة أهالي المدن المجاورة التي سيطر عليها النّصارى، اتضحت حدود مملكة بني الأحمر وانكمشت إلى ما وراء نهر الوادي الكبير وكانت تمتد من جيان وبياسة حتى البحر وشرقا حتى المرية وغربا حتى مصب الوادي الكبير يخترقها في الوسط نهر شنيل والدارو[4].

اتخذ السّلطان النّصري أبو عبد الله محمد الأول غرناطة عاصمة له وحول الجزء الدّاخلي للقصبة التي شيدها الزّيريون إلى عاصمة حقيقية شكّلت في نفس الوقت قصرا ملكيا [5]وحصنا دفاعيا. دفاعيا. وخضعت لسلطته كل المدن الأندلسية التي نجت من القوات النّصرانية[6] وضربت السّكة في غرناطة باسم بني الأحمر متخذا في شعار"لا حكم إلاّ بالرجال ولا رجال إلّا بالمال ولا مال إلّا بالعمارة ولا عمارة إلّا بالعدل والسّياسة"[7] .

[1] – توفيق محاسنة: الحياة السياسية في دولة بني الأحمر، ص44– شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص19– ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص35 –عبد الحكيم الذنون: قصر الحمراء في غرناطة من أيام العرب المجيدة، مجلة التراث العربي،المجلد 19،العدد 75، عام1999،1419 ،ص56 ،62– أنور محمود زناتي: تاريخ الأندلس من الفتح حتى السّقوط من خلال مخطوط(تاريخ الأندلس) لاسماعيل بن ابراهيم بن أمير المؤمنين ،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،مصر، 1428هـ،2007م، ص97.

[2] – بُدئ في بناء القصر أثناء حكم محمد بن الأحمر عام 1238هـ ، ولعل أهم ما ميّز غرناطة هو أسطورة من البناء العربي " قصر الحمراء " وقد ويبلغ اتساع قصر الحمراء 104 آلاف متر مربع ويقال أن إسم الحمراء حمال أوجه فرأي يذهب الى انعكاس أنوار المشاعل التي كانت تنير للعمال وقت العمل ليلا، ورأي يذهب إلى لون الحائط الخارجي المطلي بالأحمر. ورأي آخر يذهب الى أن الارض التي بني عليها القصر تحتوي على الحديد ما انعكس على سطحها،انظر : لآمنة أبو حجر : موسوعة المدن الإسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع عمان الاردن، 2009 ، ص81 .

[3] –المقري التلمساني :نفح الطيب: ج1، ص448.–ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب(قسم الموحدين)، ص349.

[4] –شكري فرحات: المرجع السابق ،ص20.

[5] – قال فيكتور هيغو الشّاعر الفرنسي نقلا عن السّباعي في شأن غرناطة " أيتها الحمراء أيها القصر الذي زينتك الملائكة كما كما شاء الخيال وجعلتك آية الإنسجام أيتها القلعة ذات الشرف المزخرفة بنقوش كالزهور والأغصان المائلة الى الإنهدام حيث تنعكس أشعة القمر الفضية على جُدرك من خلال قناطرك العربية يُسمع لك في الليل صوت يسحر الالباب" انظر: مصطفى السّباعي :من روائع حضارتنا، ط1، دار الوراق للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1420 هـ/1999م، ص277 ،278 .

[6] – عواجي عبدة :علاقات مملكة غرناطة ، ص34– عويضة: شعر أبي الحجاج يوسف، ص09.

[7] – عبيد العاني: الاحوال العامة في غرناطة، ص، 347.

03: أشهر ملوك مملكة بني الأحمر:

تداول على حكم مملكة غرناطة خلال قرنين ونصف من تاريخها حوالي عشرين أميرا أطلق على كل واحد منهم لقب" أمير المسلمين"، واتخذوا شعارهم "لا غالب إلّا الله"، وتميزت فترات حكمهم بين الطويلة جداً والقصيرة جداً، في حين تولى بعضهم الحكم أكثر من مرة حيث تولى ثم عزل ثم تولى مرة أخرى. وامتاز البعض الآخر بالهمة والصّدق في تسيير أمور الدّولة والنّهوض بأمر الجهاد، غير أن البعض الآخر تميزوا باللّهو والمجون واتباع الهوى، وفيما يلي ذكر لأهم الأمراء وأبرزهم

1- محمد الأول بن يوسف بن الأحمر[1] المعروف بالشيخ[2]" الغالب بالله" مؤسس الدّولة(635هـ-671هـ/1238م-1272م) وهو أول الملوك الذين حكموا دولة بني نصر ويُكنى كذلك بأبي دبوس[3].

اتبع ابن الأحمر سياسة رشيدة أساسها الحزم والعدل في الرّعية منذ اعتلاءه سدّة الحكم، إذ كان يعقد مجلساً عاماً مرتان في الأسبوع تُرفع فيه المظالم للنظر في أمور الناس، ويشافه طلاب الحاجات ويعمل على تسويتها، وتدخل إليه الوفود ويشاور أرباب الحضرة وقضاة الجماعة وأو الرتب

---

[1] - وصفه ابن الخطيب مؤرخ الدّولة النّصرية "كان هذا الرّجل آية من آيات الله في السّذاجة والسّلامة الجهورية .جنديا شهماً أيداً عظيم التّجلد رافضا للدّعة والرّاحة، مؤثرا للتّقشف والإجتراء باليسير،متبلّغاً بالقليل بعيداً عن التّصنع،حافي السّلاح،شديد العزم مرهوب الاقدام، عظيم التّشيمر.... مصطنعا لأهل بيته فظا في طلب حظه،محميا لقرابته وأقرانه وجيرانه مباشرا للحروب بنفسه، تتغالى الحكاة في سلاحه وزينة ديوره..." ولد بأرجونة وهي حصن من حصون قرطبة عام 591هـ/1195م وقيل عام (الأرك) ويقصد بها المعركة الشّهيرة (590هـ)- ابن الخطيب: الإحاطةفي أخبار غرناطة ج2، ص94 -محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط2، 1390هـ/1970م، ص 257"كان قوي الشخصية عالي الهمة واسع القدرات يمتاز بقدر عال من الفطنة كفاءته كبيرة في مجابهة الأحداث والتحديات والإفادة من الأخطار وتحويل ذلك كله إلى منطق للنصر" أنظر: عبد الحكيم الذنون: قصر الحمراء في غرناطة، ص39-عنان:نهاية الأندلس، ص25-عبد القادر زمامة: عبد الله بن جزي،ص107-المقري:نفح الطيب،ج1،ص447-خير الدين الزركلي:الاعلام،دار العلم للملايين،بيروت ،لبنان،1980م،ج3، ص338، 339-ابن عذاري :البيان المغرب-ج3، ص279.-للمزيد انظر: حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ،دار الرشاد، ط2، القاهرة،مصر،1418هـ، 1997، ص444.

[2] - تَسَمَى بعض سلاطين مملكة بني نصر ألقابا لها دلالات خاصة مثل محمد الأول "الشّيخ" لتقشفه وتصوفه وورعه، ومحمد الثاني "الفقيه"لرعايته للعلم والعلماء ولانتحاله طلب العلم أيام أبيه، ومحمد الخامس" الغني بالله" بعد عودته منتصرا من إحدى الحملات الحربية التي قام بها ضد قشتالة عام 768هـ/1367م، وعُرف كذلك بالمخلوع كونه خُلع عن العرش على يد أخيه اسماعيل ، ومحمد بن سعد"الزّغل"لشجاعته في مقاومة أعدائه، وأبو عبد الله الأخير"الزغيبي" بمعنى البائس وذلك لسوء حظه (انظر: الطوخي: مظاهر الحضارة، ص157.

[3] - عبد الرحمن بن خلدون :ديوان العبر،ج4، ص218.- المقري التلمساني : نفح الطيب،ج1، ص447.

النّبيهة في الخدمة .يفتتح بقراءة من أحاديث الرّسول صلى الله عليه وسلم، ويختتم بأعشار من القرآن الكريم ثم ينتقل إلى مجلس خاص ينظر فيه أموره. فينصرف كل قصة إلى ما يليق به النّظر فيها ويواكل العشيات خاصة من قرابته ومن يليهم من نبهاء القواد"[1].

مباشرة بعد تولي ابن الأحمر إمارة المملكة قام بالدّعاء للخليفة الموحدي الرّشيد 639هـ/1239م ، وبعد وفاة الخليفة الرّشيد وقيام ثورة بني مرين ضَعُف أمراء الموحدين فقام بالدّعاء لأبي زكريا الحفصي فقام الحفصيون على إثر ذلك بتقديم معونة مالية له ظلت قائمة حتى نهاية فترة حكمه[2] .

أيقن النّصارى مدى خطورة تولي ابن الأحمر على مستقبل جزيرة الأندلس فحاربوه وشدّدوا عليه الخناق، حتى أرغموه بكل الوسائل ودفعوه إلى المهادنة والصّلح[3]، والرّضوخ لهم بشروط تعجيزية كان القبول بها حتما لازما، من بينها يحكم باسم سلطان قشتالة وكذا القبول بدفع الجزية السّنوية والتّعاون العسكري في مجال ردّ العدوان على الجانبين حتى وإن كان العدّو مسلما، ومن جانب آخر التّنازل لهم عن بعض الحصون خاصة المحاذية لأراضي قشتالة من بينها جيان عام(643هـ)وقيل سنة(644هـ)والقبول بهذه الشّروط لم تكن من إختيار ابن الأحمر ولكن أملتها الضّرورة السّياسية كون دولته كانت فتيّة لا تقدر على مجابهة قوى متحدة متمرسة في الحروب[4].

وعمل ابن الأحمر على تمتين الصّلات بكل من الدّولة الجديدة في المغرب بني مرين وكذا أصهاره بني اشقيولة المولدون[5] بمالقة و كسب ثقة كبيرة ومدد يستطيع من خلاله التّحرك مرة أخرى

---

[1] – ابن الخطيب:اللّمحة البدرية، ص30– ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص95.

[2] –الطوخي:مظاهر الحضارة،ص153–ابن عذاري المراكشي:البيان قسم الموحدين،ص358–الثّقفي:المرجع السابق،ج1،ص15.

[3] – بعد انتهاء فترة السّلام التي دامت 20 عاما حاول ملك قشتالة الاجتماع والإلتقاء بالسلطان النّصري محمد الغالب بالله للنظر في أمر تلك المعاهدة حلف ابن الأحمر بأسمائه حين ذلك أنه لايراه ولا يلقاه إلاّ في قتال أو جلاد فكان الأمر كذلك.

[4] –عبد الحليم الهروط: الرّسائل الدّيوانية في مملكة غرناطة، المرجع السابق، ص07 –ابن الخطيب:اللّمحة البدرية، ص36 –عبد الرّحمن بن خلدون:ديوان العبر، ج،7ص252–محمد عبد الله عنان:تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي،القاهرة ،ط2، 1390هـ/1970م، ص261 –أسعد حومد:محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط2،بيروت،1988، ص123، 124–عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، د ط، مكتبة النهضة الشرق للنشر،القاهرة،مصر، 1990، ص299.

[5] –**بني أشقيولة**: أجمعت المصادر التّاريخية على قوة ومنعة هذه العائلة لهذا السبب لقبوا بالرؤساء وهم من السّكان الأصليين للأندلس اعتنقوا الإسلام وتسموا بأسماء عربية بعد الفتح الإسلامي للأندلس، حيث أن المصادر تشير إليهم بهذا الاسم، على

في اتجاه الممالك النّصرانية، حيث أخذ في التّوسع على حساب الأقاليم المجاورة واستردّ مالقة ثم من بعدها المرية [1].

تميزت إمارة محمد ابن الأحمر بنوع من الاستقرار والهدوء طيلة عشرين عاما ما ساعده على تنظيم شؤون الدّولة والحكم كتنظيمه لجهاز الشّرطة والقضاء مطبقا في ذلك توصيات الفقهاء والعمل

=العموم فهي أسرة تنتمي إلى طبقة المولدين.. صنفهم الاسبان في خانة المرتدين. وأكبر زعمائهم أبو الحسن علي الذي ساعد بني الأحمر في حروبه الكثيرة، فولاه على وادي آش. قيل أن ابن الأحمر وعده ومناه بتقاسم الملك معه غير أن ابن أشقيولة رفض وقيل أيضا أنه اختار قيادة جند غرناطة. بعد وفاة زعيم بني أشقيولة ظهر على السّاحة أبناؤه وحفدته ليطالبوا بحقهم في السّلطة مع ضمان حصولهم على امتيازات واقطاعات في الحكم. ورغم علاقة المصاهرة بينهم وبين بني الأحمر حيث زوج أخته لزعيم بني أشقيولة علي أبو الحسن، وزوج إحدى بناته لأحد أولاد الرئيس أبو الحسن "عبد الله أبو محمد بن أشقيولة. وفي المقابل منحهم ولايتي مالقة ووادي آش. إلّا أن الطموح الزائد لهذه الأسرة ظهر جليا عند مباشرتهم لنقض العهود في فترة تولي محمد الفقيه ولاية العهد(655هـ) خاصة وأنه عمل بوصية أبيه حين أوصاه ببني مرين خيرا فبدأ يعمل على تقليص صلاحياتهم في البلاط الغرناطي وكذا في قيادة الجيش.ومازاد الطين بلة تزويج الفقيه ابنته لإبن عمه أبي سعيد فرج بن إسماعيل سنة(664هـ)ووعده بولاية مالقة إقليم بني أشقيولة فكانت هذه إشارة انطلاق وإشعال الفتيل،ضف إلى ذلك تحول قيادة الجيش إلى مشيخة الغزاة من بني مرين.على إثر هذا أعلنوا العصيان واستبدوا بمالقة ووادي آش واعملوا الفوضى وللتخلص من سلطان بني الأحمر عملوا بالتحالف مع النّصارى.وبني مرين من أجل المساعدة والنّصرة على إخوانهم في الملة.

انتهى أمر هذه الأسرة حين نقلتهم دولة بني مرين إلى المغرب وجعلوهم سادة وقادة على مدينة القصر الكبير سنة 687هـ وتوارثوا الحكم على هذه المدينة إلى ان انتهوا من الوجود تماما"أنظر: جاسم الطيف جاسم :قتيبة محمود جميل ،بني اشقيولة ودورهم السياسي في مملكة غرناطة(635-701هـ/1238-1301م)، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، كلية التربية ،جامعة سامراء، المجلد الثالث،العدد الخامس،السنة الثالثة،2016، ص269.-ابن الخطيب:أعمال الأعلام، ص287، 291.-محمد نوح: الشعر في اقليم غرناطة، المرجع السابق، ص24.-المقري التلمساني:نفح الطيب،ج1، ص448، 45-ابن الخطيب:اللمحة البدرية، ص44-ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب،ج2، ص220.-الذهبي:دول الإسلام-ج2، ص132-عبد الله عنان: نهاية الأندلس،ص40- عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر،ج7،ص262. امّا المولدون فهم أبناء الاسبان الذين أصبحوا تابعين للعرب المسلمين الفاتحين النّصارى رضى ورغبة واعتنقوا الإسلام وتربوا تربية ممزوجة من أخلاق أجدادهم وأخلاق المجتمع الإسلامي نجحوا في الحفاظ على عاداتهم وأعرافهم وزاولوا مهن عديدة .تخلصوا من دفع الجزية بدخولهم =الإسلام فهم يمثلون مختلف طبقات المجتمع الفقيرة فحسب بل من النبلاء والزراع ومنهم من ينحدر من أسرة عريقة في ظل التعايش الإسلامي السلمي ارتبط بعضهم بروابط المصاهرة مع المسلمين وعلى كل المستويات.

-ابن عذاري المراكشي:البيان المغرب ،ج2، ص07-ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة،ج3، ص501- كرباخ حطاب:الأندلس وما جاورها، ص121- عامر عجاج حميد الجنابي، يوسف كاظم جغيل الشّمري: العلاقات السياسية بين سلطنة عمان والدّولة العثمانية خلال الربع الأخير من القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل ،العدد 13-2013، ص487.

[1] - محمد نوح : الشّعر في غقليم غرناطة ، ص30- توفيق محاسنة :الحياة السياسية في دولة بني الأحمر،ص49.

بمقتضى الشّريعة الإسلامية، كما بنى مستشفى كبير ومنازل للغرباء،وأنشأ داراً للعميان وأخرى للعجزة. وفي الجانب الإقتصادي اهتم بزراعة بالحبوب التي أقام لها مخازن خاصة بها وبمختلف المواد الغذائية بالإضافة إلى إسهامه في الجانب العسكري بناء التّحصينات من أسوار وأبراج[1].

تكررت تحّرّشات لنّصارى بالمملكة الإسلامية بعد الهدنة التي شهدتها فترة محمد بن الأحمر، الأمر الذي جعل ابن الأحمر يغيّر من أسلوبه الذي إتسم بالمهادنة إلى التّفكير في التّحرر من أغلال المعاهدات مع القشتاليين في عهد ملكهم ألفونسو العاشر(خليفة فرناندو III)، فعندما همّ ألفونسو بطلب جزيرة طريف والجزيرة الخضراء قُوبل طلبه بالرفض مرجعا ذلك إلى رفض فقهاء الدّولة هذا الطلب، الأمر الذي حزّ في نفس ألفونسو واتخذه ذريعة للتوسع أكثر، ما جعل ابن الأحمر يتجه إلى العدوة مستغيثا ببني مرين الذين أجابوا الصّريخ في حدود 660هـ/1261م، وتمكنوا من ردّ عدوان ألفونسو[2] وتوالت الحملات المرينية كلما استدعى الأمر عبورهم إلى غرناطة، الأمر الذي استشعر فيه ألفونسو العاشر خطر تعاظم دولة بني الأحمر بسبب العون المغربي المريني. وكثّف على إثر ذلك حملاته على مدن الأندلس وسلطانها الغالب بالله إلى أن تمكن من محاصرة غرناطة بقيادة القائد" دون نونيو ديلارا"[3]

فكّر النّصارى في الغدر بابن الأحمر لاستئصال ما تبقى من أراضي الأندلس، وبالمقابل عجز ابن الأحمر عن الصّمود في مواجهاته المتتالية ضدّ النّصارى مع ضعف الإستجابة المرينية في كل مرة، غير أنه استمر في مهادنة ملك قشتالة حتى أنه تنازل له في أواخر سنة 665هـ/1267م عن حصون وقرى قدرت بأكثر من مائة موضع، وبذلك عقد الصّلح مع قشتالة وآمن غدرهم مرة أخرى، وفي نفس السّنة تم تسليم المدن ومنها مدينة شريش بموجب الاتفاقية[4]ما أثار حفيظة أهل الأندلس خاصة

---

[1] – عبد القادر بوحسون:الأندلس في ظل بني الأحمر، ص31– شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر ، ص25، 27.

[2] – المقري التلمساني :نفح الطيب، ج1، ص449– توفيق محاسنة: الحياة السياسية في دولة بني الأحمر ، ص100.

[3] – توفيق محاسنة: الحياة السياسية في دولة بني الأحمر، ص100.

[4] – **شريش**:مدينة على مقربة من البحر إلى جنوب شرق بطليوس وبين القبلة والمغرب من شريش حصن روطة على ساحل البحر ، وهي من أقاليم شذونة بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلا ، وهي على مقربة من البحر وهو موضع رباط ومقر

منهم الشّعراء الذين بكوا الأندلس في ضياع مدنها ،ومن أشهر ما قيل في هذا نونية أبو البقاء الرّندي[1] ليستنصر بأهل المغرب مذكّرا اياهم بفضلهم وماضيهم العريق :

لِكُلِّ شَيءٍ إِذا ما تَمّ نُقصـــانُ***فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَيشِ إِنسانُ

هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ *** مَن سَرّهُ زَمَن ساءَتهُ أَزمانُ

وَهَذِهِ الدّارُ لا تُبقي عَلى أَحَدٍ*** وَلا يَدُومُ عَلى حالٍ لَها شانُ

قَوَاعد كُنَّ أَركانَ البِلادِ فَما ***عَسى البَقاءُ إِذا لَم تَبقَ أَركانُ[2]

توفي الأمير محمد بن يوسف بن نصر الشّيخ سنة 671ه ودفن بمقبرة السّبيكة وتذكر المصادر التاريخية أنه كتب على قبره:

هَذَا مَحَلُ المِجْدِ وَالكَـــــــــرَمِ * قَبْرَ الإِمَامِ الهُمَامِ الطَاهِرِ العَلم

للهِ مَا ضَمَّ هَذَا اللَّحْدِ مِنْ شَرَفٍ * جَمٍّ ومِنْ شِيَمٍ عَلَوِية الهِمَمِ[3].

2- محمد الثّاني(الفقيه) (671-701ه/1273-1302م):

توفي محمد الشّيخ بن يوسف بن نصر وتولى بعده ابنه محمد الفقيه[4](لقب بالفقيه لانتحاله طلب العلم في صغره) الذي حصد ثمار اجتهاد أبيه في توطيد أركان الدّولة. حرص على العمل بوصية

=للصالحين مزارا يقصدونه من كل الاقطار، ضخمة الأسواق، ويختص أهلها بصنع العجائن، كثيرة الفواكه تشتهر بالكروم والزرع الكثير الريع انظر: الحميري:صفة جزيرة الأندلس، ص102- مصطفى شاكر، المدن في الاسلام، ج1، ص476.

[1] - هو صالح بن ابي الحسن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف يكنى لأبي الطيب وأبي البقاء. فقيه حافظ متفنن في النثر والنّظم،وله مقامات ومختصر في الفرائض، وكتاب اسمه الوافي أو الكافي في نظم القوافي-انظر:المقري التّلمساني :نفح الطيب،ج4، ص486)-جغام ليلى:رثاء المدن بين سقوط الأندلس وأحداث الثلاثاء الأسود، دراسة جمالية،مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، العدد04، 2009، ص89، 90.

[2] - المقري :نفح الطيب،ج4،ص486- عبير عبد الله :الشّعر الاجتماعي في الأندلس، ص19-توفيق محاسنة: المرجع السابق، ص101- علي المنتصر الكتاني: انبعاث الإسلام في الأندلس،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت، لبنان،2005، ص37، 38.

[3] - ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة ،ج2، ص100- بن خلدون: ديوان العبر،ج7، ص253- عبد القادر بوحسون: الأندلس في ظل بني الأحمر ،ص32-رزق الله منقريوش الصّدفي: تاريخ دول الإسلام،مطبعة الهلال بالفجالة ، مصر 1326م، ص03- ابن الخطيب: الاحاطة،ج2، ص100- عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر،ج7، ص253

[4]-**الفقيه**: ولد بغرناطة عام 633ه، وكان الأمير الغالب بالله عقد البيعة في أول الأمر لأكبر أولاده الأمير أبي سعيد فرج، لكنه بعد مدّة توفي في مقتبل العمر وهو ابن 25 سنة عام 652ه.فاضطر الأمير إلى تولية العهد لولده الثاني أبي الحجاج يوسف قال

أبيه في الرّجوع إلى ملوك بني مرين في المغرب. وكان كذلك حيث استصرخ السّلطان المريني أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق سنة 672هـ[1]ونقل الوفد الذي أرسله الفقيه رسالة استغاثة مؤثرة فشرحوا له حال الأندلس من الضّعف والهوان وعدم الاستعداد للجهاد وتسلط العدو عليهم، يدعونه فيها للعبور إلى الأندلس ،وبعد توالي الرّسل والرّسائل من بني الأحمر وبني اشقيولة استجاب السّلطان أخيرا لدعوتهم فردّ على ابن الأحمر يطمئنه في العبور إلى الأندلس مطلع عام 674هـ[2]، برسالة يقول فيها" وإنا لنرجو أن نصلكم بنفوس صلح جهرها وسرها ونسقي بماء الثلج واليقين غرها ونقدم عليكم بما يبسط نفوسكم ويسرها ويطلع لها الفرج من المكاره ويذهب عُسرها فلتطب نفوسكم برحمة الله وعونه ولتفرحوا بفضل الله وصونه ونحن قادمون عليكم في إثر هذا إنشاء الله ووعدنا بوفاء بعين الله على أعدائه"[3] .

أعلن أبو يوسف يعقوب النّفير استعدادا للعبور إلى الأندلس و اجتمعت عليه الوفود وبلغ عدد الجيش 5000 مقاتل بقيادة ابنه أبي زيان نحو الأندلس الذي نزل فيها وعسكر بمنطقة طَريف، ثم

=ابن الخطيب" وكان قد ولاه عهده بعد أخيه ..."ولكنه للمرة الثانية يُفجع في ولي عهده عام(654هـ) بفترة وجيزة وبعد وفاة هذين الأميرين،جعل الغالب بالله الولاية لولده الثالث أبي عبد الله الملقب بالفقيه وقد قيل عنه"وهو أعظم الملوك قدرا وأبعدهم صيتا وأعلاهم فخرا وأرسخهم في السّياسة قدما وأسرعهم إلى المكارم تقدما. تسلم عرش أبيه وهو في الثامنة والثلاثين من عمره =بعد أن الميادين نضجا في المجالات السياسية جسدها خلال فترة حكمه حيث عرف كيف يصانع الأعداء ويقضي على الفتن مثل فتنة بني اشقيولة الذين استعانوا في قتاله على النصارى، فاستعان الفقيه بالنصارى الذين بالغوا في عروضهم ما جعله يلجأ إلى بني مرين الذين أوفدوا عليه مشيخة الغزاة التي قضت على حكم بني اشقيولة في قيادة الجيش.إستبد عليه وزيره محمد بن محمد بن الحكم اللخمي قال ابن الخطيب في الاحاطة ،ج1، ص549- وقدّم للوزارة كاتبه عبد الله ابن الحكيم وصرف اليه تدبير ملكه فلم يلبث أن تغلب على أمره وتقلد جميع شؤونه، توفي ليلة الأحد ثامن من شهر شعبان عام 701هـ وهو يصلي رحمه الله" (أنظر: ابن أبي زرع الفاسي،الذخيرة السّنية، ص136- السّلاوي النّاصري:الاستقصا،ج3، ص38 -ابن الخطيب:الاحاطة،ج1، ص556- ابن الخطيب:اللّمحة البدرية، ص35، 44 -ابن الخطيب:رقم الحلل في نظم الدّول، ص166- إبراهيم بن سعد الحقيل : قراءة نقدية في كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، ط1، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان الاردن ، 1433هـ/2012 م ، ص157- محمود مقيدش:نزهة الأنظار في عجائب التّواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواوي ومحمد محفوظ،دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1988م، ص538

[1] - محمود مقيدش: المصدر نفسه، ص538- عبد الله عنان:نهاية الأندلس، ص98-احمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ،دار العلوم ،ط10 ،القاهرة، 1995م ، ص199

[2] -النّاصري السّلاوي :الاستقصا ، ج3، ص38.

[3] - ابن أبي زرع : الذّخيرة السّنية ،ص143.

واصل زحفه و توغله في الأراضي الأندلسية إلى أن وصل أسوار مدينة شريش، التي استولى عليها وخربها،وعاد مثقلا بالسَّبْيْ والغنائم إلى الجزيرة الخضراء .

عَبَرَ السّلطان المريني[1]في إثره ولده وكان قد اتفق مع الفقيه أن ينزل له عن بعض الثّغور والقواعد السّاحلية لتنزل بها جنوده في الذّهاب والإياب فنزل له ابن الأحمر عن رندة و طريف والجزيرة الخضراء وكانت هذه سنة الأمراء الأندلسين مع المغاربة حين العبور، ونزل أبو يوسف بجيشه في طريف وهرع ابن الأحمر وبني أشقيولة إلى لقاءه واهتزت الأندلس كلها لعبور ملك المغرب[2].

ومباشرة بعد لقاءه بالفقيه وابن اشقيولة أدرك ما بينهما من خلاف وفرقة فعمل على تلافيه وأصلحه وجمع كلمة الإسلام، وتآلفت قلوبهم وناقشوا أمور المسلمين، ثم افترقوا غير راضين[3].

بدأ الزّحف نحو أراضي النّصارى إلى المناطق المستوية من منطقة الفرنتيرة[4]حتى بلغ إلى شرق مدينة قرطبة،حيث حاول القشتاليون ردّ الهجوم وأعدّوا لذلك جيشا في 90ألف مقاتل بقيادة صهره ملك قشتالة "الدّون نونيو ديلارا "الذي تسميه الرّوايات التّاريخية الإسلامية "دُنونه"، وعند ذلك عاد أبو يوسف بجيشه إلى ظاهر أَسْتُجَة حيث ووقع اللّقاء بين الفريقين في الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة674هـ/1275م، ونشبت المعركة المعروفة باسمه (الدّنونية)[5] وكانت سريعة هائلة روى ابن

---

[1] – ارسل السّلطان يعقوب حفيده تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب في وفد من بني مرين لعقد السّلم مع يغمراسن وعمد إلى أسلوب المهادنة عند عزمه الخروج إلى الأندلس بعدما خاف على ثغور بلاده من غدر يغمراسن الزياني صاحب تلمسان ،وأرسل إليه يدعوه بالرجوع للاتفاق والموادعة وتوفيق الحرب بين الطرفين للتفرغ لوظيفة الجهاد، بادر يغمراسن إلى قبول الطلب ووافد مشيخته على السّلطان يعقوب الذي فرح بهذا العقد الذي أعطاه فرصة في الجهاد وإجابة دعوة إخوانه في الأندلس (أنظر: الناصري :المصدر السابق ، ج3، ص39.

[2] – رزق الله منقريوس :تاريخ دول الإسلام، ج3، ص04– عبد الله عنان عنان :نهاية الأندلس، ص99– خوليو رييس روبيو "المجريطي "،الاندلس بحثا عن الهوية الغائبة، ترجمة غادة عمر طوسون ورنا أبو الفضل، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة ، 2014، ص136،137.

[3] – ابن أبي زرع الفاسي: الذّخيرة السّنية، ص144– عبد الرّحمن بن خلدون:ديوان العبر، ج7، ص255–النّاصري: الاستقصا–ج3، ص38 – عبد الله عنان :نهاية الأندلس، ص99.

[4] – **الفرنتيرة**–la frantera– هي السهل الواقع في غربي مثلث اسبانيا (الجزيرة)وتمتد من قادس جنوبا حتى طرفي الغار(أنظر: عبد الله عنان: المرجع نفسه ، ص99.

[5] – استمر النّصارى في نقض العهود رغم اتفاقيات الهدنة التي جمعت الطرفين الاسلامي والنّصراني ممثلة في ابن الاحمر والفونسو العاشر ، حيث بدأالفونسو العاشر يعد العدة للإستيلاء على غرناطة الشّيئ الذي جعل ابن الاحمر (الفقيه) يلوذ بجيرانه بني مرين

أبي زرع:"فدارت بهم فرسان المجاهدين من العرب وبني مرين كالآساد الضّارية إذ برزت من العرين يحكمون في رقابهم السّيوف ويذيقونهم مرارات الحتوف وقد صبروا لجهاد الكفرة صبر الكرام في حرب اللّئام وقتل زعيم الكفرة دون نونيو وولده وهزم جيشه..."يضيف فيقول"... وقتلت جموعه وانجز الله تعالى وعده لعباده المؤمنين وأيدهم بملائكته المسومين، ونصر دينهم على أعدائه الكافرين واستأصلهم المسلمون بالقتل، ولم يكن إلا كلمح البصر حتى لم يبق السّيف من الروم من يرجع لقومه بالخبر ولم تبق الرماح منهم باقية ولم تق الدّروع والمجن عنهم واقية وقطع رأس اللعين..."[1] في الحين وتكسرت أعلامه ونهبت عساكره وحمد الله أمير المسلمين على ما منحه من الفتح المبين..."[2]

وعن خسائر المسلمين في هذه المعركة يقول السّلاوي:"...واستشهد ما يناهز الثّلاثين أكرمهم الله تعالى بالشّهادة وآثرهم بما عنده ونصر الله حزبه وأيّد أولياءه وأظهر دينه"[3]وأوردها ابن ابي زرع فقال:"...ونظر من استشهد منهم في تلك الغزاة ممن سبق لهم الشهادة وقضي لهم بالجنة والسّعادة فوجد سِتَّة نفر من بني مرين وسبعة من العرب وثلاثة من الأندلس وثمانية من المتطوعين فكانت جملتهم أربعة وعشرين رجلا.."[4].

=الذين أجابوا الصّريخ، حيث عبر الملك يعقوب المنصور المريني إلى غرناطة وفي طريقه إلى الأندلس استسلمت له اشبيلية وواصل تقدمه إلى أن إجتمعت قوات المغرب مع جيش الأندلس في أرض المعركة ، التي وقعت عام 1276م وكان لهذه المعركة دور في تأخير وعرقلة الزّحف النّصراني على الاراضي الاسلامية ،وعملت على تأخير سقوك الأندلس الى قرنين من الزمن بإعتباره أول إنتصار للمسلمين بعد معركة العقاب التي قضت على محاولات النّهوض من جديد، تكبدوا خسارة مذلة وقُتل فيها قائد النّصارى الدّون نونيو ديلارا ، انظر: البارون دي كولاصو ماكنمارا: الملوك المغاربة، ترجمة عثمان المنصوري ، الطبعة الأولى ، مطابع الرباط نت ، المغرب 2016، ص35،36- حمدي عبده سلامة موسى: نحو وعي بالتاريخ وحتى لا ننسى وحتى نعتبر- محاكم التفتيش الكنسية بالأندلس، ط1 ، مكتبة المهتدين، مصر، 2014 ، ص119 ، 120 .

[1] – قيل عن نهاية المعركة"...أمر الأمير يعقوب بجمع قتلى النصارى وأن تقطع كل الرؤوس وطلعت رؤوس الروم مثل الجبل العظيم فصعد المؤذنون عليها فأذنوا لصلاة العصر وقيل الظهر والعصر وبعث السّلطان أبو يوسف برأس ذو نونيو إلى ابن الأحمر فقيل أنه بعثها بدوره إلى ملك قشتالة مضمخة بالطيب- ابن أبي زرع الفاسي:الذخيرة السّنية، ص150- عبد الله عنان:نهاية الأندلس،ص100-عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر، ج7، ص256، 255- السّلاوي النّاصري: الاستقصا، ج3، ص41.

[2] – ابن أبي زرع الفاسي الذّخيرة السّنية ،ص150 –ابن خلدون: ديوان العبر ،ج7 ،ص255. –عبد الله عنان :نهاية الأندلس، ص100–ابن الخطيب : الاحاطة، ج1، ص565.

[3] – الناصري : المصدر السابق –ج3، ص41.

[4] –ابن أبي زرع الفاسي: الذّخيرة السّنية ، ص15.

عاد الجيش إلى الجزيرة الخضراء بعد هذا الصّنيع ولبث فيها مدّة من الزمن استراح فيها الجند واستعد جيدا[1] ثم خرج ثانية وتوغل في أراضي قشتالة حتى وصل إلى إشبيلية فأغلقت المدينة أبوابها وأصبحت عصيّة وعاث جيش المسلمين في الأنحاء وحاصر شريش فطلب زعماء المدينة ورهبانها وطلبوا الأمان ووافقهم على ذلك، وعاد إلى الجزيرة مثقلا بالسّبي[2].رغم كل الجهود التي بذلها السّلطان أبو يوسف المريني من أجل دفع النّصارى المتغلبين على الأندلس إلّا أنّ محمد الفقيه جنح إلى الرّيبة والشّك في نوايا السّلطان المريني وكأن تاريخ ملوك الطوائف يعيد نفسه وشكهم في ابن تاشفين، وخاصة بعد ما توعدّ بحماية بني اشقيولة منافسه،فبعث إلى السّلطان المغربي يعاتبه في ذلك وهو بعد لم يغادر الجزيرة الخضراء بقصيدة يستعطفه فيها ويستنصره من نظم كاتبه أبي عمران بن المرابط[3] :

هَلْ مِنْ مُعِينِي فِي الهَوَى أَوْ مُنْجِدِي * مِنْ مُتَهَم فِي الأَرِضِ أو مِنْ مُنْجِدِ.

هذا الهوى داع فها من مســـعف * بإجابة وإنـــــــــــابة أو مسعد

وفيها يستغيثه أيضا:

أفلا تذوب قلوبكم إخواننا * مما دهــانا من ردّي أو ردى

أفلا تراعون الأذمة بينــــــنا * من حرمـــة ومحب وتـــودد

أكذا يعيث الروم في إخوانكم * وسيوفكم للثأر لم تتقـــــلد

هذا الجهاد رئيس أعمال التقى * خذ منه زادك لارتحال تسعد

هذا الرباط بأرض اندلس فَرُح * من لما يـــرضي إلهك واغتدي

---

[1] – عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص10– عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر، ج7 ،ص256، الناصري: الاستقصا، ج3، ص42– ابن أبي زرع الفاسي: الذّخيرة السّنية ، ص158– شكيب أرسلان: آخر بني سراج ويليها خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة ، مطبعة المنار، مصر، 1343هـ/ 1925م، ص136 .

[2] – عبد الله عنان:المرجع السابق، ص101–عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر،ج7، ص256–السّلاوي النّاصري:المصدر السابق، ج3، ص42–ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص158–شكيب أرسلان: آخر بني سراج،المرجع السابق ص136.

[3] – عبد الرحمن بن خلدون :ديوان العبر،ج7، ص263 – عبد الله عنان:نهاية الأندلس، ص101.

فكان جوابه"لبيك لا تخشى اعتداء المعتدى"[1] وبالفعل جاز أبو يوسف المريني إلى الأندلس مرة أخرى وحلّ بالجزيرة الخضراء أين لقيّه هناك بني اشقيولة وصحبوه في حملته على اشبيلية في ربيع الأول من عام 676هـ، واستطاع أن يقهر ملكها الفونسو العاشر ليعود إلى الجزيرة الخضراء بنصر كبير[2].

غير أن الأمر الذي عكّر صفو مكوثه هناك هو وفاة أبو محمد بن أشقيولة صاحب مالقة التي سارع ابنه محمد للتنازل له عنها، إذ أن محمد الفقيه كان يظّن أن مالقة ستكون من نصيبه فأرسل وزيره أبا سلطان الدّاني لتسلم المدينة ولكن الأمير أبا زيان ابن السّلطان رفض ذلك وعاد الوزير خال الوفاض[3]. ودخلها السّلطان أبو يوسف يعقوب المريني مالقة بنفسه مخرجا المدينة من سلطة محمد الفقيه الأمر الذي أوجس منه خيفة مرة أخرى من نوايا سلطان المغرب في امتلاك الأندلس باسمه، ففكر في التّحالف مع ملوك النّصارى بغية إرجاع مالقة تحت لوائه ثم عدل عن ذلك إلى أن يحين وقتها كون ابن يوسف المريني ولّى على مالقة قبل أن يغادرها عمر بن محليَّ البطوئي[4] وأخوه طلحة من الموالين للفقيه فأقنعه بالتّخلي عن مالقة لحليفه ابن الأحمر[5].

تمّ الإنتهاء من أمر مالقة وتمّ للفقيه ما أراد من امتلاكها وفكّر في التّحالف والتّفاهم مع ملك قشتالة في أمر القوات المرينية ومنعها من عبور البحر في اتجاه لأندلس، وكانت البداية بنزول القوات القشتالية في الجزيرة مشكّلة حاجزا بين المغرب والأندلس، وعمل على مكاتبة الأمير الزّياني يغمراسن يسأله العون والتّحالف على عدوّه التّقليدي(بني مرين)[6].

---

[1] – ابن خلدون: ديوان العبر ، ج7، ص264 – ابن أبي زرع الفاسي:الذّخيرة السّنية ، ص163.

[2] – النّاصري: الاستقصا–ج3، ص45.

[3]–عبدالرحمن بن خلدون:المصدر السابق،ج7،ص261،262–عبد الله عنان:المرجع السابق،ص102–النّاصري: المصدر السابق ، ص45.

[4] –تنازل البطوئي لمحمد الفقيه عن مالقة بعد أن أغراه بالمنكب وشلوبانية وهما ثغران من ثغور مملكة غرناطة القديم، يقع كلاهما جنوب غرناطة على البحر الأبيض المتوسط (أنظر:في المبحث الخاص بموقع غرناطة وأقاليمها –تعريف– مفصل).

[5]– عبد الرحمن بن خلدون:ديوان العبر،ج7، ص 266– توفيق محاسنة:الحياة السّياسية في دولة بني الأحمر ،ص111.

[6] – ابن الخطيب:أعمال الأعلام، ص289 –ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص266 عبد الله عنان:نهاية الأندلس، ص102.

لما اكتشف سلطان المغرب تحالف ابن الأحمر مع ملك قشتالة فأعدّ العدّة للعبور إلى الأندلس مجهزا الجيش والأسطول وأوكل الأمر لإبنه أبو يعقوب بالعبور إليهم، و لما عرف الفقيه عزم النّصارى على الإستيلاء على الجزيرة الخضراء وما فعلوه بها و بما أعدّه أبو يعقوب من قوة ندم على صنيعه حسب وصف ابن خلدون:"اتصل بالسلطان ما نال أهل الجزيرة من ضيق الحصار وشدّة القتال وأعواز الأقوات وأنهم قتلوا الأصاغر من أولادهم خشية عليهم من معرّةالكفر فأهمه ذلك وأعمل النظر فيه..."[1]وبعد معركة هائلة أوائل عام 678هـ/1279م استطاع أبو يعقوب من إلحاق هزيمة نكراء بالنّصارى واستولى على سفنهم ونزل بالجزيرة بعد أن تركها النّصارى. ثم فكّر في عقد الصّلح مع ملك قشتالة بغية تأديب الفقيه لكن رفض أبو يوسف يعقوب لهذا حال دون تحقيق ذلك وبادر ابن الأحمر إلى الصّلح كعادته وبادر السّلطان إلى هذا مقابل التّنازل عن مالقة لكي تكون قاعدة للعبور والغزو[2].

أشعل فتيل الفوضى في عرش قشتالة استغله ابن الأحمر لصالحه حين خرج "الإنفانت فيليب" على أخيه "ألفونسو العاشر" ما مع جملة من النّبلاء وطلبهم العون من أبي يوسف العبور وإنقاذهم عام 681هـ بحيث شدّد (الفقيه) وواصل ضغطه على بني اشقيولة كون السّند الذي طالما احتموا به وهو النّصارى ممثلة في ملك أرغون(بيدرو الثّالث)الذي نجح ببعد الشّقة وتوسط قشتالة دونهم، وأرسلوا سلطان المغرب الذي توسط في القضية وتمّ عقد مفاوضات انتهت عن بترحيلهم عن الأندلس سنة 687هـ[3].

تزايد خوف الفقيه منذ تلقى الدّعم الذي قدمه ملك المغرب لملك قشتالة (المخلوع) بنوع من الريبة وهو يرى جموع المغاربة تَفِدُ إلى الأندلس وتوجس خيفة من تدخل ملك المغرب في شؤون الأندلس.وفي عبور السّلطان أبو يوسف إلى الأندلس مرة أخرى عام 684هـ استطاع التّوغل في أراضي النّصارى وغزا شريس، وأحواز اشبيلية، وقرمونة، والوادي الكبير، ولبلة، واستجه، والفرنتيرة ،مما أجبر ملك قشتالة على توقيف القتال وطلب الصّلح الذي استجاب له السّلطان.واشترط السّلطان

[1] -ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص257–ابن الخطيب :أعمال الأعلام، ص289 –الناصري،الاستقصا، ص52.

[2] - ابن خلدون: المصدر السابق، ص272– الناصري: المصدر السابق، ص57 –عبد الله عنان : نهاية الاندلس ، ص103

[3] - توفيق محاسنة: الحياة السياسية في دولة بني الاحمر، ص114- ابن الخطيب : اعمال الأعلام، ص291.

عدم التّعرض للمسلمين في أرض الأندلس مع رفع المغارم المفروضة على تجار المسلمين فوافق سانشو على شروط المعاهدة[1].

التقت مخاوف الفقيه مع مخاوف ملك قشتالة من القوة المغربية النّامية فسعى ابن الأحمر محرضا إياه من نيّة النّاصر في ملك الأندلس، وأشار عليه بانتزاع جزيرة طريف من يد المغاربة ممنيا إياه بتقديم العون في احتلالها شريطة أن يكون من أملاك ابن الأحمر[2] .

عمل النّصارى على منازلة طريف وأغلقت أساطيلهم سبل الإمداد من المغرب ودام حصار المدينة قرابة الأربعة أشهر وسلطان غرناطة محمد الفقيه يؤمن للنّصارى بالإمداد والمؤن طمعا في أن يكونوا درعه الذي يقيه بأس بني مرين، إلى أن تم تسليم المدينة وطالبهم ابن الأحمر بتسليمها فأبوا وأنكروا عليه اتفاقهم ونكثوا عهودهم كعادتهم، فندم وأرسل بني مرين فقبلوا دعوته وجاز محمد الفقيه إلى العدوة معتذرا على ما بدر منه، ثم عاد إلى الأندلس بعد أن تـمّ له دعم بني مرين فعاود حصار طريف ولكنه لم ينجح في استعادتها[3] .

استغل الفقيه موت"سانشو الرابع"ملك قشتالة سنة 695هـ/1295م،وتولى فرناندو الرّابع القاصر الذي فشل في تسيير المملكة ما تسبب الاضطرابات وزحف على بعض المدن الأندلسية مثل قيجاطة(695هـ) والقبذاق(699هـ). وجدد معاهدة السّلام مع ملك أرغون عام(701هـ)[4].

أمضى محمد الفقيه ما تبقى من عمره في ودّ مع حليفه من بني مرين، وزاد من قوته كسب ودّ ملك أرغون الذي أصبح دعما له في قتال ملك قشتالة، واستمرت الأمور على حالها إلى أن وافته المنية عام 701هـ بعد 29 عاما من الملك ، ولكن بالرغم من فترته المليئة بالأحداث استطاع أن يوفّر للناس رفاه العيش، واهتم بالعمران مضيفا إلى قصر الحمراء ما لم يكن في عصر محمد بن الأحمر

[1] – عبد الله عنان: نهاية الاندلس، ص106– ابن خلدون: ديوان العبر، ص271.

[2] – توفيق محاسنة: المرجع السابق، ص116. النّاصري السّلاوي: الاستقصا، ج3، ص71

– ابن خلدون: المصدر السابق،ج7، ص286– عبد الله عنان:المرجع السابق، ص109.

[3] –عبد الرحمن بن خلدون:ديوان العبر، ج7، ص286– النّاصري السلاوي: الاستقصا، ص71– توفيق محاسنة: الحياة السياسية في دولة بني الأحمر، ص116 – شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس، ص137.

[4] –توفيق محاسنة: المرجع السابق ، ص116.

الأب،أمّا في الجوانب الإدارية فقد نظم الدّواوين والجباية وكل ما من شأنه النهوض بالإقتصاد،وعمل بالموازاة مع ذلك على الاهتمام بالعلوم وشجع عليها وأكرم العلماء وزاد في أعطياتهم[1].

رثاه ابن الجياب بقصيدة مطلعها:

مصاب جليل وصنع جميل * وملك سعيد وأجر جزيـــل

وكل الأنام له باهـــــت * وكل فؤاد صحـــــيح عليل

فمن غاص بحر الندى لم تزل* بحار الدّموع عليه تسيـــل[2]

3-أبو عبد الله محمد الثالث (المخلوع)[3](701-708هـ/1302-1309م):

توفي محمد الثّاني وخلفه ولي عهده محمد الثّالث الذي كان له نفس اسم أبيه وجدّه، لُقب "بالمخلوع" لأنه خلع من منصبه، كان محبا للشعر ولمجالس العلم والعلماء. وكان ذا نباهة وعزم.

وتورد لنا المصادر عن تسميته بالضّرير لانه كان كثير السّهر على ضوء الشّموع في القراءة فأصابه مرض في عينيه، وكان من بين منشآته المسجد الأعظم بالحمراء[4] [5].

---

[1] – توفيق محاسنة: المرجع السابق، ص117 –شكري فرحات: غرناطة في عصر بني الأحمر، ص29.

[2] – ابن الخطيب: اللّمحة البدرية، ص58- بوحسون: المرجع السابق، ص33

[3] – هو محمد بن محمد الفقيه بن محمد الشيّخ بن يوسف بن نصر الغرناطي مولدا وسكنا وموتا ، أبو عبد الله ثالث ملوك الدولة النّصرية ، غلب عليه محمد بن عبد الرّحمن الرّندي الوزير حتى بلغت به سطوته أن إتفق مع كبار دولته فكادوا له وخلعوه وقتله أخوه نصر، أنظر: فؤاد صالح السيد: معجم الألقاب والاسماء المستعارة في التاريخ العربي والاسلامي، ط1، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، 1990، ص292 .

[4] – ابن الخطيب:اللّمحة البدرية، ص47، 48–ابن خلدون: ديوان العبر،ج7، ص301–ابن الخطيب:الاحاطة في أخبار غرناطة ،ج1، ص545، 546– عبد الله عنان:نهاية الأندلس، ص112– عبير عبد الله:المرجع السابق،ص21– توفيق محاسنة: الحياة السياسية في دولة بني الأحمر ، ص118 – عبد القادر بوحسون: الأندلس في عهد بني الأحمر، ص34 .

[5] –**بناء المسجد**: قيل فيه "وأعظم مناقبه ابتناء المسجد الأعظم بالحمراء من غرناطة على ما هو عليه من الظرف والتجنيد والترقيش من فخامة العمد وإحكام أنوار الفضة وإبداع ثرياتها ووقف عليه الحمام إزاءه. وانفق فيه مال جزية أغرمها من يليه من الكفار..." وقد أدى هذا المسجد دوره في كونه كان للعبادة وإلقاء الدروس وحلقات الذّكر ووقفت لصالحه بعض الأحباس في غرناطة، وازدادت أهمية المسجد أنّ ولاية القضاء أصبحت مشروطة بقبول إمامة صلاة الجماعة أو الجمعة في هذا الجامع وعليه فقد كان المسجد منارة علمية يضاهي في شهرته حواضر المشرق وأصبح يقصده العلماء الأجلاء من كافة الأصقاع الاسلامية :أنظر:ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص50- ابن الخطب: الاحاطة في أخبار غرناطة ،ج1، ص546، 547–الونشريسي: المعيار المعرب ،ج1، ص396 – عواجي عبد القهار : المرجع السابق، ص36- عبير عبد الله:المرجع السابق،ص21- صالح بن

استمرت العلاقات بين العدوتين المغربية والأندلسية خلال الفترة القصيرة من حكمه التي دامت(08 سنوات)واتسمت بالودّ وخلو الخلافات، وازداد التّقارب بينهما وتوثقت الصّلات أكثر حين أرسل محمد المخلوع وزير أبيه أبا سلطان عزيز الدّاني ووزيره ابن الحكم إلى سلطان المغرب لتجديد عقد المودّة والصّداقة وهو محاصرا لتلمسان، فوافق وفادته وطلب إرسال بعض جند الأندلس الخبراء في منازلة الحصون فتم له ما أراد[1].

في هذه الفترة استأنف الزّحف الذي كان أبوه قد بدأه على المعاقل القشتالية تم بموجبها احتلال مجموعة من الحصون المحاذية لجيان في صيف عام702ه/1303م. ومع استعادة مملكة قشتالة لنشاطها المعهود بعد الفوضى السّياسية التي شهدتها عرضت لابن الأحمر فجأة أن يعدل عن محالفة سلطان المغرب وهمّ بعقد هدنه مع ملك قشتالة فرناندو الرابع سنة703ه/1304م لمدة ثلاث سنوات يقول ابن خلدون:"...وبعث إلى أذفونش هراندة ... وأحكم له عقد السّلم ولاطفه في الولاية وانعقد ذلك بينهما سنة ثلاث وسبعمائة..."[2]، غير أن هذا القرار أغضب سلطان بني مرين لهذا الصّنيع ولم يرق له الأمر وردّ جند الأندلس عام 703ه، ولم يتوقف ابن الأحمر عند مهادنة النّصارى والعمل بمقتضى المعاهدات بل تعدّى ذلك إلى العدوان على بني مرين، فأرسل ابن عمه وصهره الرّئيس أبي سعيد فرج بن اسماعيل صاحب مالقة أن يحرّض أهل سبتة على خلع السّلطان، واستعدّ ابن الأحمر لقتال بني مرين،وشرع في تنفيذ مشروعه وتمكّن الرئيس أبو يوسف من دخول سبتة وتم القبض على إبن العزفي وأرساله إلى غرناطة، وحاول السّلطان أبو يعقوب استرجاعها ولكنه لم يقدر على ذلك وأصبحت سبتة من أملاك بني الأحمر، وفي الحملة المرينية لإسترجاع سبتة اغتيل السّلطان

محمد السنيدي: الجامع الأعظم في غرناطة الاسلامية ومصيره بعد السقوط دراسة تاريخية أثرية، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية ، العدد 1، 2019 ، ص266.

[1] -شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص30- عبد الله عنان: نهاية الأندلس،ص113- توفيق محاسنة ،المرجع السابق، ص119.

[2] - الصّدفي: تاريخ دول الاسلام،ج3، ص6-عبد الرحمن بن خلدون:ديوان العبر،ج7،ص301- النّاصري السّلاوي:الاستقصا ج3، ص82 - لسان الدين بن الخطيب :اللمحة البدرية ، ص53- لسان الدين بن الخطيب:الاحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص552 .

النّاصر المريني عام 706هـ/1307م ليتولى عرش بني مرين من بعده حفيده أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق[1] .

عزم السّلطان الجديد لبني مرين أبي ثابت القضاء على هذا التّمرد واسترداد مدينة سبتة والقضاء على عثمان بن العلاء المريني الذي نازعه في ملك المغرب ودعا لنفسه بالملك، وإنطلق من فاس بعد عيد الأضحى عام 707هـ، ولما علم عثمان بسير السّلطان المريني وتقدم جيشه نحوه فرّ من أمامه وتحصن بسبتة،وتابع السّلطان زحفه نحو طنجة وفتحها وبنى بها مدينة تطاوين، ولكن جهود بني مرين في استعادة سبتة وفشلت مرة أخرى كون الموت عاجله عام 708هـ،تولى بعده عمّه الرّبيع بن أبي يعقوب يوسف الذي استطاع أن يرجع سبتة إلى ملك بني مرين عام 709هـ.

غير أن كبار الدّولة كانوا يرون أنّ السّلطان محمد الثّالث سلطان غرناطة لم يعد يصلح لإدارة شؤون الدّولة ومجابهة التّحديات المحدقة بالبلاد بسبب مرضه من عينه وشدّة طباعه، وقرّروا خلعه ونقلوه إلى مدينة المنكب حيث أصيب بسكتة كانت كفيلة بأن تنهي مسيرته عام (708هـ/1309م) وقيل أنّ موته كانت غدرا و أنه تم إغراقه في بركة القصر. لتنتهي بذلك رحلة الثّمان سنين قضاها في تدبير أمور المملكة[2].

4- نصر أبو الجيوش(708هـ-713هـ):

ولد عام 686هـ-ت:722هـ) بعد أن خلع أهل غرناطة سلطانهم محمد الثّالث ولي العهد بعده أخاه أبا الجيوش نصر بن محمد الفقيه،وكانت إذ ذاك حوادث سبتة تلقي بظلالها على العلاقات المرينية الأندلسية،ومع استرجاع سبتة إلى حوزة المرينيين ازدادت العلاقات توترا وزادت هواجس

---

[1]- الصدفي: تاريخ دول الاسلام ،ج3،ص6-ابن خلدون:المصدر السابق،ج7،ص302، 303،304-الناصري:الاستقصا ،ج3،ص85.شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر،ص31- توفيق محاسنة:المرجع السابق،ص120-عبد الله عنان:نهاية الأندلس، ص113.

[2]- رزق الله الصدفي :تاريخ دول الإسلام،ص07- ابن الخطيب:أعمال الأعلام، ص293- عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر ، ج7، ص313، 314.-النّاصري السّلاوي: الاستقصا ،ص96، 97- لسان الدّين بن الخطيب: اللمحة البدرية ، ص52 – عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص114 – شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص31.

السّلطان أبا الجيوش من بطش بني مرين به والثأر من غرناطة وسلطانها وأخذ التّالي بما فعل الأول [1]، وككل مرة لم يفوت النّصارى فترة الخلافات و التّوتر بين العدوتين ساءت العلاقات بين بني الأحمر وقشتالة وبدأ غزو أراضي المسلمين أوائل عام 709هـ، ولكن هذه المرة ليست كسابقتها من المرات فعلى الصّعيد السّياسي لأول مرة يعقد حلف بين قشتالة وأرغون بمنطقة المرية[2].

نازل ملك قشتالة الجزيرة وشدّد عليها الخناق حتى استسلم أهلها وسقط الثّغر المنيع في آواخر سنة709هـ/1310م،ونازل بعدها جبل الفتح. وفي الجهة الأخرى نازل صاحب برشلونة(أرغون) المرية ولكن صمود جند غرناطة واستبسالهم في الدّفاع عنها حال دون دخولها بعد محاولات يائسة[3].

توالت الأحداث والنّكبات على السّلطان أبو الجيوش في عام حكمه الأول فلم يجد بديلا عن الجنوح إلى السّلم والرضوخ ومحاولة إرجاع المياه إلى مجاريها مع الضفة الأخرى، فأوفد رسله على السّلطان أبي الربيع راغبين في المهادنة ولم الشمل متنازلين له عن الجزيرة ورندة وحصونها ترغيباً له في الجهاد، وكعادة بني مرين في قبول دعوات الصّلح تمّ العقد بأن تصاهرا وتم تزويج أخت السّلطان أبو الجيوش بسلطان المغرب وبعث أبو الرّبيع إليه بالمدد للجهاد أموالا وخيولا وعادت علائق التّفاهم والتّحالف بين غرناطة وفاس[4].

لم تكتمل فرحة أهل الأندلس بعد أن كانوا على وشك أن يقطفوا ثمار المودة مع بني مرين حتى ظهر أبا الجيوش يحالف القشتاليين مما أثار عليه جموع أهل الأندلس"...واستهدف إلى رعيتها بإيثار النصارى والصاغية إلى العدو..."،حيث أعلن أبو سعيد فرج بن اسماعيل النّصري صاحب مالقة وابن عم أبي السّلطان الخروج والعصيان، ورشح الخوارج أبا الوليد اسماعيل وهو حفيد اسماعيل أخ محمد بن الأحمر رأس الأسرة النّصرية. واستطاعوا التغلب على المرية وبلش وغيرها من القواعد

---

[1] – لسان الدّين بن الخطيب:الإحاطة،ج3، ص334–الصّدفي:المصدر السابق–ج3،ص07– لسان الدّين بن الخطيب: اللمحة البدرية، ص52–شكري فرحات : المرجع السابق ص32 .

[2] – لسان الدين بن الخطيب :رقم الحلل، ص117 – عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، ص115.

[3] – لسان الدين بن الخطيب:الاحاطة،ج3،ص 339– لسان الدين بن الخطيب:اللمحة البدرية، ص62– عبد الله عنان: المرجع السابق، ص116– ابن خلدون: ديوان العبر ج7، ص317– النّاصري السّلاوي :الاستقصا،ج3، ص101.

[4] – النّاصري السّلاوي:الإستقصا ،ج3، ص101– رزق الله الصّدفي: تاريخ دول الإسلام، المصدر السابق، ج3،ص 07 –عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص116.

الجنوبية.عام 712هـ/1313م. وسار أبو السّعيد إلى غرناطة واستطاع أن يخضعها وتنازل أبا الجيوش عن الملك وسار بأهله إلى وادي آش[1].

5- أبو الوليد إسماعيل بن ابي سعيد الرئيس(إسماعيل الأول)(713هـ/725هـ)[2]

هو أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمدبن أحمد بن محمد، تولى أمر مدينة مالقة بعد وفاة أبيه أبي سعيد الرئيس،ثم داخله عثمان بن أبي العلاء المريني في الثّورة على السّلطان أبي الجيوش نصر ابن عمه[3]، تميز عصره بتوطد الملك واستقرار الأمور وإحياء عهد الجهاد، وفي أوائل عهده غزا القشتاليون بسائط غرناطة واستولوا على عدّة قواعد وحصون وهزموا المسلمين في معركة وادي فرتونة(716هـ) ،وازداد طمعهم بعد هذه المعركة منازلة الجزيرة الخضراء والاستيلاء عليها ليحولوا دون وصول المدد من المغرب، ولما رأى أهل الأندلس صعوبة الأمر بعثوا بصريخهم إلى السّلطان أبي سعيد عثمان المريني صاحب المغرب ليمدهم بجيوشه ويقطع طريق الجزيرة على قشتالة ، فشرط السّلطان أبي سعيد تمكينه من شيخ الغزاة في الأندلس عثمان بن أبي العلاء الذي كان ثائرا وخارجا عليهم، ليتأتي له العبور إلى الأندلس فاستصعب أهل الأندلس هذا الشّرط فأخفق سعيهم ورجعوا خائبين،وعلى إثر هذا الخلاف زحف القشتاليون على غرناطة بجيش ضخم يقوده"بيدرو

---

[1] - لسان الدين بن الخطيب: اللمحة البدرية، ص62 –شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص32 – عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، ص116.

[2] –قال عنه ابن الخطيب"كان رحمه الله حسن الخلق جميل الرواء ،رجل جدّ سليم الصّدر كثير الحياء ،صحيح العقل ثبتا في المواقف عفيف الإزار ناشئا في حجر الطهارة ، بعيدا عن الصبوة بريا من المعاقرة.....منقطعا إلى الصّيد معروف اللّذة في استجادة سلاحه.. بذل العدل في رعيته واقتصد في جبايته واجتهد في مدافعة العدو وسد ثلم ثغوره..." وله القول المعروف" أصول الدين عندي" قل هو الله أحد وكان مشيرا إلى سيفه" أنظر: لسان الدين بن الخطيب:الإحاطة،ج1، ص377، 378– لسان الدين بن الخطيب: اللمحة البدرية، ص66.

ازدهرت في عصره القوة الحربية لغرناطة خاصة منها صناعة الأسلحة حيث تمّ صنع مدفع البارود الذي سماه ابن الخطيب" الآلة العظمى المتخذة من النّفط" والتي جربها لأول مرة في حصاره لنصارى حصن أشكر بالقرب من مدينة بسطة. فكانت القذيفة التي يطلقها ترمي الشّرر الكثير ثم تسقط وسط المحاصرين محدثة من عظم التّخريب.أنظر: عواجي عبد القهار:المرجع السابق، ص38– لسان الدين بن الخطيب: الاحاطة ،ج1، ص390– لسان الدين بن الخطيب :اللمحة البدرية، ص6.

[3] - لسان الدين بن الخطيب:الاحاطة في أخبار غرناطة،ج1، ص377–رزق الله الصّدفي :تاريخ دول الاسلام، ص08 - لسان الدين بن الخطيب :اللّمحة البدرية، ص65– لسان الدين بن الخطيب :اعمال الأعلام ، ص294.

"و"الدّون خوان" الوصيان على ألفونسو الحادي عشر ملك قشتالة القاصر في تسيير الأمور، ودارت معركة بين الطرفين في وادي آش لم تسفر عن خسائر كبيرة للطرفين، ثم عاود القشتاليون الكرّة في اتجاه غرناطة وتمكنوا من احتلال بعض الحصون ووصل إلى مرج غرناطة و دارت معركة إستعمل فيها جند غرناطة عنصر المفاجئة وتمّ ردّ الوصيان الدّون بطرة والدّون خوان بفضل حنكة شيخ الغزاة[1] أبو العلاء[2]

لم يهضم النّصارى الهزيمة الأخيرة حيث أعدّوا ترتيب الجيوش وحشدوا المدد من كل الممالك النّصرانية على غرناطة، وجاءها الملك دون بطرة في جيش كبير برفقة ملوك النّصارى، واستنجد السّلطان أبو الوليد إسماعيل بملك المغرب ولكنه اعتذر، وهُزِمَ النّصارى في الموقعة وهلك ابن بطرة عام 725هـ[3].

عَظُمَ أمر أبو الوليد وبلغت دولته من المهابة شأن كبير، تمكن خلاها من بسط السّيطرة على كل الأصعدة إلى أن طعنه ابن عمه صاحب الجزيرة غدرا لنزاع بينهما وقيل أن سببه جارية حسناء عام 725هـ[4].

6- محمد أبي الوليد: محمد الرابع (725هـ-733هـ/1225-1330م):

تولى الحكم بعد وفاة السّلطان أبو الوليد اسماعيل ابنه محمد[1] ووهو لا يزال صغيرا في التّاسعة من عمره، وبويع بمباركة الفقهاء والعلماء والصّلحاء والفضلاء، وهي سابقة في البيت النّصري، أخذ

---

[1] – **خطة مشيخة الغزاة:** عبارة عن قوة عسكرية صغيرة مستقرة في الأندلس تخضع للسلطة المرينية تعتمد في عناصرها على الجند المغربي تولى قيادتها فرسان شجعان، عرفت بالقوة والشّجاعة والبسالة في الميادين نتيجة استخدامها أسلحة خاصة وخطط متنوعة في القتال ، ، وكان لوقوعها بين قوتين (المرينية والغرناطية) أثر في توتر العلاقات في الكثير من الأحيان، ساهمت في إنقاذ الأندلس من السقوط.أنظر:فؤاد هلال:خطة مشيخة الغزاة الغزاة وأثرها على العلاقات بين بني الأحمر وبني مرين (670-783هـ/1271-1381م)ماجستير تاريخ وسيط جامعة منتوري قسنطينة، 2008/2009 ، ص142.

[2]–عبد الرحمن خلدون: ديوان العبر، ج7، ص330، 33–لسان الدين بن الخطيب:الاحاطة،ج1،ص389– النّاصري:الاستقصا ،ج3، ص109– المقري التّلمساني :نفح الطيب، ج1، ص449 –عبد الله عنان :نهاية الأندلس، ص118 –شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص33، 34.

[3] – لسان الدين بن الخطيب:اللّمحة البدرية، ص69– شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص34.

[4] – لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة :ج1، ص392، 3930 – لسان الدّين بن الخطيب:اللمحة البدرية ، ص74، 75.

له البيعة وزير أبيه أبي الحسن بن مسعود وقام بكفالته بضعة أشهر حتى توفي وخلفه في الوزارة وكيل أبيه محمد بن أحمد بن المحروق الذي انفرد بالأمر، وأدى ذلك إلى تدهور الأوضاع في المملكة ،وهي أن شيخ الغزاة أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء غضب من ابن المحروق وتسلطه، فخرج إلى سواحل المرية واجتمع حوله الأنصار ومنهم عمّ السّلطان الذي كان لاجئا بالمغرب[2]،ويعد هذا الأمر أول خلاف في عصر محمد الرّابع ونشبت بينهما عدّة مواقع كان النّصر فيها سجالاً[3]، وفي هذا الجو من الفوضى السّياسية اغتنم النّصارى الوضع وهجموا على أراضي المسلمين، واستولوا على عدد من الحصون المجاورة منها ثغر بيرة vira[4] ، وتمكن ألفونسو الحادي عشر خلال حملته أيضا من الإستيلاء على ألبيرة، أما من ناحية البحر تمكن أسطول قشتالي آخر بقيادة "ألفونسو خوفريه" أن يحقق النّصر على الأسطول الغرناطي في مياه المرية ومالقة[5].

لم يجد سلطان غرناطة غير العمل على لم الشّمل والدّعوة إلى الصّلح بينه وبين الخارجين قال ابن الخطيب"وترددت الرّسائل بين السّلطان وبين شيخ الغزاة فأجلت الحال عن مهادنة ومعاودة للطاعة فصرف أميرهم أدراجه إلى العدوة وانتقلوا إلى سكنى وادي آش على رسم الخدمة والحماية على شروط مقررة..."[6]. وكان هذا في رمضان 730هـ/1330م) وصرف عم السّلطان الذي تمت له

---

[1]–" كان معدودا في نبلاء الملوك صيانة وعزا وشهامة وجمالا وخصلا عذب الشمائل حلوا لبقا، لوذعيا. هشا سخيا.المثل المضروب به في الشجاعة المقتحمة حدّ التهور مغرما بالصيد وركوب الخيل..." رهبت سطوته وبرز لمباشرة الميادين وارتياد المطارد..." أنظر:" لسان الدين بن الخطيب: الاحاطة ،ج1، ص532 – لسان الدين بن الخطيب: اللمحة البدرية، ص78.

[2]– لسان الدين بن الخطيب:أعمال الأعلام، ص297، 298– الطوخي:مظاهر الحضارة، ص73، 41- شكري فرحات :المرجع السابق، ص34– لسان الدّين بن الخطيب:الإحاطة،ج1، ص09– عبد الله عنان :نهاية الأندلس، ص121- السيد عبد العزيز سالم :في تاريخ وحضارة الاسلام في الأندلس ،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ،مصر 1985، ص25.

[3] –عبد الله عنان :نهاية الأندلس، ص121.

[4] –بيرة :vira:تقع شمال شرق مدينة المرية على مقربة من البحر الأبيض المتوسط وكان يومئذ من أقصى ثغور الأندلس الشرقية.أنظر: لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة ،ج1، ص109، 536.

[5] – لسان الدين بن الخطيب: المصدر نفسه، ج1، ص536– لسان الدين بن الخطيب:أعمال الأعلام، ص297 –رزق الله الصّدفي :تاريخ دول الإسلام، ص09- عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص122- الطوخي:مظاهر الحضارة ، ص37.

[6] – لسان الدين بن الخطيب:أعمال الأعلام، ص297.

البيعة إلى تلمسان. وكان قبل هذا أجهز على الوزير ابن المحروق عام 729هـ/1329م مع بعض مماليكه وطعنوه حتى مات وبالتالي خلا الجو للسلطان وقام بأعباء ملكه[1].

وبعد أن استتب له الأمر و وأد نار الفتنة الدّاخلية ازدادت تحرشات النّصارى ومضايقتهم له من كل جانب، فجاز إلى المغرب يطلب العون من السّلطان أبي الحسن علي المريني فَقَدِمَ عليه بفاس عام 732هـ. فاستجاب له رغم ما كان بين غرناطة والمغرب من فتور في العلاقات منذ عهد أبي الوليد إسماعيل، ضف إلى ذلك صعوبة مهمة الجيوش المرينية في عبورها إلى الاندلس، وكون النّصارى أتوا على أجزاء كبيرة من حصون مملكة غرناطة في غياب الحاميات المغربية التي تركت إمارة الثّغور لبني الأحمر، وكذا واستيلائهم على جبل طارق منذ 709هـ/1310م[2].

أكرم السّلطان أبو الحسن المريني وفادة محمد الرّابع وبعث معه ابنه أبا مالك إلى الأندلس ."..وحباه بما لم يحب به ملك تقدمه من مغربيات الخيل وخطير الذّخيرة ومستجاد العدّة ونزل الجيش على اثره جبل الفتح..."بعد التّحالف حشد ابن الأحمر قوات الأندلس وبعد اتحاد القوتين طوّقوا جبل طارق وقطعوا منافذ المدّد النّصراني ثم تمكنوا من اقتحامه عام 733هـ/1333م وأعادوا تحصينه خوفا من غدر العدو.

لم يهدأ للنّصارى بال إذ حاول ملك قشتالة الفونسوXI استعادة جبل طارق مرة أخرى، لكن صمود جنود الأندلس وبني مرين لم يمكنوه منه،وأبدى محمد الرّابع سطان غرناطة في هذا موقفا متهورا إذ همّ بلقاء ألفونسوXI شخصيا في عدد قليل من الجند وكاد يهلك على يد الجند النّصارى[3]، واستعاد بذلك المسلمون الثّغر الحصين الذي سيطر عليه النّصارى قرابة أربعة و عشرين عاما. وكان

---

[1]-رزق الله الصّدفي: المصدر السابق، ص09 – لسان الدين بن الخطيب:اللّمحة البدرية، ص78- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة ج1، ص536.

[2]- لسان الدين بن الخطيب:الإحاطة،ج1، ص536-الصدفي: المصدر السّابق، ص09- لسان الدين بن الخطيب:اللّمحة البدرية، ص80 – توفيق محاسنة:الحياة السّياسية في دولة بني الأحمر، ص131.

[3]-لسان الدين بن الخطيب:اللمحة البدرية- لسان الدين بن الخطيب:الاحاطة،ج1، ص536، 537،ص81 –رزق الله الصّدفي:تاريخ دول الإسلام، ص09 –محمد الطوخي:مظاهر الحضارة، ص39– توفيق محاسنة: الحياة السّياسية في دولة بني الأحمر، ص132.

الفضل في ذلك عون السّلطان المريني براً وبحراً. وأرغم الفونسو القشتالي على توقيع هدنة مع محمد الرابع[1].

لم يعجب الاتفاق الذي عُقِدَ بين السّلطان محمد بن الأحمر وبين السّلطان أبي الحسن المريني بني عثمان بن أبي العلاء لأنهم خافوا أن يعود هذا الاتفاق عليهم بالضرر حتى اغتاله طعنا بالرماح في الطريق جماعة من المتآمرين من أتباع أبي العلاء[2].

لعل الأمر الذي دفع بهم إلى اغتياله هو استفحال أمرهم بالأندلس وتدخلهم في شؤون الحكم ونقمة ابي الحسن المريني على آل عثمان بن أبي العلاء منافسوه على ملك المغرب، وبالتالي أيقنوا أن ابن الأحمر سيفتك بهم لا محالة فعاجلوه حتفه[3]ورثاه ابن شبرين بقصيدة[4].

قال فيها:

عين بكك لميت غادروه * في ثراه ملقى وقــد غدروه

دفـــــنوه ولم يصل عليه * أحد منهم ولا غســـلوه

إنما مات يوم مات شهيدا * فأقاموا رسما ولم يقصدوه [5]

وقال أيضا:

وشباب عاجلوه بالردى في العنفوان * لم يجاوز من سنيه العشر إلاّ بثمان[6].

---

[1] – عبد الله عنان :نهاية الأندلس، ص125.

[2] –المرجع نفسه ص125.

[3] –النّاصري:الاستقصا، ج3، ص123– لسان الدين بن الخطيب: اللّمحة البدرية، ص83–شكري فرحات:غرناطة في ظل بني الأحمر، ص35.

[4] –**ابن شبرين**:محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الجذامي،يكنى أبو بكر ويعرف بابن شرين، نزيل غرناطة وأصله من اشبيلية من حصن شلب من كورة باجة غربي صقعها، رحل أبوه من اشبيلية يوم تغلب عليها النصارى عام 646هـ وسكن رندة ثم غرناطة ثم انتقل إلى سبتة مسقط رأس ابن شرين الذي عاد إلى غرناطة عام 705هـ.واشتغل بها في الكتابة السّلطانية ثم تولى القضاء بكثير من الجهات. كان من أهل العلم والفضل والعدالة مع اقتدار على الشّعر والكتابة، توفي عام 747هـ دون أن يخلف أبناءا ذكورا. أنظر: النّباهي المالقي:المرقبة العليا، ص153).

[5] – لسان الدين بن الخطيب :اعمال الاعلام، ص198.

[6] – سعد هاشم الطائية:شعر ابن شيرين الجذامي الأندلسي جمع ودراسة وتحقيق ، مجلة كلية التربية ،واسط ،العدد13، ص110.

7- أبو الحجاج يوسف بن أبي الوليد اسماعيل[1] (733هـ-755هـ/4333م-1354م):

تولى العرش بعد أخيه وهو لا يزال صغيرا في السادسة عشر من العمر غير قادر على تدبير أمور الدّولة .حيث استأثر بالأمر والحكم وزيره أبو إسحاق ابراهيم بن عبد البر، ولكن عندما نبهه خاصته عدل عنه وعيّن الحاجب أبي النعيم رضوان خليفة له في تسيير أموره ، غير أن هذا الأخير حذا حذو سابقه فاستبد عليه أيضا في تنفيذ الأمور وتقديم الولاة وتدبير الرّعايا وقيادة الجيش. فكان أن عزله وولى مكانه ابن عمة أبيه السّلطان لأبي الوليد القائد أبو الحسن علي بن مول بن يحي بن مول الأمي وتولى في عهده لسان الدّين بن الخطيب كتابة سره[2].

بعد أن اشتدّ عود السّلطان أبو الحجاج وقويت شوكته شمّر ساعد الجدّ للأخذ بثأر أخيه، وعمل على ملاحقة بني أبي العلاء وتجريدهم من المناصب الحساسة في الدّولة مستعملا الحيل في صنيعه حتى فتّ هذا في عضدهم وتمزقت عصبيتهم، ووبعد أن تمكّن منهم غيّبهم في السّجون ثم غربهم إلى تونس تاركين امارة الخطة ليحي بن عمر بن رحو الذي قام بالوظيفة على أكمل وجه وحسنت سيرته وطالت رئاسته[3].

إنّ الأهمية التي تمثلها الحصون في حماية المدن والدّولة الإسلامية جعلت السّلطان أبو الحجاج يعمل على ترميمها وتصليح ماتهدم مثل حصن جبل فارة بمالقة، وأقام حصونا كثيرة نذكر منها حصن

---

[1] - تولي العهد يوم مقتل أخيه بوادي السّقائين من ظاهر الجزيرة الخضراء عقب إقلاع ملك قشتالة عن جبل طارق واتفق الناس على بيعته، كان صغيرا في سن المراهقة إلى أن الحياء الذي ميزه ابقاه في زمرة القاصرين كونه لم يكن يهتم لأمور الملك بتاتا إلّا ما كان يقدم به من الطعام فقط. فقد كان ملازما للصبية إلى أن بلغ مرحلة الجد وعظمت حنكته فانبرى لتوطيد أسس الدّولة. لسان الدين بن الخطيب :أعمال الأعلام، ص304، 305 -يقول فيه ابن الخطيب:" هو بدر الملوك وزين الأمراء-كان لبض البشرة مليح القد كث اللحية ، عذب الكلام، وافر العقل، كثير الهيبة...مستميلا لمعاصريه من الملوك: لسان الدين بن الخطيب : اللّمحة البدرية، ص102 .

[2] - لسان الدّين بن الخطيب: أعمال الأعلام، ص304، 305- لسان الدّين بن الخطيب:اللّمحة البدرية، ص91- رزق الله الصدفي:تاريخ دول الإسلام، ص10- الطوخي: مظاهر الحضارة، ص38. شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص35 -عبد الله عنان :نهاية الأندلس، ص125:القلقشندي :صبح الأعشى،ج5، ص262 -شكيب أرسلان: الحلل السّندسية، ص126.

[3] -النّاصري:الإستقصا، ج3، ص123- لسان الدين بن الخطيب:اللّمحة البدرية، ص92- لسان الدين بن الخطيب :أعمال الأعلام ، ص304 - رزق الله الصدفي: تاريخ دول الإسلام ، 10.

البيول، وتمّ إدارة السّور العظيم حول ربض البيازين، كما زاد كثيرا من الأشياء في قصر الحمراء منها باب الشّريعة، وبرج قمارش، والحمامات، وقصر متشوكة، وبرج الشّريعة، ومصلى البرطل[1].

أنشأ مدرسة(جامعة) غرناطة [2]الشّهيرة ووقف عليها أوقافا كثيرة حتى أصبحت مضرب المثل في الأقطار ومنهلا ينهل منه العلم في المغرب والأندلس تسامع به الناس من كل مكان [3].

عادت التحرشات النّصرانية ومضايقة المسلمين في بلادهم بتكرار الهجوم المرفوق بالقتل والسّلب والنّهب حتى بلغ خوف المسلمين منهم مبلغا عظيما. فلم يقدر السّلطان أبا الحجاج ردّ ومنع النّصارى بقيادة ألفونسو XI الذي كانت تحذوه تجاه المملكة الغرناطية أطماع توسعية عظيمة تمليها عليه أحقاد صليبية، فأرسل يستنجد بالسّلطان المريني أبي الحسن علي بن عثمان، الذي كان منهمكا في قتال بني زيان ملوك تلمسان ، فلما انتصر عليهم واستولى على تلمسان عزم على الجواز إلى الأندلس برسم الجهاد، وقدّم ابنه أبا مالك قائدا على عساكر بني مرين وأجازهم إلى الأندلس سنة 740هـ. باشر الهجوم على الجزيرة الخضراء معلنا الجهاد وتوغل في أراضي النّصارى وعاد منها بأحمال من الغنائم وسبي كثير. ولكن بعض القادة المتمرسين أشاروا على أبا مالك بعدم مهاجمة العدو

---

[1] -الطوخي: مظاهر الحضارة، ص38، 39.

[2] – **جامعة غرناطة** : وهي من أشهر المراكز التعليمية في الأندلس بعد مسجد قرطبة ،بنيت في عهد السّلطان أبو الحجاج يوسف الأول عام(750هـ–1349م) على يد حاجبه رضوان النّصري، عُرفت المدرسة النّصرية بالمدرسة اليوسفية نسبة إلى مؤسسها يوسف الأول ، حازت المدرسة شهرة واسعة حتى أجمع كافة المؤرخين تقريبا على اعتبارها أولى المدارس في الأندلس كما أنها هي المدرسة الوحيدة التي وصلت بعض أجزائها إلى أيامنا هذه:أحلام حسن مصطفى النقيب ،برزان ميسر حامد أحمد :دور المدرسة اليوسفية في انتشار العلوم والمعارف في مملكة غرناطة ،مجلة آداب الرافدين،العدد(61) 1433هـ/(2012م)، ص221.اهتمت بتدريس العديد من العلوم بعد أن كانت مختصرة بالجانب الديني فقط.

كتب أبو الحسن بن الجياب على باب المدرسة هذه الأبيات:

يا طالب العلم هذا بابه فُتحا *** فادخل تشاهد سناه لاح شمس الضحى

واشكر مجيرك من حل ومرتحل *** اذ قرب الله من مـــــــــرماك ما نزحا

وشرفت حضرة الإسلام مدرسة *** بها سبيل الهدى والعلم قد وضـــــحا

انظر: لسان الدّين بن الخطيب:الإحاطة،ج1، ص509، محمد عبد الحميد عيسى :تاريخ التعليم في الأندلس، ط1 ،دار الفكر العربي ،مصر، ،2016، ص84، 85. لبثت المدرسة قائمة حتى القرن الثامن عشر ثم هدمت وأقيم مكانها بناء آخر ولم يبق منها إلا بعض أبهائها القديمة ونقلت معظم زخارفها ونقوشها إلى متحف غرناطة.: عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص126

[3] –عبد الله عنان: نهاية الأندلس ، ص126.

في أراضيهم والتّحصين دائما بحصون المسلمين لقلة خبرته العسكرية التي جنى بها على نفسه في هجوم على معسكر جنده من قبل النّصارى أودى بحياته واستولوا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين ورجعوا على أعقابهم[1].

وصل خبر مقتل ولده أبي مالك إلى السّلطان أبو الحسن فحزن له. وكردّ فعل على هذا عزم على الجواز بنفسه واستنفر أهل المغرب كافة، وبلغ أسطول المغرب يومئذ مائة وأربعين سفينة. وفي تحركهم عرقلت وأعاقت حركة أساطيل الإسبان سير سفن المسلمين بإتجاه الأندلس، فأصبح الإشتباك مع أساطيل النّصارى ضرورة لهذا أمر به السّلطان أبو الحسن كحل وحيد، نشبت خلالها موقعة بحرية هائلة انتصر فيها المسلمون انتصارا كبيرا مكنت الجيوش الإسلامية من العبور إلى الضّفّة الأخرى بعسكره البالغ حوالي 60 ألف ونزلوا بطريف، اين كان في إنتظاره سلطان الأندلس أبو الحجاج يوسف وشرعوا في منازلة طريف وأنزلوا بها، في المقابل جهّز النّصارى أسطولا عمدوا به إلى قطع العدّة في بحر الزّقاق ومنعوا وصول الإمدادات من الأندلس. وأصبح المسلمون بين قوتين بحرية وبرية لمدة طويلة فنيت خلالها الأقوات والأعلاف ودام الحصار 6 أشهر. وتمكنت خلالها فرقة من جند النّصارى من التّسلل ليلا إلى طريف دون أن يعلم بها جند المسلمين فقد أحسوا بمؤخرة الفرقة فقط ظنّاً منهم أنها كل الفرقة. وزحف الطاغية من الغد في جموعه إلى المسلمين. وعبأ السّلطان مواكبه صفوفا وزحفوا ، ولما وقع الصّدام والمواجهة الكبرى هاجمت الحامية المتخفية مؤخرة الجيش الإسلامي فدبّ الخلل في صفوفه ونشبت بين الفريقين معركة هائلة وسالت فيها الدّماء الكثيرة وقتل فيها من المسلمين أعدادا كبيرة وفُقد من العلماء جمع غفير .ووصل عسكر الفرنج إلى خيمة السّلطان أبي الحسن وسَبَوْا حرمه وغنموا أمواله وكان ذلك يوم الإثنين السابع من جمادى الآخرة سنة 741هـ.

ورجع السّلطان أبو الحسن مع من سلم من عسكره إلى المغرب وعاد ابن الأحمر إلى غرناطة. وطمع النّصارى في الإستيلاء على ما بقي بين أيديهم فهاجموا الجزيرة الخضراء واستولوا عليها عام

[1]- الناصري السّلاوي:الاستقصا، ج3،ص135– القلقشندي:صبح الأعشى، ج5، ص262–عبد الرحمن بن خلدون:العبر، ج7، ص345– رزق الله الصدفي:تاريخ دول الإسلام ،ص10- شكري فرحات: المرجع السابق، ص36 –عبد الله عنان :المرجع السابق، ص126، 127- الطوخي: مظاهر الحضارة ،ص29، 30.

743هـ. وكانت تلك الهزيمة محنة عظيمة لم يشهد المسلمون مثلها منذ موقعة العقاب وكان لها الأثر الكبير في المغرب والأندلس[1]، وبعد هذه المعركة انصرف السّلطان أبو الحجاج للاهتمام بشؤون الدّولة بعد أن وقَّع معاهدة هدنة مع النّصارى، ولم يزل في سلطانه إلى أن توفي سنة 755هـ.وقتل وقتل غيلة أثناء صلاته بالمسجد الأعظم في يوم عيد الفطر وقيل أن قاتله مخبول لم يفصح عن بواعثه وأغراضه فمزق وأحرق بالنار[2] .

8-الغني بالله محمد بن أبي الحجاج[3]755هـ-760هـ/1354م-1359م):

تولى بعد أبو الحجاج يوسف ابنه محمد وتَلَقَّبَ بالغني بالله عام 755هـ[4]، وقام بأمر دولته مولاه رضوان المشهور في قيادة الجيش فهو"القائد المتعمد بالتجلّة. المخصوص[5] بالفتح المحلّى من المزية مفزع الرأي وعقدة السّلطان وبقية رجال الكمال يقول ابن الخطيب" فحمد الكل وخلف السّلطان وأبقى الرّتب وحفظ الألقاب وبذل الإنصاف وواسع الكنف واستدعى النّصيحة ولم يأل جهدا في حسن السّيرة...وأفردني بالمزية وعاملني بما يرتد عنه جسر أطراف الموالاة ووفي لي الكيل الذي لا

---

[1] - لسان الدين بن الخطيب :اللمحة البدرية، ص96، 97 -الناصري: الإستقصا،ج3 ، ص135، 13- عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر، ج7،ص446- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام، ص305-رزق الله الصدفي :تاريخ دول الإسلام ، ص11- توفيق محاسنة:الحياة السّياسية، ص137- شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص36 -عواجي عبد القهار: علاقات مملكة غرناطة ، ص76- عبد الله عنان،نهاية الاندلس، ص128- الطوخي: مظاهر الحضارة ، ص30.

[2] - ابن خلدون، ديوان العبر ،ج7، ص405 - عبد الله عنان :نهاية الأندلس، ص134- القلقشندي : صبح الأعشى، ج5، ص262 - لسان الدين بن الخطيب:رقم لحلل في نظم الدّول، ص118- عبد القادر بوحسون: المرجع السّابق، ص36، 37- لسان الدين بن الخطيب :الإحاطة،ج4، ص333 - الناصري: الاستقصا ج3، ص191- لسان الدين بن الخطيب :أعمال الأعلام، ص306- لسان الدين بن الخطيب :أعمال الأعلام، ص97 -الطوخي،مظاهر الحضارة ص30 - شكري فرحات، المرجع السابق، ص36 -رزق الله الصدفي،المصدر السّابق ص11.القلقشندي: صبح الاعشى، ص262.

[3] -قال ابن الخطيب"هذا السّلطان أيمن أهل بيته نقيبة وأسعرهم ميلادا وولاية قد جمع الله بين حسن الصورة واستقامة البنية واعتدال الخلق وصحة الفكر وثقوب الذهن ونفوذ الإدراك...وحسن التأني...وسلامة الصّدر التي هيمن علامات الإيمان ورقة الحاشية..واستجادة الآلات والكلف بالجهاد وثبات القدم وقوة الجأش..."انظر: لسان الدين بن الخطيب:رقم الحلل في نظم الدول ، ص119 لسان الدين بن الخطيب :الإحاطة،ج2، ص14.

[4] - الناصري،الإستقصا، ج3، ص 192- لسان الدّين بن الخطيب:اللّمحة البدرية، ص100- شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس، ص146.

[5] - لسان الدّين بن الخطيب :اللمحة البدرية، ص103.

يقتضيه السّن...".وجدّد الثقة في أبا زكريا يحي بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق شيخهم على عهد أبيه على خطة مشيخة الغزاة[1]واستكتب لسان الدّين بن الخطيب لسرّه "فقمت لأول الأمر بين يديه بالوظيفة التي أسندها إليا أبوه المولى المقدس...من الوقوف على رأسه والإمساك في التّهاني والمبايعة بيده والكتابة والإنشاء والعرض والجواب والخلعة والمجالسة جامعا بين خدمة القلم ولقب الوزارة..."[2].

وفي عهده توطدت العلاقات بين غرناطة وفاس مؤكدا بذلك لعرى الصّداقة في عصر أبيه[3]، تولى هذه السّفارة ابن الخطيب إلى فاس(755هـ/1354م)حيث استقبل بحفاوة[4].

أما في الجانب القشتالي فقد شهدت هذه الدّولة فوضى سياسية كبيرة أعقبت وفاة ملكها ألفونسو الحادي عشر وما تلاها من لا استقرار حتى استتبت الأمور لخليفته بيدرو الأول(القاسي) في هذه المرحلة بالذات شهدت مملكة غرناطة هدوءاً نسبياً مع بعض الحذر من عودة قشتالة إلى السّاحة بعد استتباب الأمور بها، رغم ما كان بينهما من عهود في عهد أبيه ألفونسو الحادي XI " وعقد معه سلم على بلاد المسلمين[5].

راودت سلطان المغرب أبا عنان أحلامه بغزو الأندلس حيث ما لبث أن استقر رأيه عليها خاصة بعد أن أحسّ بتنامي قوته خاصة بعد ضمّه المغرب الأوسط إلى ملكه ولكن رأى أن الحلم لن يصير حقيقة ما لم يتخلى سلطان غرناطة عن هذا الحلف، غير أن سلطان الأندلس كان دائما يجنح إلى مسالمة ومهادنة قشتالة والرّضا والقبول بدفع الجزية أو أنه بدوره كان يشكّ في نوايا سلطان

---

[1] – لسان الدّين بن الخطيب :الإحاطة، ج2، ص16.

[2] – المصدر نفسه، ص17.

[3] –الطوخي:مظاهر الحضارة،ص40–أحمد مختار العبادي:دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،مؤسسة شباب الجامعة :الاسكندرية، مصر ،د س، ص، ص423.

[4] – احمد مختار العبادي:نفس المرجع ، ص424 – شكري فرحات :غرناطة في ظل بني الاحمر، ص37.

[5] – لسان الدين بن الخطيب :الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج2، ص22، 23.

المغرب.الذي أقام علاقة صداقة مع ملك أرغون بغية الوصول إلى مشروعه في حكم الأندلس إذ أنّ وفاة السّلطان أبي عنان حال دون تحقيقه لحلمه عام (759هـ)[1] .

كان للسلطان الغني بالله أخ إسمه إسماعيل فجعله الغني بالله في بعض القصور من حمراء غرناطة لأن بعض النّاس كانوا قد رشحوه للإمارة فلما عدلوا عنه حجروا عليه[2] وفي رمضان عام 760هـ خرج الغني بالله إلى بعض منتزهاته خارج القصبة و في ليلة السّابع والعشرين من رمضان تسلّق جماعة من شيعة اسماعيل المحبوس القصبة وأخرجوه واعلنوا بدعوته ثم اقتحموا الدّار على حاجبه رضوان وقتلوه.وأعلنوا بالدّعوة ولما علم الغني بالله بالأمر ركب فرسه وتوجه إلى وادي آش واستولى عليها وبايعه أهلها على الموت، ثم عمد أصحاب إسماعيل إلى الوزير لسان الدّين الخطيب الذي حاول استمالة الملك الجديد فاستبقاه مدة ثم اعتقلوه وصادروا أمواله وأمر بعزل شيخ الغزاة يحي بن عمر بن رحو والقبض عليه وعين مكانه ادريس بن عثمان بن ابي العلاء[3].

خاطب السّلطان محمد الخامس المخلوع السّلطان أبا سالم ملك المغرب في شأن القدوم عليه فتلقاه بالقبول وبعث من يمهد الحديث في شأنه وأرسل سفيرا إلى غرناطة يسعى إلى إجازة السّلطان المخلوع ووزيره لسان الدّين بن الخطيب المعتقل إلى المغرب فنجح السّفير في مهمته وعاد إلى المغرب صحبتها إلى مدينة فاس حيث استقرا بها تحت كنف السّلطان أبي سالم ورعايته[4].

دأب ملك غرناطة قبل خلعه على دفع الجزية إلى حليفه ملك قشتالة، ولـمّـا تصيّر الأمر إلى اسماعيل قطعها، وحاول شقّ عصا طاعة الممالك الإسبانية بعقد تحالفه مع أرغون ضدّ قشتالة. ولكن

---

[1] –العبادي: دراسات ، ص424، 425.

[2] –الصدفي:تاريخ دول الإسلام،ص11– شكيب أرسلان :خلاصة تاريخ الأندلس، ص146– شكري فرحات،المرجع السابق،ص37، 38.

[3]–المقري التلمساني:نفح الطيبج5، ص84–لسان الدّين بن الخطيب:الإحاطة،ج2،ص27، 28–عبد الله عنان:نهاية الأندلس، ص140–شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الاحمر، ص38– شكيب أرسلان :خلاصة تاريخ الأندلس، ص140.

[4] –القلقشندي:صبح الأعشى،ج5، ص 263– لسان الدّين بن الخطيب:الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج2، ص27– لسان الدّين بن الخطيب:اللمحة البدرية، ص109–ابن الخطيب:رقم الحلل في نظم الدّول،ص120–عبد الرحمن بن خلدون :ديوان العبر،ج7، 406– العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص428– شكيب ارسلان :خلاصة تاريخ الأندلس،ص146 – عبد الله عنان :المرجع السابق، ص140

ملك قشتالة بيدرو IV استطاع التّحالف مع أرغون وطلب من سلطان المغرب السّماح لمحمد المخلوع بالعبور إلى بلاد الأندلس فامتنع لعهد قطعه للمخلوع[1]وبعد ضغط كبير من قشتالة سمح له بالعبور فكان له ذلك ونزل بمدينة رندة ثم احتل مالقة وكانت وجهته غرناطة وتوالت الحصون تتساقط الواحد تلوى الأخرى تحت قوة ضرباته الأمر الذي عجل بفرار محمد بن اسماعيل(البرميخو)[2] المتغلب على غرناطة ودخل السلطان مرة أخرى واستعاد ملكه[3] .

استتب الأمر للغني بالله(المخلوع) وثبّت قدمه بَعث إلى المغرب مستدعيا أهله وابن الخطيب معهم ولما قدموا عليه ردّ إلى ابن الخطيب منزلته وأوكل له تسيير المملكة [4] وقضى على منافسه الوحيد في السّلطة وهو شيخ الغزاة عثمان بن يحي[5]

عزم بعض الخوارج خلع السّلطان الغني بالله وإقامة بعض قرابته مكانه في آواخر عام 767هـ-1366م .فعمدوا إلى الهجوم على قلعة الحمراء ولكن يقضة جند القصر حالت دون بلوغ مسعاهم وخاب تدبيرهم وتمّ التّصدي لهم وقتلهم والقبض على المدبر وبالتالي أعطى درسا لمن سولت له نفسه العبث بالمملكة وزادت الواقعة من توطيد حكم السلطان[6] .

[1] - حاول السّلطان(إسماعيل الثاني: 760هـ-761هـ) "الغالب بالله" المتغلب على الأندلس مساومة سلطان المغرب وذلك بمنع السّلطان الغني بالله المخلوع من الجواز إلى الأندلس، على أن يقوم هو أيضا بمنع عناصر المعارضة المرينية والطامعين في السّلطة بحجزهم وعدم السّماح لهم بالجواز إلى المغرب أنظر: عبد حمزة محسن :اللّجوء السّياسي وتأثيره في العلاقات السّياسية بين مملكة غرناطة العربية الإسلامية ودول المغرب العربي في القرن الثامن هجري الرّابع عشر الميلادي ،مجلة أهل البيت عليهم السّلام، جامعة أهل البيت عليهم السلام،كربلاء ،العراق ،العدد08، ص383.

[2] -شاع في القرن الثّامن الهجري استهلاك الحشيش بين العامة والخاصة وحلّ محل الخمر ومجالس الطرب،شاعت الأقاويل أنّ السّلطان أبا سعيد البرميخو كان يتعاطي الحشيش ويعرف بمكان الحشاشين في غرناطة بحكم المصاحبة ، وأوشى بهم إلى صاحب شرطته،انظر:لسان الدّين بن الخطيب: نفاضة، تحقيق العبادي،ص183- السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس:دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997،ج2 ، ص 117 .

[3] -عبد الرّحمن بن خلدون: ديوان العبر،ج7، ص409 - المقري التّلمساني :أزهار الرّياض،ج1 ،ص201- لسان الدّين بن الخطيب :الإحاطة-ج2، ص30، لسان الدّين بن الخطيب:أعمال الأعلام، ص309- لسان الدّين بن الخطيب:اللّمحة البدرية، ص114- شكيب أرسلان :خلاصة تاريخ الأندلس، ص150-شكري فرحات :غرناطة في ظلّ بني الأحمر، ص39. عبده حمزة محسن :اللّجوء السّياسي وتأثيره في العلاقات السّياسية،ص385.

[4] -لسان الدّين بن الخطيب: نفاضة الجراب في علالة الإغتراب، تحقيق السّعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1989 ،ص145 ، 156

[5]- عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص145.

[6] - المرجع نفسه، ص147.

أما على مستوى العلاقات مع الممالك النّصرانية فشهد عصره كغيره من العصور مراحل شدّ وجذب ووفاق وفتور في العلاقات، كانت بدايتها استئناف الغني بالله الجهاد ضدّ النّصارى كون الممالك النّصرانية لا تفوت فرصة الإغارة على أراضي المسلمين كلما سنحت لها الفرصة، ردّ الغني بزحف جيوشه على أحواز رُنْدَة الشّرقية واستعادة حصنين هما بَرْغَة وجِيرَة[1]، من أراضي إشبيلية عام 768هـ/ 1367م وغزا مدينة أَطْرِيرَة[2]شرق اشبيلية وتمكن من فتح حصن آشِر[3]، وفي آواخر العام المذكور اقتحم مدينة جيان الحصينة جدا وغنم المسلمون كثيرا، لكن شساعة المناطق المفتوحة وشراسة وصعوبة المقاومة التي وجدوها حالت دون يتمكنوا من الاحتفاظ بها[4].

استمرت الهجمات على أراضي النّصارى ففي عام 769هـ/ 1368م شنّ الغني بالله حملة أخرى تمكن خلالها من فتح باغة قرب جيان ثم أُبدّة شمال شرقي جيان وفتحها عنوة[5]. ومن المعروف أيضا أن الجزيرة الخضراء حتى هذا الوقت لا تزال من أملاك النصارى بعد السّيطرة عليها عام 743هـ. أي بعد موقعة طريف وما تلاها من تراجع القوة الاسلامية وبعد نجاح غزواته في أراضي النّصارى مستغلا في ذلك اشتعال الحرب الأهلية في قشتالة استطاع بموجبه عقد هدنة مع أرغون وملكها فرناندو I .ثم أرسل عبد العزيز بن أبي الحسن المريني صاحب المغرب لمساعدته في فتحها يقول ابن خلدون:"فأجاب إلى ذلك وبعث إليه أحمال المال وأوعز إلى أساطيله بسبتة فعمرت وأقلعت من مرسى الجزيرة لحصارها وزحف ابن الأحمر بعساكر المسلمين على إثرها..." وكانت الخطة في هذه أن يقوم ملك المغرب بالهجوم على قشتالة من جهة غاليسيا شمالا.بينما يهاجم سلطان غرناطة مدينة الجزيرة الخضراء جنوبا بمعاونة أسطول المغرب. وكانت المعركة يوم الثالث والعشرين ذي الحجة عام 770هـ/1369م. وبعد حصار شديد على المدينة أرغم النّصارى انسحبوا بعد قتال شديد أيقنوا خلالها الهلاك وطلبوا الأمان

[1] – **برغة وجيرة:** هما حصنان يقعان بين رندة ومالقة وقد استولى عليهما المسلمون بقيادة الغني بالله في شعبان من سنة 767هـ : لسان الدّين بن الخطيب :الإحاطة،ج2، ص79.

[2] – **أطريرة:** مدينة صغيرة جنوب شرق إشبيلية وشرقي نهر الوادي الكبير. لسان الدّين بن الخطيب:الإحاطة ،ج2، ص82

[3] – **آشر**:يقع على مقربة من أطريرة شرقي إشبيلية وقد وقع غزو أطريرة عقب ذاك إستولى المسلمون على هذا الحصن بقيادة سلطان غرناطة الغني بالله في رمضان عام 767هـ وقاموا بتحصينه انظر: ابن الخطيب: المصدر نفسه ،ج2، ص82.

[4] – ابن الخطيب: المصدر نفسه ،ج2، ص82، 83– عنان :المرجع السابق، ص148.

[5] – لسان الدّين بن الخطيب:الإحاطة–ج2، ص84– عبد الله عنان :نهاية الأندلس، ص149.

لأنفسهم وانصرفوا عنها. ثم عمد المسلمون إلى هدم حصونها حتى لا تعود سليمة إلى أيدي النّصارى.فهدمت حتى غدت قاعا صفصفا كأن لم تغن بالأمس [1]

وفي ربيع الأول من عام 771هـ زحف نحو اشبيلية دار ملك النّصارى ونازل مدينة أشونة ودخلها عنوة ثم تقدم نحو مُرشانة وفتحها وقتل الكثير من جيشها وغنم الدّواب والآلات وغيرها[2] .

عُرف عهد الغني بالله بالعصر الذّهبي حيث ظهر فيه بمظهر القوة التي لم تعرفه الأندلس منذ مدة، حيث ميّزه أيضا رخاء العيش والدّعة، وبوفاته عام 793هـ دخلت غرناطة مرحلة من مراحل الإنحلال السّياسي الذي سمي بعصر الضّعف الذي ميزه تولى الحكم سلاطين ضعاف حاول بعضهم إعادة مجد المملكة ولكن دون جدوى[3] .

توفي الغني بالله محمد بن أبي الحجاج تولى وإبنه وبايعه النّاس، وقام بأمر دولته خالد مولى أبيه فاستبد بالأمر وقتل إخوة يوسف الثلاثة (سعد ومحمد ونصر) وبعد هذا الصّنيع سخط عليه أبو الحجاج يوسف عندما بلغه أن الوزير خالد يحاول قتله بالتفاهم مع يحي بن الصّائغ طبيب الدّار السّلطانية اليهودي الذي حاول سمّه ففتك بخالد الوزير وحبس الطبيب المذكور ثم قتل في محبسه .

خلا الجو ليوسف أبو الحجاج فبادر إلى رصّ صفوفه الدّاخلية وهذا لن يكون إلاّ إذا أَمِنَ مكر جيرانه من النّصارى، فبادر إلى طلب الهدنة مع ملك قشتالة (يوحنا I) وإحلال السّلام بينهما، إلّا أنّ ابنه الثّاني محمدا ثار عليه وحدثته نفسه بالإمارة وقضى وقتا في حرب ابنه[4].أغار خلالها على النّصارى في أحواز مرسية ولورقة ومن الجهة المقابلة عاث النّصارى في حصن غرناطة وردّ عليهم المسلمون فأوقعوا بهم هزيمة نكراء جعلت الفريقان يحتكمان إلى الهدنة.هذا وقيل أن أبا الحجاج مات مسموما797هـ[5] [6]

---

[1] – عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر: ج7، ص434 –لسان الدّين بن الخطيب :الاحاطة ،ج2، ص88– الناصري السلاوي : الاستقصا ،ج4، ص56– عبد الله عنان:المرجع السابق، ص149 – الطوخي: مظاهر الحضارة ، ص42

[2] – لسان الدّين بن الخطيب : الإحاطة،ج2، ص90، 91.

[3] – توفيق محاسنة: الحياة السياسية في دولة بني الأحمر، ص 154–عبد الله عنان: المرجع السابق، ص149– النّاصري ،المصدر السابق ،ج4، ص81– شكيب أرسلان :خلاصة تاريخ الأندلس، ص154.

[4] –النّاصري:الاستقصا،ج4، ص81 – شكري فرحات:غرناطة في ظل بني الأحمر،المرجع السابق،ص41 - عبد الله عنان :نهاية الأندلس، ص149– شكيب أرسلان:حلاصة تاريخ الأندلس، ص166.

[5] –الخبر عن تاريخ الوفاة فيه اضطراب فتارة القول بسنة (794هـ وهؤلاء يذهبون إلى أن مدة ملكه دامت سنتان فقط وتارة أخرى نجد 797–وأخرى799، والذي ذهب إليه أكثر المترجمون هو عام 794هـ)وقال بهذا ابن خلدون والمقري في ازهار الرياض

[6] – عبد الله عنان: المرجع السابق ، ص150– عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر،ج4، ص228.

وكانت التّقاليد في اختيار ملك غرناطة أن يخلفه ابنه البكر يوسف ولكن الأحداث التي سبقت وفاة أبو الحجاج وهي خروج ابنه محمدا عليه أكسبته إلتفاف النّاس من حوله وبعض رجال الدّولة السّاعين لإيصاله إلى الملك، وتمّ له ذلك وبايعوه ملكا للأندلس، وألقى القبض على أخيه وزجّ به في سجن شلوبانية وترك أمر دولته إلى قائد يدعى محمد الخصامي[1]، واستدعى أبا عبد الله بن زمرك لحجابته وكان قد خلف ابن الخطيب في وزارة الغني بالله أعواما طويلة، ولكنه هذه المرة أساء السّيرة وفي سنة 797هـ اغتالته جماعة من المتآمرين في بيته[2].

نهج الملك الجديد لغرناطة نهج سابقيه من الملوك في مهادنة النّصارى إلّا أنهم لم يلبثوا أن نكثوا عهودهم وزحفوا على سهول غرناطة الأمر الذي عجّل بردّ من السّلطان الغرناطي الذي أغار على أراضي النّصارى وبقيت الحال هكذا إلا أن أطماع النّصارى كانت إلتهام الأندلس وملك بني الأحمر فجهزت لهذا الغرض الأساطيل وجيشت الجيوش غير أنّه ردّ عليها ابن الأحمر بدعم من تلمسان وتونس بأسطول لم يصمد كثيرا أمام قوة قشتالة التي قضت على الأسطول عام 799هـ/1396م[3].

وكردّ فعل على الخسارة في المعركة البحرية هاجم محمد ين يوسف أراضي النّصارى وعاث فيها فسادا أرغمت هنري III ملك قشتالة على عقد الهدنة لإستشعاره صعوبة مهمة ردّ الهجوم، ولكن خليفته على عرش قشتالة نقض الهدنة وأعاد إشعال نار الحرب التي استمرت سجالا بين الطرفين حتى وفاة محمد بن يوسف سنة(811هـ/1408م)[4]

---

[1] – ابن خلدون: ديوان العبر، ج4، ص228– رزق الله الصدفي:تاريخ دول الإسلام ،ص17– شكري فرحات: المرجع السابق ،ص41– توفيق محاسنة: الحياة السياسية في دولة بني الأحمر ،ص154– شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس، ص166.

[2] – عبد الله عنان: المرجع السابق ، ص150.

[3] – توفيق محاسنة : الحياة السياسية في دولة بني الأحمر ، ص154.

[4] – المرجع نفسه ، ص155.

9- يوسف الثالث[1](811-820هـ/1409-1418م):

توفي محمد السّابع وتولى أخوه البكر يوسف الثّالث من بعد أن اطلق سراحه، وبويع له بالملك ودخل غرناطة في حفل فخم واستقبلته الحشود بحماسة لما عرفوا عنه من خصال حميدة جعلتهم يعقلون عليه أمالا كبيرة في إعادة إرساء دعائم الدّولة[2].

سعى في بداية حكمه إلى تجديد الهدنة مع قشتالة وتم ذلك بعقد إتفاق يدوم لعامين، وبعد انقضاء الهدنة سعى لتجديدها، غير أن الطرف الآخر رفض إلاّ بشروط منها قبول الخضوع لقشتالة أو إعلان الحرب على مملكة غرناطة، ولكنه رفض تهديد القشتاليين له وأخذ يعدّ العدّة للدفاع عن مملكته فيما زحف النّصارى على مدينة أنتقيرة شمالي غرب مالقة، وتدخل يوسف لإنجادها والتقى النّصارى في معركة انتهت بهزيمة المسلمين ودخول النّصارى إلى المدينة عام 815هـ، وعاثوا على أثرها في بلاد المسلمين. اضطر فيها يوسف الثّالث إلى عقد هدنة مقابل إطلاق مئات الأسرى دون فدية، وبذلك تمكن من حقن دماء المسلمين خلال فترة حكمه، واستمر الوضع على حاله إلى أن مات عام 820هـ/1417م. وفي عهده ساد الوئام بين المسلمين والممالك النّصرانية. حيث تمتع الأندلسيون خلالها بنعم الرّخاء والسّكينة والأمن. لكن غرناطة إذ ذاك كانت تنحدر إلى الضّعف والانحلال[3] .

10- محمد بن يوسف الثالث (الأيسر) 820-858هـ/1417-1454م:

خلفه على عرش غرناطة ابنه أبو عبد الله محمد الثّامن وكان أميرا شديداً صارماً سيء الأخلاق متعالياً على الرّعية، أوكل مهمة التّواصل معهم الى وزيره يوسف بن سراج، مما أحدث شرخاً واسعاً بينه وبين شعبه حيث، سادت مدة حكمه سلسلة من الإضطرابات والقلاقل أدت إلى خلعه

---

[1] – هو السّلطان أبو الحجاج يوسف الملقب بالناصر لدين الله بن السّلطان أبي الحجاج يوسف المستغني بالله ابن السّلطان محمد الخامس الملقب بالغني بالله، ولد في السّابع والعشرين من صفر عام 778هـ.أبعده أخوه إلى سجن شلوبانية ليستولي على عرش غرناطة بدلا منه وبقي في سجنه حتى عام 810هـ:انظر :خير الدين الزركلي: الأعلام،ط4،دار العلم للملايين ،بيروت،لبنان، 1999-ج5 ، ص

[2] – شكيب أرسلان :خلاصة تاريخ الأندلس ، ص166 – شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر،ص43.

[3]– عبد الله عنان :نهاية الأندلس،ص153، 154- توفيق محاسنة: الحياة السياسية في دولة بني الأحمر، ص156- شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر ، ص43.

سنة 822هـ/1419م من قبل أبو عبد الله محمد التّاسع الغالب بالله بن نصر، وكان عرش قشتالة يشجع هذه الانقلابات كلفته عرشه أكثر من مرة [1]، زحف خلالها النّصارى على أراضي المملكة وعاثوا فيها فسادا حتى وصلوا إلى وادي آش، مما أثار عليه سخط العامة الذين طالبوا بمبايعة محمد بن محمد بن يوسف الثالث(الزّغير) لتفلت الأمور من قبضته ويفر في اتجاه تونس طالبا الحماية من سلطانها أبي فارس عبد العزيز الحفصي[2].

تميزت هذه الفترة بكثرة الفتن الدّاخلية والحروب الخارجية وكذا المؤامرات والإغتيالات والخيانات.امتحن فيها المسلمون بأنواع المحن.وفي الوقت نفسه عرف أيضا أمثلة من الصّمود والتّحدي والبسالة في ردّ عدوان النّصارى الغاشم[3] .

تمكن السّلطان محمد الأيسر من استعادة ملكه معتمدا على دعم السّلطان الحفصي أبي فارس ويوحنا الثّاني ملك قشتالة، الذي اتصل بسلطان المغرب يطلب منه السّماح للسلطان الأيسر بالشّخوص إلى الأندلس ممنيا إياه باستعادة ملكه، واستطاع الأيسر بمساعدة الجيش الحفصي والقشتالي الوصول إلى غرناطة والقبض على الملك الصغير(الزغير) وإعدامه. ولما استقرت له الأمور طلب الهدنة من ملك قشتالة الذي قابله بالرفض واشترط عليه دفع نفقات بلاط قشتالة في سبيل استرجاع عرشه وجزية سنوية وخضوع وولاء للقشتاليين إطلاق سراح سائر الأسرى النّصارى الموجودين ببلاده[4].

غير أن شروط يوحنا القشتالي التّعجيزية قوبلت برفض السّلطان الأيسر ، مما جعله يزحف على أراضي المسلمين بعد أن راسل سلطاني فاس وتونس يطلب منهما عدم التّدخل في شؤون غرناطة، وتمكن النّصارى من الإستيلاء على حصن أريولة بعد معركة عنيفة وذلك في سنة

---

[1] – شمس الدّين محمد بن عبد الرحمن السّخاوي: الضوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع ،دار الجيل ،بيروت،1412هـ،1992م، ص68 – رفاه تقي الدين: غرناطة في عصر بني الأحمر،المرجع السابق، ص52– عبد الله عنان :نهاية الأندلس، ص154.

[2] –توفيق محاسنة محاسنة: المرجع السابق، ص157.

[3] – محمد بن شريفة البسطي آخر شعراء الأندلس، دار الغرب الإسلامي،ط1، 1985، ص46.

[4] – عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص156، 157–شكري فرحات: المرجع السابق، ص44– شكيب أرسلان:خلاصة تاريخ الأندلس، ص171– توفيق محاسنة: المرجع السابق ، ص158.

834هـ/1431م[1]، أغاروا بعد ذلك على أحواز رندة ثم حصن اللّوز وأرشدونة وعاثوا فيها فسادا، ثم عادوا إلى قرطبة ومعهم كثير من السّبي والغنائم[2]، الأمر الذي جعل الأيسر يطلب تجديد الهدنة على أن الطرف القشتالي ظل متمسكا بشرط الجزية والدّخول في الطّاعة وللمرة الثّانية قوبلت هذه الشّروط برفض الأيسر ودخوله في صراع مع قشتالة، مما أثار عليه العامة الذين ساءهم رفضه شروط قشتالة خاصة لما كثرت عليهم هجومات النصارى ، وانقسمت البلاد شيعا وجماعات دبرت لعزل الأيسر وظهر على ساحة الأحداث حركة يوسف المدجن الذي دعى النّاس إلى مبايعته وكان له أتباع كثيرون صنعوا سفنا وآلات حربية وهاجموا بعض أرباض غرناطة عام 834هـ، تصدى له جيش السّلطان وقتلوه[3].

تولى وفي عهده يوسف الرابع بن المول عرش غرناطة عام 834هـ/1431م بمساعدة خوان الثّاني بعد أن تعهد بأن يحكم باسمه ومعترفا بتبعيته للإفرنج من أجل الحصول على دعمهم وكذا دفع الجزية، وقصد يوسف المول غرناطة فأطاعته العامة وغادر الأيسر إلى مالقة فتسلم يوسف المول الملك، ولكن ما لبث أن استرجع الأيسر ملكه معتمدا على دعم السّلطان الحفصي أبي فارس والفونسو الخامس ملك أرغون المعادي لمملكة قشتالة عام 835هـ/1432م، أمضى بعدها أطول فترات حكمه[4] تميزت باستمرار العلاقات مع الطرف الآخر تارة بعقد إتفاقيات الهدنة التي غالبا ما يخرقها النّصارى وتارة بالحرب التي أرهقت مسلمي غرناطة وعجلت بسقوط بعض المدن كجبل طارق ووادي آش. ضف إلى ذلك ما شهدته الأندلس من أزمات وكوارث كالطاعون والجراد. كلها تحديات زادت من حدة الأوضاع إلى أن توفي عام 857هـ[5]

[1] -أبي يحي محمد بن عاصم الغرناطي: جنة الرضا في التّسليم لما قدر الله وقضى، تحقيق صلاح جرار، دار البشير، عمان ،الأردن، 1989، ج1، ص16.

[2] – عبد الله عنان:المرجع السابق، ص158.

[3] – ابن عاصم الغرناطي:المصدر السابق ، ج1، ص16.

[4] – شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص45.

[5] – ابن عاصم الغرناطي: جنة الرضا في التّسليم لما قدر الله وقضى، ج1 ، ص27.

الفصـل الثـانـي

الحياة الاجتماعية لعلماء الغرب الاسلامي في عصر بني الأحمر

الفصل الثاني : الحياة الإجتماعية لعلماء الغرب الاسلامي :

الدّعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر،من الأمور التي رغّب فيها الله عزّ وجل استجاب العلماء لهذا النداء، وزودتنا المصادر بمواقف التزم فيها علماء الغرب الإسلامي بهذا المبدأ سواءا كان ذلك على مستوى أعلى الهرم في السّلطة أو على مستوى عامة النّاس.ودأب هؤولاء العلماء على الدعوة إلى الخير والفضيلة ومحاربة كل مظاهر الفساد، ولعلنا سنقف في هذا الفصل على مظاهر دعوتهم وعلى جوانب مهمة من حياتهم الاجتماعية بشكل من التفصيل.

I: جوانب من الحياة الإجتماعية للعلماء :

اجتهد العلماء وسعوا بجهد مضاعف إلى حثّ النّاس على الصّدقة ومكارم الأخلاق، وقضاء حوائج النّاس والإصلاح بينهم وحلّ مشاكلهم، وتنبيههم إلى ما يجهلون من أمور دينهم وما يقعون فيه من منكرات وأخطاء، والعمل على إسداء النّصح للسلطة الحاكمة فيما لها وعليها كما ساهموا في محاربة رواسب الجهل والتّخلف ومحاولة إصلاح ما انحرف من الأوضاع، ومقاومة البدع وإحياء السّنة، إلى غير ذلك من أبواب النّصح، وسيأتي بيان ذلك في جنبات هذا المبحث مفصلا حسب ماتوفر لنا من مادة خبرية في المجال.

01: أخلاق العلماء و زهدهم: (ترتيب العلماء بسنة الوفاة)

تولى علماء الغرب الإسلامي مجموع الوظائف السّامية في الدّولة مقرونة في بعض الأحيان بوظائف ومهن وحرف أخرى أدرت عليهم أموال كثيرة عادت على أحوالهم وأحوال أسرهم بالنفع الكثير، لكن هذا لم يمنعهم من العمل على طلب الآخرة بما وهبهم الله رغبة في الأجر، ورغبة في التّخلص من قسوة القلب التي تسببها كثرة الأموال فنجدهم اتصفوا بصفات الزّهد والورع والأخلاق الفاضلة التي قربتهم الى العامة وجعلتهم محط إعجاب وتقدير وفي المقابل نجد العلماء ممن عاشوا حياة الفقر والعالة قد ضمنوا مكانتهم عند العامة بحكم الأوضاع المعيشية المتشابهة وسعيهم في نفع العامة.

كان من زهد أبو عبد الله بن مرزوق الجد(ت:681هـ) أنه متقشف جداً مقتصرا على القوت الذي لا يكاد يحفظ البنية، وكان يكثر من الصّوم ويفطر أحياناً ،وكان غالب فطره على رغيف من الخبز وثلاث بيضات يجعل فيها قليلاً من الملح ويأتدم بها، ثم اقتصر على بيضتين فقط مدّة من الزّمن

ثمّ على واحدة، وكان يأكل اللّحم أحيانا وربما يجعل له في أيام فطره يسيرا من الطعام الذي يعرف بالبركوكش وهو المعروف بالمفتلة عند المشارقة بقليل من الزّبدة أو السّمن فيأخذ منه ثلاث لقم،ومع هذا كان محفوظا لبنيته بالرغم من أنه حرمها لذة البذخ الذي وُصِفَ به وأسرته [1]

كان ابن رشيد السّبتي(ت:687هـ)[2]حسن الخلق كثير التّواضع يقصده الطلبة قال عنه تلميذه أبو البركات بن الحاج البلفيقي"كان حسن العهد كريم العشرة برا بأصدقائه فاضلا في جميع أنحائه .."[3]

سلك الشّيخ ابن الحاج البلفيقي(ت:694هـ) مسلك الصّوفية في نمط حياته من حيث لبس الخشن من الألبسة واختيار العزلة في التّعامل مع النّاس وبالغ في الإنقباض عنهم واختار حياة الرّباط في سبتة المغربية وجبالها وعكف عليه مدّة طويلة، اتصّف خلالها بخصال كثيرة فقد كان صواماً قواماً خاشعاً ذاكراً لله عاكفاً على تلاوة القرآن، حريصا على قول الحق لا يخاف فيه لومة لائمٍ مجتنباً للتصنع لا يشقّ له غبار ولا يدانيه في ذلك قرين،قال فيه سلطان المغرب"... كل رجل صالح دخل عليّ كانت يده ترتعد في يدي إلّا هذا الرّجل فإنّ يدي كانت ترتعد في يده عند مصافحته ..."[4]

ذكر ابن الخطيب في معرض ذكره عن أخلاق العالم الشّهير ذي الوزارتين أبو عبد الله محمد بن الحكيم اللّخمي(ت:708هـ) قال"... كان علما في الفضيلة والسّراوة ومكارم الأخلاق، كريم النّفس

---

[1] – ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص159

[2] – هو العلامة الفقيه المحدث محمد بن عمر بن محمد أبو عبد الله محب الدين بن رشيد الفهري السّبتي ، ولد بمدينة سبتة في حدود سنة 657هـ/1259م، وفي محيطها الزّاهر تلقى علومه وولي الخطابة بجامع غرناطة ،كانت له رحلة علمية نفيسة إلى تونس ومصر والشّام والحرمين الشّريفين عام (683هـ/1284م) لقي فيها شيوخ العلم في تلك الأقطار وأخذ عنهم وأُجيز منهم ، ذكر تفاصيل رحلته في كتابه "ملء العيبة بما اجتمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة نحو مكة وطيبة "، اعتنى كل عنايته إلى الحديث الشريف ومن تآليفه في ذلك " السّنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين البخاري ومسلم في السّند المعنن" "وكتاب "إفادة النصيح بالتعريف بإسناد الجامع الصحيح "،توفي بعد سنة 687هـ . أنظر: ابن حجر العسقلاني :الدّرر الكامنة، ج4، ص113،111– محمد مخلوف:شجرة النور الزكية، ص216– ابن القاضي: المصدر نفسه، ص180– الإحاطة ،ج 3 ، ص125 .

[3] – ابن حجر العسقلاني: الدّرر الكامنة، ج4، ص229– المقري التلمساني: أزهار الرياض، ج2، ص347 .

[4]– ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص249

واسع الإيثار وكان فريد الدّهر في السّماحة والبشاشة..."[1] هذا بالإضافة إلى ماكان يتميّز به من أخلاق تلازم العلماء غفل عن ذكرها من ترجم له.

وكان أبو عبد الله الكرسوطي[2]حسن الخلق مع وقار ظاهر رافض للتصنع مُتَبَذِلٌ في اللّباس(أي رثّ اللّباس)[3]

لبس الشّيخ الطّنجالي (ت:724هـ) الخشن من الثّياب على عادة الصّوفية واقتصد وتورّع في مأكله، وحرص على التّقرب الى الله بالصّوم والصّلاة وحضور الجماعات وملازمة الإقراء والصّبر على نفع المجتمع .

أجمع النّاس على علو رتبة الشّيخ محمد بن محمد بن لب الكناني التّنوخي الأندلسي(ت:727هـ)[4] وفضله وحيائه وزهده بين أقرانه من العلماء وأفراد مجتمعه، فزيادة على ذلك كان رحيما بالمساكين مشاركا لهم في أمورهم وحاجاتهم، جوّاداً حتى بقوته على الفقراء وعوّدهم طلاقة الوجه والمواساة وكان أيضا كثير البكاء والخشوع حيث تمّ له القبول عند العامة الذين أَلِفُوا صنيعه وأخلاقه فاجتمعوا عليه وأحبوه [5]

[1] - ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 2 ، ص474 ،460.

[2]- هو محمد بن عبد الرحمن بن سعد التّميمي التّسلي(التّسولي) ولد عام 690هـ، من أهل فاس ونزيل مالقة، فقيه متكلم عظيم الإطلاع، رحل إلى الأندلس عام 722هـ فأقام بالجزيرة مقرئا بمسجد الصّواع ومسجد الرايات، ثم قصد مالقة وأقرأ بها ثم غرناطة عام 725هـ رجع بعدها إلى مالقة خطيبا بمسجد القصبة، له مؤلفات نذكر منها"الغرر في تكميل الطرر" ثمّ كتاب"الدّرر في اختصار الطّرر"ولخص كتاب "التهذيب"لإبن بشير. أنظر: ابن الخطيب: الإحاطة،ج3،ص132،130، 134 .

[3]- المصدر نفسه، ج3 ، ص130

[4]- من أهل مالقة هو محمد بن محمد بن لب الكناني يعرف أبا عبد الله ويعرف بابن لب، نزل سبتة عام 671هـ لما استولى العدو على مدينة طريف، فقرأ بها واستفاد ثم دخل غرناطة ومارس بها وظيفة الإقراء خلفا لابن الزبير،حيث جمع بين القراءة وتدريس الفقه والعربية والتفسير، كان يعكف على العلوم القديمة مطلعا على علوم الرّياضيات والطبيعيات والإلاهيات ذاكرا لمذاهب القدماء والمتكلمين من الأشعرية وغيرهم.انظر: ابن الخطيب: الاحاطة، ج3،ص80– التنبكتي: نيل الابتهاج، ص40

[5] - المصدر نفسه، ص40

وكان الشّيخ ابن الزّيات الكلاعي(ت:728هـ)[1] ذا قدر جليل،كثير العبادة عظيم الوقار حسن الخلق مخفوض الجناح يغشى مجلسه جمع كثير رغبة في النّهل من علمه الغزير، صبورا على الغاشية، حسن الصّورة كامل الأبهة،،جهوري الصّوت حسن النّغمة غلب عليه الخشوع وله مشاركة في العربية والقراءات القرآنية [2]

وكان الشّيخ ابن سيد بونة الخزاعي(ت:733هـ) من أهل الجلد والجدة والرّجولة متقفيا في ذلك سنن من قبله من الصالحين، خاصة ماتعلق بتخلقه وتواضعه مع النّاس مشاركا لهم في غير تصنّعٍ، مقتصد في ضروريات الحياة وخاصة منها المأكل والمشرب، أما مجالسه العلمية فقد قال ابن الخطيب: قال لي شيخنا في الشّيخ الكلاعي وخطابته"كان يفتتح مجالس تدريسه أكثر الأحيان بخطب غريبة يطبق بها مفاصل الأغراض التي يشرع في التّكلم فيها،وينظم الشّعر دائما في مراجعاته..."استعمل في السّفارة بين الملوك لتوطيد الأواصر وإصلاح الأمور فكانوا يقدرونه ويلتمسون بركاته[3]

كما كان الشّيخ غالب بن علي بن محمد اللّخمي الشّقوري (ت :741هـ)[4] من أهل الفضل والدّماثة وحسن الخلق وامتاز أيضا بوسامة الخِلقة، وأهله من بيت شهير مالاً ورجالاً[5] حرص على

---

[1]-من أهل بلش مالقة، يكنى أبا جعفر، ويعرف بالزيات والخطيب، عالم متصوف شهير، ولد ببلش في حدود 649هـ، توفي بها يوم الأربعاء السّابع عشر من شوال عام 728هـ، حمل العلم عن جملة من العلماء منهم خاله الفقيه أبو جعفر أحمد بن علي المنحجي، والقاضي أبو علي الحسن بن أبي الأحوص الفهري.وأبو الحسن فضل بن فضيلة ومؤلفاته كثيرة "المقام المخزون في الكلام الموزون" ونظم السّلوك في شيم الملوك،"والعبارة الوجيزة عن الإشارة" و"الطائف الرّوحانية والعوارف الرّبانية" و" لذات السّمع من القراءات السّبع" و" قاعدة البيان وضابطة اللّسان" وغيرها كثير–أنظر: ابن الخطيب:الإحاطة، ج1، ص288.

[2]- ابن الخطيب:الإحاطة، ج1، ص288، ج1 ، ص288

[3]- نفسه ، ج4، ص240

[4] – يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشّقوري منسوبا إلى شقورة الواقعة في الشّمال الشّرقي لمدينة أُبدّة والشّمال الغربي لمرسية ، وُلد عام 727هـ كان طبيب دار الإمارة مع قليل من التّصوف ، قرأ على جدّه لأبيه وعلى الشّيخ أبي زكرياء بن هذيل والشّيخ الصّوفي أبي مهذب عيسى الزّيات ، ألّف كتبا نبيلة منها " تحفة المتوسل في صنعة الطب " وكتاب أسماه " الجهاد الأكبر " وآخر سماه " قمع اليهودي عن تعدي اليهود " ابن الخطيب : المصدر نفسه ، ج3 ، ص 177،179 .

[5] – غالب بن علي بن محمد اللّخمي يكنى ابو تمام ،كان محسوب على اهل الفضل والدّماثة، حسن الاخلاق، كانت له رحلة الى البقاع المقدسة لأداء الحج ،انتقل بعدها الى القاهرة اين قرأ الطب هناك ،جلس في بجاية وانتصب فيها للمداواة بحكم تخصصه ، انتقل منها الى غرناطة اين كانت له مشاركات سياسية في خدمة سلطانها، رحل بعدها الى العدوة المغربية اين تولى وظيفة

مشاركة النّاس في كل أمورهم وكان أشدّ النّاس حرصا على إسعاد من صَحبه والثّناء عليه وكان يحب الصّراحة في نصح من صحبه [1]

ورد ذكر العالم الطبيب اللّخمي الشّقوري(ت:741هـ) بصفات كثيرة لعلّ أهمها أنّه كان من أهل الخير والأمانة والعفّة والفضل وكرم النّفس ومشاركة النّاس في أمورهم وأحرصهم على سعادة أصحابه، حريصا على التّعلق بجناب الله تعالى،صريحا إذا نصح متقنا لعمله في لطف واجتمعت هذه الصّفات لتكسبه شهرة فكان بذلك عديم النّظير جعلت السّلطان يستدعيه لخدمته فقام بالوظيفة أحسن قيام وشُكِرَتْ سيرته[2]

وكان أبو عبد الله المليكشي (ت:740هـ) جميل العشرة حسن الخلق كريم العهد طيب النفس "...كان بطل مُجال وربَّ روية وإرتجال، اشتهر بالتواضع والإيثار ، لبث مدة إقامته في الأندلس تحت جراية واسعة[3]،ومثله عالم وادي آش أبو عامر النّميري[4] الذي جعل الدّنيا آخر إهتماماته فعمد إلى لبس الخشن من الثّياب مع إهمال قليل لنفسه وتواضع كثير[5]، وزادت الصّفات التي اتصّف بها الشّيخ ابن سلمون الكناني(ت:741هـ)من مكانته في مجتمعه ورفع قدره فيصفها ابن الخطيب"..كان نسيج وَحْدِهِ ديناً وفضلاً وتخلقاً ودماثة لين الجانب حسن اللّقاء...أشد الناس حفوفاً في الحوائج وأسرعهم الى المشاركة "[6]

الحسبة وحسنت حاله بعد أن تكونت له ثروة هناك، وكغيره من علماء عصره عكف على التأليف وكثرت مؤلفاته ليجلس بعدها للقراءة والزهد انظر :ابن الخطيب : المصدر نفسه ،ج4 ،ص 241

[1] – المصدر نفسه، ج3، ص 178 .

[2]- نفسه، ج3، ص178

[3] – نفسه ، ج2، ص563 ،571

[4]– هو محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النميري من أهل وادي آش ، تصدّر ببلده للفتيا والتدريس والإسماع ، قرأ على أبي خالد بن أرقم ، وأبي العباس بن عبد النّور ورحل إلى العدوة المغربية وأخذ بسبتة عن الأستاذ أبي بكر بن عبيدة وابن الخضّار، وأبي القاسم بن الشاط، ودخل غرناطة راويا ومتعلما توفي عام 740هـ . أنظر : ابن الخطيب: الإحاطة ، ج3 ، ص 89 ،90 .

[5] – المصدر نفسه، ج3، ص 88 .

[6] – المصدر نفسه: ج3، ص401

نشأ والد لسان الدّين بن الخطيب(ت :741هـ) في غرناطة في شرف ونعمة، وامتاز بجملة من الخصال كالبذل والكرم وهي صفات زادت من قدره، ومازاد من حضوته انتقاله إلى الحضرة لخدمة الملوك[1].

رغم المكانة التي وصل إليها العالم الشّهير أبي بكر الأشعري المالقي(ت:741هـ)[2] بعد توليه القضاء والخطابة ببلده مالقة وغرناطة إلا أنّه اختار الإقتصاد في عيشه فقد كان غير مبالٍ بالملبس، حسن الخلق عطوفا على طلبته، محباً للعلم والعلماء ومُجِلاً لأهله، عزيز النّفس وهو على ذلك إلى أن مات شهيدا في السّنة المذكورة[3].

اختار العالم ابن حفيدالأمين(ت:741هـ) حياة الانقباض عن النّاس على طريقة أقرانه والصّالحين من أهل التّصوف، وهذا إضافة لما كان يتميّز به من الزّهد في العيش، فقد كان غير مبالٍ بالملبس والمطعم مخشوشنا في عيشه رغم ذلك نجده لا يُفَوِتُ دوره في الإقراء بالمسجد الجامع خاصة دروس الفقه والعربية حيث كانت مجالسه من مجالس الحُفاظ وانتفع به النّاس مدّة طويلة واستمر على ذلك حتى سقوطه شهيدا في معركة طريف[4].

عكف ابن جزي الكلبي(ت:741هـ) على طلب العلم والحرص على تعليمه في طريقة فريدة، مع الإقتصاد في المعيشة والزّهد[5]

---

[1] - نفسه ، ج3، ص388، 389 .

[2] - يكنى ابا عبد الله ويعرف بإبن بكر ،ولد عام(674هـ) كان من صدور العلماء وأعلام الفضل، عارفا بالأحكام والقراءات مبرزا في الحديث والتاريخ والأنساب .تقدم للشياخة ببلده مالقة ناظرا في امور الحل والعقد، ثم ولي القضاء بها،وتولى القضاء والخطابة بغرناطة فصدع بالحق فكان كما قيل فيه"صاحب عزم ومضاء وحكم صادع وقضاء، وتصدر لنشر العلم فأقرا العربية والفقه والقراءات والاصول والفرائض والحساب وعقد مجلس الحديث شرحا وسماعا:النباهي، المرقبة العليا، ص141–ابن العماد الحنبلي الدمشقي (1032–1089هـ): شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،تحقيق عبد القادر الاناؤوط ومحمود الاناؤوط ،ط1 ،دار ابن كثير، دمشق .1413هـ/1992م ،ج8 ص231–232 – ابن الخطيب: اللمحة البدرية ،ص91

[3] - ابن الخطيب: الإحاطة، ج2 ،ص177، 188

[4] - ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 3 ، ص64 ،66

[5] – ابن الخطيب: المصدر نفسه، ج3، ص21 وما بعدها– خالد الصمدي: مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي من النشأة إلى نهاية القرن السابع الهجري، جذورها وآثارها ، منهاجها ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1427هـ/2006م، ص238

عاش الشّيخ ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي(ت:743هـ)[1] غريب المنزع شديد الإنقباض عن النّاس،حتى إذا نظرنا إليه وجدنا أن ظاهره ينمّ عن وحشة وجهامة وجه، ولكن بداخله أدب كثير ونفس حرّة وحديث ممتع وأبوة كريمة[2]

كان الشّيخ محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن ابراهيم بن أرقم النّميري الوادي آشي (ت:757هـ)، صدرا من صدور العلماء الجلّة حسباً وأصالة وتواضع وفضلٍ ودين وحسن الخُلق،جمّ التّحصيل قوي الإدراك مضطلعا بالعربية واللّغة إماما في ذلك مشاركا في علوم الحساب وهيئة وهندسة "...كان في هذا كله أبرع من لقيته إلى سراوة وفضل وتواضع ودين جاريا في ذلك على سنن سلفه ...فرأيت أصيلاً جليلاً قد جمع علما وفضلاً وحسن خلق..."[3]

عُرف عن الشّيخ ابن معطي العبدوسي(749هـ)[4]صفة السّخاء وكان أيضا إماما في نصح الأمة واستطاع أن يميت كثيرا من البدع التي شاعت في زمنه وأقام الحدود والحقوق وشغله علم الحديث زمنا من حياته وكان أيضا كثير الشّمائل لاتفارقه، وعندما توفي لم يوجد عنده الّا برنس ودراعتان[5]

وكان ابو بكر بن الحكيم اللّخمي(ذي الوزارتين) (ت:750هـ) من صدر أصحاب النّعم وبقية أعلام البيوت ترفاً ونشأةً وعزّ وتربية وكرم نفس وطيب مجالسة وإمتاع ومحاضرة وصحة ووفاء وشياع مشاركة في جملة فاضلة...مليح الدّعابة ظريف التّوقيع ...حسن الخلق كامل الأبهة وحلاوة البساطة

---

[1] - هو الإمام محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن عبد الملك من أهل مراكش، وسكن غرناطة يضيف أبو العباس ابن الخطيب القسنطيني(نقلا عن التنبكتي) العالم المحقق المدرس المفتي الصّالح الشّهير قاضي الجماعة ببجاية ، شهير الذكر رفيع القدر رقيق القلب غزير الدّمعة أخذ عنه جماعة كمنصور الزواوي والخطيب بن مرزوق والإمام المقري، قيل توفي سنة 743هـ –أنظر: التنبكتي: كفاية المحتاج، ج2، ص44 ابن الخطيب ، المصدر السابق : ج2، ص527.

[2] - ابن الخطيب: المصدر نفسه، ج2، ص527.

[3]– المصدر نفسه ، ج2، ص141 ،142

[4] - فيه إظطراب في سنة الوفاة بين 749هـ وهذا الأقرب للصواب ، و848هـ ، مفتي فاس ومحدثها كان واسع الباع في الحفظ ، وشيخ الجماعة والفقهاء الصوفية وله فتاوى كثيرة في المعيار، ومما يحكى عنه أنه لم يوجد عنده يوم وفاته إلّا مايلبسه وأنه كان يعمل الحوص وهي كل مايصنع من أوراق النّخيل من أفرشة وسلال وغيرها وكان يصنعها خفية ثم يعطيها لمن لا يعرف أنها له ليبيعها بغية أن يتقوت بها، أنظر: أحمد بابا التّنبكتي: كفاية المحتاج، ج1، ص252

[5] - ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج2،ص425

واحتمال المنابشة والمثابرة في حفظ المودة والإستقالة في الهفوة والتّمسك بالإستيعاب والمعذرة وكان غرّة من غرر هذا القطر وموكبا من مواكب هذا الأفق[1]

وجرى ذكره في التّاج المحلى ما نصه"ماجد أقام رسم المجد بعد عفاية فوفى الفضل حقّ وفاية...استولى على الجود البعيد المدا، وحجت اليه من كل فج طلاب الندا ..."[2]

اشتغل ابن عبد البر الخولاني(ت:757هـ) في التجارة حيث نما ماله وجاهه قال ابن الخطيب:" تحرّف بالتّجر المربوب في حجر الجاه ونما ماله تحاط به الجدّات وتنمو الأموال، ففار تنورها وفهق حوضها كثير الخوض في التصاريف... تولى وزارة السلطان"القهرمة"إحدى وظائف القصر، واستعمل في السّفارة إلى العدوة وقشتالة في أغراض تليق بمبعثه، جعل ثروته في خدمة النّاس خاصة بعد أن ترتفع الأسعار...الذي ينفق على أسواقها عند ارتفاع القيم وتميز الأسعار وبلوغها الحدّ الذي يراه كفؤ حبته ومنتهى ثمن غلّته .. وكان بالإضافة إلى ذلك دمث الأخلاق مختصر المطعم والملبس كثير النّفقة ، يعظم الإنتفاع به في باب التوسعة بالتسلف والمداينة حسن الخلق كثير التحمّل" [3]

أمّا الشّيخ المقري أبوبكر بن على القرشي(ت:759هـ)[4] فقد كان صديق القول ذاهب في أقصى درجات الخلق الجميل، اختار الإنقطاع عن النّاس حرصاً منه على التفرغ للعبادة،حرص حرصاً شديدا على عمل الخير الذي لازمه طوال حياته، استغلّ منصبه كقاضٍ فعمل على إنفاذ الأحكام متميزاً على كثير ممن سبقه في الوظيفة، فأنفذ الأحكام كما ينبغي لها أن تكون وآثر التّسديد في الأحكام

---

[1] - ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص272

[2] - المصدر نفسه، ج2، ص273

[3] - المصدر نفسه، ج1، ص322 ، 323

[4] - هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمن بن علي بن داود القرشي. قاضي الجماعة بفاس وتلمسان، كان هذا الرّجل معروفا باجتهاده وحفظه وعنايته وإطلاعه، يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتّفسير ويحفظ الحديث، والتّاريخ والآداب له مشاركة في الجدل والمنطق، مع مشاركة في علم التّصوف، حج والتقى جلّة من العلماء ثم رجع إلى بلده فأقرأ بها وانقطع غلى خدمة العلم.فلما تولى المغرب السّلطان أبو عنان فارس احتذ به إليه واستعمله في القضاء على فاس. ثم استعمل في الرّسالة ألف كتابا يحوي أكثر من 100 مسألة فقهية ضمها كل أصيل من الرأي .ودون كذلك في التّصوف وله كذلك كتاب الحقائق والرقائق ولد في تلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن (ليس هناك تاريخ محدد) وتوفي بفاس سنة 759هـ- أنظر:ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص191، 194، 195.

وحمل الكلّ وخفض الجناح فكسب بموجها حبّ العامة ورضا الرّحمن مترجما في ذلك جملة الأخلاق التي وُصِف بها[1]

وكان الشّيخ ابن عاشر(ت:765هـ)[2]منقطع القرين في الزّهد وله كرامات ظاهرة وكان يلازم القبور في الخلاء منفردا عن الخلق وكان دائما رثّ الهيئة[3] كان قوته من نسخ كتاب العمدة في الحديث وكان يبيعها لمن يبيعها ولا يأخذ إلّا قيمتها،و قصده يوما أسيرا من المسلمين فنظر إليه ثم أخرج له سكين البقل لكونه لم يكن عنده ما يدفعه إليه من المال فباعها الأسير بالمزايدة في السّوق وارتفع ثمنها إلى أن وصل سبعة عشرة دينارا ذهبيا وزاد من قيمتها كونها للشيخ ابن عاشر [4]

ومن العلماء العاملين بنهج ابن عاشر العالم أحمد بن قاسم بن عبد الرّحمن أبو العباس المعروف بالقباب من أهل غرناطة الذي كان دؤوبا على العلم مع تقشف وترك للدنيا وطيب الكسب والتّواضع للخلق وخفض الجناح للضعفاء [5]

وعرف أحمد بن عيسى الأموي(ت:765هـ)بخلاص حميدة فكان من أهل الخير والصّلاح نير الباطن والظاهر مطرح التّصنع مجانب للدنيا وأهلها وصادق الخواطر كثير ذكر الله، مبذول النّصيحة مثابر على اتباع السّنة، سائر على نهج الصّوفية.[6]

نشأ الشّيخ ابن الحاج(ت:768هـ)في عفّة وطهارة مليح الدّعابة طيب الفكاهة، امتلك مالاً عريضاً يكون قد ورثه عن أهله أعانه على العيش الرّغد وصانه من أن يمتهن مهنة مرهقة، ولربما تكون قد نالته بعض النّعم والمكانة بسبب توليه مهمة الكتابة في عام 734هـ[7].

عالم آخر ورد إسمه طويل لابأس من الإشارة اليه كاملا حرصا منّا على الامانة في نقل الترجمة، هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن موسى بن

---

[1] - ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص194

[2] – أصله من شمينة من بلاد الأندلس،اشتغل بتعليم القرآن الكريم في الجزيرة الخضراء، حجّ ثم رجع إلى فاس وأقام بها مدّة ثم رحل إلى مكناسة وسكنها مدّة من الزّمن ثم انتقل إلى سلا فنزل برباط الفتح ، توفي سنة 765هـ أنظر: ابن القاضي، جذوة الإقتباس، ص153– درة الحجال، ج1،ص148– شجرة النور الزكية، ج1 ،ص233– أحمد بابا التنبكتي:كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دراسة وتحقيق محمد مطيع، المملكة المغربية ، وزارة الشؤون الدينية الاسلامية ، 1424خ/2000م، ج1 ،ص97 ، 98

[3] - أحمد بابا التّنبكتي: نيل الإبتهاج، ص70 .

[4] – ابن القاضي :جذوة الإقتباس، ج1، ص153.

[5] – أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج، ج1، ص252

[6] - ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص287 .

[7] - المصدر نفسه ، ج1، ص344 ، 345 .

ابراهيم بن محمد بن ناصر بن حيون بن القاسم بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب كان "كثير الشّفقة والمواساة، جميل العشرة كثير السّتر والحياء قوي النفس رابط الجأش ممتع المجالسة".

وتمسّك الشّيخ ابن المنخل الغافقي(ت:762هـ)[1] بالدّين أيّـما تمسّك هاجرا في ذلك للخبائث مؤثرا للجد مبتعدا عن الإنحطاط والسّقوط في هوى الجماعة، نشأ عفيفاً حريصُ على أن لا يداخل طعامه حرام[2].

أمّا محمد بن محمد الفشتالي(ت:779هـ)[3] فكانت له أصالة زكية،كثير الوقار مفرط فيه، وصدر الصّدور في الوثيقة والآداب ، فاضل النفس جميل العشرة، تردد في الأندلس في السفارة فذاع فضله[4]

وبلغ من زهد ابن عباد الرّندي(ت:792هـ)[5] أن كان لباسه في بيته لباسا مرقعا، فإذا خرج سترها سترها بثوب أخضر أو أبيض، تصدق عليه بعض طلبته وتلاميذه بعشرة آلاف دينار من الذّهب[6].

وكان العالم القاضي أبو القاسم شريف الغرناطي من شدّة تواضعه كثيرا ما يباشر خدمة الواردين عليه بنفسه اقتداءا بالأئمة الماضين من قبله فمن كلامهم"ليس ينقص من الرّجل الشّريف أن يخدم ضيفه ولا أن يتصاغر لسلطانه ولا أن يتواضع لشيخه"[7]

---

[1]-هو محمد بن أحمد بن زيد بن احمد بن الحسن بن أيوب بن حامد بن زيد بن منخل الغافقي يكنى أبا بكر من اهل غرناطة وسكن وادي آش. وأصل بيتهم من اشبيلية يدعى بيت زيد الغافقي وهم جماعة كبيرة فرسان ولهم شرف قديم، انتقلوا إلى طليطلة ثم إلى قرطبة ثم إلى غرناطة. هو من اهل الشّورى وقضاة الجماعة بغرناطة.كان من أعيان الأندلس وصدرا من صدورها، قرأ بغرناطة على شيخ الجماعة أبي عبد الله بن الفخار، وعلى أبي عبد الله الطرسوني، توفي عام (762هـ) شهيدا أو كما وردت عند ابن الخطيب"على هذا السّبيل من الشهادة" أنظر:ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص133، 134، 135.

[2] - ابن الخطيب: المصدر نفسه، ج2، ص133 ، 134

[3] - القشتالي: هو محمد بن احمد الفشتالي من أهل فاس تميز بالوقار والاصالة،كان له حضور متميز في الادب والشعر، إلى جانب تخصصه في فن الكتابة، ولّاه السّلطان المريني ابو عنان وظيفة القضاء وقربه منه حتى اصبح من خاصته .انظر: ابن الاحمر: نفحة النّسرين ،ص29– التنبكتي: المصدر نفسه، ج2، ص85 ،.

[4] – ابن القاضي المكناسي: المصدر نفسه، ج1، ص234

[5] – هو الفقيه العالم الصّوفي محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن عباد الرندي خطيب جامع القرويين ولد عام سبعمائة وثلاثة وثلاثين، نشأ ببلده رندة، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، ثم حصل باقي العلوم نحوا وأدبا وأصولا وفروعا ثم أخذ في التصوف وله في كلام عجيب ، كان من أصحاب العالم الصوفي ابن العاشر، درس بعض الكتب في التصوف وحفظها مثل كتاب"قوت القلوب"و"مقامات الحريري" و"فصيح ثعلب"و" تسهيل ابن مالك" توفي سنة 792هـ .أنظر: التنبكتي: المصدر نفسه، ج2، ص109،110.

[6] – التنبكتي: نفسه، ج2، ص110.

[7] – النّباهي المالقي:المرقبة العليا فيمن يستحق الفتيا، ص174

واتّصف الشّيخ ابن مرزوق الحفيد(ت"842هـ) بالخشية من الله والتّواضع ودماثة الأخلاق وكان مما بوأه مكانة ورفعة بين محبيه وكان أيضا يسير بسيرة السّلف في الشّفقة والحلم وحبّ المساكين، وجعل الله حُبَّهُ في قلوب العامة والخاصة [1].

02:الحالة الإجتماعية للعلماء :

لايمكن لأحد منّا الإنكار ولو بنسبة قليلة أنّ العلاقات إذا كثرت شغلت وألهت عن طلب العلم وتحصيله، وعلاقة الزّواج والزّوجة والأولاد هي من أقوى الشّواغل وإن لم نقل من أشدّها على العلم عند كثير من النّاس حتى قال الشّيخ بشر الحافي الكلمة المشهورة"ضاع العلم في أفخاذ النّساء"وهي إشارة إلى أنّ كثير من العلماء وقف بهم الزواج وما يتصل به من متعة أو مسؤولية أو الانعطافات التي يسببها للإنصراف عن العلم أوقاتا كثيرة أو إلى الأبد كما هو معلوم لكل متزوج صاحب علم يحب العلم ويتابعه ولكل متزوج صُرف عن العلم وحُرِم منه[2]

ابْتُلِيَ العالم الجليل الوادي آشي[3] بمحنة الطلاق ولم يوفق في حياته الزّوجية وهو الذي جمعته علاقة مصاهرة مع عائلة ابن مرزوق الأمر الذي جلب له سخط العامة الذين بادروا بمقاطعته تذكيرا له بالمكانة التي حظي بها منذ قدومه من غرناطة إلى تلمسان والتي سيفقدها لا محالة بفك رابطة الزوجية والمصاهرة من هذه الأسرة فكان ردّ الوادي آشي شعرا :

---

[1] – أحمد بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج، ص505 – المقري التلمساني: نفح الطيب، ج5، ص427 ،428– عبد الرحيم ساسي: الفقه المقاصدي عند ابن مرزوق الحفيد (ت"842هـ) ،رسالة ماجستير في العلوم الاسلامية، قسم الشريعة والقانون، جامعة الجزائر 01، 1436هـ/1437هـ- 2015م/2016م ، ص49 ، 50 .

[2] – عبد الفتاح أبو غدّة، صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م،ص286،287

[3] – محمد بن جابر بن محمد بن القاسم بن أحمد بن ابراهيم ابن حسان الوادي آشي القيسي أبو عبد اللّه شمس الدين أندلسي يُنسب إلى وادي آش التي لاتزال تحمل إلى اليوم هذا الإسم Guadix ويبدو أنّ عائلته عربية الأصل نظرا إلى نسبته إلى قبيلة قيس، وُلد بتونس عام 673هـ/1274م، تتلمذ على والده ثمّ تنقل بين مختلف حلقات شيوخ تونس وأقطابها من علماء القراءات والحديث خاصة منهم القاضي ابن الغمّز البلنسي والخطيب المقرئ أبو القاسم البّيدي وأبو محمد بن هارون الكناني،
شرع في رحلته الأولى الى المشرق عام 722هـ/1324م والتقى بالعديد من علمائها ومحدثيها فطاف الإسكندرية والقاهرة والقدس ودمشق ونهل من كل مراده، وعرّج على الحرمين واخذ منها القراءات وعلم الحديث ثم قفل راجعا إلى تونس ثم إلى المغرب والأندلس ودخل غرناطة، ثمّ يعود الى تونس ليجدها خاضعة للسلطان أبي الحسن المريني ،كتب بخطه كثيرا خاصة كتابه البرنامج ، وفي عام 749هـ/1348م ظهر الطاعون الجارف في كل البلاد المحيطة بالبحر الرّومي فقضى على الكثير من رجال العلم من بينهم المترجم له الوادي آشي ودفن بمقبرة الزلاج في تونس أنظر: شمس الدين محمد بن جابر الأندلسي(ت:749هـ): برنامج ابن جابر الوادي آشي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس، 1440هـ/1981م، ص10،25 .

يلومني الأقوام من بعد ما سطا *** عليَّ ابن مرزوق ومنَّ بإنفـاق

فقلت لهم كفّو الملام فإنـــــــي *** تركت ابن مرزوق وأمّمت رازقي[1]

وآثر بعض العلماء الوحدة على الزّواج على شاكلة العالم محمد بن يوسف ابن خلصون[2] الروطي[3] الذي لم يتزوج وغلبت عليه صوفيته واختار حياة الخلوة والنظر[4]

آثر العالم الصّوفي ابن عباد الرندي حياة العزوبية على الزواج وكذلك تورع عن إتخاذ الإماء كغيره وكان يخدم نفسه بنفسه[5]

صِنْفٌ آخر من العلماء آثر تحصيل العلم والإقراء على الإهتمام بنفسه، فنجد أبا بكر بن الفخار الجذام[6] قد شغلته أعماله على سنّة الزواج، ونجده اتخذ لنفسيه رومية مملوكة لا يشغل مسكنه سواها، ثم نجده أعتقها وألحقها ببلدها، رغم هذا نجده قد قسّم وقته على الإقراء والوعظ والفتيا على الرغم أنه بقي يخدم نفسه[7]

---

[1] – المقري التلمساني: أزهار الرياض، ج3، ص306،305 –إلهام قاتل: النّخبة العالمة في المغرب الأوسط (ق7-9هـ/13-15م)منطلقات الفكر وأنماط السّلوك، أطروحة دكتوراه تاريخ وسيط، جامعةمحمد بوضياف ، المسيلة، 2018م، ص166

[2] – يكنى أبو القاسم أصله من روطة ولوشي وغرناطي ومالقي الإقامة، كان من جلة المشيخة وأعلام الحكمة فاضلا، منقطعا عن الناس له معرفة بالعلوم العقلية متبحرا في الإلاهيات، كاتبا بليغا شاعرا مجيدا قائما على القرآن، فقيه وأصولي انتقل من حصن روطة إلى الخطابة والإمامة بمدينة لوشة، له كتاب في" المحبة" وكتاب"وصف السلوك إلى ملك الملوك "أنظر: ابن الخطيب: الاحاطة، ج3، ص257 ،258

[3] – ورطة: أو روضة Rueda بالإسبانية وهي بلدة صغيرة تقع على المحيط قرب ثغر شلوة شمال مدينة شريش وهي ليست روطة الغربية من سرقسطة . أنظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص256

[4] – نفس المصدر، ج3، ص257

[5] – التنبكتي: كفاية المحتاج، ج2، ص110

[6] – هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفخار الجذامي، يكنى أبو بكر أصله من أركش ،وُلد مابين الثلاثين والأربعين وستمائة للهجرة، مالقي الإستيطان شريشي التدرب والقراءة ،كان كثير العكوف على العلم وملازمته، خرج من أركش في تغلب النصارى عليها واستوطن شريش وقرأ بها وروى بها عن علمائها وأقرأ بها ، ولما استولى عليها العدو لحق بالجزيرة الخضراء فدرّس بها ثم عبر البحر إلى سبتة ثمّ كرّ إلى الأندلس فقصد غرناطة وأخذ عن علمائها ثمّ استوطن مالقة وتصدّر للإقراء بها، ألّف نحوا من ثلاثين كتابا منها " تحبير نظم الجمان في تفسير أم القرآن" و"منظوم الدّرر في شرح كتاب المختصر" و كتاب " نصح المقالة في شرح الرسالة" وكتاب "استواء النّهج في تحريم اللعب بالشطرنج"، وتوفي سنة ثلاثة وعشرون وسبعمائة . أنظر :ابن الخطيب: المصدر السّابق، ج3، ص94 ،95

[7] – ابن الخطيب:الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص92

II:وظائف علماء الغرب الإسلامي:

أدى التقارب الكبير بين العلماء وملوك الغرب الإسلامي عامة إلى حصول بعضهم على مناصب في السّلطة، واستطاعوا بموجبها الإرتقاء في الدّرجات كل حسب امكانياته العلمية ومقدراته الشّخصية، وفي المقابل تولى من عزف عن دار السّلطان الخطط الدّينية، وكان مصير الكثير منهم التّغييب وتحمّل مشاق الحياة بعيدا عن التنعم برغدها.

01: مصادر عيش العلماء

اختلفت مصادر عيش علماء الغرب الإسلامي بحسب المهن التي شغلوها، فمنهم من شغل الوظائف الدّينية كالإمامة والقضاء والتّدريس والخطابة وهناك من اختار الوظائف السّياسية نظير ماتُدِّره عليه من عائدات مالية ومكانة كالسّفارة والحجابة والوزارة والكتابة والجباية، ومنهم من اختار لنفسه حياة التّحرف بحرفة من الحرف الشّائعة في مدينته كالتّجارة والحرف اليدوية، في حين ركن البعض الآخر لحياة الدِّعة والخمول وسكن الرّبط وانتظار ما تدّره عليه صدقات المحسنين .

عاش الشّيخ عمر بن علي بن غفرون الكلبي[1] الذي انتقل إلى غرناطة عند تغلب النصارى على بلدته فحصل له الحظوة والمكانة التي أهلته لأن يكون ذا جاه ومال يقول ابن الخطيب" فاكتسب حظوة أرضته ووسيلة أرهفته و أمضته حتى عظم ماله وأسقت آماله"وشغل المناصب النبيهة في القصر ولكن في آخر حياته تحول حاله من حال إلى حال " ثمّ دالت الدول ونكرت أيامه الأول وتقلّب من يجانسه ..وشقى بكل من كان ينافسه فجفّ عوده والتأثث سعوده وهلك الخمول يطلبه ..." وبهذا أكمل مابقي من حياته يتقوت على محصول حرث كان يشتغل عليه [2]

نال الشّيخ أبو بكر التّسولي التّازي(ت:748 هـ) حظاً كبيراً من نصيب الدّنيا اثر مصاحبته للسلطان واستغنى وانعكس ذلك على حياته وبدا عليه الترف، ولكننا نجده لا يحبذ هذا النمط من العيش إذ يقول فيه"...هذه سنة الله فيمن خدم الملوك ملتفتاً إلى ما يعطونه لا إلى ما يأخذون من عمره وراحته[3]

---

[1] - عالم فاضل من أهل حصن منتفريد وهو حصن من حصون براجلة من غرناطة ، كان نبيها له صيت في الخط والحساب توفي عام 744هـ . أنظر المصدر نفسه، ج4، ص192 . 193

[2] - ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة نفسه، ج4، ص192 .

[3] - لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1،ص 371 ،372

ورث ابراهيم بن فرج بن عبد البر الخولاني المكنى ابن حرّة مالا كثيرا عن أبيه الذي تولى وظائف عديدة في قصر ثاني ملوك بني نصر، اشتغل بعد أبيه في التجارة حتى نما ماله، ضف إلى ذلك توليه منصب الوزارة الذي كفل له ازدياد ثروته ونموها [1]

وامتهن أبو عبد الله ابن باق الأموي التّجارة فكثرت ثروته ونمت وعظمت حاله مع ما كان يتمتع به من مناصب في الدّولة، وعهد عندما شارف على الرّحيل بجملة من ماله ناهز الألف من العين لتصرف في وجوه البر[2]

عاش الشيخ ابن عبد الملك الأنصاري الأوسي (ت:743هـ) صابرا على الجهد ومشقة الحياة رضي خلالها بالخصاصة التي ألمت به رغم أنّ والده كان قاضيا للقضاة، واستقر بعد ذلك بمالقة متحرفا في مهن المدينة المختلفة، فكان قليل الظهور إلّا لمن عثر عليه جزافا ونال من فضل الشيخ وعلمه[3]

كما تولى محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن ناصر بن حيون بن القاسم بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن ابي طالب القضاء بوادي آش ثم أعيد إلى قضاء الحضرة بعد أن عُزل عنها عام 747هـ، واستعمل أيضا في مهام السّفارة إلى الأقاليم خاصة إلى الجانب النّصراني حيث كان ناجح المسعى ميمون النّقية، نال خلالها رضا الملوك وعادت عليه بدنيا عريضة، وبين ذاك وذاك اختار التحلق لتدريس العلوم والعربية والفقه [4]

والمعروف أنّ ابن الخطيب لسان الدين(ت:776هـ) كان خلال أعوامه الأولى التي سطع فيها نجمه يعيش في ترفٍ وأبهةٍ وبذخ يناسب مركزه الرّفيع في الدّولة وثراءه الطائل أحياناً بقصره في الحمراء وأحيانا بقصره الفخم الذي أنشأه في بقعة الحدائق والجنات المسماة "عين الدّمع" بجوار غرناطة ذات الجمال والرّوعة موقع سكن القادة والمسؤولين [5]

غير أنه وبعد نشوب الثّورة في غرناطة والتي فقد فيها السلطان الغني بالله عرشه لم يبق لابن الخطيب سند، فبتحريض من خصومه تمّ مصادرة كامل أملاكه ومتاعه ونُفذت هذه الأوامر بغلظة وشناعة

[1]- ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ج 4، ص132، 134

[2] – ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2 ، ص339

[3] – المصدر نفسه، ج2، ص527

[4] – المصدر نفسه، ج2، ص 181،182،184

[5] – المصدر نفسه ، ج1، ص25 .

وفقد ابن الخطيب ثروته العريضة في لمحة ، جاء على لسانه "وتُقُبِضَ عليَّ ونكث ما أُبْرِم من أماني ...وبعد أن كسبت المنازل والدّور واستكثرت من الحرس، وختم على الأعلاف...فاستؤصلت نعمة لم تكن بالأندلس من ذوات النّظائر ولا ربات الأمثال في تبحر الغلّة وفراهة الحيوان وغبطة العقار ونظافة الآلات ورفعة الثياب...والفرش والماعون والزجاج الطيب والذخيرة والمضارب والأقمشة ...وثيران الحرث...فأخذ الجميع البيع وتناهبتها الأسواق...واستخلصت القرى والجنات"[1]

أمّا الشيخ المحدث السّاحيلي المعمم أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري (754،678هـ-1353،1179م) [2] فكان يعيش في شبابه عيشة المترفين يأخذ بحض وافر من لذات الحياة الدّنيا لما كا لأسرته من مالٍ وجاه، غير أنه بعد موت أبيه استقام ونهض بأعباء الدّنيا في مهام الإمامة والخطابة [3] واقتصر الشّيخ أبو عبد الله محمد بن بيش العبدري على تجارة الكتب في كسب قوت يومه [4]

عاش أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأنصاري السّاحيلي في عزٍّ ورثه عن أبوه الشّهير في غرناطة غير أنه أُلقي عليه القبض لأسباب لم تُفصح المصادر التاريخية عن كنهها فصودر كل ماله وصار فقيرا مدقعاً، وكان قبل ذلك قد خرج عن متروك والده فكان يعيش من الخياطة والنّسخ والتّعليم ، وابتلي في آخر عمره بفقد بصره فصبر وشكر [5]

لم يأخذ الشّيخ الشّريف التّلمساني مرتبا وقت طلبه للعلم لامن من مدرسته ولا من غيرها وإنّما كان ينفق من مال أبيه[6].

---

[1] – ابن الخطيب: المصدر نفسه، ج1، ص25 .

[2] – من أسرة شهيرة بالعلم بالتصوف والتدين ، بهذا نال حظا كبيرا من علم التصوف على يد والده عبد الله محمد الساحيلي والخطيب الطنجالي والشيخ ابن الزيات ، أخذ القرآن عن مقرئيين مشهورين مثل أبي محمد بن السّدّاد الباهلي ، وابن الفخار المراكشي وابن الزبير ، وتلقى الحديث عن أبي عبد الله بن عياش وابن رشيد ، والفقه عن أبي عمر بن منظور ، من مؤلفاته في التصوف "بغية السالك في أشرف المسالك" "النفحة القدسية في الأخبار السّاحلية" أنظر:ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص191، 193.

[3] –جماعة من الاساتذة: تراث الاندلس تكشيف وتقويم نماذج تقديم المؤلفين والمؤلفات،إشراف محمد حجي، مؤسسة الملك عبد العزيز ال سعود للدراسات الاسلامية والعلوم الانسانية، الدار البيضاء، المغرب،1993، ص57

[4] – لسان الدين ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص90

[5]– جماعة من الاساتذة: تراث الاندلس تكشيف وتقويم، ص56

[6]– التنبكتي: كفاية المحتاج، ج2، ص78– أبي عبد الله محمد بن أحمد الشّريف الحسني التّلمساني:مفتاح الوصول إلى بناء الفروع الفروع على الأصول، دراسة تحقيق محمد علي فركوس، مؤسسة الريان 1419هـ /1998م، ص62

وكان أبو عبد الله اللّوشي اليحصبي(752هـ)[1] في آخر حياته قد آثر حياة الخمول في غير تشكٍّ وزهد عن الازدياد والإستكثار والإقتصاد والإقتصار، فباشر مهمة زراعة الأرض التي صان بها وجهه عن السّؤال والإعراض عن أهل الدنيا وأيضا أخذ نفسه بالتقشف وسوء المسكن والتهاون بالملبس[2]

وكان قوت الشّيخ ابن عاشر(ت:765هـ) من نسخ كتاب العمدة في الحديث وكان يبيعها لمن يبيعها ولا يأخذ إلّا قيمتها[3]

امتلك الشّيخ ابن الحاج (ت:768هـ) مالا عريضا يكون قد ورثه عن أسرته أعانته على العيش الرّغد وصانته من أن يمتهن مهنة مثل باقي العلماء الذين اشتغلوا في الفلاحة والصّناعة، ولربما تكون قد نالته بعض النّعم والمكانة بسبب توليه مهمة الكتابة في عام 734هـ،أو من وظيفة السّفارة إلى الملوك التي تولاها في الأندلس بعد وفاة أبي عنان المريني[4]

وكان عمر بن محمد الرّجراجي ابو علي الفاسي(ت:810 هـ)[5]يعتمد في عيشه على حبك البرانس وغلّة دويرة ورثها عن أبوه وليس له عادة في غذاء ولا عشاء بل إذا احتاج الأكل[6]

أمّا الفقيه الصّالح ابن شبّة فكان يحترف الخرازة ويتقوت منها[7]وأحمد بن فرتون السّلمي(من أهل فاس)كان يمتهن مهنة التّوثيق مقدورا عليه في ذلك راضيا بحاله صابرا على مكابدة المحن، وكان عذره في عدم تنقيح كتابه "الذيل" ضعف الحال والفقر والقلة وغلبة الزمان[8]

---

[1]– هو محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي بن محمد اللّوشي اليحصبي يكنى أبا عبد الله ويعرف باللّوشي نسبة إلى مدينة لوشة، ولد عام 678هـ كان من أهل الحسب والأصالة ،قرأ العلم بمسقط رأسه وتعرّف على السلطان الغالب بالله محمد قبل أن يصير ملكا وتقدم عنده،نشأ في الدولة النصرية، توفي عام 752هـ، انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص269، 271

[2] – ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص269، 271

[3] - ابن القاضي المكناسي: جذوة الإقتباس، ج1، ص153

[4] - المصدر نفسه ، ج1، ص344 ، 345 .

[5] – إمام جامع الأندلس غلب عليه الزهد والورع وتقدم في الفقه وهو من الأولياء وصدور العلماء شهرته بالصلاح أكثر منها بالعلم ، أخذ عن الحافظ القباب والعالم المفتي الصالح الوانغيلي، توفي عام 810هـ . أنظر، التنبكتي أحمد بابا،كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دراسة وتحقيق محمد مطيع، المملكة المغربية، وزارة الشؤون الدينية الاسلامية، 1424خ/2000م ، ج1، ص324

[6] – نفس المصدر، ج1 ، ص324

[7] – ابن القاضي: جذوة الإقتباس، ج1، ص102

[8] – نفس المصدر، ص118

02: وظائف العلماء السّلطانية :

تولى علماء الغرب الإسلامي مجموعة من الوظائف كل حسب قدراته ومعارفه وكفاءته العلمية، إنعكست آثار هذه الوظائف على حياة العلماء خاصة فيما جلبت لهم من أسباب العيش الرّغد وعلو المكانة ومصاحبة السّلاطين وذوي الجاه، خاصة منهم ميسوري الحال الذين وجدوا أنفسم بين عشية وضحاها قد ملكوا من الأموال والضّياع مايكفل لهم ولعائلاتهم عيش الرّفاه،غير أنه وفي الكثير من الحالات نجد أن سمت العلماء منعهم من التّلذذ بهذه النّعم بل سخروها في سبل الخير الكثير حيث جعلوا في أموالهم حق معلوم لذوي الحاجات، ضف إلى ذلك ماكانوا يقومون به من أعمال في سبيل الوساطة بين السّلاطين والعامة .

كان للعلماء دورا كبيرا في الحفاظ على الكيان السّياسي للدولة سواءًا من المنظور الإيجابي أو السّلبي، فالجانب الإيجابي هنا هو محاولة العلماء لَمّ شمل الأندلس والرّدّ على الدّعايات المغرضة الراميّة إلى تفتيت الوحدة، والعمل على نشر العلم وغيره.

أما الجانب السّلبي في هذا، هو تخندق بعض العلماء وراء الأمراء وهجرهم القضايا التي أوكلوا بها وهي الدّعوة إلى الوحدة والتّعليم ونشر تعاليم الدّين الإسلامي، وكان هذا من أجل دنيا يصيبيها بالإضافة إلى تقريب الأمراء للعلماء لإثبات الشّرعية على ممارساتهم. إلاّ أنه كلا الموقفين زاد من مكانة العلماء في الدّولة فيما يخص الموقع والنّفوذ، فبلغ الفقهاء في عصر الطوائف والمرابطين والموحدين مبلغاً عظيماً لم يبلغوا مثله من سبقهم بعد فتح الأندلس.

وتجلى هذا النّفوذ في تأثيرهم على القرارات المهمة في الدّولة، فبهذا أصبح العلماء أهم مستشاري أمراء الأندلس في هذه الفترة، فقد تنوعت إسهاماتهم السّياسية بين نصح للحكام وتقويم الأمور ومحاولة الإبقاء على الوحدة والحثّ على الإلتفاف على الحاكم ومشاركتهم في إدارة الدولة، فكانوا يمثلون أحياناً الكتلة الساحقة في الساحة السّياسية نظراً لما كانت تمثله قراراتهم من نفوذ لدى الحكام. كما كان لهم الدّور البارز في تعيين ولي العهد، ناهيك عن دورهم كما سبق لنا وأن أشرنا،أي النّصح للحكام أو المشاركة في الوفود التي كانت توفد من طرف الأمير إلى باقي الأقاليم.

وتنوعت المناصب التي تولاها العلماء وتباينت، فمنهم من عمل في الوزارة(الحجابة)، وكانت هذه مهمة استشارية تخص أمور الحكم الدّاخلية منها والخارجية، ومنهم من تولى مهمة الكتابة لدى الأمراء، ولا يقل الكاتب أهمية عن الوزير كونه كاتم سرّ الأمير، وعمل باقي العلماء في القضاء الذي

كان أبرز الوظائف في هذه الفترة وكان القاضي تمنح له صلاحيات واسعة استعملها في حياته العلمية وتولى الآخرون مهمة الإمامة والخطابة .

الوزارة :

لم يكن إطلاق لفظ الوزارة في الدّولة الأموية شائعاً كما كان في الدّولة العباسية في المشرق وفي الدّولة الفاطمية في مصر،بل كان يطلق على من يتقلّد الوزارة في الأندلس إسم الحاجب تارة وإسم الوزير تارة أخرى، قُصِدَ به هنا من يتولى الوزارة بمعناها المعروف، فكان الوزير يقوم بعمل رئيس الوزراء في وقتنا هذا ويتولى رياسة مجلس الوزراء كما يسمى اليوم بين جماعة من كبار موظفي الدّولة للاستعانة بهم ويعيّن منهم الخليفة شخصاً يسميه الحاجب أو الوزير، وجعل للمالية وزيراً وللرسائل وزيراً وللمظالم وزيراً وللنظر في أحوال أهل الثّغور وزيراً [1]

قال إبن سلام الباهلي الإشبيلي(ت:544هـ)"لا يستغن الملك عن وزيره ويستعين به في تدبير ملكه ويفوض إليه ما يشاء من حكمه ويصونه من الامتهان ويرفعه عن التبذل في كل ماكان، وإذا استكمل احوال الخصال المحمودة كانت وزارته زينا للإمامة، وجمالا للخلافة وقوة على صلاح الدين والدنيا كما أنه اذا نقصه منه شيئ فيه كان الإختلال في الدولة بحسب ذلك نقص..."[2]

كانت الوزارة هي النّواة الأولى للدّولة بعد الملك أو السلطان، كون الوزير هو الذي ينوب عن السّلطان في مهامه المدنية والعسكرية والإشراف على الكتابة وديوان الإنشاء، وهذا ما أهله لحمل ألقاب تدل على قوة نفوذه مثل لقب ذي الوزارتين وهذه الألقاب لم تكن تشريفية بل كانت حقيقة في معناها ومدلولها لأن صاحبها كان يجمع بين سلطتي السّيف والقلم .

ويبدو أن غالبية وزراء غرناطة كانوا من أهل العلم والفضل والأدب الذين مارسوا خطة الكتابة العليا في ديوان الإنشاء قبل ترشيحهم للوزارة بعد أن أثبتوا براعة في مهامهم السابقة، ثم ظلوا

---

[1] - حسن إبراهيم حسين: تاريخ الإسلام السّياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية،الطبعة الأولى 1967،الجزء الرابع(العصر العباسي الثاني)،ص331، 332.

[2] – ابو الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلي الإشبيلي(ت:544هـ): الذّخائر والأعلاق في آداب النّفوس ومكارم الأخلاق الأخلاق ، تحقيق إحسان ذنون الثامري ،الطبعة الاولى، دار صادر، بيروت، لبنان، 1432هـ-2011م،ص233،232

متحفظين بهذه الخطة إلى جانب عملهم كوزراء، كما أن أصحاب الكتابة العليا هم الذين كانوا المرشحين الأوائل لمنصب الوزارة في الدولة[1]

عمل والد لسان الدّين بن الخطيب بديوان الإنشاء في خدمة السّلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوس بن نصر بن الأحمر سلطان بني الأحمر في غرناطة(733-755هـ) المعروف بيوسف الاول،ولما توفي والده عام 741هـ ووثق به وقلدّه السّلطان أبوالحجاج وظيفة والده وهو في ريعان شبابه،وأسند اليه رئاسة ديوان الإنشاء وجعله وزيرا من وزرائه المقربين ثم أسند له مهمة السّفارة الى الملوك المجاورين، ولما قتل السّلطان أبو الحجاج عام 755هـ خلفه إبنه محمد بن يوسف الغني بالله فحرص على إستمرار لسان الدّين إبن الخطيب في خدمته وزادت حظوته عنده فجعله سفيرا إلى أبي عنان فارس المتوكل على الله سلطان بني مرين في المغرب(740-759هـ) فنجح في سفارته واستطاع أن يوثق ويوطد عرى الصّداقة والمحبة والتعاون بين سلطاني المغرب وغرناطة مما ساعدهما في التّصدي لطغيان ملك قشتالة المتحرش بغرناطة على وجه الخصوص،ومن هنا بلغت ثقة السّلطان الغني بالله بإبن الخطيب وحمل بموجبها لقب ذي الوزارتين[(2)].

أورد المقري نصا عن إختصاص والد لسان الدّين بن الخطيب[3]بالوزارة قال"إنتقل إلى لوشة بلد سلفه مخصوصا بلقب الوزارة إلى أن قصدها السّلطان أبو الوليد متحطيا إلى الحضرة هاويا إلى ملك البيضة فعضد أمره وأدخله بلده لدواع يطول إستقصاؤها ولما تمّ له الأمر صحب ركابه إلى دار ملكه...وكان من رجال الكمال..." [4]

---

[1] - ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب،تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير ،دمشق،1413 هـ/1992، ج8،ص225

[-2] ابن رضوان المالقي: الشّهب اللامعة، ص22– حسين مؤنس: الجغرافيا والجغرافيين،ص552- فاضل فتحي محمد والي: الفتن والنكبات الخاصة واثرها في الشعر الأندلسي،الطبعة الاولى،دار الاندلس للنشر والتوزيع ،المملكة العربية السعودية، 1417هـ-1996م ،ص376

[3] -هو عبد الله بن سعيد بن علي بن احمد السّلماني(ت:741هـ-1341م)، من اهل العلم والدّين والخير ومن أهل العلم بالأدب والطب، عرف بيتهم في القديم بوزير ثم بلوشة ببني خطيب، انتقل إلى غرناطة واستعمل لملوك بني الأحمر في أول أمره على مخازن الطّعام، وهو .انظر :المقري التّلمساني: نفح الطيب، ج5،ص8 ،10

[4] - المقري التّلمساني: المصدر نفسه، ج5،ص8

الكتابة :

كان الكتاب في الأندلس الإسلامية نوعان: فهناك كاتب الرّسائل الذي كان يحظى بمكانة عالية في الدّولة وحتى بين أهل البلاد، وكاتب الزّمام ويسمى أيضا بالحاجب(حاجب الأشغال الخراجية)[1]وهو بمفهومنا الحالي وزير المالية أو الذي يسهر على تسيير النّفقات العمومية وإحصائها، مهمته جباية الضّرائب وجمع الخراج وتحصيله[2]

تولى العلماء مهام الكتابة لدى سلاطين بني الأحمر وغيرهم وكان لهم قدم السّبق في ذلك ممن سبق ومن يليهم كونها من الوظائف العليا خاصة في فترة الدّراسة(بني الأحمر)، كونها كانت تُسند لأهل العلم والفضل والأدب،ونظرا لحساسية المنصب الذي يتطلب إلماما بكل أنواع الكتابة متبوعا بالخط الحسن وترتيب اللّفظ وواسع البيان الدّال على لطائف المعاني التي هي زبد الافكار وجواهر الألفاظ[3]والتي هي حصيلة الألسنة وزيادة العلم وغزارة الفضيلة وذكاء القريحة وجودة الرؤية[4] لأن أهل الأندلس كثيرو الانتقاد وانتظار حيث يسعون في استثمار سقطات الآخرين ممن ولي منصب الكتابة ولا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة، إما رغبة في إسقاط منزلته أمام السّلطان أو رغبة في تولي هذه المهمة بعد أن يثبتوا أنّ خصمهم ليس أهلا لها، فإن كان ناقصا عن درجات الكمال غير مؤهل لتوليها لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن في كل محفل ينزل به[5]

كانت هذه الخطة تسمى الكتابة العليا[6] في ديوان الإنشاء[7] أما عن آداب الكتابة فشملت شرطين وجب التّحلي بهما هما:حسن السّيرة وحسن المعاشرة،أما الأولى فدخل تحتها مجموعة

---

[1] – وتسمى هذه الخطة ايضا الجهبذة، وهي كلمة فارسية تعني الإدارة المالية الخاصة بجباية الضّرائب وجمع الخراج وتحصيله، وكاتب الجهبذة هو صاحب الزمام أو صاحب الأشغال الخراجية والذي كان بمثابة وزير المالية. أنظر:أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص243

[2] – محمد حسن العيدوس: تاريخ وحضارة الاندلس"النّظم الإدارية في اسبانيا الإسلامية"، الطبعة الاولى، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 1433هـ /2012م

[3] – حسن العيدوس: تاريخ وحضارة الاندلس،ص 100 – أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، ص186

[4] – محمد الطوخي: المرجع نفسه، ص187

[5] – العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص234

[6] – محمد الطوخي: مظاهر الحضارة، ص 187 – أحمد مختار العبادي: المرجع نفسه، ص233 .

[7] – كان يوجد بهذا الدّيوان إدارة للترجمة إلى اللّغات الأوربية ولا سيما الإسبانية (القطلانيةوالقشتالية)، ففي بعض الوثائق الغرناطية الغرناطية نجد إشارات تدل على أن الرّسالة كتبت بلغتين عربية وعجمية، كما يدخل ضمن إختصاصات الكاتب ايضا تحرير القوانين العامة والخاصة وتسطير المراسيم الملكية المتعلقة بتعيين الولاة والقضاة والقواد وغيرهم .أنظر:العيدروس، تاريخ وحضارة

الأخلاق الكريمة كتقوى الله سرا وعلانية وابتغاء الدّار الآخرة في كل مايصدر عن الكاتب من آراء والبعد عن مواطن الشبهات ولزوم العفة والإتّصاف بالإخلاص والإعتدال في طلب اللذّة... وكتمان السرّ والشّكر والوفاء ويدخل في الثانية حسن معاشرة كل من الملوك والعظماء والاكفاء والنّظراء والأتباع والمرؤوسين والرّعية على وجه العموم [1]وقد ارتقى أصحاب هذه الخطة ممن حسنت صنعته الى رتبة الوزارة وظلّوا محتفظين بهذه الخطة إلى جانب عملهم كوزراء[2]

برز في الغرب الاسلامي عددا كبيرا من الكتاب الذين برعوا في إنشاء الكتب الرّسمية ،ونذكر منهم على التّوالي:

ابن الجياب الغرناطي[3] الذي كتب عن الدّولة النّصرية أزيد من 50عاما حيث يقول فيه تلميذه ابن الخطيب"صدر الصّدور الجلة وعلم أعلام هذه الملة وشيخ الكتابة وبنيها..."ساعده في مهمته هاته توقد ذهنه حتى قال ابو القاسم إبن جزي"...خرج علينا من بيت الكتابة من حضرة غرناطة شيخنا الرئيس أبو الحسن بن الجياب ونحن معشر الكتاب مجتمعون فأنشدنا بديهة مخاطبا للجميع:

أأصحابنا يا صاحـــــب الأدباء * ويا نخبة الكتاب والشّـــــــعراء

لأعطيتهم فصل الخطاب وفصله * فيعجز عنكم واصل بن عطاء [4]

الأندلس، ص101- أحمد مختار العبادي:المرجع السابق، ص233، حسن إبراهيم حسن: النّظم الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، مصر، دت، ص141-ويذكر القلقشندي (نقلا) أن الكتابة نوعان هما: وكتابة الأموال وإن كثرت الأنواع و لا تخرج عن هذين الأصلين ،غير أنّ العرف جرى على تفضيل كتابة الإنشاء من زيادة العلم والثّقافة وغزارة الأدب والفضيلة وذكاء العقل والقريحة وجودة الرّواية والقدرة على التّصرف والتّنوع في التّعبير وإختراع المعاني ،فمادة العلم الغزيرة كفيلة برفع الرّتبة عن كتابة الأموال.." . أنظر: عبد اللّطيف حمزة: أعلام العرب(القلقشندي في كتابه صبح الاعشى)الموسوعة المصرية العامة للتأليف والطباعة والترجمة، 1962، ص65،66 .

[1] – عبد الطيف حمزة: المرجع نفسه، ص ص65، 66 ،68 ، 69 .

[2] – أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص233

[3] – ابو الحسن علي بن محمد بن الجياب ،شاعر و كاتب من أشهر كتاب دولة بني الأحمر النّصرية (673-749ه)،شيخ طلبة الاندلس في زمانه رواية وتحقيقا في كثير من العلوم والفنون، تولى مهامه في البلاط النّصري كاتبا ثم ترقى رئيسا لكتاب الحضرة ، وكان ، قائم على العربية إماما في الفرائض والحساب عارفا بالقراءات متبحرا في الادب والتاريخ،انظر:أبي الوليد اسماعيل بن يوسف بن الاحمر الغرناطي الاندلسي:أعلام المغرب والأندلس في القرن الثّامن وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني و اياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، لبنان، 1407ه/1987م، ص125

[4] – لسان الدّين بن الخطيب: ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان ، الطبعة الاولى، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر، 1401ه/1981م، ج2، ص379- ابن الاحمر: نثير الجمان، ص125- لسان الدّين بن الخطيب: اللّمحة البدرية، ص66 ،80- لسان الدين بن الخطيب: الاحاطة، ج4، ص126 – المقري التّلمساني: نفح الطيب، ج5، ص434 – عائدة

قال عنه ابن القاضي المكناسي"...له قلم فصيح وباع في الكتابة والخطابة مديد فسيح..."[1]كتب في الدّولة النّصرية لـ6 من الملوك،ارتقى فيها مرتقا عاليا وقلّده السّلطان أبو الحجاج يوسف الوزارة مضافة إلى رياسة الكتّاب وتولى إذ ذاك مهمتين في آن واحد[2]

مكنته المكانة المرموقة التي تمتع بها بين أقرانه كونه من كبار الأدباء الذين حفل بهم عصره وتسامعت به الأقاليم من التّفوق في صنعة الكتابة،و أصبح محط اهتمام السّلاطين الذين دون لهم عديد الرّسائل في دواوين الملك،وتولى ابن الجياب هذا المنصب في عهد السّلطان أبي الوليد إسماعيل و السّلطان عبد الله محمد ثم لأخيه السّلطان ابي الحجاج يوسف،واستمر في عمله بديوان الإنشاء حتى أصبح رئيسا له، وبقي فيه إلى أن توفي في محنة الوباء الكبير(الطاعون)عام 749هـ/1349م [3]

تقلّد تلميذه لسان الدّين بن الخطيب خطة الكتابة أيام السّلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج في أُخريات دولته بعد شيخه ابن الجياب[4]، قال ابن الصّباغ العقيلي(نقلا عن المقري)"...كان ابو الحسن بن الجياب رئيس كتاب الأندلس وهم رؤساء غيرهم واختص به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب إختصاصا تاما،وأورثه رتبته من بعده وعهد بها إليه مشيرا بذلك على من استشاره من أعلام الحجاب عند حضور عمره وتدرب بذكئه حتى استحق أزمّته...ونال التي لا فوقها من الحضوة وبعد الصّيت..."[5]

محمد عبيد:الكتاب والكتاب في مملكة(سلطنة)غرناطة في عهد بني الأحمر (635-897هـ/ 1238-1492م)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، كلية الاداب قسم التاريخ، جامعة الموصل، العراق، العدد 13، المجلد 4، 1433هـ/2012م ،ص00-

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: بغية الوعاة في طبقات الغويين والنحاة، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركائه، القاهرة، 1384هـ/ 1965م، ص189.

[1] – أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي(ابن القاضي :960هـ/1025م):درة الحجال في أسماء الرجال،تحقيق محمد الاحمدي عبد النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، مج 3، ص125 ،127.

[2] – ابن الأحمر : نثير الجمان، ص126

[3] – العيدروس: تاريخ وحضارة الأندلس، ص100 ،101

[4] – المقري التلمساني:أزهار الرياض، ج1،ص191– حسين مؤنس: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس،ط2 ، مكتبة مدبولي ، 1986، ص552– استدعي لسان الدّين بن الخطيب للخدمة السّلطانية عند استشهاد والده في معركة طريف 741هـ وهو ابن ثمان وعشرين تحت إشراف ابن الجياب شيخه ورئيس الكتاب وديوان الانشاء، تولى أمانة السّر وظهرت براعته في دباجة الرّسائل والمنشورات الوزارية وهو على ذلك الحال إلى أن مات ابن الجياب بالطاعون عام 749هـ، انظر: لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة، ج4 ، ص443– لسان الدّين بن الخطيب: اللّمحة البدرية ، ص103 .

[5] – ابن الأحمر: نثير الجمان، ص126

أثمر التّكوين الذي حظي به ابن زمرك وثقافته الواسعة بأن تولى وارتقى في سلم الوظائف الدّيوانية، وأولاها الكتابة التي أمتاز بها"كان هشا خلوبا عذب المفاكهة حلو المجالسة خفيف الرّوح حاضر الجواب كما كان جوادا بما في يده مشاركا لإخوانه بارا مؤثرا بما منح...كلفا بالقراءة عظيم الدؤوب ثاقب الذّهن أصيل الحفظ... فاشتهر فضله وذاع ارجه..."[1] [2]،وبعد أن أسندت مهمة الوزارة إلى شيخه لسان الدين ابن الخطيب تولى مهمة الكتابة في عهد السّلطان يوسف الأول أبو الحجاج، وكان هذا في حدود 749هـ/1349م، وعمره لم يتجاوز السّابعة عشر و استطاع أن يظهر براعة في الكتابة والنّظم والتأليف[3]،وبعد تولي السّلطان محمد الخامس الغني بالله ملك غرناطة واستدعى ابن الخطيب لمنصب الوزير،وشغور منصب الكاتب جعل الجو يخلو لهذا الأخير لتولي مهمته على رأس الكتابة بعد أن قضى فيها ما يقارب 3 سنوات في عهد السّلطان أبي الحجاج السابق[4].

وبعد أن تمّ خلع السّلطان الغني بالله عن الحكم واستقراره بالمغرب كان ابن زمرك من جملة من رافقه في هذه الرّحلة القسرية والتي تمّ بموجبها التّقارب أكثر فأكثر مكّنته من كسب ثقته فيه، حيث وبعد أن استعاد ملكه واستتب له الأمر عام 763هـ/1362م خصّه ابن زمرك بكتابة سرّه مباشرة لما رأى فيه من نجابة وفطنة وجعله في عداد الكتاب، وقد كانت الكتابة هي فاتحة وظائفه، حيث شغل بالتوازي معها وظيفة السّفارة و عقد الصّلح بين العدوتين، فكان رسول السّلطان إلى بني مرين وسفيرا إلى دول النّصارى الإسبان واستطاع من خلالها عقد الصّلح تسع مرات كاملة، وبعدها ارتقى إلى رتبة الوزارة عام 733هـ/1372م ، وهكذا لازم ابن زمرك عهد الغني بالله منذ البداية ، ويؤكد ماسبقت الاشارة اليه ماذكره السّلطان ابن الاحمر الذي وجد رقعة من رقاع ابن زمرك جاء فيها "خدمته فيها سبعا وثلاثين سنة... ثلاثا بالمغرب وباقيها بالاندلس..."وبعد أن استتب الأمر للسلطان محمد الخامس ورجوعه إلى الأندلس عام 762هـ/1361م واستقل برندة رافقه اليها ابن زمرك وقام له برسم

---

[1] – وردت هذه الترجمة في كتاب الإحاطة في الزّمن الذي بين ابن الخطيب وابن زمرك وفاق وصداقة، امّا عندما الّف كتاب "الكتيبة الكامنة"زمن العداوة بينهما، نجد أن لهجة الخطاب تغيرت تماما لدرجة أنّه عند رجوعنا إلى كتاب ثامن ملوك بني نصر وجدنا أنّ ابن الخطيب لم يورده ضمن كتابه واكتفى بذكر الكاتب أبا محمد عبد الحق بن أبي القاسم بن عطيةوهذا لا يدع مجالاً للشّك حول شدّة العداوة بينهما انظر: لسان الدّين بن الخطيب: اللّمحة البدرية، ص103

[2] – لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة، ج2 ، ص300

[3] - ابن زمرك الغرناطي: ديوان ابن زمرك، ص10- صالح مهدي عباس:جهود علماء مملكة غرناطة الاندلسية في الشعر التعليمي ، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد ، ص33

[4] – ابن زمرك الغرناطي: ديوان ابن زمرك ، ص10- شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص151

الكتابة مع الفقيه أبي الحسن النّباهي الذي ولي خطة القضاء من بعد، بعد مدّة من الزّمن استدعى محمد الخامس ابن الخطيب وعينه وزيرا وساعده الأيمن وأصدر بالموازاة ظهيرا يعيّن فيه ابن زمرك كاتبا لسرّه وفي هذا يقول ابن الخطيب"..وهذا نظير كريم نصب المعتمد به للأمانة الكبرى ببابه فرفعه وأعطاه لواء القلم الأعلى فوجب على من دون رتبته من أولي صنعته أن يتبعه..."وجعل أقلامه جيادا لإحالة أمره العلي وخطا به السّني في ميدان الأقاليم ..واختص بمزية الشّفوف على كتاب بابه والتّقديم..."باشر زمرك أعماله ككاتب للسّر وشاعر للبلاط يمدح سلطانه في المناسبات شاكرا له على المكانة التي حظي بها في حماه[1]

وأُستعمل ابن الحاج النّميري في البلاط المريني كاتبا لسّر السّلطان وكاتب العلامة ورئيس الكتبة بديوان الانشاء مكّنته من ذلك قدراته الأدبية وهو بجانب ملك فذّ له سبق في الأدب والمناظرة، فكان من الضّروري أن يجعل في كُتّابه جملة الشّروط الملزمة حتى يرتقي بالخطة إلى أرقى المستويات، فابن الحاج هذا توفرت فيه من الصّفات ما يخوله لتولي الخطة"... فحلّ النّثار ورأس أهل البلاغة العظام امتطى من ديوان الإنشاء..."وكثيرا ما تمّ تشبيهه بابن الخطيب وابن زمرك وغيرهما من فحول الأدب نظير ماقدمه من خدمات جليلة في هذا الباب [2]

ورث العالم أحمد بن أحمد بن خلف الحظوة السّلطانية عن أبيه بمالقة حيث كان مشاركا في أمور عدّة في قصور مالقة، ثم انتقل الى غرناطة فارتسم بها في كتابة الإنشاء وكان ينتحل الجندية ويرتزق من الكتابة في ديوان الجند إلى أن مات شهيدا عام 730هـ[3]

وكَتَبَ أبا جعفر بن صفوان[4] للسّلطان أبي عبد الله محمد الفقيه، ثمّ من بعده لأبي الوليد اسماعيل حيث تولى رئاسة كتابه حين بويع بمالقة وبعض الأشهر بغرناطة[1]

---

[1] – ابن زمرك الغرناطي: ديوان ابن زمرك، ص13– احمد سليم الحمصي: إبن زمرك الغرناطي (733هـ–896هـ/1333–1393م)سيرته وأدبه مؤسسة الرّسالة، بيروت لبنان، ط1، 1405هـ/1985م، ص88 إلى 91 .

[2] – إبن الحاج النّميري: فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السّعيدة الى قسنطينة والزّاب، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص47،48 .

[3] – إبن حجر العسقلاني: الدّرر الكامنة، ج1، ص100

[4] – هو أبو جعفر احمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان من أهل مالقة يعرف بابن صفوان(675هـ/763هـ) صدرا من صدور كتاب غرناطة زمن الدّولة النّصرية، له مشاركة في النظم والنّثر، ثاقب الذّهن قوي الإدراك، وله شهرة واسعة في علم الحساب والفرائض والأدب والتوثيق، ضابط لعلم التاريخ، واللغة مع معرفة بالفلسفة ومشاركة في التّصوف، كثير النظر والتقييد والتصنيف، من مؤلفاته ديوان شعره الشّهير جمعه لسان الدين ابن الخطيب في اقامته بمالقة عام 744هـ وسماه الدّرر الفاخرة واللّجج السّاحرة

تولى أيضا ابن محمد ابن الحكيم اللّخمي(ذو الوزارتين)الكتابة حيث ألحقه السّلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر بكتّابه وبقي يكتب له في ديوان الإنشاء إلى أن توفي السّلطان وخلفه من بعده ابنه المكنى بالمخلوع والذي جدّد ثقته في وزاد أن قلّده خطتي الوزارة والكتابة[2]

وشغل يحي بن عبد الكريم الشّنتوفي خطة الكتابة حيث كتب لأمير المسلمين أبي يوسف يعقوب وإبنه أبي يعقوب وخرج معهم إلى طريف برسم الجهاد، قال فيه ابن الخطيب"كان كاتبا ثرثارا أديبا لوذعيا كثير النظم والنثر..."[3]

وكتب العالم يوسف بن على الطرطوشي(أبا الحاج)بالدار السّلطانية سالكا في ذلك سنن من قبله في الحرص على الإبداع ومدح الملوك بها، فكان"..حسن الخط سلس الكتابة..." [4]

أما الفقيه أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي الكلبي[5](وهو ابن أبي القاسم ابن جزي شهيد معركة طريف وإمام الجامع الأعظم بغرناطة)ارتسم في خطة الكتابة السّلطانية لسابع الملوك النّصريين يوسف الأول أبو الحجاج الغالب بالله،"...وكان أبو بكر في جملة كتاب الدّولة النّصرية وقضاتها وله في ذلك مشاركة في شيئ من التّصنيف والتأليف..." [6]

أظهر براعة في صناعة الكتابة لفتت إليه أنظار الكثير من الأدباء الذين لم يَصْفُوا لهم الجو فكمنوا له عند السّلطان أبي الحجاج يوسف وأوقعوا به، رحل إثرها من غرناطة نحو المغرب وإلتحق

،وكتاب مطلع الانوار الإلآهية، وكتاب بغية المستفيد،انظر: ابن الخطيب:نثير الجمان، ص131-لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة، ج1،ص223 .

[1] – لسان الدّين بن الخطيب: المصدر نفسه، ج1 ،ص158، 162

[2] – ابن الخطيب: الاحاطة، ج1 ، ص445

[3]– ابن الخطيب: الاحاطة ، ج4 ،ص401

[4] – نفسه، ج4، ص423

[5]– هو خطيب وفقيه وقاض من أعلام غرناطة، ولد عام 715هـ، يرجع أصل أسرته بني جزي إلى حصن البراجلة من مدينة ولبة ، سكن أهله بغرناطة من أن صارت حاضرة، قرأ على والده الخطيب ابا القاسم ولازمه وأستظهر ببعض موضوعاته، وتأدب به، وأخذ عن بعض العلماء الذين عاصرو اباه ، ألف كتبا عديدة نذكر منها: تقييده في الفقه على كتاب والده في الفقه المسمى "القوانين الفقهية"ورجز في الفرائض، توفي عام 785هـ .انظر:ابن الاحمر: نثير الجمان، ص165- لسان الدّين بن الخطيب: الاحاطة ،ج1 ، ص158، 162 .

[6] – ابن الأحمر: نثير الجمان، ص165 – لسان الدّين بن الخطيب: الاحاطة، ج1، ص158 .

بديوان الكتابة للحضرة المرينية لدى السّلطان أبي عنان فارس المريني ومكث هناك إلى أن وافته المنية عام 785ه[1]

تولى الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الرّندي كتابة الانشاء[2] على عهد السّلطان محمد الفقيه ثاني ملوك بني نصر(671ه/701ه) وأظطلع بها الى آخر دولته [3]

ذكر التُنبكتي أن ابن عاصم[4] تولي أثنتي عشر خطة في وقت واحد منها الكتابة،ويفهم من الألقاب الألقاب التي اضيفت على اسمه أنه كان كاتبا رئيسا للكتاب وخطيبا ووزيرا وشاعرا وناثرا وإماما ومفتيا وقاضيا للجماعة وعالما وفقيها[5]

تولى الكتابة الدّيوانية السّلطانية بعد وفاة والده عام 829ه، ولأدلّ على ذلك أنه في نفس السّنة المذكورة يكتب حجّة وقفية كتاب الإحاطة على المدرسة اليوسفية بغرناطة ذاكرا تكليف السّلطان الغالب بالله له في هذه المهمة[1]

[1] – العيدروس:تاريخ وحضارة الأندلس، ص101

[2]– ويسمى كذلك ديوان الرسائل وهي أدارة تابعة للسلطان ومركزه قصر الحمراء وكانت مهمة هذا الدّيوان إقامة الصّلة بين الحاكم والولاة والشّعب والخارج، ودور كاتب السّر تأمين المراسلات الرسمية .أنظر: شكري فرحات، غرناطة، ص66

[3]– لسان الدّين بن الخطيب: اللمحة البدرية، ص40– شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص66

[4]– هو أبو بكر محمد بن عاصم الأندلسي الغرناطي المالقي كونه أقام في مالقة تولى خلالها عدّة وظائف كالسّفارة بين صاحب مالقة وسلطان غرناطة من أسرة مرموقة عريقة تميزت بمكانتها الادبية والثقافية والفكرية بالاضافة إلى المكانة السّياسية والعسكرية، ولد عام 760ه وتوفي عام ه829، وكتب في ذلك أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن القاضي بيتا يورد فيه إشارات عن مولد ابن عاصم يقول فيه :

وقد رقصت غرناطة بإنّ عاصم * وسحت دموعا للقضاء المنزل

كان من أهل الفضل ومعرفة وضبط للقراءات وله سبق في العربية و المنطق والأصول والحساب والفرائض والأحكام والشّعر والنّثر ،وبراعة في الخط وإحكامه ، كما أُشتهر بتفسير الكتب، وله مؤلفات كثيرة نذكر منها "الأرجوزة "وأخرى في الأصول سماها" مهيع الوصول إلى علم الأصول "اطلقت عليه القاب عديدة كقاضي الجماعة، والحافظ والوزير والجليل والرئيس والمعظّم والكاتب والبليغ والحفيظ والشاعر والفصيح والمتقن والعمدة والشّهير والعلاّمة والحجة والشّاعر والنّاثر ونخبة الأعيان أنظر: أبي الحسن علي بن عبد السّلام التّسولي(ت:1285ه) : البهجة في شرح التّحفة على الارجوزة المسماة بتحفة الحكام للقاضي ابي بكر محمد بن محمد بن عاصم الأندلسي المتوفي سنة 829ه ومعه حلى المعاصم لفكر ابن عاصم للإمام أبي عبد الله محمد التّاودي المتوفي سنة 1209ه، تحقيق عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418 ه/1998م، ص8 ،9 – محمد عويد السّاير: محمد عبيد السّبهاني، أدب ابن عاصم الغرناطي(ت:857ه)مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، العدد 3، 2010، ص142 .

[5]– التنبكتي: نيل الابتهاج ج1، ص537 –المقري التلمساني: أزهار الرياض،ج1 ،ص145 – المقري التّلمساني: نفح الطيب، ج6، ص148– محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السّلفية، القاهرة، 1329ه/1929م ، ص248 .

القضاء :

عاد منصب القضاء على من تولاه من علماء الغرب الاسلامي بجاه ومال عريضين انعكسا على الحياة الإجتماعية سواءا من ناحية الحظوة السّلطانية حيث أصبح من خاصة السّلطان وحاشيته التي تغشى مجالسه، أو من ناحية القيمة المجتمعية والهالة القدسية التي ارتبطت بشخص القاضي.ولعلّ قيمة القاضي في مجتمعه كانت تقاس بعدله في أحكامه، وذلك بإنصاف المظلومين والضّرب على أيدي الظالمين مهما كانت درجتهم الإجتماعية، وإذا حصّل القاضي هذا تسامعت به الأقاليم وكان محلّ إشادة وكثرت مراسلات السّلاطين تدعوه الى القدوم عليهم مصحوبة بجملة الإغراءات، ولكن إتقان عمل القاضي في بعض الأحيان يصطدم برغبات بعض السّلاطين الذين يعملون على إغرائه وإسكاته حتى ولو تطلب الأمر إستعمال القوة والتّهديد، يقابله رفض تولي المهمة أو الهجرة إلى إقليم آخر، وفي الكثير من الحالات الرّضوخ للأمر الواقع والرّضى بالتّقوقع في بوتقة السّلطان عسى أن ينال من حظ الدّنيا ما يُأمله منها.

إن التّوجه الذي غلب على علماء الأندلس خاصة منهم المشاركين في إنقاذ مملكة غرناطة، غلب عليه الطابع الدّيني وبالأخص جانب الفقه والحديث، وعلى هذا كان لزاماً على أمراء وحكام الأندلس أن تختار هذه الفئة للمناصب ذات الصّلة بهذه العلوم، وكان على رأس هذه المناصب منصب الإفتاء والقضاء.

تعددت مهام القاضي في الأندلس واختلفت عمّا هو عليه الحال اليوم فكان يشرف على بيت المال وذلك بأن يختار له رجلا من ذوي الأمانة والعدل، يشرف أيضا على أمور المساجد من إمامة و خطبة، فكان يتولاها هو في الغالب،و يكلف غيره في بعض الأحيان، كما كان القاضي مكلفا أيضا بمهمة الإشراف على عملية بناء المساجد وغيرها من الأمور المتعلقة بها[2]

وسلف من رجال وعلماء المغرب و الأندلس أهل حاضرة غرناطة العظمى، دعوا إلى القضاء فرفضوا إجابة الدّعوة، ونُدبوا إليه فلم ينتدبوا رهبة في أنفسهم بعِظَمِ المسؤولية ومخافة العاقبة[3]

---

[1] – ابن عاصم الغرناطي: جنة الرضا، ج1، ص52 .

[2] Marcais (Gerges) :Manuel d'Art Musulman ,L'Architecteur ,2 vol ;Paris 1926. Vol1/p312.-

[3] – محمد بن الحارث الخنشي: قضاة قرطبة وعلماء إفريقية،عنى بنشره وصححه وراجع أصله:عزت العطار الحسيني،مكتبة الخانجي،القاهرة والطبعة الثانية(1415هـ/1994م)ص11، 12.

تولى منصب قاضي الجماعة في المغرب والأندلس عدد كبير من العلماء دُونت أسماءهم كتب التراجم، نذكر منهم العالم الجليل أبا الحاج الطرطوشي الذي توجه إلى العدوة المغربية بعد أن كان له سبق في الكتابة في الأندلس وإشتغل في القضاء وكان مشكور السّيرة[1]

تولى أبو بكر بن جزي الكلبي القضاء في غرناطة والخطبة بمسجد السّلطان بعد أن ذاع صيته في مجال الكتابة، أين كان ممن برع فيها ونال ثناء معاصريه[2]،ثم تولى قضاء مدينة برجة[3] ثم قضاء مدينة أندرش[4] ثم مدينة وادي آش، واتّصف خلالها بالنزاهة وشكرت سيرته وحُمِدت[5]

تولى أيضا الفقيه محمد بن محمد السّلمي(أبو البركات إبن الحاج البلفيقي)القضاء في عهد السّلطان أبي الوليد إسماعيل، حيث تولى قضاء مدينة شبالش عام 717هـ، ثم انتقل منها ليتولى القضاء والخطابة بغرناطة وغيرها من البلاد، وفي فترة حكم الملك الغالب بالله تولى قضاء الجماعة بغرناطة ورسولا إلى ملوك المغرب[6]

يقول فيه ابن الخطيب:"...وولي خطة القضاء بعده (يقصد الشّيخ محمد بن أحمد بن محمد الحسني)شيخنا نسيج وحده البعيد المدى في ميدان الأصالة والإمامة والأصول الصّالحة والسّذاجة والشّيم الكريمة ابي البركات محمد بن محمد بن الحاج البلفيقي وهو الآن رهن الحياة ومستقض المتصير إلى الملك بالاندلس..."[7]

---

[1] – لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة، ج4، ص423 .

[2]- ابن الاحمر: نثير الجمان، ص165– لسان الدّين بن الخطيب:الإحاطة ، ج1 ، ص158

[3] – **برجة** : أو Berja الحديثة هي من أعمال المرية، تقع غربي ثغر ألمرية على مقربة من البحر الأبيض المتوسط .انظر لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص157 .

[4] – **أندرش** : ووردت أيضا بإسم أندش وهي بلدة صغيرة من أعمال ولاية المرية ايضا تقع شمال مدينة برجة وهي مدينة مشهورة في غرناطة وترتبط شهرتها بآخر ملوك غرناطة ابي عبد الله الذي رحل إليها بعد تسليم غرناطة وسكنها حوالي عامين وبعدها شدّ الرّحال في اتجاه المغرب في اكتوبر عام 1493م . لسان الدّين بن الخطيب: الاحاطة ، ج1 ص158 ،قال فيها ابن الخطيب "....عنصر جباية ووطن به أولو إباية حريرها ذهب ، وتربتها تبر منتهب ، وماؤها سلس وهواؤها لا يلفي معه كسل....إلّا أنّها ضيقة الأحواز والجهات كثيرة المعابر والفوهات ..." لسان الدّين بن الخطيب: معيار الاختيار،ص

[5] – ابن الأحمر: نثير الجمان، ص165 – لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص162 .

[6] – لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص157

[7] – لسان الدّين بن الخطيب: اللّمحة البدرية، ص104 .

وفي ذكر أفضليته في خطة القضاء يضيف:"...إلى قدوم متلقف الكرّة ومتعاور تلك الخطة الشّيخ الفقيه القاضي أبي البركات قاضي أبيه ووليها الأحق بها بعده..." [1]

تقدم أبا عبد الله الأشعري المالقي(ت:741هـ)القضاء في زمن السّلطان أبو الحجاج يوسف، حيث وصف كونه"... أعزّ الخطة وترك الهوادة وأنفذ الحق، حيث تولى القضاء والخطابة معا بغرناطة في محرم سنة سبعمائة وثلاثين،فقام بمهمته وصدع بالحق، حيث عمل على تجريح الشّهود في الأحكام وكشف زيفهم وطيلة مدّة قضائه استطاع أن يكشف حوالي 70 شاهدا مزيفا، وكان قبل غرناطة ولي القضاء بمالقة، واستمر في وظيفته الى ان استشهد في الوقيعة الكبرى بطريف"[2]

وتولى أحمد بن علي بن خالد البلوي القضاء في بلده، واخْتُلِف في كونه استقر في المغرب أو في الأندلس والشاهد هنا تولي الخطة بغضّ النّظر عن الإقليم[3]

تولى قاضي الجماعة أبو يحي محمد بن أبي بكر بن محمد بن عاصم إثنتي عشرة خطة في وقت واحد منها القضاء والكتابة والوزارة والإمامة والخطابة[4]،وفي سنة 83هـ يتولى ابن عاصم قضاء الجماعة الجماعة في غرناطة في وهو لم يبلغ الثّلاثين فأحسن السّيرة أثناء توليه هذا المنصب فأرسى قواعد العدالة والمساواة بين الرّعية وأنفذ الأحكام القضائية على الخاصة من أصحاب الجاه والسّلطان قبل العامة، ولهذه الأسباب مجتمعة أصدر السّلطان محمد الأيسر ظهيراً لتولية ابن عاصم للنظر في أمور الفقهاء عام 857هـ مايشير إلى حسن سيرته وعلو مكانته بين أقرانه من الفقهاء،جاء في الظهير:"...إلى أن أحلّه قضاء الجماعة ذروة أفقه الأصعد، وبوأه عزيز ذلك المقعد، فشرّف الخطة، وأخذ على الأيدي المشتطة لا يراقب الّا ربّه، ولا يضمر الّا العدل وحبه والمجلس السّلطاني أسماه الله تعالى يختصه بنفسه ويفرغ عليه من حلل الإصطفاء، ويلبسه ويستمطر فوائده، ويجرب بأنظاره حقوق الملك وعوائده، فكان بين يديه حكما مقسطا إلى أن خصه بالكتابة المولوية..."[5].

---

[1] - لسان الدّين بن الخطيب:الإحاطة ،ج، 2 ص18

[2]- النّباهي المالقي: المرقبة العليا، ص141- إبن حجر العسقلاني:الدّرر الكامنة، ج4 ، ص284- التنبكتي: نيل الابتهاج، ص396 ،397- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذّهب، ج8، ص231 ،232- لسان الدّين بن الخطيب: الاحاطة، ج2، ص177- لسان الدّين بن الخطيب: اللّمحة البدرية، ص91-

[3] - ابن حجر العسقلاني: الدّرر الكامنة، ج1، ص208 .

[4]-محمد مخلوف:شجرة النور الزكية،ج1،ص358- المقري التّلمساني: أزهار الرياض،ج1،ص178،176-المقري التّلمساني:نفح التّلمساني:نفح الطيب، ج6، ص159

[5] - المقري التلمساني: نفح الطيب، ج6، ص160 - ابن عاصم الغرناطي: جنة الرضا، ج1،ص51 .

وزيد من صلاحياته ولم ينل تلك الحضوة في القضاء سواه من العلماء والشّيوخ ومن الصّلاحيات التي تم توسيعها للقاضي ابن عاصم"النّظر المطلق الشّروط الملازم للتفويض ملازمة الشرط للمشروط في الأمور التي تختصّ بأعلام القضاة الأكابر وكُتاب القضاة ذوي الأقلام والمحابر وشيوخ العلم و خطباء المنابر وسائر أرباب الأقلام القاطن منهم والغابر بالحضرة العلّية وجميع البلاد النّصرية يحوط مراتبهم التي قُطفت ثمراتها ثمرات الحكم وجُنيت ويراعي أمورهم التي أقيمت على القواعد وبُنيت وحقوقهم التي حُفظت لهم في المجالس السلطانية."[1]

تقدم أبو القاسم عبد الرّحمن بن أبي عامر يحي بن عبد الرّحمن بن ربيع الأشعري إلى القضاء مكان أبوه المسمى(الأشبرون)[2] حيث عرفت فترة توليه القضاء الحزم والشّدة سنة سابقيه في الإستعداد على أهل العتو والفساد فنال رضا العامة والخاصة، وله رسائل في تحريك القبائل إلى الجهاد وشحذ الهمم والعزائم وايقاض الغافلين عنه[3]

تولى إبن الأزرق[4] قضاء غربي مالقه في بداياته[1] أيام سعد بن علي بن يوسف بن نصر صاحب صاحب الأندلس الذي أطلق عليه لقب أمير المسلمين المستعين بالله ثم تولى بعد ذلك قضاء ولاية

[1] – ابن عاصم الغرناطي :المصدر سابق ج1،ص50،51 .

[2] – يكنى أبا بكر قاضي الجماعة، تولى القضاء بمالقة وبسطة ثم تولى وظيفة الحسبة في غرناطة ثم أضيفت له مهمة الشّرطة ثم قُدّم قاضيا، استمرت ولايته نحوا من ثلاثين سنة، توفي عام 698هـ .انظر: لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة، ج2 ، ص138 .

[3] – النّباهي المالقي: المرقبة العليا، ص125

[4] – هو محمد بن علي بن محمد بن علي بن قاسم بن مسعود ابو عبد الله الأصبحي الغرناطي المالقي الوادي آشي ، ويعرف بإبن الأزرق ، لم تشر إليه المصادر التي ترجمت له تاريخ مولده إلّا بعض المحاولات من بعض الدّارسين الذين قارنوا الأحداث فجعلوه عام 831هـ/1427م، أخذ أصحاب هذا القول دليلهم من قول صاحب كتاب الأنس الجليل " مجير الدّين الحنبلي أنّه "....توفي سنة 896هـ وله 65 سنة..." وقال فيه ايضا"... كان من أهل العلم والصّلاح حسن الشّكل منور الشّيبة عليه الابهة والوقار..." اختار التّرحال في طلبه للعلم بعد مالقة التي حفظ بها القرآن ، رحل إلى غرناطة و فاس وتلمسان وتونس واستفاد من علماء هذه الأمصار، واستطاع من خلال رحلاته من تكوين رصيد كبير في علوم الشريعة، من مؤلفاته كتاب "روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام" سماه صاحب نيل الإبتهاج " روضة الاعلام بمنزلة أهل العربية من علوم اللّسان " يقول المقري وقفت عليه بتلمسان وحفظت منه ما أنشده لبعض أهل عصره ولكن المقري كان يقصد هنا كتاب " بدائع السّلك في طبائع الملك " على عكس ما وجدته في مقدمة كتاب الطبائع الذي يذكر أن المقري أشار إلى كتاب "روضة الإعلام " بقوله هذا، أما الكتاب الثالث فهو "شفاء الغليل في شرح مختصر خليل "وهو كتاب في الفقه المالكي .انظر: المقري التّلمساني ، نفح الطيب : ج2 ،ص399 ،400 – التنبكتي: نيل الإبتهاج، ص99 –ابن الأزرق: بدائع السّلك في طبائع الملك،تحقيق علي سامي النّشار ،ط1 دار السّلام،2008/1429 ، ص 18،9، 19 ،20– ابن الأزرق: روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام ، تحقيق سعيدة العلمي، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، الطبعة الأولى، طرابلس، 1999م/1429هـ،ج1،ص25– السّخاوي: الضّوء

مالقة نفسها في فترة السّلطان محمد الحادي عشر المعروف بالزّغل لينتقل بعدها إلى قضاء مدينة وادي آش عن أبي الحسن علي بن سعد النّصري أخ محمد الزّغل لينتقل بعدها وبأمر من الملك أبو الحسن إلى مالقة للمرّة الثّانية ليرتقي إلى قضاء الجماعة بغرناطة واستمر بها إلى وفاة الزّغل وتولي أبو عبد الله محمد الصّغير سلطان غرناطة ثم خروجه منها مع الملك إلى مدينة وادي آش[2]

بعد رحلته إلى المشرق وتيقنه من السّقوط النّهائي لغرناطة استقر هناك وتولى القضاء بالقدس الشريف أيام الملك أبي النّصر قايت باي سلطان مصر [3]

نكبات العلماء (نماذج):

أوردنا في بداية هذا الفصل المكانة الإجتماعية التي حظي بها العلماء المشاركون في إنقاذ مملكة غرناطة، والنّفوذ العظيم الذي أضحى هؤلاء يتمتعون به سواءاً من طرف سلطان البلاد أو من طرف الرّعية،وحاولنا إبراز دور هذه المكانة التي استغلها بعض العلماء ومارسوا نفوذهم من مركز قوة وسلطة وتمكنوا من إعتلاء المناصب الرّفيعة والمرموقة التي أهلتهم أحيانا إلى أن يصبحوا حكاماً.

ولكن هذا النّفوذ المادي والسّلطوي جعل من بعض العلماء أنه لا يكتفي أن يكون شريكاً في حكم إحدى الأقاليم على أساس أنه وزيرا أو مستشار خليفة أو أمير، بل طمحت نفسه أن يكون هو صاحب الحل والعقد.

ومما لاشك فيه أن هذا الطّموح سيصطدم في غالب الأحيان بأهل السّلطة الذين لا يتوانون في كسر شوكة العلماء بشتى الأساليب، ولعلّ أشنع هذه الأساليب يكون القتل الذي لا يفرق أهل السّلطة فيه بين الصّديق والعدو[1]،أما البعض الآخر من العلماء ونقصد بهم الذين لم تكن لهم رغبة في السّلطة سعوا جاهدين في إصلاح أوضاع الأندلس التي أصبحت ممزقة خاصة بعد سقوط الدّولة الأموية إلى دويلات،ومن ثم عصر المرابطين والموحدين ومحاولة منهم إلى لـمّ الشّمل وتوحيد البلاد،ومن الطبيعي أن هذه النّداءات في حد ذاتها أصبحت مصدراً قلق للسلطة التي عملت على تقويض صلاحيات العلماء وضبط نشاطهم،وتعرضهم في الكثير من الأحيان إلى مضايقات وتعسّف الحكام،وترجع أسباب هذه الممارسات في حق العلماء إلى فتاوى أصدروها لاتروق لهم أو مواقف

اللاّمع، ج9، ص20- مجير الدّين الحنبلي (870هـ/967هـ): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق محمود عودة الكعابنة ، مكتبة دنديس، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 1420هـ/1999م، ج2، ص377

[1] - إبن الأزرق: بدائع السّلك، ص12

[2] - إبن الأزرق: بدائع السّلك، ص10، 11-ابن الأزرق: روضة الإعلام ج1، ص30

[3] - ابن الأزرق: روضة الاعلام، ج1 ، ص29- ابن الأزرق: بدائع السّلك، ص10-السّخاوي:الضّوء اللاّمع، ج9 ص21

عملية للعلماء ضدّ الحكام، ولكن تكون في مجملها في الصّالح العام كالدّعوة إلى الجهاد التي عمل بها بعض العلماء السّلطويون إلى تعطيل هذه الفريضة متخاذلين في ردّ الهجمات النّصرانية التي كانت تزيد حدّتها عند شعورهم بالوهن الذي أصاب المسلمين.

كان لهؤلاء العلماء الدّور الفاعل في مواجهة السّلطة السّياسية والتّشهير بالحكام ونقد تصرفاتهم ومحاولة منهم أن يكونوا هم جهاز الرّقابة الموّكل بهم، واختار البقية تطليق العمل السّياسي والعمل على نشر العلم وتوعية المجتمع،إلّا أن هناك حالات عديدة حرصت فيها السّلطة الحاكمة على تولية المناصب الحساسة للعلماء بالإكراه.

سعى علماء الغرب الاسلامي إلى التّقرب من سلاطينهم ما أمكنهم وبدورهم الحكام عمدوا الى تقريب العلماء من بلاطهم لكسب الشّرعية أحيانا، لذلك سعوا إلى تقليد عدد كبير منهم مناصب الدّولة كالقضاء والوزارة والحجابة والسّفارة وغيرها من المناصب، لكن في الغالب جنت هذه المسؤوليات على أصحابها إن من طرف الحاسدين أو تجاوز العلماء أنفسهم لحدود مسؤوليتهم وأستعمالها لتحقيق مكاسب أُخرى، فكان لزاما على السّلطة التّدخل وتقييم الوضع والشّخص فكان العزل أحد الحلول الذي ترك أثرا كبيرا في نفوس العلماء[1]

وفي بعض الأحيان كان الحاكم لا يكتفي بمجرد عزل العلماء من مناصبهم بل كان يلجأ إلى الإمعان في إهانتهم، ومثال ذلك ماحدث للعالم الشّهير علي بن أبي بكر الغافقي ابن المنخّل(ت: 763هـ)حين غضب عليه السّلطان وكان إذ ذاك متوليا الوزارة في مملكة بني الأحمر على عهد سلطانها محمد السّادس ابن الأحمر (761هـ/763هـ)وهمّ بقتله مع ولده ثم قرر في الأخير أن يسجنهما قبل أن ينفيهما مكبلين بالقيود إلى تونس أين سقط على إثرها الغافقي شهيدا [2] [3]

ولعل رأي الوزير إبن الحكيم الرّندي اللّخمي وموقفه المعارض لخلع السّلطان محمد الثّالث (710،713هـ) وهو بهذا يريد أن يدلي بكلمة حق في مجلس سلطانه لكن الّأمور تطورت واحتدم

---

[1] - ماجد نمرة: محنة العلماء في الاندلس، ص64

[2] – يورد ابن الخطيب كيف واجه ابن المنخل الأعداء فيقول"...عهدي به وقد سلّ سيفا وهو يضرب العدو ويقول اللّهم اكتبها لي شهادة، واستولى العدو على من كان معه من المسلمين ومنهم ولده لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة ج2، ص135

[3] – نفس المصدر، ج2، ص135

الصّراع بينه وبين الوزير أبي بكر عتيق بن المول صديق السّلطان أبي الجيوش وقد أورده رأيه المهالك وانتهت حياة ابن الحكيم قتيلا في سنة(700هـ/1300م)[1]

أكسبت وظيفة القضاء التي تولاها أبا عبد الله الأشعري المالقي(ت:741هـ) هيبة لم تسبق لغيره وبذلك فتح على نفسه باب المعاداة من كل جانب إلّا أنه وقف موقفا شديدا إزاء من عارضه يقول ابن الخطيب:"...وصادما تيارها غير مبال بالمغبة ولا حافل بالتعبئة فناله لذلك من المشقة والكيد العظيم ما ناله مثله حتى كان يمشي إلى لصلاة في مِسَلَةٍ لا يطمئن على حاله... واعتزل على إثرها القضاء وتصدر للإقراء وبث العلم والنّصح، لكن بعد فترة من إعفائه عن القضاء شعر الأمير بحاجته فعزم عليه بالرجوع إلى منصبه الّا أن الرّفض كان جوابه"[2]

نُمِيَ إلى سلطان الأندلس أنّ العالم الشّهير ابن الحاج البلفيقي أغرى به ملك المغرب وتحالف ضدّه، فما كان من سلطان الأندلس إلّا أن صدّق الوشاية وانطلت عليه حيلة الواشين فانتهب مال ابن الحاج وألحق أملاكه بأملاك الدولة[3]

وكحال سابقه عاش العالم الشّهير ابن عبّاد النّفزي الرّندي نفس ظروف ابن الحاج البلفيقي في كثرة الوشاة عليه حتى أوقعوه في قبضة سلطان الأندلس بتهمة التّحالف مع سلطان المغرب أيضا، فلما قُبض عليه ساقوه إلى الأندلس ثمّ إلى رندة التي سُجن بها وكتب إلى ولي الأمر يقول:

تركت لكم عزّ الغنى فأبيتم * وأن تتركوني للمـــــذلة والفــــــقر

ونازعتموني في الخمول وإنه * لذي مهجتي أحلى من البنى والامر

يامن رماني بسهمه الغرب * قد رُدّ عليك مخضـــــــــوبا بالدّم [4]

غير أن ماسنورده الآن ليدل دلالة قطعية على أن الملك عقيم ولا يعترف بمصطلح ردّ الجميل، وهذا حال عالمنا الجليل لسان الدين بن الخطيب الذي قضى سنوات في خدمة السّلطان الغرناطي الغني بالله، بلغ خلاله أعلى المناصب حتى أنه لقبه بذي الوزارتين وسارت أموره كما كان ينبغي لها أن تسير هو، إلّا أنّ الثّورة ضدّ الغني بالله من طرف أصهار أخيه إسماعيل المعتقل في قصر

[1]-عبد القادر علي أحمد الدّرة: العلماء الشّهداء في الأندلس، ماجستير تاريخ، الجامعة الإسلامية غزّة، 1430هـ/2009، ص185

[2] - لسان الدّين بن الخطيب:الإحاطة، ج2، ص177- التّنبكتي: نيل الابتهاج، ص396، 397 ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب،ج8 ،ص231 ،232- ابن حجر العسقلاني: الدّرر الكامنة، ج4 ،ص284–النّباهي المالقي:المرقبة العليا، ص141

[3] - ابن الخطيب: المصدر السابق، ج3 ، ص251

[4] - لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص253 .

من قصور القلعة حيث استطاع الثّوار من تخليص إسماعيل من أسره ونادوا به سلطانا على البلاد وخلع أخيه الغني بالله، حيث أبقوا على لسان الدّين بن الخطيب بعض الوقت لحاجتهم إليه في تلك المرحلة وهذا في رمضان عام 760هـ، وبعد فشل السّلطان الغني بالله في إستعادة ملكه أظطر إلى الفرار هو ومن نجا معه من أهله وأنصاره إلى وادي آش في محاولة منه لربح الوقت والعمل على جمع القوى الكافية لإستعادة منصبه الضّائع، وهو في الحالة هذه كاتب السّلطان المريني أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن علي المريني(ت:762هـ) يدعوه للنزول إلى فاس حتى تزول عنه الغمّة،حيث أكرم السّلطان وفادته فعلا ، بينما ظلّ ابن الخطيب في قبضة السّلطان إسماعيل بن يوسف بن الأحمر، إلّا أنّ هذا الأخير لم يأمن جانبه فنكّبه واعتقله وصادر ماله وأملاكه وطبقت بابن الخطيب نكبة مصحفية كما وصفها هو في الإحاطة، حتى تشفّع فيه سلطان المغرب مع إسماعيل بن الأحمر بأن يرسله إلى أهله فاستجاب سلطان غرناطة لذلك،وبهذا نجا ابن الخطيب من القتل المحتوم وتحول إلى الإغتراب عن الأهل،حتى تمكن الغني بالله المخلوع من أن يستردّ ملكه وسلطانه حيث استدعى وزيره ابن الخطيب من المغرب وعاد إلى غرناطة[1]، واستأنف عمله في خدمة سلطانه متفانيا فيه ومخلصا لسلطانه إلّا أنّ نجاحه في منصبه جلب له أعداءً وحسادا حاقدين استهدفوه بالوشايات والأكاذيب ولم يَسلم حتى من اتهامه بالزندقة حتى تغيّر عليه السّلطان وانصرف عنه لغيره وأساء معاملته[2]،[3]

وكردّ فعل متوقع من لسان الدّين بن الخطيب تحايل في الخروج من غرناطة متحججا بتفقد الثّغور، فأذن له الغني بالله وبالتالي وجد الفرصة سانحة للوصول إلى سبتة ومنها إلى فاس حاضرة بني مرين وسلطانها أبو فارس عبد العزيز المستنصر بن علي فأكرم وفادته عام 773هـ[4].

وما إن علم أعداؤه بصنيعه حتى كثّفوا جهودهم وأغروا السّلطان بتتبع عثراته وعلى رأسهم تلميذه ابن زمرك وأبو الحسن النّباهي صديق الأمس القريب، هذا ما جعل الغني بالله يكتب لسلطان

---

[1] – فاضل فتحي محمد والي: الفتن والنّكبات الخاصة وأثرها في الشّعر الأندلسي، دار الأندلس ،1417هـ،1996، ص377 .

[2] – يورد الجهشياري نموذجا فيقول "... فإذا تحققت قدرة الطامع في الوزارة على ماتصبو إليه نفس الخليفة من الأموال قلّده الوزارة وأذن له في مناظرة الوزير السّابق ومطالبته بالاموال التي جمعها في وزارته بكل مايمكنه من القسوة فيأخذ في تعذيبه وتحميله المبالغ المرهقة التي تعجز عنها ثروته وثروة آله وأسرته ونسائه فيأخذ في مطالبة حاشيته والمنتمين اليه وإقالتهم من العمل..." وهذا ماحصل مع ابن الخطيب طبعا حين طمع ابن زمرك وحاشيته في الوزارة وتقلدوها: انظر: الجهشياري:كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السّقا،ابراهيم الأبياري،عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،الطبعة الأولى،مصر، 1357هـ/1938م، ص13 (مرقمة بحرف ط)

[3] – فاضل فتحي: الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي، ص378 .

[4] – فاضل فتحي: المرجع نفسه، ص379– ابن حجر العسقلاني: الدّرر الكامنة، ج4 ، ص471

المغرب في الإنتقام منه في مقتضى ما سجل عنه من عيوب وسقطات وما أُشيع عنه على ألسنة أعدائه باتهامه بالزندقة ولكن سلطان المغرب عبد العزيز المريني ردّ رسول ابن الأحمر ردّا قاسيا وأبى أن يغدر بإبن الخطيب[1]

بعد وفاة السّلطان المريني عبد العزيز(ت774هـ) آل أمر دولته لإبنه أبي زيان سعيد، الذي تآمر عليه سلطان غرناطة الغني بالله بإشعال نار الفتنة في المغرب لصغر سنه، وانتهت بخلعه وتولية خليفة من مقربيهم بشروط ارتضاها ومنها التّنازل عن جبل الفتح لصالح سلطان غرناطة، وتسليم أبناء الملوك ليكونوا رهائن عند السّلطان الغني بالله، وكذلك السّماح بمحاكمة ابن الخطيب بعد القبض عليه متى قدّر له ذلك،وبالتالي سعى الحاكم الجديد لبلاط فاس أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن سالم المريني إلى الإسراع في تنفيذ الشّروط المتفق عليها ومنها التّعجيل بالقبض على ابن الخطيب، فلم يكن الهدف هو إثبات التّهمة على السّجين وإعترافه بها ولكن الهدف هو التّخلص منه، وفعلا نكّبوه وصادروا أمواله وضياعه سُجن عام 776هـ، وما إن وصل الخبر إلى الغني بالله حتى عجّل بإرسال أبا عبد الله بن زمرك وأبو الحسن النّباهي إلى المغرب وعقدوا لابن الخطيب محاكمة صورية على مرأى ملأ من النّاس ووجهوا إليه تهماً كثيرة ونكلوا به وعذبوه أمام النّاظرين

أُدخل ابن الخطيب السّجن للمرة الثّانية ودسّوا عليه في السّجن بعض الرّعاع الذين قاموا بخنقه وقتله في جنح الظّلام وفي الغد أشيع خبر وفاته وأُخرجت جثته و دفن في مقبرة باب المحروق بفاس، ثم أخرجت جثته ووضعت على حافة قبره وأُضرمت عليها النّار فاحترق شعره واسودّ جلده فأُعيد دفنه وكان في ذلك إنتهاء محنته كل هذا يحدث والنّاس في حيرة من أمرهم وعمدوا إلى إتهام شخصا كان يكّن له العداء وهو سليمان بن داود بن أعراب كبير عسكر وزير السّلطان المستبد بحكم المغرب آنذاك أبي العباس أحمد بن إبراهيم المريني[2]

---

[1] – فاضل فتحي: المرجع نفسه، ص379

[2] – فاضل فتحي: الفتن والنكبات، ص380– محمد بشير العامري: زينة داود سالم : المؤرخ الوزير ابن الخطيب الغرناطي شيخ علماء غرناطة، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد 27، العدد 2، بغداد، العراق، 2016، ص560 .

عرف العصر المريني إبّان فترة الدّراسة أهم عملية سجن تعرض لها العلماء نظرا لبشاعتها وهي التي مسّت إبن الخطيب والتي ساهمت فيها أطراف كثيرة تمثلت في بلاط بني الأحمر وبلاط بني مرين وبعض الحاقدين على ابن الخطيب كالقاضي النّباهي وابن زمرك اللذَيْنِ كان ابن الخطيب من أسباب المكانة التي أصبحا عليها، وقد أفضى سجنه إلى نهاية اغتياله وهذا نتاج صراعات سياسية محلية وجهوية.أنظر:نشاط مصطفى: السّجن السّياسي بالمغرب الوسيط، أعمال الحلقة الدراسية التّاريخ والسّياسة مقاربات وقضايا، كلية الأداب والعلوم الانسانية، بنمسيك، مخبر المغرب والعوالم الغربية، الدار البيضاء، المغرب، 2013 ، ص101 .

وسُجِن ابن مرزوق لإتهامه من طرف السّلطان المريني أبو عنان لإتهامه بالتقاعس في مهمة بعثه من أجلها لدى الحفصيين[1]

اختار بعض العلماء النّأي بنفسه عن الحاكم ورفض المناصب السّياسية إيمانا منهم أن قبول الأمر يشير القبول بممارسات الحكام وتجاوزاتهم، وهذا ما حرصت عليه الدّولة حين إجبار بعض العلماء على تولي المناصب بالإكراه ما سبب للحكام متاعب إضافية في حال رفض بعض العلماء الدّخول على الحكام والنّأي بأنفسهم عن أمور السّياسة والحكم، وفريق آخر كان يرى أنّ السّبيل الوحيد في الإبتعاد عن دواليب السّلطة الرّحيل عن البلد خوفا من ضياع دينهم بدنياهم ورغبة منهم في عدم الوقوع في صدام مع السّلطة[2]

III: دور علماء الغرب الإسلامي في المجتمع:

سنحاول في هذا المبحث التّعريج إلى دور العلماء في المجتمع حيث لمسنا في هذا مدى التّرابط بين العالم وأبناء المجتمع فلا عجب أن يتخذهم المجتمع مثلهم الأعلى، وسنعمل على رصد مجموعة من المحطات التي شغلت العلماء في مجتمعاتهم وعلى رأسها قضاء حوائج النّاس من خلال إهتمامهم بتلمس هموم أفراد المجتمع وقضاء حوائجهم وحلّ مشكلاتهم سواء على المستوى المجتمعي الضيّق أو على مستوى السّلطة الحاكمة من خلال التوّسط لهم لدى الحكام والأمراء، والإنفاق والصّدقة والتّطوع في محاولة منهم التّخفيف من حدّة الأزمات كغلاء الأسعار والمجاعات وغيرها، فنجدهم السّباقين إلى إحتواء الأوضاع ودعوة النّاس إلى الإنفاق.

01: دورهم في قضاء حوائج النّاس:

ظلّ العلماء يشاركون النّاس ظروفهم في السّراء والضّراء ويساهمون في قضاء حوائجهم والإصلاح بينهم وحلّ مشكلاتهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا وهذا بحكم طبيعة ثقافتهم ومركزهم الإجتماعي، حيث لم يدّخروا جهدا في تقديم العون سواءا كان عِلْمًا أو مَالًا أو جاها، لهذا نجد أن النّاس يقصدونهم عند الحاجة ويشاورونهم متى تطلب الأمر ذلك، ولعل أخلاق العلماء كانت تملي عليهم الإصغاء ومشاركة المجتمع إنشغالاتهم فنجدهم مستمعين لمن قصدهم ولايتوانون في إجابة من إستعان بهم.

---

[1] - مصطفى نشاط: المرجع نفسه، ص101

[2] - ماجد نمرة: محنة العلماء في الأندلس، ص64

واشتهر القاضي محمد بن يحي بكر الأشعري(ت: 741هـ)[1] المكنى أبا عبد الله بتقواه وورعه، وكان إذا ذكر شيء من أمور الآخرة ظهر على وجهه الإصفرار ثم يغلبه البكاء ويتمكن منه الإنفعال. فكان يسارع في قضاء حوائج أصحابه. ووما عُرف عنه أيضا أنه قلما كان يتخلّف في يوم من أيامه عن عيادة مريض بغض النّظر عن مستواه الإجتماعي، أو شهود جنازة، أو تفقد محتاج أو زيارة منكوب[2]

ومما يؤثر عنه أنه كان قاعدا في مجلسه يوما في غرناطة وإذا بامرأة رفعت إليه بطاقة في زوجها الذي طلقها تبغي إرجاعه لها فكتب على ظهر البطاقة "الحمد لله من وقف على ما في القلوب فليصخ لسماعه إصاحة مغيث وليشفع لتلك المرأة عند مفارقتها تأسيا بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لبريرة في مغيث والله تعالى يسلّم لنا العقل والدين ويسلك بنا سبيل المهتدين"[3].

آثر الشّيخ ابن مرزوق الخطيب مصاحبة السّلاطين والأشراف مؤثرا لهم على بقية أفراد المجتمع، لكن هذا لم يمنعه من استشعار حاجات الفئات الإجتماعية الهشة مستغلا في ذلك مكانته مجسدا ذلك على أرض الواقع ما استطاع سبيلا، يكثر من التّلطف والمزج بين الدّعابة والوقار والفكاهة والحشمة ، وكان مقصد النّاس لقضاء حاجاتهم فكان يقطع المسافات من أجل الوساطة..."[4]

بذل الشّيخ التّنوخي من ماله الخاص في سبل الخير المختلفة بذل من لا يخاف الفقر بغية نيل الأجر وحرصا منه على قضاء حاجات النّاس الكثيرة لدرجة أنّ الناس تسامعوا به وبفضله ويمموا

[1] – يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن بكر هو من جملة من دخل المغرب إلى الأندلس، ولد سنة 673هـ وتوفي سنة 741هـ، جمع بين الدّراية والرّواية. تتلمذ على يد شيخه الفقيه أبا القاسم بن محمد بن الحسن ، وقرأ عليه القرآن.واختص بالأستاذ الخطيب أبي محمد عبد الواحد السّداد الباهلي. وأخذ الرّواية عن أبي عبد الله محمد بن عباس الخزرجي بن السّكوت وغيره كثير .رحل إلى مدينة سبتة وأخذ عن مشاهير شيوخها وشيوخ المشرق من المصريين والشّامين.ثم عاد إلى مالقة حين صار عالما بالأصول والفروع والعربية واللغة والتفسير والقراءات والحديث إسنادا ونسخا وتصحيحا، تقدم ببلاده للوزارة ثم ولي القضاء من بعده. اشتهر بنصيحته للشباب "يامعشر الشباب جدوا قبل أن تبلغوا مبلغي فتضعفوا وتقصروا كما قصرت، لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة ، ص141، 142 – التنبكتي: كفاية المحتاج،ج2، ص39.

[2] - لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة ، ص143

[3] - المصدر نفسه، ص145.

[4] - قاتل إلهام: النخبة العالمة في المغرب الأوسط(ق7-9هـ/13-15م) منطلقات الفكر وأنماط السلوك، دكتوراه تاريخ وسيط، جامعة المسيلة، 2017/2018م ،ص151، المقري التلمساني: نفح الطيب، ج5، ص391، 392

المسير في اتجاه بيته بغية نيل نصيب مما يجود به كما حرص العامة على تقصي ظهوره للناس فيعترضون طريقه و يتزاحمون عليه ويتمسحون عليه.[1]

اشتهر الفقيه غالب بن علي بن محمد اللّخمي بجملة من الخصال الحميدة في مقدمتها العكوف على قضاء حوائج أهل بلده وبذل المشاركة أصحاب الحاجات و المغتربين[2]

عُرف أيضا عن الفقيه عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي(ت:718ه) اجتهاده في قضاء حوائج من لجأ إليه من المحاويج .[3]

02: دور العلماء في الإنفاق والصّدقة :

نحاول في هذا المجال أن نتبع دور العلماء في مجتمع الغرب الإسلامي وذلك من خلال النّفقة عليهم وإطعام الطّعام وقضاء الدّيون وغيرها من أوجه البرّ المختلفة.

فقد كان للخلفية الإسلامية للعلماء أثر كبير في توجيههم نحو مجالات الإنفاق المختلفة في المجتمع فالعلماء يعرفون مقدار الأجر والجزاء الذي يجده المنفق عند الله سبحانه وتعالى مصداقا لقول رب العزة "**ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**"[4]

كما كان العلماء ينفقون على طلاب العلم وعلى بعضهم البعض، فقد كانوا ينفقون على غيرهم من أفراد المجتمع من المحتاجين والمعوزين والفقراء والمساكين أو ممن أصابهم النائبات والغرم وغيرهم وفي مختلف أبواب الخير.

يؤثر عن الشّيخ الفقيه الصّوفي أبو مروان اليحانسي كثرة الصّدقة خاصة في زمن النائبات، ففي سنة 647ه/1249م ضربت بلاد الأندلس مجاعة شديدة أخذ في توزيع أمواله وزرعه مما ورثه عن أمه على الضّعفاء وأصحاب الحاجات من أهل بلده ثم اعتكف في منزله مواظبا على العبادة الإكثار من الصلاة [5]

---

[1] – لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص374، 375

[2] – لسان الدين بن الخطيب:المصدر نفسه ، ج4، ص141– ابن القاضي المكناسي: جذوة الإقتباس، ص506.

[3] – التنبكتي: كفاية المحتاج، ج1، ص242 .

[4] – سورة البقرة: الاية 262 .

[5] – أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص268 .

ذاعت أخبار الشّيخ في الأقطار الإسلامية المجاورة فأصبحت الأفواج من الخلق ترحل إليه في بيته عند قدومه من المشرق، حيث لكثرتهم يَرِدُ عليه قوما ويرحل عنه آخرون والشّيخ اليحانسي هذا يسهر على خدمتهم دون كلل أو ملل أو يضيق ذرعا بقاصديه، ويبذل عليهم من مال الله تعالى خاصة من مال أمه الذي ورثه، ومن مال أبيه الذي كان له موضع بيحانس يعرف بالغرس كثير الفواكه والنّعم كان مسموحا مباحا لمن به حاجة من الدّاخلين وكان يقصده في اليوم حوالي خمسين رجلا من أصحاب الحاجات وأحيانا ويزيد وأحيانا يقل،ويزيد الإقبال في المناسبات الدّينية خاصة منها عيد مولد النّبي عليه الصلاة والسّلام الذي يستعد له ويعد الكثير من الطعام الذي يكفي الواردين عليه والمزدحمين على داره، وإن كان الواردون عليه يزيدون عن العشرة آلاف بأعداد ورغم أنّ العدد فيه نوع من المبالغة إلاّ أنّ إنعدام النّصوص التي تنفي هذا الرّقم أخذنا به منفردا، فقد ورد أنه: "...كان يذبح لهم مايكفيهم من الغنم والبقر فيأكل المحتقر والمحترم، والفقراء يتقربون إليه من البلدان فيردون على أخصب ما كان من بشاشة وبر وإمكان، فيبقى الإطعام والسّماع في كل ناحية ثمانية أيام متوالية كل ذلك من مال الشّيخ على إنفراد"[1] متقفيا في ذلك سير العلماء الصّوفية من قبله على غرار الشّيخ الشّبربلي أبو الحجاج يوسف القطب الكريم أحد شيوخ إبن العربي الذي يذكر عنه أنه".. مادخل عليه أحد قط وعنده ما يؤكل إلا يجعله أمام الدّاخلين كثروا أو قلوا وكثر الطعام أو قل لا يترك شيئا يكون له البتة..."[2]

ومن أبواب الصّدقة أيضا ما كان يحبسه محمد بن محمد بن محارب الصّريحي المالقي[3] كتبه على الطلبة وتصدّق أيضا بمال كثير على الفقراء وعهد بمالٍ كثير إلى طلبة العلم ترغيبا لهم على التّحصيل والتفرغ لطلب العلم[4]

كما عملت أسرة العالم أبو البركات بن الحاج البلفيقي [1]على البذل والإنفاق في سبيل بناء بناء المساجد والحصون والآبار خصوصا جدّه الذي كان مشهورا بإهتمامه بهذا العمل، فواصل أبو

---

[1] – أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، ص270

[2] – آنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م ص385

[3] – شيخ جليل من صدور المقرئين في الأندلس المعروف بإبن الجيش، كان إماما في الفرائض والحساب والعربية مشاركا في الفقه وأصوله، أقرأ بمالقة وله شرح على تسهيل إبن مالك في غاية النّيل و الإستيفاء، توفي في الطاعون الجارف في ربيع الآخر عام 750هـ، أنظر :التنبكتي: كفاية المحتاج، ص61

[4] – التنبكتي:المصدر نفسه، ص61 – لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة، ج3،ص78

البركات هذا العمل مقتفيا لسيرة سلفه في هذا وكان يعتز به فيقول"...ومما نظمته وقد أكثروا من التّعجب لملازمتي البناء و حفر الأبار:

في احتفار الأساس والآبار * وإنتقال التراب والجيـــــار

وقعودي مابين رمل وآجـر * وحصٍ والطوب والأحجار

وإمتهاني بردي بالطين والماء * ورأسي ولحيـــــتي بالغبار

نشوة لم تمر قطُ على قلب * خليع ومالهـــا من خمـــار[2]

وعهد الشّيخ أبا عبد الله ابن باق بجملة من ماله قاربت الألف دينار من الذّهب وأمر أن تصرف في وجوه البر المختلفة[3]

أُشتهر الشّيخ أبو عبد الله بن قطبة[4] عالم غرناطة(ت:738هـ) بكثرة الحثّ على الصّدقة في الكوارث والأزمات ويقوم في ذلك مقامات حميدة ينفع الله به الضّعفاء حتى أنه كان مقصد الكثيرين منهم يقول ابن الخطيب"... فقد بفقدانه رسم من رسوم البرّ والصّدقة"[5]

---

[1] – كنيته أبو البركات ويعرف في بلده بابن الحاج وخارجها بالبلفيقي وبلفيق من حصون المرية جنوب برشانة ينتهي نسبه إلى العباس بن مرداس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد عام 680هـ تقديرا ، نشأ في المرية ، فهو كما يقول ابن الخطيب "... مروي النّشأة والولادة والسّلف .." كثير الرّحلة في طلب العلم، رحل إلى بجاية ثم مراكش ثمّ سبتة ثم عاد منها إلى الأندلس عام 735هـ، جلس للإقراء والقضاء في نواحي المرية ومالقة، حيث لا نجده يستقر في موضع ولا يثبت على مهنة فهو يراوح بين القضاء والإقراء والخطابة في مدن كثيرة ويدخل إلى فاس ثم يعود منها إلى المرية رغبة في الوصول إلى مقام التّمكين ، تاقت نفسه الرحيل إلى المشرق ولكن ابن خاتمة الأنصاري قد ساءه أن يغادر هذا العالم الجليل البلاد الأندلسية فكتب إليه شعرا يمنعه فيه ويستعطفه في التّراجع فحلف أبو البركات ألّا يرحل، توفي عام 773هـ وقيل عام 774هـ ، وفي نفح الطيب عام 771هـ، أنظر: لسان الدّين بن الخطيب:المصدر نفسه، ج2، ص143 ،145.المقري التلمساني: نفح الطيب، ج5 ،ص482،487: التّنبكتي ، نيل الإبتهاج ، ص430

[2] – المقري التلمساني: نفح الطيب، ج5، ص472– عبد الحميد عبد الله الهرامة: شعر أبي البركات بن الحاج البلفيقي(680هـ/ 771هـ)، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 1996، ص18

[3] – لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة ، المصدر السابق، ج2 ص339

[4] – هو محمد بن أحمد بن محمد الدّوسي من أهل غرناطة يكنى أبا عبد الله ويعرف بإبن قطبة كان من جملة علماء و أشياخ غرناطة ولد عام 669هـ، قرأ على الأستاذ ابو جعفر بن الزبير و أبي الحسن بن فضيلة وروى عن الشّيخ أبي محمد عبد المنعم بن السّماك وأبي القاسم بن السّكوت المالقي وغيرهم، أجازه جماعة من أهل المشرق والمغرب ، ناب عن بعض القضاة بغرناطة ، وتوفي عام 738هـ.أنظر: لسان الدين بن الخطيب :الاحاطة، ج3، ص159 ،160 .

[5] – المصدر نفسه، ج3، ص159.

سار العالم أبو عبد الله بن لب الكناني المالقي[1] على هذا النّهج من فعل الخيرات حيث أوصى قبل موته بنصيب من أمواله تصرف في الصّدقات وأشباهها وجعل داره وحبسا مع مجموع كتبه على الجامع الكبير بمالقة [2]

بذل الشّيخ التّنوخي[3] من ماله بذل من لا يخاف الفقر، ويجّد في قضاء حاجات النّاس وكان النّاس يتزاحمون عليه في طريقه ويتمسحون به ويسعون بين يديه، ويتزاحم المساكين على بابه كونه عوّدهم طلاقة وجهه ومواساته لهم بما يملك من أوجه البر الكثيرة، يفرقه عليهم متى وُجد عنده، وبلغ به أحيانا كثيرة أن قصدوه في خبزه قبل نضجه وإستوائه ففرقه عليهم عجينا حرصا منه على عدم ردّ صاحب حاجة[4]

أما الأطباء فقد كثر عددهم واشتهر بعضهم في المشرق والمغرب ونذكر منهم أبا عبد الله ابن السّراج[5] الطليطلي[6] طبيب الدّار السّلطانية الذي عاش في بلاط بني الاحمر في فترة حكم السّلطان محمد الثّاني، حيث أتقن مهنته فنال حظا عريضا من جاه السّلطان،وتغيرت أحواله إلى الأحسن واستغل مكانته فوقف نفسه على خدمة المساكين والمحتاجين، وأبى إلّا أن يكون لهم حظا من هذا

[1] – عالم من علماء مالقة يُدعى محمد بن محمد بن لب الكناني و يعرف أبا عبد الله ويعرف بأبن لب ،اهتمّ كثيرا بالعلوم القديمة مع اطلاع واسع على علوم الرياضيات والطبيعيات والإلآهيات، ذاكرا لمذاهب القدماء والمتكلمين من الأشعرية وغيرهم .انظر: لسان الدين بن الخطيب: المصدر نفسه، ج3،ص80

[2] – المصدر نفسه، ج3، ص81 .

[3] – هو إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد بن أبي العاص التّنوخي، أصله من طريف ونشأ بغرناطة رحل عند إستيلاء العدو على جزيرة طريف عام 671ھ إلى مدينة سبتة أين تلقى علومه هناك ثمّ دخل الاندلس وسكن غرناطة وعكف على تدريس الفنون بها بعد وفاة ابن الزبير، فجمع بين القراءة والتّدريس والتفسير واشتهر بالكرامات المتعددة ،واستعمل في الكتابة والخطابة عام 716ھ ، توفي عام 727ھ.انظر :التنبكتي،كفاية المحتاج، ج1، ص145–لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة، ج1،ص374

[4] – لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة ، ج2 ،ص374 ،375 .

[5] – هو محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن روبيل الأنصاري، يكنى أبا عبد الله ويعرف بإبن السّراج ، غرناطي الإقامة طليطلي الأصل، ولد عام 654ھ شغل منصب طبيب الدّار السلطانية إلى أن تم إنهاء مهامه ، قرأ الطب على الشيخ الطبيب أبي جعفر الكزني، والقرآن على المقرئ الشهير أبي جعفر الطباع بالروايات السّبع، والعربية على أبي الحسن بن الصّايغ الاشبيلي، نذكر من مؤلفاته كتاب "النبات والرؤية" وكتاب" السّر المذاع في تفضيل غرناطة على كثير من البقاع " ،وتوفي عام 730ھ .انظر: لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص160، 162 .

[6] – **طليطلة** : مدينة عظيمة المساحة كثيرة السّكان، تقع على ضفاف النهر الكبير وكانت أيام الرّوم دارا لملكهم، تمتاز بالحصانة من خلال أسوارها العالية المنيعة، وعند افتتاح الأندلس وجد بها المسلمون ذخائرونفائس تكاد تفوق الوصف من كثرتها وقيمتها ، فمنها 170 تاجا من الذهب وألف سيف مجوهر ملكي .انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، مج2، ص551 ، 552 .

الجاه، فكان مبغضا لأهل الدّنيا محبا لذوي الحاجة والفقراء يهرع إلى زيارتهم متى سمحت الظروف بذلك، ويعينهم في معالجة أمورهم وكان من خصاله في النّفقة أنه خصّص عائداته كطبيب صدّقة للمحتاجين[1].

ومن أوجه الإنفاق في سبيل الله ما ضمّنه العالم الشّاعر والأديب إبن جابرالاندلسي (ت:780هـ)[2] في قصائده التي إستخلصنا منها أبياتا تفي بالغرض المقصود مخاطبا صديقه

ياصاحب المال ألم تستمع * لقوله ماعندكم ينفـذ

فاعمل به خيرا فوالله مـــــا * يبقى ولا أنت به مخلد

وهو بهذا يقتبس كلامه من الآية الكريمة"**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ**"[3].ناصحا صاحبه بالإنفاق وأنّ صاحبه لن يخلد في هذه الدّنيا فعليه أن يسخر مايملك في الإنفاق في سبيل الله عسى أن يكون له ذخرا يوم القيامة ، ثمّ يضيف أيضا:

هـم جاهدوا في الله حقّ جهاده * وقاموا بنصر الدّين في كل مشهد [4]

حُكي عن الفقيه علي بن عبد الرّحمان الأنفاسي[5] أنّ النّاس قد أصابهم في أيامه قحط وأحتاجوا للمطر فسألوه أن يستغيث لهم وألحوا عليه في ذلك فوعدهم بعد ثلاثة أيام، فلما كان من الغد أخذ ماعنده من الزّرع وجمعه في صحن جامع الاندلس ثم تصدق به على ذوي المحتاجين وقال

---

[1] – لسان الدين بن الخطيب:المصدر السابق :ج3 ، ص160 – شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص136 .

[2] – شمس الدّين ابو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهواري المالكي الأعمى ، ولد بألمرية من أعمال الأندلس عام 698هـ ونشأ بألمريةوبها حصّل علومه الأولى، وتتلمذ على عدد كبير من العلماء في عصره وبلده في القرآن والنحو و الفقه والحديث ،حجّ عام 738هـ وجعل رفيقه أبا جعفر أحمد بن يوسف الرعيني الذي لازمه في حلّه وترحاله حتى أُخريات حياته، إرحل إلى مصرُ ثمّ دمشق ومكث هناك حتى عام 743هـ ثم توجه إلى حلب ثمّ ألبيرة التي استوطنها وبها مات عام 780هـ ،قال فيه إبن الخطيب"...رجل كفيف البصر عظيم الكفاية والمنة على زمانته..."انظر: لسان الدّين بن الخطيب:الإحاطة،ج2 ،ص330، للمزيد: ابن جابر الأندلسي: الحلة السّيراء في مدح خير الورى، تحقيق علي أبو زيد، الطبعة الثانية، عالم الكتب، دمشق، سوريا، 1405هـ/1985م، ص11، 12-أبي جعفر الرّعيني (779هـ)ورفيقه ابن جابر الأندلسي المشهوران بالأعمى والبصير: رسالتان في السّيرة النبوية والمولد الشّريف، تحقيق مصطفى بن مبارك عكلي التمكروتي، دار أبي الرقاق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1432هـ/2011م، ص18 .

[3] – سورة النحل: الاية 96

[4] – أحمد بن عضة الثّقفي: الأثر القرآني في شعر إبن جابر الأندلسي(ت780هـ) مجلة بابل للدراسات الإنسانية، مج 4 ،ع2 ، ص182

[5] – أصله من مدينة فاس، كان خطيبا بجامع الأندلس توفي عام 860هـ،انظر: التنبكتي:كفاية المحتاج، ج1، ص358، التنبكتي: التنبكتي: نيل الإبتهاج، ج1،ص378 – ابن القاضي المكناسي:جذوة الإقتباس، ص470،471 .

لهم الآن ابكي كبكاء المسلمين فاستسقى بهم فسقوا إيمانا منه أن حبس الله للسماء تنتج عن حبس النّاس زكواتهم ومنع الصّدقات[1]

أشتهر الفقيه غالب بن علي بن محمد اللّخمي[2] بجملة من الخصال الحميدة في مقدمتها العكوف على قضاء حوائج أهل بلده، زيادة على ذلك اتصف بالجود والكرم وبذل المشاركة للمغتربين وأصحاب الحاجات[3]

سار على نهجه الإمام أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن شعيب بن عبد الملك بن سهيل القيسي(ت:720هـ)،[4] الذي عُرف عنه رقّة القلب حتى قيل عنه "...واسع الصّدقة قريبا من الضّعفاء والمساكين بعيدا عن أهل الدّنيا وكان لا يدخل شيئا من مرتبه الجاري في مصالحه الدّنيوية كما عرف عنه ايضا التنفيس عن المعسرين وذوي الحاجات..."[5]

أبدى سكان الأندلس زمن الطاعون الجارف(749هـ)هبّةً جهداً كبيراً في رعاية المرضى والمصابين وأُسندت هذه المهمة إلى الشّيخ الفقيه أبو عبد الله الطنجالي[6] الذي تولى الإشراف على إدارة مهام التّكافل والرّعاية الصّحية للمصابين،حيث أنّه أدى المهمة التي أُوكلت له بكل نجاح

---

[1] – ابن القاضي المكناسي: جذوة الإقتباس، ص470 .

[2] – عالم فقيه من أهل غرناطة، يكنى أبو تمام من بيت طب وحكمة، رحل إلى المشرق فأدى فريضة الحج،ثم عكف على قراءة الطب في المارستان في القاهرة المعزية، ثم ارتحل الى فاس وهناك وُلِيَ وظيفة الحسبة، توفي عام 741هـ– ابن القاضي المكناسي: المصدر نفسه، ص506 .

[3] – المصدر نفسه، ص506 – لسان الدين بن الخطيب:الإحاطة، ج4، ص141

[4] – من أهل المرية يعرف بإبن شعيب، ولد عام 662هـ، خطيب الجامع الأعظم بغرناطة عام 703هـ، تولى وظيفة القضاء واشتهر بالعدل في إقامة الأحكام قام فيها بالمهمة فعرف النّاس قدره وحمدت سيرته، بعد أن رحل من غرناطة اتصل بخدمة السّلطان أبي سعيد حيث تولى مهمة الحسبة وحسنت أحواله، ولا ندري أي شغل شغله قبل هذه الوظيفة، توفي عام 720هـ. ابن القاضي المكناسي:جذوة الإقتباس، ص506 ابن القاضي المكناسي: درة الحجال، ج1،ص127، 128 .

[5] - المصدر نفسه، ج1 ،ص127، 128 .

[6] - هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي من أهل مالقة، من أهل العلم والرواية، من طلاب مالك بن المرحل ، وفي المرقبة العليا "...أحد أماثل قطره وذوي الأصالة والجلالة من أهله ...".قال فيه ابن الخطيب"كان ساذجا على سنن الخير وحسن العهد وكان قرأ صناعة الطب وهو والد الطبيبة الأديبة أم الحسين..."تولى القضاء بمدينة لوشة بلد أجداده توفي سنة (764هـ/1364م)–انظر:أبو الحسن عبد بن الحسن النّباهي المالقي: تاريخ قضاة الأندلس وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1403/1983م ص155– لسان الدين بن الخطيب :الإحاطة، مج4،ص110– أحمد عيسى بك:معجم الأطباء من سنة 650هـ الى يومنا هذا (ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لإبن أبي أصيبعة)،مطبعة فتح الله الياس نوري وأولاده ،ط1،مصر،1361هـ/1942م ،ص109

واقتدار، وخير من نقل إلينا الخبر عن تكليفه بهذه المهمة التّكافلية النّباهي في كتابه"المرقبة العليا" في قوله:"...وقد نجمت به بواكي الوباء الأكبر وذلك صدر عام 750هـ بعد تمنع منه وإباية فلم يوسعه الأصحاب عذرا في التّوقف وشرطوا له عونهم إياه، وما كان إلّا أن تولي الطنجالي وحمى وطيس الطاعون الأعظم...حتى قيل أن عدد الأموات في مالقة وحدها كان يزيد عن الألف في اليوم حتى خلت الدّور وعمرت القبور(غياب إحصائيات أخرى حالت دون إجراء مقارنة بين ماهو واقعي وماهو مبالغ فيه) وخرج أكثر االفقهاء والفضلاء والزّعماء من المدينة ووخرج أيضا من كان قد شجّع الشّيخ الطنجالي إعانته على ماتولّاه من مسؤولية وتركوه يقاوم مع المخلصين له الوعد من أهل مالقة."[1]

جمع أهل مالقة الكثير من المساعدات المادية، ووثّقوا وصايا المرضى في رعايتهم وصرفوها في الوجوه التي حدّدوها بعد موتهم ومنها رعاية اليتامى والأرامل والإحسان للضعفاء والمحتاجين ووجوه البر الأخرى، فاستقر في يدّ الطّنجالي مال عريض لم تهف له نفسه، وسارع أهل مالقة من كل جهة إلى القاضي وولوه مهمة تفريق صدقاتهم إيمانا منهم بمقدرته على إنجاز المهمة،"...فاستقر لنظره من الذّهب والفضّة والحلي والذّخيرة وغير ذلك ماتضيق به بيوت أموال الملوك، فأرفد جملة من الطلبة وفقراء البلدة وتفقّد سائر الغربة وصار يعد كل يوم تهيئة مائة قبر حفرا وأكفانهم برسم من يضطر اليها من الضّعفاء فشمل النّفع به الأحياء والأموات وبقي هو وغيره من أهل القطر على ذلك زمانا مشاركة بالأموال ومساهمة في المصايب والنّوازل إلى أن خفّ الوباء وقلّ عدد الذاهبين به والمسالمين بسببه فأخذ الجدّ التّام في صرف الأوقاف إلى إمكانها ووضع العهود في مسمياتها فانتشع بذلك الفلّ وذهب على أكثرهم القلّ والله لطيف بعباده..."[2]

شهد العهد النّصري في الأندلس تدهورا إقتصاديا كبيرا ولا سيما في عهد محمد الخامس (754-794هـ/1354-1391م)خاصة مع تراجع عائدات الحروب مما أثر سلبا على قيمة العملة التي تدهورت إلى درجة غير مسبوقة،وكان لزاما على المسؤولين البحث عن آلية من الآليات لإعادة التّوازن للعملة فكان لزاما عليهم البحث عن خبراء لتحديد الأوزان والنّقد وقد أسندت وظيفة فرض

---

[1] – النّباهي المالقي، المرقبة العليا، ص155–عبد الهادي البياض: الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق6 .8هـ /12م ،14م) دار الطليعة، بيروت، لبنان ط1 ، 2008، ص299.

[2] – النباهي المالقي: المرقبة العليا، ص157،156– المقري التّلمساني، نفح الطيب، ج5، ص389– عبد الهادي البياض :الكوارث الطبيعية، ص300

النّفقة وتقديرها بمدينة المرية للعالم ابن باق(ت:763هـ)الذي ألّف في هذا المجال كتابا عنونه ب:"زهرة الرّوض في تلخيص تقدير الفرض" وأصبح معتمدا في العمليات المتعلقة بالنقد [1]

عرف أيضا عن الفقيه عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي(ولد:718هـ)[2] إجتهاده في قضاء حوائج من لجأ اليه من الفقراء وغير الفقراء [3]

وبلغ الأمر ببعض العلماء أن يحرموا أنفسهم من أجل الآخرين والبعض الآخر يقترض المال كي ينفق على المحتاجين على غرار العالم الجليل خليل بن عبد الرّحمن بن محمد بن عمر المالقي الذي كان يتداين لأجل الفقراء دينا عظيما نحو مائة ألف درهم ثم يقضيها عنه، وهذا مبلغ ليس بالهيّن فربما عسُر عليه ردّه، كما أشتهر أيضا بأنه"..أصبر خلق الله على إلحاح السائلين وإختلاف القاصدين والسّائلين تكفّل بحوائج الاغنياء دينا ودنيا، معلوم البرّ مشهور الصّدقة يواسي الفقراء"[4]

عُرف الشّيخ أبو القاسم بن الحكيم[5] عالم رندة بالإنفاق في سُبُل الخير المختلفة اضافة لما تميّز به من خصال التّقوى والورع أنه أوصى بنصيب من ماله تُصُدِّقَ به قبل موته بفترة قصيرة في جفاف أصاب بلده فعمّ ضعفاء البلد بالصّدقة الكثيرة، فسقي النّاس وتُصُدق بباقي ماله بعد موته، لم يتوقف عند هذا فحسب حيث سخّر جهده وماله في فكّ الأسرى من دار الحرب حتى"...أنه فدى بكل عضو من أعضاء جسده أسيرا" كناية على كثرة من افتكهم من الأسر[6]، وازدحموا عليه وأكثرهم من أهل العوز والحاجة فما عُرف عنه أنه دخل ابن الحلفاوي[7] الأندلس قادما من تونس مع

---

[1] – ليلى بوشعيب:كتاب زهرة الروض في تلخيص تقدير الفرض لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن باق(ت: 763هـ/1362م)، ماجستير تاريخ وسيط، جامعة قسنطينة 2، 1432-1433هـ/2011-2012م، ص40

[2] – فقيه وخطيب ونحوي من أهل مالقة، ولد عام 718هـ، له حضور بارز في النّظم والنّثر، أخذ العلم عن والده الفقيه وخاله أبي الحكم القاضي أحمد بن عبد الحق الجدلي، والطّنجالي وابن منظور وابن بكر، وابن ابي الجيش وغيرهم ولم أعثر له عن تاريخ وفاته .انظر: التّنبكتي: كفاية المحتاج، ج1، ص242

[3] – التّنبكتي: المصدر نفسه، ج1، ص242

[4] - التّنبكتي ،كفاية المحتاج ، ج1 ، ص197

[5] - ابن الحكيم من أهل رندة وأعيانها، يكنى أبا القاسم ويعرف بابن الحكيم ، روى عن أبي الحسن بن قرطال وأبي البركات مودود الفارسي ، وأبي الحسن الدّباج وسمع عنهم وشافهه وأجازوا له. وشارك في فنون من العلم والرواية والأدب – انظر: ابن الزّبير: صلة الصّلة،القسم الثالث ،تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد اعراب،الرباط ،1993، ص153

[6] – ابن الزبير: المصدر نفسه، ص153

[7] – هو محمد بن محمد بن عبد الرحمان التّميمي ابن الحلفاوي يكنى أبا عبد الله ويعرف بالتونسي وبإبن المؤذن ببلده، من أهل تونس و نزيل غرناطة ،ولد بتونس في حدود الاربعين وستمائة، وهو من العلماء المشهورين الأولياء وإجابة الدّعوة ظاهر الكرامة ، وتوفي في عام (715هـ) .انظر: لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص272

تجار بلده وبيده مال كثير جعله في سبل الخير و الإنفاق والصّدقة إلى أن أتمّه وأنفقه في سبيل الله، فتسامع به النّاس وتسابقوا إلى مسجده، ولما عُرف عنه زهده عن الدّنيا وتداولت الأخبار سيرته وإسمه قصدوه مانحين إياه صدقاتهم ليوزعها بدوره على ذوي الحاجات حتى يعمّ الخير وتفي الصّدقات طموح العامة[1]

أما علماء العدوة المغربية الذين كان لهم الأثر في السّاحة السّياسية والجهادية فقد اختلفت وضعيتهم الإجتماعية فمنهم الميسور ومنهم المتوسط ومنهم المعدوم.

من الأسر المغربية المشهورة بالمكانة الإجتماعية المادية الراقية أسرة ابن مرزوق ومن أشهرهم أبو عبد الله بن مرزوق(جد الجد)[2] الذي دلّت أعمال الخير التي كان يقوم بها على حاله، وعن هذه الأسرة يذكر لنا إبن مرزوق الحفيد نبذة عن حياته في مجال البر والصّدقات أنه"...لما بنى موضعه بالعبّاد في البستان الذي غرس أكثره بيده وهو البستان المعروف ببركاته حتى اليوم حتى صار ينقطع فيه سائر نهاره فإذا دخل في المساء دخل وبين يديه محفظة فيها من كل أنواع الفواكه الموجودة في ذلك الوقت أخضرها أو يابسها فإذا التقى صبيا صغيرا أو مريضا أو من يعرف حاجته إلى شيئ مما عنده يعطيه إياه وصرّة فيها دراهم فيتصدق بها، فكان المساكين والصّبيان يتعرضون له في طريقه فكم من شخص يقول"اشتهى عندي مريض حبة سفرجل وآخر يقول رمانة حامضة وآخر يقول زهرة فيقول خذ ماشئت .."[3]

هذه عادته في بستانه أمّا إذا رجع إلى منزله كان يوسع على أهله النّفقة وكان يتولى خدمة نفسه فيما يحتاج إليه من أمور العبادة وكان حسن السّيرة مع خادمته التي كانت تشاركه الطعام، ووصل به حلمه و تعدى من يساكنه فأسكن جماعة من العجزة من أهل مرسية في مسكن بجوار داره وكُنّ نساءًا صالحات، يدخل كل ليلة ليطمئن عليهن و يقوم بالنفقة عليهن والتّخفيف عنهن ومجالستهن ثم يعود لبيته الذي كان ينام ويقوم فيه واستمر على هذه الحال مدّة من الزّمن[4]

---

1 – الدّين بن الخطيب: الإحاطة، ج3،ص272

2 – **إبن مرزوق (جد الجد)**:عُرف بمحمد الثّاني ولد بتلمسان في حدود (629هـ)، كان يلازم في البداية علماء عصره كشيخ المحدثين أبي زكريا يحي محمد بن عصفور صاحب الإمام ابي بكر بن عربي

3 – أبو عبد الله محمد بن مرزوق التّلمساني(ت:781هـ): المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق سلوى الزهراوي، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1429هـ/2008م ،ص155

4 – إبن مرزوق التّلمساني: المناقب المرزوقية، ص156

كانت لأبي العباس أحمد بن مرزوق(681هـ/741هـ) مطامير من قمح وفحم وكان يُعِدُّ اللّحم المدخر المعروف بالمسيلي[1] وبالخليع والزّيت، كان من إحسانه وقت الشّتاء وزادت الحاجة للطعام وصار الجو ثلجا هَرَعَ إلى فتح مطمورة من قمح وأخرى من فحم ويتصدّق بالزّرع والفحم والإدام طول يومه فلا يرجع إلى داره حتى يفرغ من المطمورتين، هذا بالموازاة مع الصّدقات الأخرى التي لا تكاد تنقطع فكان له كل يوم خبز الصّدقة والثّياب في كل سنة [2]

ادرك إبن الحاج النّميري (713هـ/768هـ) حجم المسؤولية التي يتحملها أهل العلم في حثّ السّلاطين على الإهتمام بشؤون الرّعية إذا تطلب الأمر ذلك، فحرّر رّسالة التي يأمر فيها السّلطان أبو عنان بالتصدّق على المساكين والمعوزين والعفو عن المسجونين،ثم كُلِفَ بتحرير رسالة مولوية تأمر ببناء مستودعات لتخزين المؤونة في كل مدينة و قرية، بغية استعمالها عند الشّدائد[3]

ومن أوجه الإنفاق والصّدقة ما كان يقوم به الفقيه الصّالح أبو زيد عبد الرّحمن بن يعقوب بن علي الصّنهاجي من أعمال الخير والإنفاق فيذكرُ عنه أنه جاءه ضعيف يشكو جوعه وجوع عياله في سنة مجاعة وقحط فما كان من الشّيخ الّا أن أعطاه خبز عياله وأهل داره كلّه دون أن يبقي مايسدّ جوع أهله،"... فخرج ولده يشتكي الجوع ووقفت الخادمة تشتكي جوع أهل الدّار فقال لها ذهب بخبزكم من هو أشد حاجة منكم وسيأتيكم إن شاء الله أكثر وأطيب،فما أن أكمل كلامه إلّا ومائدة كبيرة تشتمل على أنواع الأطعمة بعثها إليه القائد هلال حاجب السّلطان أبي تاشفين، وكان لا يمسك شيئا بداره، وكانت داره مقصدا للواردين..."[4]

كان الشّريف التّلمساني[5] مشفقا على النّاس رحيما بهم، يعطيهم نفقات كثيرة ويعينهم بما استطاع من جهده ذا كرم واسع، وخصال حميدة فكان يكرم ضيفه ويقرّب له ما كان موجودا ،

---

[1] -المسيلي : هو اللّحم المصبر أو المقدد ، ابن مروزق : المصدر نفسه ، ص190

[2] - المصدر نفسه ، ص191

[3] - النّميري : فيض العباب ، ص28

[4] - النّميري : فيض العباب، ص299

[5] - إختلف في مولده رحمه الله فذُكر أنه ولد عام سبعمائة وعشرة ، قال ابن خلدون أخبرني رحمه الله (المترجم له) أن مولده سنة عشرة ، نشأ بتلمسان وأخذ العلم عن مشيختها وإختص بأولاد الإمام وأخذ عنهما الفقه والأصول والكلام ، ولزم الشّيخ الآبلي، دخل تونس عام 740هـ وقرأ على إبن عبد السلام، ورجع إلى تلمسان وتفرغ للتدريس ونشر العلم فعرف فضله وذاع صيته في المغرب، إختاره ملك المغرب أبو عنان مع من إختار من العلماء وصار من خاصته ،ورحل به إلى فاس فغضب السّلطان التّلمساني الذي شكى غربته هناك، وقدم تلمسان بعد أن سجن بفاس، وأكرم صاحب تلمسان وفادته وبنى له مدرسة، توفي عام 771هـ .أنظر: إبن مريم، البستان، ص166- التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص432- التنبكتي، كفاية المحتاج، ص، - أبو عبد الله

عاكفا على إطعام الطلبة طيب الأطعمة"...ويُروى أن طالبا دخل عليه فأعطاه مالا ثم دخل عليه بفاس فسأله عن حاله فقال قرأت القرآن في القرويين فلم أُعطى شيئا فتأسف الشّيخ ففي الغد بعث معه أربعة من طلبته معهم قراطيس ودراهم وقال لهم إذا قرأ فارموا له القراطيس ففعلوا فعرف النّاس حاله فكثرت عليه العطايا..."[1]

بلغ كرم الفقيه عبد الله بن محمد بن موسى بن معطي العبدوسي[2]مبلغا عظيما حتى أنّه لا يدّخر شيئا في بيته من كثرة الإنفاق، ووصل به الأمر أنه لم يبق عنده شيئ يوم موته إلّا مايلبسه فقال الأمير هكذا يكون الفقيه وإلّا فلا، فحُسِبَ ما يخرج من يده وما يدخل فيها فوُجد الخارج أكثر من الدّاخل مقتفيا أثر الصّالحين في الإيثار[3]

يحكى عن موسى بن محمد بن معطي العبدوسي وصنيعه في باب زكاة الحرث فكانت عادته إذا حرث يخرج زكاة حرثه للضعفاء تسعة أعشار صابته ويتمسك بالعشر عكس الزّكاة ويقول:"... من سوء أدبي أن أخرج العشر وأتمسك بتسعة أعشار"[4]

تَشَبَّهَ العالم الفقيه محمد بن عرفة الورغيمي التونسي(ت:803هـ) بالتابعين درجة كبيرة في أمور عدّة منها الصّدقة[5]حيث تصدق قبل موته بمال كثير وقدرت تركته 1800دينار ذهبا من بين عِيرٍ وحلي ودراهم وطعام وكتب، وحبس كثيرا من الضّياع قبل موته جعلها في السّبيل[6].

ويورد لنا ابن حجر نصا نقله عن الذّهبي في شأن إبن رشيد السّبتي[1] يقول"كان ورعا منقبضا عن النّاس ذا هيبة ووقار يسارع في حوائج النّاس[2]، وزادت أخلاقه في تواضعه للناس فكان يسارع في قضاء حوائجهم وذلك بجلب المصالح وردّ المفاسد، وكان يؤثر ويتصدق على الفقراء والغرباء والطلبة[3]

محمد بن أحمد الحسني التلمساني (ت:771هـ) :مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ويليه كتاب مثارات الغلط في الأدلة ، تحقيق محمد علي فركوس ،الطبعة الأولى، مؤسسة الرباط، السعودية، 1419هـ/1998م، ص51 ومابعدها

[1] – أحمد بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج، ص435

[2] – مفتي فاس ومحدثها وشيخ الجماعة والفقهاء الصّوفية ،فيه إظطراب في سنة الوفاة بين 749هـ و848هـ والأول أقرب للصواب،كان واسع الباع في الحفظ، وله فتاوى كثيرة في المعيار، ومما يحكى عنه أنه لم يوجد عنده يوم وفاته إلّا مايلبسه وأنه كان يعمل الحوص وهي كل مايصنع من أوراق النّخيل من أفرشة وسلال وغيرها وكان يصنعها خفية ثم يعطيها لمن لا يعرف أنها له ليبيعها بغية أن يتقوت بها ،أنظر: التنبكتي: كفاية المحتاج، ج1، ص252

[3] – التنبكتي:كفاية المحتاج، ج1، ص252 ،253 –ابن القاضي المكناسي:جذوة الإقتباس، ج1، ص346، 347

[4] – ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج1، ص346

[5] – التّنبكتي: المصدر السابق، ج2 ، ص99 ،100

[6] – التّنبكتي: نفسه، ج2، ص105

ومما تقدم يتّضح محدودية النّصوص التي بين أيدينا عن دور العلماء والفقهاء في مجال الصّدقات والنّفقات المادية وهذا على مايبدو يرجع إلى جملة من الأسباب نذكر منها على سبيل الإجمال لا على سبيل الحصر:

أَوْلَى المؤرخون في تدوينهم لسير العلماء عناية فائقة لنسب العالم وموطنه وشيوخه وتلاميذه والرّحلة التي قام بها وأهم المؤلفات التي ألّفها وخلّفها والوظائف السّياسية والدّينية التي تولاها على غرار الكتابة والوزارة والقضاء والإمامة، في حين أهملوا الجانب الإجتماعي المهم للعالم المتمثل في الإنفاق والصّدقة وسبل الخير الكثيرة فلم يذكروا منها إلا ماشاع منها وأصبحت الألسن تتناقله، أو ماجاء عرضا في سياق الترجمة، من جهة أخرى حرص الشّريعة الإسلامية على اخفاء صدقات التّطوع وعدم إظهارها لأنه من باب المن الذي يأتي على الحسنات فيهدمها ويحبط العمل بالكامل قال تعالى "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تبطلوا صَدَقَـٰتِكُم بِالْمَنِّ وَالاَذِىٰ " [4] وقال أيضا " اِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُوتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ"[5].

03: دور العلماء في مواجهة الضرائب:

فرضت السّلطة الحاكمة في الأندلس مجموعة من الإجراءات المرهقة على الرّعية تتقدمها مسألة الضّرائب غير الشّرعية والتي شكّلت عبئًا ثقيلا على سكان الأندلس والغرب الإسلامي عامة، فكان لزاما على العلماء التّصدي لهذه الممارسات خاصة وأنها مسّت طبقة الفقراء في المجتمع.

---

[1] – محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن محمد بن رشيد أبو عبد الله الفهري السبتي ، ولد عام 657هـ وأخذ عن أبي الحسن بن أبي الرّبيع العربية، قرأ علم الحديث وأجاده ثم رحل إلى فاس وفيها وصنّف الرّحلة المشرقية في ستّة مجلدات ثمّ دخل مصر والشّام وأخذ عن بعض شيوخها وحجّ عام 685هـ، شغل عدة وظائف منها الإمامة والخطابة بغرناطة بعناية الوزير ابن الحكيم الرندي، وكان قد رافقه في رحلته إلى أن رجع غرناطة فأكرمه سلطانها وأستقر كاتب سرّه فاستدعى إبن رشيد، إستمر ابن رشيد في الجامع معلما وشارحا للحديث إلى أن قتل الوزير ابن الحكيم عام 708هـ فخرج إلى العدوة المغربية وتوفي بفاس721هـ.انظر :ابن حجر العسقلاني: الدّرر الكامنة، ج4، ص112،111، 113 .

[2] – المصدر نفسه، ج 4ص112 .

[3] – المصدر نفسه، ج4، ص113

[4] – سورة البقرة :الآية 264 .

[5] – سورة البقرة : الآية 271

فمن علماء غرناطة وفقهائها الذين تصدّوا لهذه الممارسات التي كانت تفرض ظلما، الإمام الشّاطبي[1] الذي صنف المكس(الضّرائب) في خانة البدع المنهي عنها شرعا إذ يقول في معرض حديثه عن المسألة "..فمما جاء به القرافي وضع المكوس في معاملات النّاس فلا يخلو هذا الوضع المحرم أن يكون على قصد حجر التّصرفات وقتا ما، أو في حالة ما لنيل حطام الدّنيا على هيئة غصب الغاصب وسرقة السارق وقطع القاطع للطريق وما أشبه ذلك، أو يكون على قصد وضعه على التّأسي كالدين الموضوع والأمر المحتوم عليهم دائما أو في أوقات محدودة وعلى كيفيات مضروبة بحيث تضاهي التّشريع الدّائم الذي يُحمل عليه العامة ويُؤخذون به تُوجه على الممتنع منه العقوبات كما في أخذ زكاة المواشي والحرث وما أشبه ذلك..."[2]

يضيف"...فأما الأول فلا إشكال أنه مجرد معصية إذا كان ظلما وتعديا من غير سبب ظاهر ولا يُقال في هذا بدعة لخروجه عن حد البدعة، أما الثّاني فظاهر أنه بدعة إذ هو تشريع زائد وإلزام للمكلفين يضاهي إلزامهم الزّكوات المفروضة والدّيات المضروبة والغرامات المحكوم بها في أموال الغصاب والمعتدين بل صار في حقهم كالعبادات المفروضة واللّوازم المحتومة أو ما أشبه ذلك فمن هذه الجهة يصير بدعة بلا شك لأنه شرع مستدرك وسَنن في التكليف مهيع"[3] فتصير الضّرائب والمكوس على هذا النّحو نوعان:

"قول من جهة أنها محرمة على الفاعل أن يفعلها كسائر أنواع الظّلم، وقول من كونها إختراعا لتشريع يُؤخذون بسائر التّكاليف فاجتمع فيها نهيان نهي عن المعصية ونهي عن البدعة، وليس ذلك

---

[1] – هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللّخمي الغرناطي الشّهير بالشاطبي ولد عام 720هـ تقديرا، من أئمة المالكية أصولي وحافظ مفسر وفقيه ومحدث ولغوي،عُرف بالورع و الصلاح و الزّهد على مذهب أهل السّنة بارعا في العلوم من أهل غرناطة، نشأ بغرناطة وترعرع بها وبها طلب العلم، لم يقم بأي رحلة وهذا يعني أنه لازم غرناطة الى أن مات، الّف تآليف نفيسة إشتملت منها كتاب "الموافقات" في أصول الفقه وهذا الكتاب وقف في الشّاطبي بين مذهبي إبن القاسم وأبي حنيفة، وكتاب"شرح رجز ابن مالك" في النحو(الألفية)وكتاب"الاعتصام"،وكتاب"الإفادات والإنشادات"،وكتاب"الإتفاق في علم الإشتقاق"، توفي عام 790هـ /1388م .أنظر: الزركلي: الأعلام ،ج1، ص75– التنبكتي: نيل الابتهاج، ص48،49–أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللّخمي الشّاطبي (ت:790هـ): فتاوى الإمام الشاطبي،تحقيق محمد أبو الاجفان، الطبعةالثانية،تونس،1406هـ/1985م، ص32 ،44، 46 .

[2] –أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللّخمي الشّاطبي(ت:790هـ):الإعتصام، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان مكتبة التوحيد، المجلد الثاني، ص416 .

[3] – الشّاطبي: المصدر نفسه، ص417 .

بموجود في البدع في القسم الاول وإنما يوجد فيه النّهي من جهة كونه تشريعا موضوعا على النّاس أمر وجوب أو ندب إذ ليس فيه جهة أخرى يكون بها معصية بل نفس التّشريع هو نفس الممنوع"[1]

أمّا في المغرب ومع إزدياد الإظطرابات السّياسية والفتن التي منيت بها دولة بني مرين والتي تسببت في إنهيار عظيم للإقتصاد جعل الملوك والسّلاطين يسعون إلى تعويض هذه الخسائر، مما أدي إلى فرض ضرائب كثيرة على الرّعايا تتجاوز الإطار الشّرعي،كما ازداد تعسف جباة الضرائب حتى وصل إلى إراقة الدّماء من أجل الحصول على الأموال وضربوا بفتاوى العلماء عرض الحائط[2]

وصف الحسن الوزان سياسة جباة بني مرين التي أثقلت كاهل الرّعية قائلا"ولم يكتف الملوك بإغتصاب هذه المواد كلها والتصرف في إنفاقها بكامل الحرية وإنما أضافوا إليها مغارم أخرى جديدة وهكذا فأنت لاتكاد تجد بالبلاد المغربية كلها من يستطيع أن يدّخر ما لابدّ منه من المأكل والملبس في أوساط الفلاحين ممّا ترتّب على هذه الوضعية أنك لا تجد من أهل العلم والإستقامة رجلا واحدا يقبل أن يصاهر الملوك أو يُواكلهم وبالأحرى لأن يأخذ منهم عطاءا أو هدية إذ الواقع أن أموال هؤلآء الملوك مبغضة لديهم أكثر مما لوكانت مختلسة..."[3]

وأدى ذلك إلى إستنكار العلماء والفقهاء لهذه الأوضاع فعملوا على التّصدي لهذه التّصرفات المؤدية للجور الإجتماعي، ويتضّح ذلك من خلال مواقفهم التي اتخذوها تجاه السّلاطين، فوصفهم الفقهاء بالظلم وألزموهم بردّ الأموال لأنها ليست من حقهم حيث لا يوجد مكوس في حكم الشّريعة غير أن السّلاطين إستمروا في صنيعهم غير مكترثين للفتاوي التي تصدر في هذه المسألة وسخّروا جباتهم لهذه المهمة وبالتالي استمرّت تبعاتها على المجتمع[4].

وعلى مايبدو ففي أواخر عهد السّلطان أبي الحسن المريني ازدادت فيه المكوس والمغارم على الرّعية فيذكر أن الفقيه عبد العزيز بن محمد بن محمد القروي[5] الذي قال أن أبو الحسن المريني طلب

[1] – الشاطبي: الإعتصام، ج2، ص416 .

[2] – لسان الدّين بن الخطيب: نفاضة الجراب، ص77

[3] – ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن، ص255 .

[4] – الونشريسي: المعيار المعرب، ج9، ص82 و ج7، ص294-كمال السيد أبو مصطفى:جوانب من الحياة الإجتماعية والإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الاسكندرية للكتاب، 1996م، ص84

[5]– عبد العزيز بن محمد بن محمد القروي من مشايخ العلم فقيه وصالح، له تقييد على المدونة، قال فيه بعض الفقهاء"دخلت عليه وهو محترم بكساءه وكتب الفقه بين يديه مبسوطة وعرقه يقطر عليه وكساؤه في غاية الوسخ فقلت له إرفق بنفسك ونقّ كساءك فقال لي ستّة أشهر أروم غسلها وما وجدت سبيلا لذلك ،هذا يأخذنا الى القول أنه لا يملك كساءا غيره، أو أنه لا يملك من

منه الخروج مع عامل الزكاة فقال له"أما تستحي من الله تعالى تأخذ لقبا من ألقاب الشّريعة وتضعه على مغرم من المغارم فضربه أبو الحسن بالسّكين التي كان يحبسها بيده على عادته وقال هكذا تقول لي، فبادر إليه الوزير وأخرجه إطفاءا لغضب السّلطان، وقام السّلطان إلى داره وقد إشتدّ وجع يده التي ضربه بها، ثمّ خرج فقال ردّه عليّ واعتذر إليه وقال طيب نفسك عليّ فإني علمت أنك ماقلت إلا الحق، فقال الله يغفر لي ولك وظلّ الفقيه عبد العزيز لا يخرج ولايعود من باب المدينة إلّا ودفع المغارم فكان يكره ان يتم التّفريق بينه وبين عامة الناس"[1]

إستمرّ سلاطين بني مرين في سياسة المكس المرهقة ففي فترة حكم السّلطان أبي سالم المريني (760-762هـ/1358-1360م) فرض جملة من الضّرائب أرهقت كاهل الرّعية فلا يكاد المجتمع يصحو من تبعات هذه المغارم حتى يجد نفسه وقد فرضت عليه مكوس أخرى، يصفها إبن الخطيب "...الرّعايا إستولى عليها المغارم وترقّعها الحلب، حتى عجزت عن الفلح وضعفت عن الإثارة والبذر يستصفي أموالها بعصاب الصنيق والإلحاح ..."[2]

على نهج سلفه سار السّلطان أبي فارس عبد العزيز(767-774هـ،1366-1374م)هذا ما جعل الفقيه ابن عباد الرّندي يعمل على مراسلته والعمل على إسداء النّصح له، ففي إحداها شرح مفصل لحال المسافرين والتّجار وما يلاقونه من جور جراء تعرض الجباة لهم بفرض ضرائب لاتطاق في حقهم مشددا على وجوب إلغائها إقتداءا بالسلطان أبي الحسن المريني وولده السلطان أبي عنان فارس،والعمل على معاقبة الجباة الذين ثبتت في حقهم مخالفات شنيعة أثناء تأدية المهام المنوطة بهم[3]

فنجد أن ابن مرزوق الخطيب(ت:781هـ/1379م) يجسد لنا الوضعية التي آل إليها المغرب والضّيق الذي عاشه أهله جراء المكوس المفروضة عليهم في معرض ذكره لإنجازات سلطان بني مرين أبي الحسن"...وكانوا يوظفون فيها المغارم على الرؤوس فيجعلون على كل شخص صغيرا أو كبيرا قويا أو ضعيفا حتى الرضيع مغرما يخصه وكانت مظلمة لا نظير لها في المظالم والمحدثات وصارت أخت

يخدمه.أنظر:التّنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دراسة وتحقيق الأستاذ محمد مطيع،المملكة المغربية، وزارة الشؤون الدينية الاسلامية، 1421هـ/2000م،ج1، ص289-ابن القاضي المكناسي:جذوة الإقتباس، ج2، ص451 .

[1]-إبن القاضي المكناسي:جذوة الإقتباس،ج2،ص451-سمر عبد الحليم عبد المعز:تجارة الدولة المرينية(628-876هـ/1269-1473م)، الاسكندرية، 2019، ص148،149 .

[2] - لسان الدين بن الخطيب: نفاضة الجراب، ص270

[3] - سمر عبد الحليم: تجارة الدولة المرينية ،ص 148 ،149

الجزيات المضروبة على أهل الذمة بل أشد فأسقط ذلك(يعني السلطان)...وردّ المظالم على الأموال والأملاك بحسب الجدّة والقدرة .."[1]

ولمــّا إستولى السّلطان ابو الحسن المريني على تلمسان إتخذ مجموعة من القرارات من بينها أنه أسقط عن أهل تلمسان الرّبع من المغارم التي كانت تفرض عليهم"... ورفع فيها من المغارم ماكان شائعا خسيسا ويجتمع فيه أموال كالمغرم على الحطب والبيض والدّجاج والتبن وسائر المرافق بل يفتقر إليها القوي والضعيف...ومما رفع وظيفة مغرم الماء وكان سقي الجنّات يُظطر فيه إلى مغرم للبراءة ولصاحب الحوز والحراس[2] ... حتى أن الشّخص يغرم مع أهل الموضع الذي رحل عنه والموضع الذي رحل إليه..."وفي هذا جور مابعده جور[3]

وبعد إستلائه على إفريقية(تونس)أسقط جملة المغارم والمكوس التي فرضها سلاطينها وأسقط ربع الجباية التي توصل بها القائمون على البلد إلى أكل أموال النّاس بالباطل دون مراعاة الوضعية الإجتماعية للعامة[4]

وقف العالم الصّوفي أبو الرّبيع سليمان(ت:779هـ/1377م)، موقف المعارض لهذه السّياسة وعلى نهجه سار العالم الصّوفي عبد الله بن منصور،والشّيخ أحمد بن الحسن الغماري(ت:874هـ/1470م)[5].

أمّا في تلمسان فقد توسط الفقيه أبو زيد ابن الإمام(ت:743هـ)للفقيه أحمد بن عمران البجائي(كان حيا عام 765هـ)عند السّلطان أبي تاشفين الأول(718هـ/737هـ)وكُللت الوساطة بأن رفع عنه وعن من رافقه المغرم وزاد عليه أن أكرمهم من عنده.

04: موقفهم من البدع المنتشرة في المجتمع :

عرفت غرناطة خاصة والغرب الإسلامي عامة خلال القرنين الثّامن والتّاسع الهجريين إنتشار بعض البدع وسط أفراد المجتمع ولعلّ خطر هذه الآفات حتّم على العلماء الوقوف لها بالمرصاد والعمل على الحدّ من إنتشارها ولكنهم في الغالب وجدوا مقاومة شرسة من مجتمع تغلغلت فيه البدعة وبلغت درجتها أن العالم المنكر لها يتعرض لضغوط وعراقيل في مهامهم حتى يثنوه عنها. وقلّ تأثيره حت أصبح لا يستطيع التأثير حتى في أهل بيته أحيانا.

---

1 – ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن، ص284 .

2 – المصدر نفسه، ص285 .

3 – المصدر نفسه، ص286 .

4 – ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن، ص284 ، ص286 .

5 – بختة خليلي: الفقر بالمغرب، ص320

من النّماذج التي سخّرت نفسها لمواجهة البدع الإمام أبو إسحاق الشّاطبي(ت:790هـ) خاصة في كتابه "الإعتصام"وهو أحسن مصنف على الإطلاق في بيان أصول البدع وقواعدها في تلك الفترة ،ولم تزده المحن التي تعرّض لها إلّا رسوخا في الحق وثباتا على الدّين ومضيا في المقاومة يقول"...لمـّا وقع عليّ من الإنكار ما وقع مع ما هدى الله اليه لم أزل أتتبّع البدع التي نبّه عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذّر منها وبيّن أنها ضلالة وخروج عن الجادّة..."[1]

إستعان الشّاطبي في مهمته هذه بوظائفه التي تولّاها كالإمامة والخطابة وجعل منبره سيفاً سليطا على أهل البدع سائرا في توضيح السّنة الصّحيحة وكل مايقرب إليها من قول أو عمل، يقول " دخلت في بعض خطط الجمهور من الخطابة والإمامة ونحوها فلما أردت الإستقامة على الطريق وجدت نفسي غريبا في جمهور أهل الوقت لكون خططهم قد غلبت عليها العوائد..." مستشعرا حديث أبي هريرة عن النّبي عليه الصّلاة والسّلام"بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء"[2] وآثر في ذلك الغربة والنأي عن أهل الضّلال في الدّفاع عن السّنة وأهلها ومقاومة البدعة والعمل على القضاء عليها، وهو على يقين تام أنّ الهلاك في إتباع السّنة لهُو عين النّجاة في الدّارين، ولكن عزمه وإصراره على إتمام مهامه قُوبل بالرّفض الشّديد حتى أنه قال" قامت عليّ القيامة وتواترت عليّ الملامة وفوّق اليّ العتاب سهامه ونُسبت الى البدعة والضّلالة وأُنزلت منزلة أهل الغباوة والجهالة وإني لو إلتمست لتلك المحدثات مخرجا لوجدت غير أن ضيق العطن والبعد عن أهل الفطن رقى بي مرتقا صعبا وضيّق عليّ مجالا رحبا وهو كلام يشير بظاهره على إتباع المتشابهات لموافقات العادات أولى من إتباع الواضحات و إن خالفت السلف الأول"[3].

أنكر الشّاطبي رحمه الله عددا كبيرا من البدع ومنها الإجتماع عشية عرفة في المسجد للدعاء[4]، والدّعاء جهرا دبر الصّلوات المفروضة[5]والإستسقاء والتبرك بآثار الأولياء[6]، وتزويق المصاحف[7]، والغناء

---

[1] – الشّاطبي: الإفادات والإنشادات، ص34 .

[2] – الشّاطبي: المصدر نفسه، ص35 .

[3] – الشّاطبي: الافادات والإنشادات، ص36 .

[4] – الشّاطبي: الاعتصام ، ج2، ص302 .

[5] – المصدر نفسه، ص241، 251، 259، 262 .

[6] – نفسه، ص286،287 .

[7] – نفسه، ج2،ص320 ،352 .

والغناء والرّقص بالذكر في اللّيل[1]،والمصافحة بعد صلاة الصّبح والعصر[2]، هذه نماذج من البدع التي كانت سائدة آنذاك وهي كثيرة إكتفينا بذكر نماذج منها فقط

وقد شنّع ابو إسحاق الشّاطبي على الصّوفية في إجتماعهم في الذّكر تشنيعا عظيما ومما قال:"...وذلك أنه وقع السّؤال عن قوم يَتَسَمَّوْنَ بالفقراء يزعمون أنهم سلكوا طريق الصّوفية فيجتمعون في بعض اللّيالي ويأخذون في الذّكر الجهري على صوت واحد ثمّ في الغناء والرّقص في آخر اللّيل، ويحضر معهم بعض الـمُتسَمِين بالفقهاء يترسّمون برسم الشّيوخ الهداة إلى ذلك الطريق، هل هذا العمل صحيح في الشّرع أم لا؟ فقال بأن ذلك كلّه من البدع المحدثات المخالفة طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقة أصحابه والتابعين لهم بإحسان"[3]

من الظواهر الطارئة على غرناطة والتي شهدت إقبالا منقطع النّظير من عامة غرناطة الجنوح إلى التنصّر والارتداد عن الدّين الإسلامي خاصة مع النّمط الجديد في حياتهم الذي ميزه الإختلاط مع أصحاب الملّة النّصرانية وتبعاته خاصة في طلب اللّذة، ولعلّ ما نقلته المصادر عن هذه الظاهرة قليل جدا ولكن الواقع كان أكثر من ذلك كونه كان يتم في سرية تامة فالقليل فقط من كان يعلن ردّته ولعل الدّافع غالبا هو دنيا يصيبونها أو إمرأة ينكحونها ولَأَدَلَ على ذلك وُرود سؤال في هذا المنحى على الشّيخ إبن سراج عن رجلٍ تنصّر وتزوج في أرض العدو بإمرأة نصرانية وأقام معها هناك سنوات ثم رجع إلى الإسلام وأسلمت معه زوجته وعاد إلى بلاد المسلمين هل يُقران على نكاحهما السّابق أو يُفسخ بطلاق ويتزوجا من جديد إذ هما باقيان على ماكان عليه لم يُفرق بينهما وهل يُؤدب كل واحد منهما أم لا؟[4]

أجاب* المرتد لا يُقرُّ على نكاحه في حال ردّته على المشهور وهو مذهب المدونة[5] ولعلّ التّشدد في الفتوى مع المرتدين كان الهدف منه ردعهم عن التّنصّر حتى يكون لمن بعده آية، ولعل هذه العقوبة كبحت جموح و رغبات الكثيرين في التّنصر.

---

[1] - نفسه ج2،ص85

[2] - نفسه، ج1،ص 353 .

[3] - الشّاطبي: الاعتصام ، ج3 ، ص85

[4] - أبو القاسم بن سراج الأندلسي(ت:848ه):فتاوى قاضي الجماعة أبي القاسم بن سراج الأندلسي، تحقيق محمد أبو الأجفان، المجمع الثقافي، 2000م ص140

[5] - إبن سراج الأندلسي: فتاوى قاضي الجماعة أبي القاسم بن سراج الأندلسي: المصدر السّابق، ص141 .

صنف آخر من العلماء وقف ضدّ هذه الظاهرة موقفا مخالفا للفتاوى في منهجه واختار طريق التأليف في مجال العقائد مثل العلاّمة محمد بن جزي الكلبي الغرناطي(ت:741هـ) الذي ألف كتاب "**عقائد الدّين**"الذي يذكر فيه ما يجب على المسلم أن يعتقد حتى يأمن على نفسه الإرتداد وفي هذا يقول:"وأقمنا عليها أدلة عقلية قطعية إستمددناها من السّنّة ..."[1] أما عن الدّوافع التي حملته على تأليف هذ الكتاب يضيف"ذكر الأدلة والبراهين على عقائد الدين ليرتقي النّاظر فيها عن التّقليد إلى العلم اليقين كون جملة الادلّة مأخوذة من القرآن الكريم الذي يحوي علم الأولين والآخرين، والإقتصار على أمهات المسائل وتجنب المسائل المحدثة والجدل والخصام"[2]

لم يتوان الفقيه أبا القاسم الغساني[3] في الإنكار على أهل البدع[4] كما حذر الشّيخ ابن الحاج من بعض السّلوكات المشينة في المجتمع والتي تخرج بصاحبها عن جادة الصّواب وتلقي به في براثن المحظور والبدع والخرافات وبالتالي تغمس صاحبها في النّار.

وكان الشّريف التّلمساني متمسكا في أمور السّنة كثير اتباع السّلف شديدا على أهل البدع ذا بأس في نصر الحق لا تشاهد في قطره بدعة[5]

لقيت ظاهرة الإحتفال بالمولد النّبوي الشّريف في المغرب والإندلس إقبالا واسعا خاصة مع تشجيع السّلاطين لهذه الإحتفالات وتدعيمها،وإختلف الفقهاء في حكم الإحتفال به نظرا للممارسات التي تحدث خلال الإحتفال حرص العلماء والفقهاء على القول بعدم الجواز لوجود مجموعة من المنكرات كاختلاط الرّجال بالنّساء وإستعمال آلات اللهو، ومن مناكر بعض الصّوفية (غير المعتدلة)كالرقص، فمن العلماء الذين كان لهم دور في التّحذير من هذه الممارسات والنّهي عن الإحتفال بالمولد النّبوي

---

[1]- محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي(ت:741هـ): الدّر المبين في قواعد عقائد الدّين، تحقيق نزار حمادي، دار الضياء للنشر، الطبعة الأولى، الكويت، 1436هـ/2015م، ص21 .

[2] – ابن جزي الكلبي: الدّر المبين في قواعد عقائد الدين، ص22 .

[3]- هو محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني يكنى أبا القاسم ويعرف بإبن حفيد الأمين مالقي النشأة والاستقرار من أهل العلم والفضل والدين تعلّم على يد أبي علي بن أبي الأحوص وأبو جعفر بن الزبير، وابو القاسم بن السكوت وغيرهم، كان دائم تدريس كتب الفقه فكان مجلسه من مجالس الحفاظ، وأنتفع به الناس وكان معظما فيهم، توفي رحمه الله تعالى في الكائنة بطريف .انظر: لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص65،64 .

[4] – المصدر نفسه، ج3، ص64 .

[5] – التّنبكتي: نيل الابتهاج، ص60- إبن مريم التّلمساني: البستان، ص174 .

أبو عبد الله محمد بن مرزوق(ت:842هـ)الذي عُرف عصره عامة ومصره خاصة تراجع في هذه الممارسات، ولكن بعد وفاته عاودت الظهور والإنتشار[1]

ولعلّ الشّهرة التي اشتهر بها في دحض البدع والخرافات حتى لُقب بحامل لواء السّنة وداحض شبه البدع، سيف الله المسلول على أهل البدع والأهواء الذائعة على قول أحمد بابا التنبكتي في نيل الإبتهاج، وزاد عليه تلميذه أبو الفرج بن أبي يحي الشّريف التّلمساني بأنه جامع بين الشّريعة والحقيقة على أصح طريقة" فنجد هذا تجسّد في ردّه على بدع الصّوفية وألّف فيها كتابا أسماه"النّصح الخالص في الردّ على مدّعي رتبة الكامل النّاقص"في الردّ على بعض العلماء القائلين بالرتبة خاصة منهم الشّيخ العقباني في فتواه في مسألة الفقراء الصّوفية في أشياء صوّب صنيعهم فيها مخالفه ابن مرزوق الحفيد[2]

IV: فك الأسرى في الغرب الإسلامي:

تعد عملية فك الأسرى المسلمين الواقعين في أيدي النّصارى ضرورة حتمية نظرا للعواقب التي يمكن أن تنجرّ عن الأسر من الخوف على الأسرى من الإرتداد عن الدّين الإسلامي،فعلى هذا الأساس أوصى الإسلام الحكام المسلمين بضرورة بذل كل الجهود في سبيل فكّ أسراهم من أيدي النّصارى ورغب في بذل الأموال في هذا السّبيل[3]،قال تعالى" **وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ**"[4]،وقال أيضا "**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا**"[5]وفي هذا قال ابن العربي:"قال علماؤنا أوجب الله سبحانه وتعالى في هذه الآية القتال لإستنقاذ الأسرى من يدّ العدو مع مافي القتال من تلف للنفس، فكان بذل المال في فدائهم أوجب لكونه دون النّفس وأهون منها"[6]

[1] – الونشريسي: المعيار المعرب، ج1، ص279

[2] - قاتل إلهام: النّخبة العالمة في المغرب الأوسط (ق7-9هـ/13-15م). منطلقات الفكر وأنماط السّلوك، دكتوراه تاريخ وسيط، جامعة المسيلة، 2018/2017م، ص151- التنبكتي: نيل الإبتهاج، ص500-507

[3] – حسين جبار العلياوي:فداء أسرى المسلمين في الأندلس حتى نهاية عهد الطوائف(13هـ/481هـ-761م/188م)، مجلة كلية العلوم الإنسانية، جامعة البصرة، العدد التاسع عشر(19)، 2015، ص03

[4] – سورة البقرة: الآية 85 .

[5] –سورة النساء: الآية 75 .

[6] – عبد الله سعد الشّلية الرشيدي: اليسير في فكاك الأسير،(دون بيانات) ص03 .

01:دور العلماء في فكّ الأسرى

نتج عن الحروب المستمرة بين المسلمين والنّصارى في الأندلس عبر كل مراحلها وقوع العديد من المسلمين أسرى في أيدي النّصارى مع حدوث بعض التّجاوزات اللّاإنسانية في حق أسرى المسلمين، وهذا ما وصفه ابن بسام (نقلا عن أحمد فرج فليح) بقوله"...فإن عداة الله كانوا يومئذ يتولعون بهتك حرم أسراهم وبناتهم بحضرتهم وعلى أعينهم.إبلاغا في تعذيب قلوبهم يغشون الثّيب ويفتضون البكر وزوج تلك وأبو هذه موثق بقيد إساره ناظر إلى سخنة عينه.فعينه تدمع ونفسه تتقطع. ومن لم يرض ذلك منهم أن يفعله في خادم أو ماهنة أو خش أعطاهن خوله وغلمانه يعبثون بهن عبثه. فبلغ الكفرة فيهن يومئذ ما لا تلحقه الصّفة على الحقيقة.."[1]وعلى هذا أصبحت عمليات الإفتكاك بمقتضى الحال واجبة سواء على المستوى الرّسمي أو الشّعبي الذي سنأتي على بيانه في ما هو آت من المبحث.

غير أنّ مهمة الإفتكاك لم تكن مقتصرة على الجانب الإسلامي فقط بل تعدى أيضا إلى الجانب النّصراني، فمن أهم الدّوافع التي دفعت النّصارى إلى إرسال وفودها بإتجاه مملكة غرناطة في سبيل فكّ اسراهم المسيحيين، بحيث لاتكاد سفارة من السّفارات السّياسية بين القوتين المتصارعتين تخلو من طلب لفك الأسرى من الجانبين ،ولعل الدّافع في هذا مردّه الدّخل المالي الإضافي الذي يتمّ تحصيله من عمليات الفكاك، وكذا جعل قضية الأسرى قضية ضغط يرجى منها تحقيق مآرب أخرى

لما تغلب النّصارى على جزيرة الأندلس حملوا معهم من أهل غرناطة أسرى فتمّ انتداب الشّيخ أبو عبد الله العنابي الدّرعي[2] لفدائهم، فرحل من الأندلس إلى مدينة فاس المرينية ولقي بها السّلطان الشّيخ أبا زكريا الوطاسي المريني سنة 875هـ فتفاوض معه في شأن من وقع من المسلمين في أسر النّصارى،كون الجهود التي بذلت من طرف السّلاطين في هذا المجال لا تعد ولا تحصى. فما كان

---

1 –أحمد فرج فليح : فداء أسرى المسلمين من النصارى في الأندلس– سعد الشّلية: اليسير في فكاك الأسير، ص21.

2 – عالم فقيه من أعلام العلم، يشارك في علوم كثيرة، بارع في الأدب وقرض الشعر. عارفا حتى بعلم والكيمياء و غرائب العلوم. وقيل أيضا أنه عثر على الحكمة ظاهرا وباطنا، ومما يحكى عنه ما حدث به السّلطان الغالب أبو محمد عبد الله بن السلطان أبي عبد الله محمد الشّيخ الشّريف قال"لقي جدي الشّيخ أبا عبد الله العنابي فشكى إليه ضعف حاله وعدم القدرة على ما يعين به ولديه الملكين على ما يريد من ظهور دعوتهما فقال له أهل البيت أحق بالنصرة، ايتيني بما عندك من حديد فذهب جدي فأتاه بزبرة من حديد لم يجد غيرها فقال له هل عندك أكثر من هذه .فقال ما وجدت إلاّ هذه فقال له انتظرني حتى أرجع إليك فدخل إلى بيته ثم رجع إليه بعد ساعة وتلك الزبرة في يده فقال له خذ هذه فإذا هي ذهب خالص(ربما تدخل الرواية في باب الكرامات أو أن العالم استبدلها ذهبا كي لا يحرج الآخر بعطائه" انظر: محمد بن عسكر الشّفشاوني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر،تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ط2، الرباط، المغرب، 1397هـ، 1977هـ،ص91، 92 – التنبكتي: نيل الابتهاج، ص235.

من السّلطان إلّا أن أخذ الشّيخ بيده وأدخله داره ونادى نساءه وجواريه قال لهن السّلطان.أن مراد هذا الشّيخ ما أمكنه من مال في سبيل فكّ إخواننا في جزيرة الأندلس،فطرحن الثّياب والحلي والذّهب والأحجار الثّمينة[1] ولعلّ ما قام به السلطان مع أهله هو من باب التّرغيب على الإنفاق في هذا السّبيل والذي سيرجع على صاحبه حتما بالأجر العظيم وإلّا كيف نفسّر جمعه للحلي وهو المتحكم في مال الأمة يصرفها في أمور المسلمين.

سافر الشّيخ أبو عبد الله بأموال كثيرة لا تحصى راكبا البحر يريد جزيرة الأندلس فهاج البحر محدثا عطباً في المركب الذي لم يستطيع الصّمود أمام قوة الأموج وغرق الشّيخ[2]وذهبت تلك الأموال[3].

أسهم العالم المتصوف"الحرّالي"في عمليات الفكاك ففي محاولة له لفك أسر بعض أقاربه كتب إلى قسيس"طركونة" ليفك أسرهم ويزيل عنهم غبنهم:"بسم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله الذي خلق البشر من نفس واحدة وبرّأ أبدانهم كلها من أديم الأرض الواحدة فجعلهم بالحقيقة ذوي رحم واحدة.لو تعارفوا حق المعرفة بما اشتركت فيه أبدانهم وانفردت بالنفس الواحدة نفوسهم وتحققت بروح الله أرواحهم ما تقاطعوا ولا تسافكوا الدماء ولا تواثبوا تواثب الأسد على النّعاج..."[4].

---

[1] – وردت مسائل متعلقة بأحباس النّساء في المعيار في مواضع عديدة منها امراة أوقفت مقياس ذهب يكون ثمنه يباع به مخصصا للسلف لفداء الأسرى:الونشريسي:المعيار المعرب،ج9، ص294.-وأخرى عهدت بأسباب معينة من متروكها للأسير ولمسجد قريتها ولعلها تكون حلياً أو مال :الونشريسي: المعيار المعرب،ج7، ص253 -حميد تيتاو: المرجع السابق، ص343. للمزيد انظر: الشريف أبي عيسى سيدي المهدي الوزاني الفاسي(ت:1342هـ/1924م): تحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس، تقديم ، هاشم العلوي القاسمي، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية المملكة المغربية، 1422هـ/2001م، ص382.

[2] – هناك روايتان عن كيفية موته الأولى تذكر أنه توفي غريقا لما انقلب بهم المركب، والثّانية تقول أنه مات بساحل الرّيف قتيلا قتله العدو في انصرافه لبلاده (يقال أنه كان حيا سنة 892هـ)انظر: الشفشاوني:دوحة الناشر، مصدر سابق، ص92-التنبكتي :نيل الابتهاج، ص235.

[3] – الشّفشاوني: دوحة الناشر، ص92.

[4] – إبن الطواح عبد الواحد محمد (ق8هـ): سبك المقال لفك العقال، تحقيق محمد مسعود جبران، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ،دار الكتب الوطنية،ط2 ،بنغازي ،2008 ، ص99

ساهم الإمام عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحي بن محمد بن سعيد بن محمد اللّخمي[1] بدوره في عمليات الفكاك حتى قيل أنه فدى بكل عضو من أعضائه أسيرا من دار الحرب وهذا يعكس العدد الكبير من عمليات فك الأسرى ولكنها ذكرت عامة دون تفصيل[2] .

ومن باب الصّدقات الجارية ما ذكر عن العالم محمد بن الحلفاوي الذي عرف عنه البذل الكثير في سبيل الله ولما لا فكّ الأسرى، ولما مات تصدق عليه النّاس بجملة من مال ففدى به طائفة من الأسرى[3] فمن الممكن أن تكون هذه الهبة التّضامنية إستمرارا لما كان يقوم به في حياته.

ساهم أبو عبد الله بن مرزوق الذي أشرنا أنه شارك رفقة أبي الحسن المريني في وقعة طريف(741هـ).في افتكاك الأمير أبي عمر بن تاشفين ابن السّلطان أبي الحسن المريني الذي وقع أسيرا في معركة طريف وتم تكليف ابن مرزوق بمفاوضة القشتاليين على إبرام معاهدة الصّلح وفداء الأمير الأيسر الذي كان قد أصابه مسّ من الجن خلال مدة أسره، نجح ابن مرزوق في هذه المهمة لقدرته ومهارته الفائقة في التفاوض في مهمته كسفير إلى الأقطار، ورجع بأبي تاشفين مع طائفة من زعماء النّصرانية جاؤوا في السّفارة عن ملكهم[4].

وعمل الإسلام على التأكيد على تحرير الأسرى وجعل ذلك إحدى مصارف الزكاة. إذ يقوم الفقهاء في بعض الأحيان بحث المسلمين على التبرع بالأموال من أجل عملية الإفتكاك وهذا ما رواه لنا ابن بطوطة(ت: 779هـ/1377م) بقوله"ولما دخلت مالقة وجدت الخطيب الفاضل أبا عبد الله الطنجالي(ت: 764هـ/1363م)[5] قاعدا بالجامع الأعظم ومعه الفقهاء ووجوه النّاس يجمعون مالا برسم

---

[1] - عالم من أهل رندة وأعيانها ويعرف بابن الحكيم،روى عن أبي الحسن بن قرطال وأبي البركات مودود الفارسي وأبي الحسن الدّباج وسمع عنهم وشافهه وأجازوا له. وله دراية بالرواية والأدب، ومشاركة في باقي العلوم .انظر: ابن الزبير:صلة الصلة، ص153.

[2] - ابن الزبير:صلة الصّلة ، ص153.

[3] - لسان الدين بن الخطيب :الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص273.

[4]-أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشّريف المليتي المديوني التّلمساني: البسان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله الشيخ محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية ،الجزئر ،1226هـ/1908، ص185-إبن مرزوق التلمساني: المسند الصّحيح الحسن، ص24 -ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص 305- نصر الدين بوداود :الحياةالفكرية والتّعليمية بتلمسان، ص46.

[5] - الطنجالي هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي من أهل مالقة ، كان من أهل العلم والرواية ويعد واحد من طلاب مالك بن المرحل، وفي المرقبة العليا "....أحد أماثل قطره وذوي الأصالة والجلالة من أهله..."قال في ابن الخطيب "كان ساذجا على سنن الخير وحسن العهد وكان قرأ صناعة الطب وهو والد الطبيبة الاديبة أم الحسين..."تولى مهمة القضاء

فداء الأسرى"وهو نصّ يشير إلى أنّ ماشاهده ابن بطوطة لم يكن ظرفيا بل كان دائما على حسب ما تقتضيه الضّرورة[1] .

ودأب شيخ الفقهاء محمد بن محمد الدّوسي المكنى أبا عبد الله ابن قطبة على عمل الخير والانفاق في السّبيل.خاصة ما تعلق منه في فكاك الأسير قال ابن الخطيب"...ثمّالا للأسرى والعانين. تخلصّ منهم على يديه أمم.لقصد النّاس إياه بالصّدقة..."[2].

هذا بغض النّظر عمّ هو معروف في مختلف المدن المغربية والأندلسية أنه في حالة وقوع أسرى في دار الحرب ندب العلماء وأَذَّنَ المؤذّنون في المساجد إعلاما بما وقع.وهذه دعوة مباشرة إلى تقديم العون فيجمعون له من الأموال ما أمكن لتخليصه.أما إذا فاق المال المجموع القدر المطلوب الذي يفتك به الأسير جعل الباقي في فك أسير آخر، بل جرى العرف عند أهل بعض الحصون أنّ مال فدية أسراهم تقسم على جميع أهل الحصن[3] أفرزت هذه المرحلة أشكالا كبيرة من التّضامن الشّعبي والتّكافل التي هي ليست بالغريبة عن مجتمعهم الإسلامي وعملوا على المساهمة قدر استطاعتهم في توفير ما يمكن توفيره من مال قصد افتكاك الأسرى المسلمين من دار الحرب.

اضطلع أهل مدينة بادس بهذه المهمة بحيث عملوا على جمع ما أمكن من أموال وهذا بحضّ الأقاليم المجاورة على المجاورة على المشاركة في هذه الهبّة التّضامنية وعمدوا إلى مدينة سبتة لاستخلاص ما يمكن أن يجود به أهلها[4] .

وبالحديث عن سبتة دائما ففي عام 658هـ-1260م تعرضت لهجوم الأسطول القشتالي أين موهوا سفنهم على أنها سفن تجارة لا سفن حرب وهذا بتغير طريقة السّير من أسلوب التّشكيل

=بمدينة لوشة بلد سلفه توفي في شوال سنة (764هـ/1364م)-انظر: ابن الخطيب:الاحاطة ،مج4، ص110-النباهي:المرقبة العليا ، ص155- أحمد عيسى بك: معجم الاطباء من سنة 650هـ الى يومنا هذا(ذيل عيون الانباء في طبقات الاطباء لإبن ابي اصيبعة) مطبعة فتح الله الياس نوري واولاده ،ط1،مصر،1361هـ/1942م ،ص109

[1] – ابن بطوطة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد اللّواتي الطنجي(779هـ):رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة المعارف الجديدة ،الرباط، المغرب، 1417هـ/1997م، ج4، ص19، 20.

[2] –لسان الدين بن الخطيب:الإحاطة في اخبار غرناطة، مج3، ص159.الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص211.

[3] – لسان الدين بن الخطيب:نفس المصدر،ج2 ،ص117- حميد تيتاو :الحرب والمجتمع بالغرب خلال العصر المريني (609هـ-869هـ/1212م،1465م)اسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الإقتصادية والإجتماعية والذهنية،مؤسسة الملك عبد العزيز ،الدار البيضاء،المغرب ،2009، ص342.

[4] –حميد تيتاو:المرجع نفسه، ص352.

المفتوح للسفن إلى أسلوب الصّف أي السّفينة وراء الأخرى، حيث انطلت الحيلة على سكان مدينة سلا ونجح النصارى في مسعاهم ،وأدى الهجوم في النّهاية إلى مقتل الكثير من المسلمين يقول ابن عذارى" ولما دخل النّصارى إليها استولوا بالغدر عليها قتلوا من وجدوا من الرّجال.وأسروا النّساء والأطفال وحصروهم في الجامع الكبير مأسورين وفي نفوسهم مقهورين فكانوا يعبثون في النّساء والأبكار ويقتلون الشّيوخ والعجائز الكبار فسفكوا الدّماء وهتكوا الأستار وخربوا المساجد والدّيار..."[1] ولما بلغ الأمير أبو يوسف المريني الخبر بادر إلى استنقادها وحاصر جند قشتالة في أعظم حصار خاصة لما تجمعت عليه جموع المسلمين المستنفرين الملبّين لنداء الجهاد. دام القتال ثلاثة عشرة يوما انتهى لصالح جند قشتالة فأخذوا يحملون معهم ما أمكن من أسرى[2]. حيث أسر العدو في هذه المعركة 3000من المسلمين،بالرغم من أنّ جند قشتالة المغيرين نفذ عنهم الماء وأصابهم العطش فاظطروا لشراء الماء ببعض الأسرى السّلاويين بعد أن نال منهم العطش في ثغر العرائش واحتفظوا بالباقي كرهائن وعليه فقد أنقذ منهم 383 شخصا فداهم المسلمون من أهل مدينة شريش وغيرهم[3].

وبعث الأمير أبو يوسف العالم أبو بكر بن يعلى في منتصف شهر ذي القعدة وقيل ذي الحجة من عام 658هـ /1260م ،برسم إفتكاك الأسرى المذكورين ففكّ الله أسرهم على يديه وافتدى أكثرهم وكان من جملة من أُسر العالم وقاضي مدينة سلا أبو علي[4] بن عشرة[5]

---

[1] - ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين، تحقيق ومراجعة الأساتذة محمد إبراهيم الكتاني ، محمد زنيبر ،محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان،1406هـ،1985م، ص419.

[2] – ابن عذارى المراكشي: المصدر نفسه، قسم الموحدين ، ص420.

[3] - ابن عذارى المراكشي: المصدر نفسه،ص 422- محمد بن علي الدكالي: الإتحاف الوجيز في تاريخ العدوتين، تحقيق مصطفى بوشعراء ، الطبعة الثانية، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية مطبعة المعارف الجديدة، سلا، المغرب، 1996، ص30 .

[4] – لم أجد له ترجمة تخص شخصه والموجود أن بيت بني عشرة مشهور بمدينة سلا وقد كان من كبار قضاتهم المشهورين بها ابو الحسن علي بن القاسم بن محمد بن عشرة الذي مدحه الشعراء في عصر الموحدين ،قال فيه عيسى بن الوكيل(نقلا عن التّازي) مستدلا بقصيدته : سَلِ البرق إذ يلتاح من جانبه البرقا * اقرطي سليمى ام فؤادي حكى خفقا

غريب بأرض الغرب فرق قلـــــبه * فآوت سلا فـــــرقا ويابرة فـــــــرقا

انظر:إبن صاحب الصلاة :المن بالإمامة،طبعة 3،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1987م،ص 357-عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم،عهد بني مرين والوطاسيين، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية ،1408هـ/1988م، ص57

[5]- ابن عذاري: المصدر السابق، ص423.

Ambrosio Huici Miranda .LaTorna de sole pro la Escuadra de Alfonso . Hesp - .1952 .p41 .71

02:دور علماء الصّوفية في فك الأسرى :

تعددت الطرق والمتعارف عليها المستعملةفي فك الأسرى فالمادية كالمال والعين والطرق الأخرى كالتبادل في عملية فك الأسرى، بالإضافة إلى هذا هناك طرق روحية أو ما اصطلح على تسميتها بالكرامات.خاصة عن طريق شفاعة الأولياء التي انتشرت في هذه المرحلة وأخذ الإيمان بها بعداَ كبيرا في مجال الكرامات الخاصة عند مجتمع الغرب الإسلامي .

فالعالم الأندلسي الصّوفي الشّشتري[1] قالوا إنه نادي يوما وهو مع أصحابه"يا أحمد" دون أن يخصّ أحدا فقال أحد الحاضرين ومن هذا فقال تسرون به غدا، فلما وردوا من الغد وجدوا أحمد المقصود في نداء الشّشتري جاء من الأسر فقال صافحوا أخاكم المنادى بالأمس. فكان ينادي على الأسرى بحيث أن المنادى عليه كان بإمكانه أن يحي في البلاد الإسلامية في اليوم الموالي والله أعلم[2] .

اللّافت في الأمر أن التّصوف في هذه الفترة كان إحدى الظواهر البارزة التي طبعت مجتمع الغرب الإسلامي.حيث لجأ النّاس إلى أعلامهم من المتصوفة يطلبون الدّعاء والتبرك.وتعكس نصوص الفترة

[1] – هو علي بن عبد الله النّميري ويكنى بأبي الحسن النّميري عام 610هـ. والشّشتري نسبة إلى قرية ششتر التي ولد بها في إقليم وادي آش.كما يدعى باللّوشي نسبة إلى قرية لوشة التي عاش طفولته بها. من أسرة كانت ذات جاه وسلطة لأن أباه كان من الأمراء حكام الأقاليم،عاش حياة مترفة كأقرانه من أبناء الطبقة الحاكمة. رحل إلى مكناس وفاس أين تعلم ثم إلى بجاية ، وكوّن في قابس وطرابلس حلقة من المريدين أين عرضوا عليه وظيفة القضاء فرفض وإتهموه إثرها بالجنون.رجع إلى بجاية لينخرط في حلقة أتباع أبي مدين الغوث وتصوف أبي مدين، التقى ابن سبعين بعد عام 646هـ وأعجب به وأصبح من أتباعه استقر آخر حياته بمصر وكون طريقة صوفية خاصة به عرفت بالششترية، توفي عام 688هـ/1269، له كتب كثيرة منها"الرسالة القدسية"(ديوان شعر)و"العروة الوثقى"في بيان السّنن وإحصاء العلوم وكتاب"المقاليد الموجودية في أسرار الصوفية"و..انظر:أبي الحسن الششتري:ديوان أبي الحسن الششتري أمير شعراء الصوفية بالمغرب والأندلس (610هـ-668هـ) تقديم وضبط محمد العدلوني الإدريسي وسعيد أبو الفيوض، دار الثقافة للنشر والتوزيع ،ط1، الدار البيضاء، 2008، ص11، 12، 13، 14، 16.-لسان الدين بن الخطيب:الإحاطة:مج4، ص205، 206- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي(الجزء السادس)الأدب في المغرب والأندلس من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة (أوائل القرن الثالث عشر أواسط القرن السادس عشر ميلادي، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت،1983، ص246، 147.

شاعت ظاهرة التّصوف وسيطرتها على المخيال الجمعي الغرناطي ما جعل من الطرق الرّوحية في فك الأسرى تزداد توسعا وترسخا وهذا ما حصل مع العالم أبي مروان اليحانسي(التّعريف به في مبحث مشاركة العلماء في المعارك) حين كان في وادي آش مع أصحابه إذ أصابته حالة من اللّاوعي وتفرق عنه أصحابه وبقي كذلك إلى اليوم الثاني حتى دخل عليه عبد الرحمن بن القدح فقال له الشّيخ عند دخوله"أخذ جماعة أهل "يحانس"قال له نعم ثم وصل الرّوم بالأسرى فقاطع عليهم أهل وادي آش وفدوهم بألف وسبعمائة دينار وردّوا إلى مواضعهم وما زالت حالهم ببركته(انظر: مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد،المجلد، ص155.

[2] – لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، مج4، ص206.

مشاركتهم في فك الأسرى بالطرق الرّوحية التي اشتهروا بها.فقد ورد في مناقب الشّيخ أبي محمد صالح(لم أجد له ترجمة)أن رجلا قصده في الدّعاء له وفك أسر زوجته الأسيرة وأولاده من قبضة النّصارى فأعطاه ثمن فداتهم مائتا دينار.

وقصد أبو العباس الزّقاق الشّيخ أبي زيد الهزميري بعد أن أُسِرَتْ أسرته بقصد الدّعوة لفكهما. وفي أخرى اشترط متصوف آخر في الدّعاء للأسير تقديم بعض المال له. وحدث أن طالبه أحدهم بتخفيض الثّمن، فقال له سر لا يخرج بأقل من 400 دينار[1]

ورد في فتوى لمفتي غرناطة أبي عبد الله محمد السّرقسطي الغرناطي(784هـ-865هـ/1382م-1461م) يظهر انه كان هناك ناظر أحباس(مُسَلِف)حيث كان بيده سنة (842هـ/1439م) أكثر من ثلاثة مائة دينار من الذّهب وقد قبضه في محضر رهان ومهمته تنحصر في تسليف الأسارى لفكهم من الأسر.وقاضي الجماعة بغرناطة ومفتيها وخطيبها أبو عبد الله محمد بن علاق(ت: 806هـ/1404م) يسمي هذا الناظر المسلف محتسبا. كونه يقوم بهذا العمل احتسابا لله تعالى ومن دون أجر بذكر[2] وشرطوا عليه فيها شروطا منها الّا تصير أموال الحبوس إلاّ في مصرفها أي سلفة فك الأسرى فقط، وأن يستوثق في دفعها بالرّهان والضّمان[3]. ولعل الشّروط التي وضعها العلماء في أحباس الأسرى نجدها تعمل على فك عدد أكبر بسبب التّشدد في الرّهان والضّمان حتى لا يفكر الأسير بعد تحريره في التّخلي عن دفع سلفته ونقض عهده كونه غير موثق.

تُعَدُّ سيدة بنت عبد الغني بن علي بن عثمان العيدري وتكنى بأم العلاء[4] من النّساء الرائدات في في تاريخ غرناطة الحافل في عالم المرأة الشغوفة بالعلم والحكمة والفصاحة ونبوغا وعرفت في نفس الوقت بالتربية والصّلاح.تنتسب إلى بيت من البيوت العلمية العريقة. ورثت عن نسلها خصال الرجال وشهامتهم بحيث ذاع صيتها في مجالات علمية متنوعة.

---

[1] - حميد تيتاو:الحرب والمجتمع بالغرب خلال العصر المريني، ص343، 344.

[2]-السّجل العلمي لندوة الأندلس:قرون من التّقلبات والعطاءات،القسم الخامس العلوم الشرعية،مكتبة الملك عبد العزيز العامة،الرياض، 1417هـ، ص317.

[3] - السّجل العلمي لندوة الأندلس: المرجع نفسه، ص318.

[4] - تنحدر من مدينة غرناطة. وأصلها من ثغر لاردة سكن أبوها مرسية وأبوها هو ابن عم أبي الحجاج يوسف بن إبراهيم بن عثمان الثغري. ذكر ابن الأبار أن هذه العالمة الجليلة " كان أبوها قاضيا بأريولة، توفي وتركها يتيمة فنشأت بمرسية وحفظت القرآن وبرعت في ذلك وجاء حفظها في ديار الملوك. إلى أن أصابتها زمانة أقعدتها بدارها نيفا على ثلاثة أعوام وخلفتها على التعليم بنتان صغرى وكبرى .وكانت قد لقيت أبا زكريا الدّمشقي بغرناطة وبها علّمت القرآن أول ما ترشحت لذلك ثم انتقلت إلى فاس ثم إلى غرناطة ثانية ثم تونس. ابن الأبار القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، ص265.

ومن الأعمال الجليلة التي قامت بها أنها كتبت بخط يدها كتاب إحياء علوم الدّين لأبي حامد الغزالي،مع حرص دائم على تلاوة القرآن الكريم والمحافظة على الأوراد الأدعية والأذكار، وكانت دائمة السّعي في الخيرات والحضور في أعمال البرّ بما تملك وفك الرّقاب من الأسر، وبهذا صنعت لنفسها مكانا وإسما في كتب التّاريخ والتّراجم[1].

03:العلماء الاسرى :

كانت الحروب بين المسلمين والنّصارى هي السّمة الغالبة على تاريخ شبه جزيرة آبيريا تتخللها فترات من الإستقرار والحذر، وكان من نتائجها وقوع الكثير من الأسرى والسّبايا من الطرفين باختلاف مكانتهم الإجتماعية ومستوياتهم العلمية، بين عالم وغير ذلك، وفي بعض الأحيان قادة عسكريين وفي بعض الآخر الملوك أنفسهم، مثل ما حدث مع أبي عبد الله الصّغير ملك غرناطة، وسنركز على طبقة العلماء مدار بحثنا هذا كونها طبقة أقدر على التأثير في الطرف الآخر،وعلى مجريات الحياة خاصة مع نظرائهم من الجهة الأخرى(الآسر) .

فنجد أن علماء العلوم الدّنيوية كانوا مطلوبين بكثرة وأن الأطباء المسلمين مثلا كانوا يباعون في أسواق العبيد بعد وقوعهم أسرى وكانوا يحاطون بتقدير كبير من طرف السّلطات النّصرانية، سواء من حيث المعاملة أو الثّمن الكبير الذي يباعون به .

كان لخبرة الأطباء المسلمين الواسعة في التّطبيب أثر بالغ في حياة النّصارى الذين استغلوها واستعانوا بهم، ولأدلّ على ذلك أنه حين علم الملك الأرغوني بيدرو الرّابع بوجود طبيب عربي مختص في أمراض العيون في الأسر بمدينة "فبلافرنكا"أمر حاكم المدينة بإحضاره بغية علاج أحد أعوانه المريض بمرض خطير.في حين استعانوا بفريق آخر من العلماء الأسرى في عملية نسخ المخطوطات العربية وترجمتها إلى الإسبانية كونهم كانوا بأمس الحاجة إليها[2] .

لم يكتف العلماء بترجمة ونسخ المخطوطات فقط بل كانوا يضمّنونها ويضيفون في ذلك أدعية خلاصهم من الأسر في خواتيم المخطوطات أو في توقيعاتهم مثل ما فعل العالم يوسف بن محمد التّنوخي اللّوشي(ت:659هـ/1261م) على مخطوطته التي نسخها وكتب"أطلق الله سبيله"وتم له ما

---

[1] -ابن الأبار القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، ص265.

[2] - عدنان خلف سرهيد الدراجي: التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النّصرانية خلال عصر سلطنة غرناطة (635هـ-897هـ/1238م-1492م)، أطروحة دكتوراه في التّاريخ الإسلامي إشراف محمد مفيد آل ياسين، الجامعة المستنصرية ، قسم التاريخ، 1433هـ/2012م، ص71.

دعا به وأطلق سراحه فيما بعد. فهم بهذه الأعمال كانوا يلعبون دور الوسطاء في نقل المعرفة العلمية في العالم المسيحي[1].

ولعل أهمية العالم الأسير كانت تزيد كلما زادت مكانته العلمية، وأصبح أرفع شأنا عند النّصارى من الأسرى بني جلدتهم ، ومثال هذا ما حصل لعالم من القرن التّاسع هجري لم تذكر المصادر اسمه، حينما كان متوجها إلى الحج غير أنه وقع أسيرا لدى النّصارى الإسبان في وهو في إحدى جزر البحر المتوسط، تعرض خلالها في البداية أشد أنواع العذاب حيث شدّوا وثاقه وجلدوه حتى كاد يموت ثم بعد ذلك تراجعوا عن تعذيبه بعد أن عرّفهم بنفسه، وبعدها تم افتداءه من الأسر من طرف بعض المدجنين بمدينة أتكونة بقطلونية لما عرفوا مقدار علمه وأهميته، ليقوم على تعليمهم شؤون دينهم[2] .

وعن طريقة خلاصه من الأسر يروي لنا هذا العالم قصة أسره ثم خلاصه شعرا فيقول:

ليلا جاء ضيفنا فرنصـــيص * لدريكو وهو الشّهير خــصوص

فقال لي من أي موضع أنت * قلت له من حوز فاس وأخذت

في البحر ثم قال ما صنعتـك * قلت له القـــــراءة فبعد ذلك

بعد أن عرّف بنفسه لمن أسره وقال أنّ صنعتي القراءة والتّعليم وكشف لهم أنه من طينة العلماء طلبوا منه أن يبحث عمن يقوم بتخليصه من الأسر فأنشد يقول:

كلمـــــني وقال ما حديثـــــك* هل لك من يفـــديك أو نبيعك

قلــــــــت له فلي أخ ما أدري* كيف يكون حاله في خــــبري

فقال لي اكتب له بأســـــــرك * وأخبره بالأمر الذي جـــرى لك

وقل له أن شريكي بفـــــــاس * فعند ذلك أخذت القرطـــــاس

فخفت منه عند ذا وكتـــــبت* بمائتـــــــــين لكم وبعد كنت..

وكتب أيضا إلى قاضي المدجنين هناك يعرفه بنفسه ويشكو له حاله جراء الأسر.ويعرض خدماته عليهم في تعليم القرآن والعربية فتمّ له ما أراد بعد أن دفعوا المال وأطلق سراحه[3] .

هذه الأبيات تعبّر تعبيرا دقيقا عن حال الأسرى المسلمين وهم في الأسر، في نفس الوقت تبيّن كيف أن صاحب العلم يرقى أعلى الدّرجات بعلمه وهو في أحقر الأماكن .

---

[1] - سرهيد الدراجي: التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية، ص72.

[2] - عدنان خلف سرهيد الدراجي: نفس المرجع ص73.

[3] – سرهيد الدراجي: التأثير الحضاري،ص73.

ارتفع سعر العالم الأسير المسلم في أرض النّصارى على قدر أهمية وتخصصه أضعافا مضاعفة في سوق النّخاسة على ما كان عليه نظرا لحاجة النّصارى إليهم في حقول المعرفة الكثيرة، وعليه فهذا الإرتفاع عطّل مهام الفكاكين الذين أصبحوا يروا استحالة الفكّ لارتفاع الثّمن حتى وصل الثّمن في بعض الحالات إلى200أوقية[1] ذهب[2]وبالتالي عجز أهالي الأسرى عن جمع هذا المبلغ لتستمر معاناة العلماء وإستغلالهم .

من العلماء الذين وقعوا أسرى في يد النّصارى الشّيخ العالم الفقيه ابن برطلة(ت:661هـ/1262م)[3] خطيب مدينة مرسية، دلّ على أسره حين أرسل رسالة إلى عائلته يصف فيها حاله ويطلعهم على مكانه والمبلغ الذي هو بحاجة إليه لافتداء نفسه[4]

من العلماء الذين وقعوا في الأسر أبو إسحاق النّميري الغرناطي[5] فبعد أن رحل إلى غرناطة و وبحكم شغله بعض المناصب الإدارية عند السّلطان أبي عنان في المغرب حيث أن شهرته سبقته إلى الأندلس،فنجده تولى القضاء والسّفارة إلى الاقاليم ، ففي إحدى سفاراته سنة 768هـ إلى المغرب إلى السّلطان الزّياني أحمد بن موسى بن زيان ركب البحر للعبور إلى الضّفة الأخرى ولكن اعترض النّصارى طريقهم، وفي محاولة منهم للخلاص والدّفاع عن أنفسهم وقع بينهم قتال شديد انتهى بأسر ابن الحاج ومرافقيه في الأسطول، فحاول سلطان غرناطة الغني بالله العمل على وتخليصهم إلّا أنّ العدو النّصراني سبق إلى عرض الهدنة بين الطرفين وإطلاق سراح الأسرى، وتمت عملية الفداء ودفع السّلطان في ثمنا باهضا قُدّر بأكثر من سبعة آلاف من العين،واستقرّ الشّيخ بعد هذا في غرناطة حتى مات" ..توجه رسولا عن السّلطان إلى صاحب تلمسان السلطان أحمد بن موسى بن يوسف بن عبد

---

[1] – الأوقية تساوي 12 درهما ذهبيا، وقيل عشرة دراهم ، وقيل أربعون درهما .

[2] – سرهيد الدراجي: التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النّصرانية ، ص24.

[3]–هو عبد الله بن عبد الرحمن بن موسى الأزدي يعرف بابن برطلة من أهل مرسية، كان خطيبا متفوها، يعد من الأعلام في عصره، توفي في تونس سنة(661هـ/1262م) بعد أن قضى شطرا من حياته في الأسر، الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد (ت:704هـ): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية، تحقيق رابح بونات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1970، ص270–سرهيد الدراجي: المرجع السّابق، ص77.

[4] – سرهيد الدراجي: التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النّصرانية، ص77.

[5]– فقيه كاتب بارع ناظم وناثر، ولد بغرناطة عام 713هـ، أجبره السلطان أبو عنان على الخدمة ،حج عام 737 ،ثم رحل إلى بجاية واتصل بالسلطان ثم حج للمرة الثانية. ثم انقطع للعبادة، وبعد وفاة أبي الحسن المريني انتقل إلى الأندلس وتولى بها القضاء، من مؤلفاته نذكر:"كتاب اللباس والصّحة"، وكتاب "الفصول المقتضبة في الأحكام المنتخبة"، وجزءا في الاسم الأعظم، أنظر: التنبكتي: كفاية المحتاج،ج1، ص153.

الرحمن بن يحي بن بغمراسن بن زيان وظفر بالجفن الذي ركبه العدو بأجواز جزيرة حبيبة من جهة وهران فأُسر هو ومن بأسطول سفره من المسلمين فبلغ الخبر وعظم الفجع. وبينما نحن نروم سفر أسطول يأخذ الثأر...إذ اتصل الخبر بمهادنة السلطان المذكور ففدي من أسر بذلك المال الذي يزيد عن سبعة آلاف من العين..."وبهذا تم فكّ جميع الأسرى من محنتهم بعد أيام قلائل، وبعدها تولى السّلطان إرضاء الفقيه[1]

يذكر ابن الخطيب رواية عن ابن الحاج بخطه فيقول: أنه قال:"اعلموا يا سيدي أبقاكم الله تعالى أن سفرنا(يقصد مهمته التي أُوكلت له)من عام ثمانية وستين وسبعمائة وتغلب علينا العدو في... بعد قتال شديد وكان خروجنا من الأسر في يوم السّبت الثاني والعشرين لربيع الثّاني المذكور..."[2].

وأَسَر النّصارى الشّاعر عبد الكريم القيسي[3] البسطي[4] وتمّ نقله إلى مدينة آبرة[1] غير أنّ المصادر المصادر لم تعطنا معلومات كافية عن السّبب أو الكيفية التي وقع بها أسيرا ماعدا أنّ الحديث عن

---

[1] - لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص362.

[2] - المصدر نفسه،ج1:ص263.

[3] –هو شاعر أندلسي عاش معظم القرن التاسع الهجري ،سماه القلصادي في رحلته بإسم الفقيه النّبيه الخطيب،تولى إمامة المسجد في مدينة برجة مقابل موظفا بأجر سنوي، وتولى خطة التّوثيق، ولما عزل منها طلب أن يولى خطبة الجامع. تولى وظائف أخرى في دولة بني الأحمر فقد عيّن واليا على إقليم من الأقاليم ،لم يذكر اسمه ثم عزل عنها ولا نعرف سبب العزل . يمكن حصر تاريخ ميلاده بالعقد الأول من القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي، جاء في مقدمة ديوانه أنّ اسمه عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القيسي وفي الدّيوان ثلاثة أحداث تدل على أنّ الشّاعر عاش في خلال القرن 9هـ/15م أولها التّاريخ المذكور في الدّيوان وهو 836هـ/1433 والذي ذكره الشّاعر بمناسبة سقوط سقوط جبل الفتح و حصن اللّقون 836هـ/1433م للمرة الأولى .وسقوط مدينة بلش الحمراء سنة 840هـ/1437م ومعركة لورقة سنة 856هـ/1452م وسقوط حصن أرشذونة سنة 867هـ/1462م ويفترض أن يكون الشّاعر بعد هذه السنة أي 836هـ/1433م في عنفوان شبابه إن لم يكن قد تجاوز هذه المرحلة بقليل،وكان للقيسي حانوت صغير وهو بمثابة النوادي الأدبية في وقتنا الحالي.كان مقر عمل ومصدر رزقه وملتقى الأصدقاء والأدباء يتجاذبون فيه أطراف الحديث ويناقشون فيه مختلف المسائل الدّينية والعلمية، أما عن وفاته فهناك اشارات تدل على ان الشّاعر امتدت به الحياة إلى النّصف الثّاني من القرن التّاسع الهجري 15م.ففي الدّيوان تهنئة الشّاعر للقاضي لجعدال ت: 897هـ/1492م برجوعه إلى القضاء سنة 890هـ/1484م فهذه تدل على أن الشاعر عاش إلى آواخر القرن 9هـ/15م وليس مستبعدا أن يكون شاهد عيان على سقوط غرناطة دولة بني الأحمر.

أنظر: عبد الكريم القيس الأندلسي:ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي، تحقيق جمعة شيخة والدكتور، محمد الهادي الطرابلسي ،بيت الحكمة ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، قرطاج، 1988، ص10، 11، 14.

[4] – **بسطة** :بالإسبانية baza، وهي بلدة قريبة من وادي آش تقع شمال شرق غرناطة بنحو 23كم ، كانت تعرف بإسم باستي Basti، وهي كثيرة الزروع عُرفت وأُشتهرت بالزعفران والتوت والزيتون والحرير، القلقشندي: صبح الاعشى،ج1، ص221 – ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، ص31 .

التّوتر بين قشتالة وبني الأحمر والذي بدوره جعل الظروف على الحدود بين البلدين غير مستقرة، فلا نستغرب أن يكون القيسي وهو ينتقل بين مدن المملكة قد وقع في كمين في الطريق نصبه النّصارى أو سقط أسيرا في إحدى هجمات النّصارى على الأقاليم الأندلسية[2].

وبالحديث عن القيسي وجب الإشارة إلى ديوانه الشعري الذي يقدم لنا صورة حقيقية عن ظروف الأسير المسلم عند النّصارى وهي ظروف تجعل الأسير يعيش عذابا ماديا ونفسيا متواصلا خاصة عندما اشتدت وطأة القوى المسيحية على المسلمين يقول:[3].

في قعر بيـــــت غولة مجموعة * وإلهام فيه قـــد أجاب إلهاما

يضيف :

أمسي وأصبح خادما متـــصرفا * لعبادة الاصـــــنام والأوثان

إن لم يكن الحفر مشـــــتغلا * أكن بالهدم مشتغلا مع البنيان[4]

ومن ذلك ما وقع للعالم الجليل الشّيخ أبي العباس(هكذا ورد إسمه) إذ أنه قبل وفادته من إشبيلية ركب البحر وقع أسيرا في يد النّصارى فلم يجد حلّا إلّا الإستصراخ بالأمير أبي زكرياء بن أبي محمد الشّيخ أبي حفص فما كان من الأخير الّا أن خلّصه من أسره وجلب عليه بعد قدومه على حضرته بتونس الخبر بأسره وفي محنته هذه يقول:

ناديت والبحر الخضم معارض *** بحرا لجودك لا يغيـــب بيره

فأجبتني إذ لا مغيث ولم يكن *** إلاّك لشعر للغـــريب وشعره

وأنفت للآداب من أسري فقد *** أسديت ما حاز الثناء بأسره[5]

فهو بهذا يقول لأبي زكرياء أن أَنَفَتُك على الأدب وأهله جعلتك تجيب الصّريخ وبهذا استخلصتني من الأسر ومن بعدي الأدب.

---

[1]–**آبرة**: هكذا وجدت في الدّيوان وجاءت في بقية المعاجم"يابرة "وهي بلدة في جنوب البرتغال تبعد 117كم عن أشبونة. كانت أيام ملوك الطوائف من أعمال مملكة بني الأفطس في بطليوس وسقطت يابرة نهائيا في يد النّصارى سنة 571هـ/1165م– انظر: عبد الله نبهان : المختار من كتاب معجم البلدان ،ط دمشق –1983، ص415.

[2] – محمد بن شريفة: البسطي آخر شعراء الأندلس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1985، ص13

[3] – عبد الكريم القيسي: ديوان عبد الكريم القيسي، ص12.

[4] – المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص28 – 182

[5] –إبن رشيد السّبتي: رحلة إبن رشيد، ص562.

أورد النّاصري في كتابه الإستقصا نصاً عن وقوع السّلطان أبي عمر تاشفين بن أبي الحسن المريني(762هـ-763هـ) أسيرا يوم معركة طريف و ما جنت عليه عملية الأسر من أضرار نفسية بليغة وقيل أيضا أنه أُصيب بمس من الجن وقيل بنقصان عقله حتى سموه"الموسوس" وبقي على هذه الحالة إلى أن تم فك أسره وأصبح سلطانا ولا نعلم إن شفي بعدها أو بقي على حاله[1].

من العلماء الذين تجرعوا مرارة الأسر أحمد بن محمد بن جعفر القرطبي[2] يوم خروجه من قرطبة، وفي الطريق أسره النّصارى في البحر وأذاقوه ألوان العذاب التي أفضت إلى وفاته في حدود عام ثلاث وأربعين وستمائة(643هـ) بجزيرة ميورقة[3]

وقع العالم الشّهير وقاضي سلا أبو علي بن عشرة[4]أسيرا أيضا في الهجوم جند قشتالة على مدينة سلا عام 658هـ-1260م وأفتكه الأمير أبو يوسف المريني مع جملة من الأسرى[5]

و أُسر العالم الشّهير الأندلسي ابن الصّفارة[6] وتم تحويله إلى مدينة طليطلة، وفي هبّة شعبية كبيرة جمع له المسلمين الثّمن المطلوب لفداءه و تمّ تسريحه وتزوج وكوّن هناك أسرة واستقر بطليطلة،

---

[1] -النّاصري:الإستقصا،ج4، ص41- سعيد بن حمادة :الصحة العقلية والنفسية بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط ،دورية دراسات تاريخية ،الجزائر أوت، ع3، ص66.

[2] -من أهل قرطبة يكنى له أبو حجة من أهل الزهد والورع والتّواضع وصحة الباطن كان من كبار الأساتذة مقرئا متقدما في صنعة التجويد، محدثا حافظا مشهور الفضل، مولده عام اثنتين وستين وخمسمائة تصدّر لإقراء القرآن والتعليم بالعربية،سمع وروى عن أبي القاسم الشراط، وعن أبي الوليد هشام بن عبد الله الحاكم وأجاز له، وعن ابن شكوال.. وله تآليف كثيرة منها كتاب منهاج العباد وكتاب تفهيم القلوب آيات علام الغيوب ومختصر التبصرة لمكي في القراءات وكتاب"تسديد اللسان لذكر أنواع البيان".شمس الدين الذهبي(ت:748هـ/1348م): معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ،تحقيق طيار آلتي قولاج ،عيون التراث الإسلامي ،اسطنبول ،تركيا 1416هـ/1995م، ص1262، 1263- إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الياباني البغدادي :إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،تحقيق محمد شرف الدّين بالتقابا ،رفعت بيلكه الكليسني ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان ،2008،ج1، ص286 - شمس الدّين بن الجزري (ت:833هـ) : غاية النهاية في أسماء رجال القراءات أولي الرواية ،تحقيق أبي إبراهيم عمرو بن عبد الله ،دار اللؤلؤة للنشر ،ط1،القاهرة ،مصر1438هـ، 2017م ، ص366، 367، 425، 446.

[3] -ابن الجزري: غاية النهاية في أسماء رجال القراءات، ص366.

[4] -أبو علي بن عشرة: لم أجد له ترجمة

[5] -ابن عذاري:البيان المغرب،قسم الموحدين،مصدر سابق ص423.

[6] -هو أبو الوليد محمد ابن الحسن بن يونس بن محمد بن مغيث بن أبي الحسن يونس بن عبد الله من أهل قرطبة ويعرف بابن الصّفار من بيت مشهور . يكنى أبا يونس .روى عن جملة من الشيوخ الفضلاء على غرار أبيه و جده لأمه ابن رشد الحفيد و المقرئ الخطيب أبي جعفر بن يحي الحميري وأبي عبد الله محمد بن عبد الملك بن بشكوال وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشّراط وأبي جعفر أحمد بن محمد بن سليمان الطيلسان.وأبي الوليد هشام بن عبد الله الأزدي وأبي القاسم بن بقى وأبي عبد الله

وبها عكف على تعليمهم القرآن الكريم إلى أن وافته المنية ولا نعرف عن سنة وفاته إلاّ أنه توفي في أربعينيات القرن الثّالث عشر للميلاد[1].

ومن قبيل الأسر دائما ما يروى عن العالم أبي الطاهر اسماعيل فقد امتحن بالأسر في طركونة[2] TARRAKONA –وقاسى من البلاد والجهد ما لا يطيقه حتى خلّصه الله تعالى[3].

وأُسر أبو عبد الله الكرطوسي، ببحر الزقاق[4] قادما على الأندلس في جملة من العلماء الفضلاء منهم والده واستقر بطريف عام 726هـ.ولقي خلال فترة أسره شدّة وضيق ثم أُطلق سراح والده بعد أن دفع مقابل فك أسره. وفُك من بعده ابنه أبا عبد الله بمدة غير معروفة بعد أن يَسَّرَ الله عليه وتخلصا من محنة الأسر وتبعاتها [5]

يورد المؤرخ الإسباني ميكيل دي ايباليثيا نصّا يعود إلى القرن التّاسع الهجري(نقلا عن فريدة بن عزوز)ونص آخر من القرن الثّامن بعنوان"رحلتان إلى المشرق في نصين مورسكيين بالعربية والقشتالية"ويتعلق الأمر بنص يحكي قصّة رحلة رجل مجهوللم تكلّل بالنجاح، وهو في الأصل رجل عالم جليل من علماء المسلمين تذكره غالبية المصادر بلفظ"مجهول"،كانت بدايتها الرّحلة إلى الحج ،تبدأ الرحلة بخروجه من فاس وصولا إلى تونس ثمّ مصر حيث وقع أسيرا بيد النّصارى وتمّ ترحيله إلى مدينة "مثلين "بجزيرة "هجينة" ببحر إيجة ،بحيث قام[6] آسره بإخفائه عن عمليات الإفتكاك التي كانت تتبناها السّلطات العثمانية والتي تمكنت من فكّ أسر جلّ أصدقائه الذين رافقوه في رحلة

=بن الأصبغ وهؤلاء من قوم قرطبة وعن الحافظ أبي محمد القرطبي بمالقة وابن زرقون بإشبيلية–انظر: ابن الزبير(ت: 1308م): كتاب صلة الصّلة ق3، ص44.

[1] – إبن الزبير:صلة الصلة ،ص68، 69.

[2] –**طركونة**: مرفأكان العرب يسمونه "مثل غرناطة "مدينة اليهود vill juif وكان الإسبان يحشدون فيه الأسرى العاديين، أما الأسرى الرؤساء والعلماء فكانوا يبعدون إلى شقوبية خوفا من الهروب(انظر: حسين اليعقوبي:في الفكاكة والفكاكين–مجلة دراسات أندلسية،المغاربية للطباعة والنشر (عدد خاص) العدد السابع ،1992م،1412هـ، ص70.

[3] – حسين اليعقوبي: المرجع نفسه، ص71.

[4] – يطلق على الطرف الغربي الضيق من البحر المتوسط الواقع شمال جبل طارق أو جبل الفتح فيما بين ثغر المريّة شمالا ومليلة جنوبا وقد شمل مضيق جبل طارق نفسه– أنظر:لسان الدّين بن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص133.

[5]- المصدر نفسه، ص133.

[6] - عمل النّصارى في غالب الأحيان على التّصرف في اسراهم من المسلمين ،فكان غالبية الأسرى يتم توزيعهم خفية بأسرع ما يمكن حول أسواق العبيد ومن ثم يتم التّوزيع على الصعيد الدّولي قبل وضعهم تحت تصرف الملوك المسيحيين ليبدأ فصل آخر من عمليات الفكاك على المستوى الرسمي .انظر :فريدة بن عزوز: الأسر في رحلة مغربية، ص18

الحج ،وباعه إلى تاجر رقيق نصراني،وكغيره من الأسرى سعى بكل ما أوتي من قوة ودهاء للتخلص من الأسر، لكن كل محاولاته كان مصيرها الفشل متحملا في كل مرة تبعات تلك المحاولات، والتي كانت غالبا العقاب البدني حاله حال الطامعين في النّجاة من الأسر،وبعد أن استقر به الحال في ميورقة[1] أو مايوركا الحالية راسل أخوه بفاس ومراسلاته مع مدجني"طرقونة"و"ليردة "في شان افتدائه ،مكث بعدها أربع سنوات محاولا فكّ أسره ليتم له ما أراد، حيث افتداه المدجنون ونقلوه إلى مدينة "اتكونة" ليعوض الفقيه الذي عزم على الرّحيل عنهم إلى الدّيار الاسلامية[2]،وبهذا استعاد الفقيه المجهول الإسم حريته ليبدأ حياة أخرى في وعظ النّاس وترغيبهم في التّمسك بالهوية الاسلامية والحرص على نبذ عادات النّصارى في محاولة منه العمل على المحافظة على الهوية الإسلامية[3] في ظل الحملة الشّرسة التي أتت على كل مقومات الأمة.

كما أنّ المورسكيين أنفسهم كانوا شعرون أنهم أسرى في الأندلس، رغم هامش الحريات الذي منح لهم فكانت تحذوهم رغبة جامحة في السّفر والرّحيل إلى المغرب، ولعل أحسن مثال ماجسده العالم أبو القاسم الحجري متحديا بذلك كل الإجراءات التي تمنع الخروج والتي فرضتها السّلطة الدّينية والسّياسية النّصرانية، وهذا ما أشار إليه في رحلته الشّهيرة التي دونها في كتابه"ناصر الدّين على القوم الكافرين"،ولعل الهدف الأسمى من فراره من بلاد النّصارى إلى بلاد الإسلام في العدوة المغربية هو الفرار و النّجاة بدينه[4]

خلاصة القول من هذا كله تتجلى لنا الأهمية البالغة من عملية أسر العلماء مهما كانت تخصصاتهم والتي تكمن في الإستفادة منهم في العمل على نقل العلوم المختلفة والعمل على ترجمتها وغير ذلك من أوجه الإستفادة المعلنة والخفية ،فالعالم أبو القاسم الحجري تعرض إلى كل أنواع العذاب والإهانة كما تمت الإشارة إليه هذا رغم أنه كان قد أخفى هويته كعالم،ولكن ما إن صرّح

[1] – **ميورقة أو مايوركا** :تقع ميورقة كبرى الجزائر الشرقية (جزر البليار)في البحر الزقاقي المتوسط ،تقابلها من الجنوب مدينة بجاية في المغرب الاوسط، ومن الشّمال مدينة برشلونة في شرق الأندلس ،ومن الشّرق إحدى جزيرتيها وهي منورقة ،وغربيها جزيرة يابسة ، وهي أهم هاتين الجزيرتين وهما بنتاها، وتبلغ مساحتها الإجمالية حوالي 3640كلم .تمّ ضمها وبسط النّفوذ الإسلامي عليها في عهد الدّولة الأموية سنة 290هـ/903م ،على يد عصام الخولاني زمن الأمير الاموي عبد الله بن محمد (300/275هـ).انظر :الحميري:الروض المعطار،ص567– أبي المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: تاريخ ميورقة، تحقيق محمد بن معمر، ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، 2007 ،ص26،27

[2] – بن عزوز: الأسر في رحلة مغربية،ص18.19

[3] – المرجع نفسه،ص20

[4] – بن عزوز، الأسر في رحلة مغربية ،ص26

بذلك حتى زاد عذابه كونه أصبح سلعة تباع وتشترى وبعد أن سجلت أسهمه إرتفاعا كبيرا وطمع في فضله الطامعون، إلى أن قيّض الله له جماعة من أهل الدّجن وفكوا أسره بجملة ماجمعوه من أموال الصّدقات طمعا في نيل أجر الفكاك ورغبة منهم في أن يكون شيخهم هناك[1]

04: نوازل علماء الغرب الإسلامي في فك الأسرى :

شكلت مسألة فك الأسرى من دار الحرب بالغرب الإسلامي نواة لبداية النّوازل الفقهية التي تُعنى بالكيفيات والطرق التي تتم إفتكاكهم بها، ومع بداية تزايد وقوع الأسرى من الطرفين نتيجة إشتداد وطأة المد النّصراني على بلاد الأندلس الإسلامية، ولذا أصبح لزاما على العلماء تأطير هذه العملية، فمن العلماء الذين اهتموا بهذه المسائل الشّيخ الفقيه ابن جزي الذي أورد لنا أربعة مسائل في كتابه الشّهير"القوانين الفقهية "والتي سنأتي على بيان مضمونها في ماهو آت من البحث:

المسألة الأولى:ويقول فيها بوجوب إستنقاذ وفداء الأسرى أولا بالقتال، وفي حالة العجز وعدم الإستطاعة فالواجب هنا الرّجوع إلى الإفتداء بالمال، ومن هذا وجوب إفتكاك الأسير لنفسه شريطة أن يكون قادرا على دفع المقابل من المال، بينما يختص الإمام (السّلطان/الحاكم)بفداء الأسرى الفقراء الذي لايقدرون على إستيفاء القدر الكافي من المال لعملية الفكاك،[2] وإلاّ دعا النّاس إلى المشاركة في جمع المال،وقد يظطر الإمام إلى أن يُجبر سادات العلوج في جمع الأموال أيضا[3].

المسألة الثانية:في الرّجوع بالفدية، ومن فدا أسيرا بأمره رجع عليه بالفدية إتفاقا والمقصود هنا أن يكون المأسور قد طلب من الفادي فديته على أن يدفع له المبلغ حال حصوله على حريته ،فإن فداه

[1] – بن عزوز :الأسر في رحلة مغربية المرجع السابق، ص23

[2]– أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي (693-741هـ):القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتّنبيه على مذهب الشّافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق ماجد الحموي ،ط1، دار ابن حزم ،بيروت لبنان،1434هـ/2013م،ص 269- وفي السّياق دائما وفي وجوب فداء المسلمين الذين هم بيد أهل الكفر: سئل الإمام مالك عن وجوب إفتداء من أسر من المسلمين قال"نعم، أليس بواجب عليهم مقاتلتهم حتى يستنقذوهم قال بلى فقال فكيف لا يفدونهم بأموالهم وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه"ما أحب أن إفتتح حصنا من حصونهم بقتل رجل من المسلمين"، قال ابن رشد:معنى قول مالك هذا أنّ ذلك واجب على الجملة لقول النّبي صلى الله عليه وسلم"فكوا العاني"فهذا أمر يحمل على الوجوب ،فواجب على الإمام أن يفتك أسرى المسلمين من بيت مالهم، فما عجز عنه بيت المال وجب على جميع المسلمين في أموالهم فان تعذر الأمران معا وجب على كل من له مال من الأسرى أن يفتك نفسه من ماله إذ لا يحل له أن يبقى أسيرا في دار الكفر وبمقدوره أن يدفع نظير فكه من الأسر.انظر :ابن سلمون الكناني: العقد المنظم للحكام فيما يجري بين ايديهم من العقود والاحكام ،تحقيق محمد عبد الرحمن الشاغول،دار الافاق العربية ،القاهرة، مصر، 2011 ،ص265

[3] – العلوج جمع علج وهو الرجل من كفار العجم و هو الرّجل القوي القادر على الحرب

بغير أمره ولا علمه(أي أنّ الأسير لم يكن يعلم بالقائم بعملية الفكاك) فالواجب هنا على الأسير أن يرجع له الثّمن وخلافا للشافعي وقيل يرجع عليه ثمنه شريطة أن يكون موسرا وإلّا تكفّل بيت المال بثمنه الفكاك إن كان الأسير فقيرا معسرا ،والفدية في هذا مقدمة على الدّين أي وجوب قضائها على الفور،أما مسألة فداء أحد الزّوجين صاحبه فلا يَرُدُّ له إلّا إذا أمره أحد الزّوجين بالفدية ،ويضاف إلى الزّوجين باقي الأقارب كالآباء والأمهات والأجداد والأولاد والأعمام والأخوال والإخوة وبينهم الأخوات وبنيهم فهؤلآء يجري عليهم حكم الزّوجين بلا رجوع له إلاّ إذا أمر[1]

وفي مسالة إختيار المفتدى به(وهو الشّيء المدفوع مقابل تخليص الأسير) يشدّدعلى وجوب الدّفع له إن كانت مالاً أو خيلاً أو سلاحاً ما لم تكن مما هو محرم كالخمر أو الخنزير،وقد أفتى الامام سحنون بجوازهما،يقول الونشريسي في مسألة الخمر بالقول"إن هذا لا يحلُّ ولا يجوز بوجه لأنّ الفقهاء اختلفوا إذا طلب النّصارى الخمر في فداء الأسير المسلم هل يفتدى به أم لا،ويتركون النّصارى يردّون المسلم إلى أرض الحرب ولا يفدى بها أو ينزع منهم ويعطون قيمة ماطلبوا فيه من العين التي ليس فيه اسم الله تعالى لأجل الخلاف هل هم مخاطبون بتحريمها ام لا؟..."أما المسلم فلا خلاف أنه مخاطب شرعا ومطالب بتحريمها وإنكار التّعامل بها،إلّا أن يُظطرّ إلى دفعها وجب في هذه الحالة دفع قيمتها من العين مضاعفة أو دفع ثمنها لمن يبيعها منه ويمكنها منها،"وأما أن تعصرها وتأمر من يعصرها فهذا لايحلُّ لك ولا يجوز لأنك لو تخمرت لك لوجبت عليك إراقتها فكيف تداري عن نفسه بها هذا مالا

---

[1] – ابن جزي الكلبي: القوانين الفقهية ،ص270– قال مالك وأكثر العلماء أنه من فك أسيرا بغير أمره وله مال أن يرجع عليه بما فداه به ،وقد قيل لا يرجع عليه بشيئ ،وروي ذلك عن ابن سيرين والحسن وغيرهما، وأحتج من ذهب إلى هذا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال "فكوا العاني "فإنما يجب ذلك على المسلمين فلا يعود ذلك على الأسير وهو قول له وجه إذا حملت قول النبي صلى الله عليه وسلّم فكوا العاني على عمومه فيمن له مال وفيمن ليس له مال ،إلّا أن الأول أظهر ويحتمل أن يكون معنى الحديث فيمن لا مال له فلا يلزم أحدا أن يفتك من له مال ولا يلزم الإمام ذلك أيضا من بيت مال المسلمين .انظر :ابن سلمون الكناني:العقد المنظم ،ص266– قال اشهب في الروح يطلبون من المسلمين في المفاداة الخمر والخيل والسلاح ،فأما الخيل والسلاح فلا بأس بهما واما الخمر فلا يصلح..."وقال في الفداء بالخمر لا يدخل في نفل بمعصية"، قال ابن رشد "ظاهر قول اشهب هذا أنه اجاز من يفدي الأسير بالخيل والسّلاح وإن كثر ذلك إذ لم يقدر إلّا على ذلك وهو نصّ قول سحنون خلاف ماذهب إليه ابن حبيب من أنه انّما يجوز ذلك ما لم تكن الخيل والسّلاح أمرا كثيرا يكون لهم به القوة الظاهرة وأجاز سحنون أيضا أن يفدى منهم بالخمر والخنزير والميتة ويأمر الإمام أهل الذمة أن يدفعوا ذلك اليهم ويحاسبوهم بقيمته من الجزية فإن أبوا لم يجبروا على ذلك ولم يكن بأس بإتباع ذلك لهم ،وقد روي عن ابن القاسم أنّ المفاداة بالخمر أخف منها بالخيل وهو كما قال إذ لا ضرر على المسلمين في المفاداة منهم بالخيل وقول أشهب في تفرقته بين الخيل والسلاح وبين الخمر ليس بصحيح لأن بيع الخيل والسلاح منهم معصية كما أن بيع الخمر أيضا معصية وقال ابن بشير هو نفل لوجوبه على الكفاية لا الأعيان إلّا أنّ يتعين ، وبمثله قال الباجي"..وكونه نفلا قول جمهورنا مع مالك .."ابن سلمون الكناني، العقد المنظم للحكام، ص 267

يحلّ لك،فإن لم تجد ملجأ فضاعف له الثّمن فيقبله منك أو يرغب فيه غيره،وإن استطعت الفرار إلى موضع تأمن فيه على نفسك لا تطالب بذلك أو شبهه فافعل،وإن ثقل عليك فليس إلّا ما ذكرت لك والسّلام"[1]

وتتمّة لفتوى ابن جزي"إذا وقع وافتك أسير بخمر أو خنزير أو ما فيه شبهة لم يرجع به ولا بقيمته، ومن فدى أسارى بألف رجع على الموسر والمعسر بالسّوية إلّا إذا كان العدو قد وقع على الموسر وشاح فيه..."(خاصمه فيه)

المسألة الثالثة:حول اختلاف الفادي والمفدي: فالقول الأرجح في المسألة والكلمة الأولى للمفدي في إنكار أصل الفداء ومقداره،وقيل في موضع القول قول الفادي إن وافقه المفدي على أصل الفداء وإذا قال كان بإستطاعتي التّحيل والخروج من أرض الحرب بدون شيئ لم يتبع أن ظهر صدقه وفداه بغير علمه[2] وإن قال كنت لأفدي نفسي بدون هذا وتبيّن بعد ذلك صدقه سقط الزائد، ومتى علم ولم ينكر اتبع مطلقا أي أنه رضي بأصل الفداء[3]

المسألة الرابعة:في الإرتهان بحيث لا يجوز لأسير مسلم أن يرهن مسلما حرا في موضعه تحت أي ظرف من الظروف، ويجوز في المقابل للكافر أن يرهن كافرا من أقاربه أو من غير أقاربه،وإن شرط أن يكون هذا المرهون عبدا إن لم يأت بالمال فله شرطه،وان رهن ولده أو غيره ثم لم يأت بالفداء فإن كان لعذر من موته أو حبسه أو غير ذلك لم يسترق الرّهن،وإن كان العكس من إهمال أو نقض عهد وقع الرّهن أسيرا وأسترق كبيرا كان أو كبيرة بخلاف الصّغير والصّغيرة .

تتفرع هذه المسألة إلى:

-إذا ائتمن الأسير على نفسه أو على مال أو دم لزمه الوفاء بالأمانة، واذا لم يؤتمن جاز له الهروب وأخذ ما ظفر به من نفس أو مال وقتل ما ظفر به من الكفار وما فرّ به له وحده وليس عليه أن يدفع لبيت المال الخمس .

---

[1] - ابن جزي الكلبي: القوانين الفقهية ،ص270 - ابن سلمون الكناني: العقد المنظم للحكام ،ص566 - البرزلي: مسائل ،ج2 ،ص28- الونشريسي: المعيار المعرب، ج11، ص 218 – علي بن قاسم الزقاق: شرح العلامة احمد بن زياد الأبهمي (ت:1322ه)على نظم المنهج المنتخب في اصول المذهب ، ددط ، دسط، ص278

[2]- ابن جزي الكلبي: المصدر السابق،ص270 - ابن سلمون الكناني: المصدر السابق،ص566

[3] - ابن جزي الكلبي : المصدر نفسه،ص270

-جاز للأسير أن ينكح زوجته إن كانت معه في الأسر ولكن إن أمن من الكفار فعل ذلك وتيقن سلامتها،ومكروه عليه الوطء وهذا مخافة بقاء ذريته في أرض الحرب، ويقام عليه الحد إن زنا سواءا بحرة أو بجارية[1]

[1] - ابن جزي الكلبي، القوانين الفقهية، ص272 -في مسألة السّفر بالمرأة إلى أرض الحرب قال الونشريسي"لا يجوز السفر بالنساء إلى أرض الحرب ويجوز للرجال مع أن الأسر لا يؤمن كل واحد منهما لأن مفسدة أسر النّساء أعظم من مفسدة أسر الرجال ، لأن أسر النّساء الوطء وأسر الرّجال ليس فيه إلا الإستخدام، وقد يتحيل الرّجل على التّخلص بالهرب أو غيره ولا كذلك المرأة..." أنظر:الونشريسي:عدّة البروق في جمع ما في المذهب من المجموع والفروق، دراسة وتحقيق حمزة أبو فارس، الطبعة الاولى، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م، ص209

الفصل الثالث

دور العلماء في ميادين الجهاد

I: تحريض العلماء على الجهاد من خلال النصوص الأدبية – نثرا وشعرا–

تعرضت الأندلس منذ فتحها إلى هجمات شرسة من قبل الممالك النّصرانية الممثلة في قشتالة وأرغون وغيرها من الممالك المسيحية، بغية القضاء على الإسلام خاصة بعد معركة العقاب التي حققوا فيها نصرا باهرا زادهم يقينا بأن الأندلس قاب قوسين أو أدنى من العودة إلى النّصرانية. ظلّ الأمر على حاله إلى أن جاء بنو الأحمر وتولوا أمر الجهاد بها والدّفاع عنها، لكن إزدياد وطأة الهجمات النّصرانية جعل من الواجب الإستنجاد بغيرهم من الدّول الإسلامية خاصة المغرب على عادة أمراء الأندلس السّابقين. وذلك بإرسال الكتب والوفود التي ترغّب في الجهاد وتحضُّ عليه، وعلى الدّفاع عن حياض الإسلام الذي يعيش وسط عدو يهدد أمنه في كل لحظة، وبالتالي تمحورت رسائلهم في طلب العون من إخوانهم والمساعدة بالعدة والعتاد. والوقوف إلى جانبهم في مواجهة المدِّ النّصراني.

فالروح المعنوية لها أهمية قصوى في المعارك وقبلها وبعدها وهي التي تقرر النّتيجة بعد ذلك، فمن حصلت له الهزيمة النّفسية لم يعد له أمل في الفوز والإنتصار، والعبرة هنا ليست بالتفوق في العدد والعتاد بل بنوعية الرّجال في الميدان وهذا مصداقا لقوله تعالى"**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ**"[1]،[2].

فجهود العلماء في هذا الباب معتبر من خلال شحذ الهمم وبالتالي نالوا لقب المحرك الأساسي في الجهاد ضدّ النّصارى وهذا بغضّ النّظر عن السّبب في ذلك أكان شعورا بالواجب أَمْلَتْهُ عليهم عاطفة الدّين الإسلامي وواجب الجهاد أو رغبة في رضى السّلطان وتقربا للسلطة وخدمة لها،والتّاريخ الإسلامي أثبت في عديد المواقف دورهم المفصلي في المعارك، ولعل ما زاد من رسوخ فكر الجهاد في نفوسهم مجاورتهم لعدو متربص لا ينام وينتظر أي غفوة ليغير عليهم ولهذا قال ابن خلدون"كانت عدوة الأندلس منذ أول الفتح ثغرا للمسلمين فيه جهادهم ورباطهم ومدارج شهادتهم وسبيل سعادتهم ..."وتنوع مجهود فئة العلماء في هذا المجال بين الجهاد بالمال والنّفس وبين إلقاء الدّروس في

[1] – سورة البقرة: الاية 249

[2] – عبد الحليم حسن جدوع الهروط: الرّسائل الدّيوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، رسالة ماجيستير لغة عربية،كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية 1994م، ص74– عبد الله فراج بن صالح اليوسي الشّهري: دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد الإسلامي ضدّ المغول(616-720هـ)، ماجستير تاريخ إسلامي قسم الدراسات العليا في التّاريخ والحضارة الإسلامية ،جامعة ام القرى، السعودية، 1416هـ، ص125 .

المساجد والمواعظ والخطب والحجة، وبين الجهاد بالقلم واللّسان تحريضا على الجهاد أو كل ما من شأنه أن يكون له تأثير على العدو بالكلمة..."، وهذا مُراد بحثنا .

01: دور العلماء في الحضّ على الجهاد :

تنوعت أساليب العلماء في إبراز فكرة الجهاد و شكل القرآن والحديث النّبوي المادة الأساسية التي إنطلق منها علماء الدّين وهذا لِبَثِّ هذه الفكرة مستعملين الآيات التي تحثُّ على الجهاد، والأحاديث النّبوية المتعلقة بالجهاد لحضّ النّاس والجند بشكل خاص، وكان من نتائج ذلك أن تعدّدت أساليبهم في التّوعية بمخاطر المدّ النّصراني والحض على الجهاد، مما كان له أثر في توسيع دائرة المقاومة من دروس تلقى في حلقات المسجد ومواعظ وخطابة وتدريس للحديث وإستغاثات على أعتاب دار السّلاطين المغاربة والأندلسيين وقادتهم داعية إلى العون والمساعدة وتلبية نداء الجهاد[1].

وفي هذا الشأن بعث محمد الفقيه أبي عبد الله بن الأحمر(671هـ-701هـ) رسالة إلى سلطان المغرب يخبره بحال المسلمين يشكوا فيه حال غرناطة وما هم فيه من الخوف والقتل والأسر، وهذا هو نص الكتاب"بسم الله الرحمن الرحيم إلى الملك المؤيد بفضل الله العادل الهمام ذي الشيم المحمودة والإهتمام أمير المسلمين وناصر الدين المجتهد في إقامة دعوة الحق أبي يوسف بن عبد الحق نور الله تعالى به الأفاق وجمل لبهائه الجيوش والرفاق.."وبعد أداء واجب التّحية والسّلام يقول"..أما بعد فإن الله تعالى أيد دينه بالاتفاق والائتلاف وحرّم مسالك الشّتات والإختلاف وأنعم على عباده بدولتكم السّنية وإظهار جنودكم المرينية الذين هم في حرب الأعادي أُولو بأس شديد.."ليستشهد في هذا الشأن بأبيات شعر جاء فيها:

مرين جنود الله أكبر عصبة * فهم في بني أعصارهم كالمواسم

مـشـــــتنقة أسماعهم بمدائح * مســـــــورة إيمانهم بالصوارم[2]

"..فقد تطاول العدو النّصراني على بلاد الإسلام واهتضم جنابها كل الاهتمام وقد استخلص قواعدها ومزق بلدانها وقتل رجالها وسبا ذراريها ونساءها وغنم أموالها وقد جاءنا بإقراره وإرعاده وعدده وأعدادها وطلب منا أن نسلم ما بقي بأيدينا من المنابر والصّوامع.والمحارب والجوامع ليقيم بها الصّلبان ويثبت بها الأقسّة والرّهبان وقد وَطَّأَ الله لك مُلكا عظيما شكرك الله على جهادك في سبيله

---

[1] – لؤي البواعنة: دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي للمشرق الإسلامي (490-648هـ/1097-1250م)،دار اليازوري العلمية للنشر،عمان، الأردن، 2006 ، ص130

[2] - إبن أبي زرع الفاسي:الذّخيرة السّنية في تاريخ الدّولة المرينية، ص140، 141

،وقيامك بحقه واجتهادك في نصر دينه وتكميله.فابعث باعث بعثك إلى نصر مناره واقتباس نوره وعندك من جنود الله من يشتري الجنات بنفسه ويحضر الحرب بأماته فإن شئت الدّنيا فالأندلس قطوفها دانية...وإن أردت الآخرة فيها جهاد لا يفتر وهذه الجنة أذخرها الله لظلال سيوفكم..."[1]

كان لبعض الرّسائل الأثر البليغ في الدّعوة إلى الجهاد منها ما كتبه الفقيه أبوالقاسم العزفي عام 663هـ إلى قبائل المغرب وصلحائهم يستنفرهم بها إلى الجهاد وكتب منها نسخا كثيرة وأرسل بها إلى سائر بلاد المغرب فقرئت على النّاس وجاء فيها"إلى أولياء الله الصّالحين وعصابة حزبه المفلحين وأعلام الإسلام المكرمين وكافة من دنا وبعد من عباد الله المسلمين...أما بعد حمد الله مفترض فرض الجهاد وجاعل الجنة تحت ظلال السّيوف الحداد...بادروا إلى الخير أشدّ البدار...وجدُّوا في التماس التّعاون على البرّ والتّقوى...ويجعل كتابي هذا مثير كتائبهم ومقتضيا بصولة توافر عزائمهم وقد قال تعالى "وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُومِنِينَ"[2]

وكان في هذه السّنة والتي قبلها من تحرك النّاس للجهاد وانبعاث عباد الله لنصر دين ربِّ العباد ما اشتهر خبره وظهر للعيان أثره وتعجل به النّصر ولَيَنْصُرّنّ الله من ينصره ...ولكن جموعا من المجاهدين شَقَّ عليها اغترابها وساقها الحنين إلى أرض مسّ الجلد ترابها وتذكرت خيلها مرابطتها وكأنها شاقت دون الأندلس فانتجعت من أرضها مساقطها فَكَرُّوا راجعين وصدروا على أعقاب الورود مسارعين والكَلْمِ في العِدَا لم يَرَ قادمه وتآلفهم على أهل الإسلام لم يُعدم عدمه والكفر يقرع بابه والغيظ في صدور أهله قد تمكن أنيابه وانزعاج الكفر لطلب الثأر قد قويت أسبابه" يضيف وصف جمع النّصارى لقوتهم وإتحادهم باسم الكنيسة وعزمهم الثأر" ورفعوا شعارهم الشّعار وبئس الشعار يطوفون به بلادهم ويطلبون منه النصر على أضدادهم ويسألون مغفرة الذّنوب قسيسهم وعبادهم"[3]

ويُذَكِرُ بفضل الشّهادة ومقام الشّهيد "فإنه من قُتِل في سبيل الله فهو حي يرزق وبذلك شهد الكتاب ونطق الله تعالى"لاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلَ اَحْيَآءٞ وَلَٰكِن لاَّ تَشْعُرُونَ"[4] أفي الحق عباد الله أن تزهدوا في الجهاد وتناموا عن الكفرة وأعينهم منكم في سهاد"يضيف حاضّاً المسلمين على القتال وتلبية نداء الجهاد ذاكرا قوله تعالى"وَقَٰتِلُواْ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ اِ۬لذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلاَ

---

[1] – إبن أبي زرع الفاسي:الذّخيرة السّنية في تاريخ الدّولة المرينية، ص140، 141.

[2] –سورة الذاريات: الآية 55.

[3] –إبن أبي زرع الفاسي: المصدر نفسه، ص103.

[4] –سورة البقرة: الآية 154.

تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ "[1] فانهضوا رحمكم الله إليهم متقدمين يضيف"وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ إنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"[2]يضيف مذكرا بفضل الإنفاق في سبيل الله في الجهاد فيقول فما أنفقتموه في سبيل الله هو الذي لم تدركه يد النّفاذ " وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ "[3] والتّهلكة عند أهل العلم هي إهمال و ترك الجهاد. والجهاد باب فرض على أمة محمد صلى الله عليه وسلم للفوز بالجنة، ومن تركه عمدا ورغبة عنه ألبسه الله الذّل والصّغار[4] والخطبة طويلة جدا والشّاهد هنا استعمال الآيات القرآنية الكثيرة أورد البعض منها. وهذا بغية لفت السّامعين إلى أن رسالة الجهاد رسالة ربانية وليس ما يتلى عليهم من إنشاء صاحب الرّسالة حتى يعملوا على تعظيم هذه الشّعيرة، وتقع في آذانهم وقلوبهم موقع المستجيب."عباد الله إخلاص النّية والتماس ما عنده من الدّرجات السّنية ولا يخلدوا بركون إلى سكون والدّين يدعوكم لنصره وصارخ الإسلام أسمع أهل عصره والصّليب قد أوعب في حشده، فالبدار البدار بإرهاب الجد وأعمال الجهاد في ليل الجد.ولم لا نرسل في الجهاد الأعنة[5] ونعمل فيه النّيات والصّوارم والأسنّة ..أمّا أنا من قبلنا خطاب الله تعالى"اَمْ حَسِبْتُمُۥٓ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَاتِكُم مَّثَلُ ٱلذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم "[6]أما أنذركم باعث الإشفاق بقوله صلى الله عليه وسلم" من من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبه النفاق" أما سمعتم حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم"من لم يغزا ويجهز غازيا أو يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة يوم القيامة" يضيف وينتقل إلى التّعنيف وشحذ الهمّة فيقول" ففيم ضعف العزيمة والشّح ببذل النّفس الكريمة أإمساك خشية إنفاق أو الجبن و مساوئ الأخلاق،وقد تعاضدت في الجهاد الآيات والأخبار" اِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً اَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْـٔاًۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَےْءٖ قَدِيرٌ"[7] و"إنفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمُۥٓ

[1] -سورة البقرة: الآية 190.

[2] - سورة الأنفال :الآية 39.

[3]- سورة البقرة :الآية 195.

[4] - ابن أبي زرع الفاسي: الذّخيرة السّنية ، ص104.

[5] - المصدر نفسه، ص104.

[6] - سورة البقرة :الآية 214.

[7] - سورة التوبة :الآية 39.

لَّكُمْۥ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ"[1]،فلا للتأخر في سبيل ولا في ظلّ التّواني للمجد من مقيل وكتاب الله تعالى أوضح بيان وأهدى في سبيل الله" فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ اِ۬للَّهِ اِ۬لذِينَ يَشْرُونَ اَ۬لْحَيَوٰةَ اَ۬لدُّنْيا بِالَاخِرَةِۖ وَمَنْ يُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ اِ۬للَّهِ فَيُقْتَلَ اَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُوتِيهِ أَجْراً عَظِيماًۖ"[2] وقال تعالى" فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ اِ۬للَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَۖ وَحَرِّضِ اِ۬لْمُومِنِينَۖ عَسَى اَ۬للَّهُ أَنْ يَّكُفَّ بَأْسَ اَ۬لذِينَ كَفَرُواْۖ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً "[3]وقال تعالى"وَلاَ تَهِنُواْ فِي إِبْتِغَآءِ اِ۬لْقَوْمِۖ إِن تَكُونُواْ تَالَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَالَمُونَ كَمَا تَالَمُونَۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اَ۬للَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَۖ وَكَانَ اَ۬للَّهُ عَلِيماً حَكِيماًۖ"[4] وقال أيضا" وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ اِ۬لْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ اَ۬للَّهِ وَعَدُوَّكُمْ "[5]وقال" قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اُ۬للَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّومِنِينَ ۝١٤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْۖ وَيَتُوبُ اُ۬للَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَّشَآءُۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ "[6]وقال أيضا" وَقَٰتِلُواْ اُ۬لْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۖ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ اَ۬للَّهَ مَعَ اَ۬لْمُتَّقِينَ "[7] [8].

استمرّ محمد بن غازي[9] يحرض النّاس في خطبه المنبرية ومجالس تدريسه على الجهاد والإعتناء به ، هذا فضلا عن حضوره بنفسه مواقف ومعارك عديدة سجلت إسمه، و رابط أيضا على الثّغور

---

[1] – سورة التوبة:الآية 41.

[2] –سورة النساء :الآية 74.

[3] –سورة النساء:الآية 84.

[4] –سورة النساء :الآية 104.

[5] –سورة الأنفال :الآية 60 – وقع خطأ في الذخيرة (كتبت الآية: من قوة ورباط الخيل) حذف"من"

[6] –سورة التوبة :الأية 14– 15.خطأ في الآية في الذّخيرة (عليم حكيم كتبت عليكم حكيم)

[7] –سورة التوبة:الآية 36.

[8] –ابن أبي زرع الفاسي: الذّخيرة السّنية، ص105.

[9] –هو محمدبن أحمد بن محمد بن غازي العثماني المكناسي الفاسي، وُلد بمكناس عام 841ه ، فقيه المغرب وعالمه كان إماما مقرئا مجودا صدرا في القراءات وكذا المغازي والتواريخ..بدأ تحصيله العلمي بمكناسة، ثم انتقل إلى فاس عام 858ه للإستزادة من العلوم ،وبفاس لقي جماعة من الأشياخ وأخذ عنهم ثم رجع إلى مكناسة ثم إلى فاس، ألف في القراءات والحديث والفقه والعربية والفرائض والعروض، تولى الخطابة بفاس الجديدة ثم بالقرويين،توفي بفاس عام 919ه.انظر: محمد بن غازي العثماني :الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ،تحقيق عبد الوهاب بن منصور ،الطبعة الثانية ،المطبعة الملكية ،الرباط .1408ه/1988م، ص05 – التنبكتي:كفاية المحتاج،ج2، ص217– قول آخر في سنة الوفاة(943ه)- عبد الرّحمن بن محمد السّجلماسي(ابن زيدان) 1290ه1356ه: اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس،تحقيق الدكتور علي عمر،مكتبة الثقافة الدينية

مرات عديدة كغيره من أهل بلده،وخرج آخر عمره لقصر كتامة للحراسة، فمرض ورجع إلى فاس أين توفي هناك وحضر جنازته خلق كثير وحضرها السّلطان،وفي حضور السّلطان تشريف له وإقرار بمجهوداته في هذا السّبيل[1].

يورد لنا النّويري قصة موقعة 719هـ ودور قائد الجيش المريني شيخ الغزاة أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء،المشارك في المعركةحين خرج للقاء العدو في يوم عيدهم"عيد العنصرة"وهو الرابع والعشرين من حزيران وهو رفقة أشياخ وأمراء الأندلس من بينهم الشّيخ أبو مسعود محمد بن الثّابتي والشّيخ المرابط أبو عطية مناف بن ثابت المغراوي. فعند وصولهم إلى مكان تجمع النّصارى خرج إليهم وزير ملك الفرنجة فقال ما الذي تفعلونه.وكيف سولت لكم أنفسكم القدوم والملك في يوم عيده؟ فارجعوا خيرا لكم وابقوا على أنفسكم وإلّا هرع اليكم الملك لقتالكم ولا ملجأ لكم منه. فعندئذ غضب الشّيخ ودعا الله أن ينصرهم في هذه المعركة وتمّ لهم ما أرادوا[2] .

وجه الفقيه محمد بن عبد الرّحمن اللّخمي[3] رسالة هي من قبيل التّحريض على مجاهدة الكفرة في فتح بلدة أندلسية تسمى قيجاطة[4] يقول فيها:" أما بعد الحمد لله الذي جعل الجهاد في سبيله أفضل الأعمال الذي يقربه إلى رضاه وندب إليه بما وعد من الثّواب عليه.فقال" **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيٓءُ حَرِّضِ ٱلْمُومِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ**"[5]تنبيها على محل الثّقة بأن الفئة القليلة من أوليائه تغلب الفئة الكثيرة من أعدائه،قال تعالى " **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ**

،الطبعة الأولى ،القاهرة،2008، ص36– للمزيد أنظر ترجمته عند: الكتاني أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس:سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اعتبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق الشريف محمد بن علي الكتاني،المغرب،ب ط، ب س، ص85.

[1] - التنبكتي: كفاية المحتاج، ج2، ص217، 218.

[2] –النّويري: نهاية الأرب،ج3، ص141.

[3] – العالم الفقيه محمد بن عبد الرّحمن اللّخمي يكنى أبا عبد الله ولقب بذي الوزارتين، رندي النّشأة اشبيلي الأصل انتقل سلفه إلى رندة، كان علما في الفضيلة كريم الخلق كاتبا بليغا أديبا شاعرا، مؤثرا لأهل العلم والأدب، انتقل إلى حضرة غرناطة أيام السّلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر إثر عودته من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة أبا عبد الله بن رشيد.فألحقه السّلطان كاتبا بديوان الإنشاء إلى أن توفي السّلطان وخلفه إبنه السّلطان بالوزارة ولقبه ذو الوزارتين. رحل إلى الحجاز، فحج وزار وأقام بمكة وأخذ عن جماعة فيها ثم انصرف إلى المدينة ثم قفل مع الرّكب إلى دمشق ثم إلى المغرب ثم استوطن رندة. مات مقتولا عام 708هـ–انظر: لسان الدّين بن الخطيب:الإحاطة ،ج2، ص444، 445، 447، 452.

[4] –**قيجاطة**: بالاسبانية Quesada مدينة أندلسية من أعمال جيان تقع على مقربة من نهر الوادي الكبير شمال شرقي مدينة جيان ، للمزيد:أنظر:الحميري: الرّوض المعطار، ص488.

[5] – سورة الأنفال: الآية 65

غِلْظَة وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ"[1] .تحريضا على أن يمحو ظلام ظلالهم بنور هداه صلّى الله عليه وسلم وعلى آله الأبرار وأصحابه الأشداء على الكفار...أنّا لم نزل نبذل جهدنا في أن تكون كلمة الله هي العليا..وشمرنا عن ساعد الجد والإجتهاد في جهاد عُبّاد الأصنام وأخذنا بمقتضى قوله تعالى وانفقوا في سبيل الله. أخذ الإعتزام فأمدنا الله تعالى بتوالي البشائر"[2] والكلام في هذا يطول نكتفي بالشاهد فقط.

قام الشّيخ محمد بن سلمان الجزولي السّملالي الحسني بتحريض المغاربة في مجال الجهاد حتى يتصدوا للبرتغاليين النّصارى الذين احتلوا الشّواطئ المغربية ودعا الجماهير إلى الجهاد المقدس فلقي نداءه آذانا صاغية ولبى نداءه آلاف المجاهدين وبالخصوص أتباعه من الصّوفية الشّاذلية. وقيل أن أتباعه فاق عددهم 12000 وبقي محرضا و مشاركا إلى أن وافاه الأجل عام 870هـ/1465 حيث دفن في بلاد السّوس المراكشية. سبع سنوات نقلت رفاته إلى مراكش حيث أصبح قبره مزارا ومكانا لقراءة كتابه "دلائل الخيرات"[3]

عُرف مسلمي الأندلس بنزعتهم الجهادية حيث ترسخ عندهم الجهاد منذ نعومة أظفارهم وهذا عائد إلى التّنشئة الإسلامية التي يتلقاها الإبن من محيطه مبينا له فضائل الجهاد والفضائل الأخرى كما فعل ابن الخطيب في وصية يوصي بها أبنائه فبعد الإنتهاء من ذكر الفرائض كالصّلاة والزّكاة والصّوم والحج عرّج إلى الجهاد مستشعرا أهميته في ذلك الثغر من الإسلامي زمن سطوة النّصارى فيقول:".. ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله إن كانت لكم قوة عليا عنى لديه فكونوا ممن يسمع نفيره ويطيعه وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه...فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين وعلى من يناؤكم ظاهرين وتلقوا الله لا مبدلين ولا مغيرين ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين..."[4] .

مع ابن الخطيب دائما وهو يحرّض النّاس على الجهاد في خطبة ألقاها يوم الحركة والنّفير إلى الجزيرة الخضراء(باب الأندلس) يقول فيها "معاشر المسلمين المجاهدين وأولي الكفاية عن ذوي الأعذار من القاعدين أعلى بعلو أيديكم كلمة الدّين وجعلكم في سوى الأجر والفخر من الزّاهدين.اعلموا رحمكم الله أن الإسلام بالأندلس ساكن دار والجزيرة الخضراء على أعدائه وأعداء الله أحبابه.ولم يشك

[1] – سورة التوبة: الآية 123

[2] –لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص466، 467، 468– الغامدي: الصّراع العقائدي في الأندلس، ص545.

[3] – محمد أحمد درنيقة: صفحات من جهاد الصّوفية والزّهاد، جروس برس،ط1،1415هـ/1994، ص94.

[4] – المقري التّلمساني: أزهار الرياض، ج1، ص328.

العدو الكافر الذي استباحها وطمس بظلمة الكفر صاحبها على إثر اغتصابها واسوداد الوجوه المؤمنة لمصابها وتبديل محاربها وعلو أصله الخبيث في طيب تراثها...والآن يا عباد الله قد أمكنكم الإنتهاز فلا تضيعوا الفرصة وفتر المخنَّق فلا تسوغه غصّة وأعمروا البواطن بحمية الأحرار وتعاهدوا مع الله معاهد الأولياء الأبرار.وانظروا للعون من الذّراري والإبكار والنّشأة الصّغار زغب الحواصل في الأكوار والدّين المنتشر بهذه الأقطار[1]...الباب مفتوح يا عباد الله فافتحوه.وجه النّصر تجلى ياعباد الله فالحوه. الدّاء العضال يا عباد الله فاستأصلوه حبل الله يا رجال الله قد انقطع فصِلُوه.في مثلها ترخص النّفوس الغالية في مثلها تختبر الهمم العالية في مثلما تشهر العقايد الوثيقة وتُدَّس الأحباس العريقة فنظر الله وجه من نظر إلى قلبه وقد امتلأته حمية الدّين. وأصبح لأن تكون كلمة الله هي العليا متهلل الحبيف..."[2].

عملت هذه الخطبة في نفوس المجاهدين الأثر الكبير فوقع فيهم الإنفعال واشتعلت حميتهم وتم النّفير وتمّ تجهيز الجيش لملاقات العدو والتقى الجيشان فحمي الوطيس وتم للمسلمين فتح مدينة المنية الملاصقة للجزيرة الخضراء بالقوة حيث قُتل جَمْعٌ من فرسانها وغَنِم المسلمون بها كثير. وتم لهم الفتح المبين واضطر النّصارى للإنسحاب مخذولين طالبين الهدنة والأمان[3].

وأبلغ هذه الخطب هي التي ألقاها ابن الخطيب في الحثّ على الجهاد هي قوله:"أيها النّاس رحمكم الله تعالى إخوانكم المسلمون بالأندلس قد دهم العدو قصمه الله تعالى ساحتهم ورام الكفر خذله الله تعالى واستباحتهم وزحفت أحزاب الطواغيت إليهم إليهم ومدّ الصّليب ذراعيه عليهم وأيدكم بعزة الله تعالى أقوى .وأنتم المؤمنون أهل البر والتّقوى وهو دينكم فانصره.وجواركم الغريب فلا تحقروه وسبيل الرّشد قد وضح فلتصبروه.الجهاد الجهاد فقد تعيّن الجار الجار فقد قرّر الشّرع حقه وبين.الله الله في الإسلام .الله الله في أمة محمد صلى الله عليه وسلم .الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله،الله الله في وطن الجهاد في سبيل الله. قد استغاث بكم الدّين فأغيثوه.قد تأكّد عهد الله وحاشاكم أن تنكثوه. أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة أعانكم الله تعالى عند الشّدائد جدّدوا عوائد الخير يَصِلُ الله تعالى لكم جميل العوائد.صِلُوا رحم الكلمة،وآسوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة كتاب الله بين أيديكم وألسنة الآيات تناديكم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

[1] – ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص88.

[2] – لسان الدين بن الخطيب: نفس المصدر، ج2، ص89.

[3] – المقري التلمساني: أزهار الرياض ج2، ص90.

قائمة فيكم والله سبحانه يقول فيها "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ"[1].ومما صحّ عنه قوله" من أغبرت قدماه في سبيل الله حرمها الله على النار"[2].أدركوا رمق الدّين قبل أن يفوت.بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت وأحفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عباده. جاهدوا في سبيل الله بالألسن والأقوال حق جهاده.

ماذا يكون جوابكم لنبيكم * وطـــــريق هذا الغدر ممهَّــد

ان قال لم فربتم في أمـــــتي * وتركتموهم للعــــدو المعتدي

تالله لو أن العقوبة لم تخف * لكفا الحَيَا من وجه ذاك السَّيِّد[3]

يضيف:"اللّهم اعطف علينا قلوب العباد اللّهم بثّ لنا الحمية في البلاد اللّهم دافع عن الحريم والضعيف والأولاد،اللّهم انصرنا على أعدائك بأحبابك وأوليائك يا خير النّاصرين، اللّهم أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم النّاصرين وانصرنا على القوم الكافرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا"[4]

ولعل الإستدلال أحيانا يحتّم علينا ذكر نصّ الخطبة كاملة لما فيها من معاني تدل على عمق التّعبير الذي لا يقبل حذف وبهذا يقع الكلام في قلب السّامع فيثير فيه وحماسة تجعله يلبي الصّريخ على وجه السّرعة تحذوه عزيمة الإنتصار رغبة في الشّهادة.ولعل استخدام ابن الخطيب الأسلوب القرآني في خطبته والاستشهاد بأي القرآن الكريم وحديث النّبي عليه الصّلاة والسّلام كان له شديد الأثر في وصول النّداء إلى قلوب السّامعين وإلهاب مشاعرهم[5].

---

[1] – سورة الصف: الآية 10.

[2] –صحيح البخاري:كتاب الجهاد والسّير، 16/2.

[3] –المقري التلمساني:أزهار الرياض،ج1، ص64– لسان الدين بن الخطيب:ريحانة الكتاب،ج2، ص61–المقري التلمساني: نفح الطيب،ج6، ص165، 166–نوال عبد الرحمن محمد الشوابكة: فن الخطابة في الأندلس،رسالة ماجيستير كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية،1999،ص74، 75–أحمد زكي صفوت:جمهورية خطب العرب في عصور العربية الزهراء،الجزء الثالث.العصر العباسي الأول ويليه ذيل الجمهة،ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،القاهرة،مصر،1352ه/1933، ص188.

[4] – شهاب الدين أحمدمحمد المقري التلمساني:أزهار الرياض في أخبار عياض،تحقيق مصطفى السقا،إبراهيم الأبياري ،عبد الحفيظ شلبي،مطعبة لجنة التأليف والترجمة،ط1358،1ه/1939م، ج1، ص65.–المقري التلمساني:نفح الطيب،ج6، ص166– محمد الشّوابكة: فن الخطابة في الأندلس، ص75– لسان الدين بن الخطيب:ريحانة الكتاب،ج2، ص61، 62– أحمد زكي صفوت: جمهورية خطب العرب، ص189.

[5] – محمد الشوابكة: المرجع السابق، ص75.

زَاوَجَ ابن الخطيب في خطبته بين الشّعر والنّثر حتى يكون الكلام وقع على السّامع فمن يتحركه النثر أحيانا يحركه الشّعر أخرى. ولعل الدّارس لشخصية ابن الخطيب يجده من خلال هذا النّداء غاضبا على العدو حين يقول"قصمة الله" كيف لا وهو الذي عاش وشاهد وحضر وسمع الأحداث الجسام التي عاشتها الأندلس وهو يعيش مرحلة تهاوت فيها الأندلس واشتدت عليها وطأة النّصارى.

مما سبق أصبح من الضّروري التّنويه إليه أن خطب الجهاد لها دور كبير في إثارة مشاعر الجند والمطوعة فبإمكان خطبة واحدة أن تقلب موازين المعركة من هزيمة إلى نصر مبين، والباحث في خطب الجهاد في الأندلس يقف موقف دهشة لقلتها بالمقارنة مع المعارك التي وقعت كون الأندلس كانت ميدانا للجهاد ،ويرجع السّبب في أهميتها إلى قدرة الخطيب على الإقناع وجذب السّامعين إلى رأيه مع مزج في الأساليب[1] .ولا يَخْفَ دور الخطب في الحضِّ على الجهاد خاصة عند احتدام المعارك والتأثير في نتائجها فهو يملأ قلوب المحاربين حماسة وقوة مما يزيد من قوتهم الجسدية ويجدد طاقاتهم في التّحمل والاندفاع نحو الهدف.لذا لم يدخر الخطباء أي جهد في هذا المجال[2].

وبعث العالم والأديب إبن طاهر القيسي[3]رسالة بليغة إلى بعض الرؤساء يحضهم فيها على الجهاد منها قوله:"...وقد تعيّن البِدار على رئيس ومرؤوس. ولزم الجهاد كل شريف ومشروف.وقبيح على المسلم على أن يحل إزارا.ويصيغ من الكرى غزارا واخوانه المسلمون بين مشدود بالإسار أو جزر الثيوب والأظفار. تالله ما في النصفة أن تسكن الضلال وأطواق حملة القرآن الأغلال والله تعالى يصير الأيدي في الدّفاع يداً.ويعيد العدو المستأسد مهتضما مضطهدا..."[4].

مع إشتداد حملات النّصارى إزداد تقلص ظلّ الإسلام بجزيرة الأندلس الذي أدى إلى وقوع أكثر أمصارها وقراها بالقوة تارة وبالصلح تارة أخرى.ولم يزل العلماء يحركون حميات المجاهدين و يستنهضون الهمم بوجوب النّهوض ضدّ النّصارى مرغبين في الجهاد حاثين عليه مذكرين ومبشّرين بما أعدّ الله للمجاهدين من أجر وكان هذا كتابة أو خطابة أو جولات إلى الأمصار.

---

[1] – الشوابكة: فن الخطابة في الأندلس، ص76.

[2] –فاطمة مفلح مرشد العبدلات:الحض على الجهاد في الأدب الأندلسي،رسالة دكتوراه في اللغة العربية،كلية الدراسات العليا ،الجامعة الأردنية،2007، ص34.

[3]–أبو عبد الرحمن حمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر القيسي عالم أديب من بيت علم وفقه، كان والده من أكابر لماء عصره ومن أغزرهم أدبا وعلما وبيانا توفي عام 805هـ– الغامدي: الصّراع العقائدي في الأندلس، ص538.

[4] – الغامدي: نفسه، ص538.

ومن ذلك ما كتبه أبو عبد الله بن زمرك[1] في رسالة محرضا على الجهاد لمـّا نزل المسلمون بمرج غرناطة متوجهين إلى منطقة"فج خير" "اعلموا أنّا نذكر لكم ما لا يغيب عن أديانكم وأحسابكم.إنّ هذا الجهاد وليمة دعا الله عباده إليها وحضّهم عليها.فالآيات في المصاحف مسطورة والأحاديث مشهورة لبيع النّفوس فيها من الرّحمن وبذل المهُـَج رغبة في حصول ثواب الملك الدّيان يُنَزِّل الله فيها الملائكة المسؤمين.وتفرح الحور العين، وتسِحُ الرحمة من رب العالمين ويباهي الله ملائكته بالمجاهدين. وقد تضافرت على ذلك النّصوص وكفا شرفا الفوز بمحبة الله في قوله" **إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ**" فينبغي الإستغفار من سالف الذّنوب وتطهير السّرائر والقلوب واجتماع الأيدي والكلمة في مرضات علام الغيوب"[2] فينبغي فيه الاستغفار من سالف الذنوب وتطهير السّرائر والقلوب واجتماع الأيدي والكلمة في مرضات علام الغيوب"[3] وفي معرض ذكره للآية الكريمة وكأني به يريد أن يقول أن القتال راجلا أحب إليه من القتال فارسا.لأن صفة الإصطفاف مقرنة بالرجال لا بالفرسان.ومهما يكن فإنه يريد الغاية التي من أجلها شرع الجهاد وهي إعلاء كلمة الله تعالى ومدافعة من يريد بالإسلام والمسلمين شرا من النّصارى واليهود.

وهو في غمرة حديثه عن هاته الأفضال نجد أن القلوب مالت إلى إيثار الجهاد في سبيل الله ومدافعة العدو الغاشم ويتجلى ذلك في صيحات التّكبير ويقول أيضا مستدلا بالقرآن الكريم"..وكفى شرفا الفوز بمحبة الله في قوله " **إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ**"[4]

عاصر ابن الأزرق(831هـ/896هـ) المرحلة الأخيرة من مراحل الأندلس و التي تميزت بكثرة الإضطربات و التي أدت بدورها إلى السّقوط النّهائي نتيجة تضاعف الهجمات النّصرانية واشتداد حركة الزحف على المدن الأندلسية لصالح النّصارى،فابن الأزرق كغيره من علماء هذه الفترة لم يكن

[1] – ولد عام 733هـ/ 1333 م، وهي السنة التي تولى فيها أبي الحجاج يوسف سابع سلاطين بني الأحمر حكم مملكة غرناطة، أصله من شرقي الأندلس ومنه نزح أسلافه إلى غرناطة.بدأ تعليمه الأول في الكتاب حيث حفظ القرآن وأتقن القراءآت، واشتغل بطلب العلم و ترقى بضله درجات المعرفة والإطلاع. قرأ الفقه على أبي سعيد بن لب والأصول على منصور الزواوي والفقه على عبد الله بن مرزوق والحديث عن أبي البركات بن الحاج.وابن اللّوشي وابن بيش العبدري، توفي قبل سنة 770 هـ.أنظر:محمد بن يوسف الصّريحي(ابن زمرك)الأندلسي: تحقيق ديوان ابن زمرك ،تحقيق محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي ط1997،1، ص7، 8، 17. للمزيد: لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة–ج2، ص300، 301وما بعدها .

[2] – المقري التلمساني:أزهار الرياض ج1، ص63، 64.

[3] –المقري التلمساني: المصدر السابق،ج1، ص64.

[4] – سورة الصف: الآية 04

بمعزل عن هذه الأحداث،كونه كان عنصرا فاعلا في الأحداث السّياسية بصفته سفيرا وكذا قاضيا وكونه سفيرا فقد أرسله بنو نصر مبعوثا إلى مصر المملوكية للحصول على مساعدة ودعم ضد هجومات النّصارى على غرناطة وهذ عام 1487م[1]،واتصل بالسلطان الأشرف قاتباي محمد بن علي وهناك لقي كل الترحيب والتّكريم ،غير أنه فهم واستشعر من المسؤولين هناك أنهم يدركون أن أمر الأندلس انتهى وأنه لا فائدة ترتجى من تدارك المحتضر الذي يسلم نفسه الأخيرّ، مقترحين عليه أن يقوم بأداء مناسك الحج ثم الرّجوع وتلقي الجواب النّهائي في محاولة منهم لأخذ الوقت الكافي في الردّ عليه والذي كان سلبيا،حيث وبعد قيامه بأداء مناسك الحج وعاد أول سنة 896هـ للقاهرة لمتابعة القيام بمساعيه التي رحل من أجلها. ولكنه وجد أن الأخبار التي بحوزة السّلطان قايتباي[2].كانت توحي بأن أمر الأندلس أصبح إلى سقوطها لا محالة وعاد خالي الوفاض[3].

رأى ابن الأزرق من منصبه في الدّولة أنّ الفتن السّياسية بين الملوك النّصرين هي التي أنهكت المسلمين وأضعفت شوكتهم، فقرر القيام بدوره كعالم ناصح لهذه الأمة متوجها بطلب الدّعم من ملوك المسلمين[4] أملا في إنقاذ ما يمكن إنقاذه وترقبا في الحصول على نجدة من شأنها أن تردع الأعداء المتربصين، وقبل أن يقصد سلطان مصر كان قد فكر في العدوة المغربية التي كان حالها أسوأ نتيجة الإضطربات الدّاخلية التي نخرت جسدها وأضعفت شوكتها بعد سنوات من المجد والقوة حيث جعلت ملوكها في ورطة لا يمكنهم خلالها الإلتفات إلى ما يجري في العدوة الأندلسية وعلى إثر ذلك وفد ابن الأزرق على تلمسان قبيل 890هـ وكان يحكمها آنذاك السّلطان أبو ثابت الثّالث وأحسّ بانشغال النّاس عنه بالتصدّي للمؤامرات التي كانت تحاك ضدّهم[5]حيث لم يكن حال تلمسان بأحسن من حال المغرب الأقصى من التّشرذم والفرقة، على أثر ذلك قرّر الخروج إلى مصر وكان فيها

[1] – بركات محمد مراد: ابن الأزرق بين بدائل السّلك وروضة الإعلام، دراسة وتحليل نقدي، مجلة التراث العربي، السنة الرابعة والعشرون ،2004، العدد 96،ص13.

[2] – حالت الأوضاع التي شهدتها دولة المماليك وملكها قايتباي دون تلبية عدد من نداءات ملك غرناطة ، ولكنه بالمقابل قام بمجهودات كبيرة حيث أنفق أموالا طائلة في هذا المجال مع ذلك لم يتوقف في المحاولة وجرّب الطرق الدّبلوماسية في محاولة منه إبلاغ قلقه للاسبان وربما تهديداته بواسطة القسيسين والرّهبان (أنظر: عبد الهادي التازي:مع ابن الأزرق في مخطوطته بدائع السلوك في طبائع الملوك، مجلة دعوة الحق،السنة العاشرة 1967م ، العدد07، ص120.

[3] – عبد الهادي التازي: مع ابن الأزرق، ص119.

[4] – ابن لأزرق: بدائع السّلك في طبائع لملك، ص11.

[5] – ابن الأزرق: روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام ، تحقيق سعيدة العلمي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ،ط1، طرابلس، 1999م، 1429هـ ، ص35.

مما سبق ذكره .أين وصله خبر سّقوط غرناطة فحزن كثيرا،وللتخفيف عنه عُرِضَ عليه منصب القضاء (قاضي القضاة) في بيت المقدس حيث لم يلبث فيها كثيراحتى عاجله الموت في عام 896هـ[1]

مماسبق من المواقف المشرفة التي وقفها العلماء نلمس بوضوح الدّور الرّيادي المنوط بهؤلاء في الأوقات العصيبة من تاريخ هذه الأمة ، فكان لهم الدّور البارز في تثبيت الأمة وتغيير مابها مصداقا لقوله تعالى"إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ"[2]وقوله" ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيم"[3]

02:الحضّ على الجهاد عند العلماء الشّعراء:

لم يقف الأندلسي صامتا تجاه الأحداث والقضايا الكبرى التي تعرضت لها البلاد بل كانت له مشاركة فعالة وإسهام حقيقي في مواجهتها والتّحذير منها ثم البكاء والتّفجع على آثارها حين لم يُؤد التّنبيه أو المواجهة النتائج المرجوة منها ودخل مفهوم الإستصراخ[4]والإستنجاد والحضّ بمقتضى الظروف والأحوال التي تعاقبت على الأندلس إلى آفاق التّجارب الشّعرية التي ارتبطت بمفهوم الوطن،والذّب عنه حيث سجل الشّعر في هذه المرحلة أهم الأحداث التي جرت بين أهل الأندلس والدّول المعادية التي كانت تهاجم البلاد الأندلسية منفردة أو مجتمعة أو متحالفة مع بعض الجهات الأخرى أو البابوية في حملة صليبية كالتي شنت على بلاد المشرق، ووصف الشّعر أيضا النّكبات التي أصابت الأندلسيين كالحملات العسكرية التي كانت أشبه بحملات الإبادة تستأصل كل شيء.

ضف إلى ذلك نكث المعاهدات التي يمتاز بها العدو في كل مرة، والسّبي الذي تعرضت له النّساء والأطفال ومن هنا كان الشّعر متمِماً لدعوات الشّعراء المنادية بالإغاثة والعون واستدراك حال المسلمين، بحيث عملوا على استنهاض الهمم وتوسّلوا إلى ذلك بالقيم التي لا يجوز أن تهدر بين الأمة الواحدة معلقين آمالهم على إخوانهم في الضّفة الأخرى(المغرب)التي طالما كانت اليد الممدودة دائما[5].

دائما[5].

[1] – ابن الأزرق: نفسه، ص36.

[2] – سورة الرعد: الاية 11

[3] – سورة الانفال: الاية 35

[4] – هو الشّعر الذي نظمه شعراء المغرب والأندلس في الدّعوة إلى الجهاد والدفاع، لهذا النّوع من الشّعر عدّة مسميات فيطلق ليراد به الاستصراخ والاستنفار والحضّ على الجهاد والإستنجاد والمراد به هنا أنظر: محمد رضوان الداية:في الأدب الأندلسي،دار الفكر ،دمشق،سورية ،2000م، ص160.

[5] – رضوان الداية: في الأدب الأندلسي،ص160.

ظهر هذا النّوع من الشّعر ظهورا جليا زمن ملوك الطوائف نتيجة تهاوي القيم وطمع الأمراء في ملك بعضهم حتى ولو على حساب أهل الملة الواحدة، مما سهل على الممالك النّصرانية الزّحف على معظم الأقاليم وسقوطها في أيديهم على غرار طليطلة عام 476هـ،ليواصل شعر الإستصراخ التّطور والإزدهار في عصري المرابطين والموحدين[1]أين ارتفعت أصوات النّجدة والإستغاثة من بين طبقات الشّعب التي مثلها الفقهاء[2] ورجال الدّين حين ضعفت الدّولة الموحدية وتوالت هزائمها وحصل الإنهيار الكبير الذي فقد فيه الأندلسيون معظم البلاد عدا مملكة غرناطة التي بقت تقاوم مصيرها حتى سنة 897هـ[3].

تمثلت الدّعوة إلى الجهاد شعرا في مظاهر مختلفة منها التّذكير بالحروب السّابقة وما أبلاه جند المسلمين عبر التّاريخ فيها،وكذا التّركيز على مدح مشاركة السّلاطين والقادة وكيفية إخضاع العدو، والعمل على تثبيت المسلمين في ساحات الوغى،ودعوة المتقاعسين عن الجهاد إلى إغتنام الفرص وعدم تضييعها لما فيها من غنيمة دنيوية تتمثل في الحفاظ على نعمة الأمن وأخروية أعلاها الشّهادة في سبيل الله ونيل الأجر.

أما في عصر بني الأحمر فقد أصبحت نداءات الشّعراء واستغاثاتهم تعبر عن واقع مرير و مكنون داخلي من القهر والإضطهاد، خاصة بعد تصاعد المدّ النصراني الذي أدى إلى توالي سقوط المدن الأندلسية، حيث انتقل فيها الشّعراء من شعر البكاء على المدن والأطلال التي ميّزت الحقب السّابقة إلى شعر أحدَّ منه وهو شعر الحماسة التي نعني بها تلك الحرارة وذلك العنف الذي نكاد نلمسه في قصائد الشّعراء إذ نجد الحماسة بادية في الدّعوة إلى الجهاد ورصّ الصّفوف والعمل على إنقاذ الأندلس من خلال استنهاض الهمم والدّعوة إلى استرداد ما ذهب منهم وفقدوه مستعملين في ذلك أحداث الماضي الأليم من تصوير للمآسي وغيرها في محاولة منهم إحياء الضّمائر[4]والدّفع بهم إلى المقامة والإستبسال،والقارئ لشعر الشّعراء يكاد يقرأ شعورهم وإحساسهم الذي يرتسم على قسمات وجوههم من غضب وحزن حال النّكبات والفرح والحبور زمن الإنتصارات .

[1] –رانية أحمد إبراهيم أبو لبدة:شعر الحروب والفتن في الأندلس عصر بني الأحمر ماجستير،لغة عربية،جامعة النجاح الوطنية ،نابلس فلسطين،2007م، ص74.

[2] –عبد الحميد شيحة :الوطن في الشعر الأندلسي دراسة فنية ،مكتبة الآداب ،القاهرة :مصر،1418هـ/1997م، ص91.

[3] – رضوان الداية: المرجع السّابق، ص161.

[4] –رضوان الداية:في الأدب الأندلسي،ص170–رانية أحمد: شعر الحروب والفتن، ص74–دخموش:المرجع السابق، ص136.

يورد عبد الكريم القيسي الأندلسي[1] الشّاعر أبياتا في هذا يحثّ فيها أهل الأندلس على المقاومة واليقظة للعدو،واتخاذ الإستعداد الدّائم للمفاجآت المحدقة بالأندلس من قبل النّصارى.

أفيقوا أفيقوا واهجروا النّوم إنـــــــــه *** حديث صحيح ما أقول وما أحكي

ومن كان في ما قد مضى الدّمع باكيا *** فرض عليه قاني الدّم إن يبـــــكي![2]

وله شعر في ضياع حصن اللّقون من حصون مدينة آش[3] في عام 836هـ،يلوم فيه تفريط السّكان وتقصيرهم في الدّفاع عنه ومحاولة استرداده من النّصارى وهو بهذا يتحسّر عليه قائلا :

يا أهل وادي الآش لا درّ درّكـــــم *** ولا برحتم لقى للكرب والكمـــد

ضيعتم سفها وادي اللقون ولـــــم *** تراقبوا فيه حق الواحد الأحـــــد

حتى حواه العدى غدرا وصار لهـــم *** لغزوكم عمدة من أفضل العُمَـدِ

فاستشعروا إذا اصعتم فيه حزمكم *** والجد قرب انقضاء الوقت والأمد[4]

ويقول آخر معاتبا أهل الأندلس عامة وأهل بلنسية في تقاعسهم وتخاذلهم:

لبسوا الحديد إلى الوغـــى ولبستم *** حلل الحريـــــر عليكم ألوانـــــــا[5].

يُعَدُّ أبو البقاء الرّندي[6]واحدا من علماء القرن السّابع الهجري وشاهد عيان على بدايات تهاوي المدن الأندلسية،و تأثر بهذه الأحداث الأليمة كغيره من الشّعراء والأدباء في عصره، ويتضح هذا جليا في قصائده خاصة المشهورة منها المسماة ب"نونية أبو البقاء الرّندي" والتي أجمع النّقاد على أنها خير ماقيل في البكاء على الفردوس المفقود، فيذكر صاحب الذّخيرة السّنية أنّ أبو البقاء الرّندي أنشدها بمناسبة نزول محمد الغالب سلطان غرناطة عن عدد كبير من القواعد والحصون الأندلسية لملك قشتالة عام 665هـ/1227م،يقول في مطلعها:

---

[1] – عبد الكريم القيسي: سبق التعريف به.

[2] – رضوان الدّاية: المرجع نفسه، ص171.

[3] – تنطق أيضا وادي الأشاة ووادي الآشي (سبق تعريفها)

[4] – رضوان الدّاية: المرجع نفسه، ص174.

[5] – المرجع نفسه، ص173.

[6] – الرّندي:هو صالح بن أبي الحسن بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف النّفزي، يعرف بأبي البقاء الرندي ،ولد عام 601هـ، أديب وشاعر وناقد، أصله من مدينة رندة الاندلسية ،وتوفي عام 684هـ، له مؤلفات عديدة نذكر منها "روضة الأنس ونزهة النفس"،وكتاب "الوافي في نظم القوافي"،وكتاب"الفرائض" الذي شرحه القلصادي، وله تأليف في العَرُوض ،وله أيضا مقالات وهي في حكم المفقود أنظر: زياد طارق لفتة: أبو البقاء الرندي حياته وشعره ،مجلة كلية التربية للبنات ، ديالى ، العراق 2017، العدد 7، السنة 4،الجزء الأول، ص331، 332، 334 .

لكل شيئا ذا ما تم نقصـــــــان *** فلا يغرك بطيب العيش إنســان

هي الأمور كما شاهــــدتها دول *** من سَرَّهُ زمن ساءته أزمــــان

وهذه الدّار لاتبقي على أحــــد *** ولا يدوم على حال لها شـــان

يمزق الدّهر حتما كل ســـابغة *** اذا نبت مشرفيات وخرصـــان

أين الملوك ذوي التّيجان من يمن *** وأين منهم أكاليل وتيجـــــان[1]

أراد الشّاعر بهذه هنا ثلاث اتجاهات أولها تقرير القاعدة الإنسانية المستمدة من واقع الحياة نفسها القائمة على أخذ الدّروس والإعتبار بزوال الدّول وموت الملوك والتّأسي بهم،وأنّ كمال أي شيئ بداية نهايته وأنه ما يكاد يبلغ شبابه حتى تدركه الشّيخوخة وهذه سُنّةٌ كونية تسري على كل الأشياء[2]

الأمر الثّاني وهو تصوير سقوط المدن الأندلسية في يد العدو وما حلّ بأهل الأندلس من مصائب ونكبات وصفاً دقيقاً يجعل القارئ البعيد يحس أنه طرفا في المعادلة ومكلّف بواجب الدّفاع والنّهوض إلى إستنقاذ ما يمكن، ويصف في نفس السّياق أسف النّاس وحزنهم على بلاد الأندلس التي تحولت إلى صقع غلب عليه الكفر وتقلصت به مساحة الإسلام بعد أن تحولت جلّ مساجده إلى كنائس بعد أن كانت عامرة بالعلم والايمان وأصبح لا يُسمع إلّا صوت النّواقيس بعد أن كان الآذان يرفع بها، ولعلّ قطرا إسلاميا لم تَبْكِ بلدانه ومدنه كما بكت الأندلس.[3]

أما ثالث اتجاه فيها هو دعوة ظاهرة للإستنجاد بدولة بني مرين متوجها بالسّؤال اليهم وهم أصحاب الخيول الضّامرة والسّيوف المرهفة الذين يعيشون في أمن ورغد، يسألهم مستنكرا ألم تسمعوا بما أصاب الأندلس؟ اليس فيكم رجل أبيٌّ يثور لما أصاب أهله؟هل استبدلتم نعيم الدّنيا وزخرفها بجنة عرضها السّموات والأرض ورضيتم بالقعود عن نصرة إخوانكم،وهذا كله في ظلّ اقتناع ابن الأحمر بضرورة الإلتجاء إلى المغرب بعد اشتداد ضغط النّصارى على الحوزة الغرناطية[4]

أراد الشّاعر تبديد مخاوف ابن الأحمر من استيلاء الممالك النّصرانية على الأراضي الإسلامية مهونا عليه ما أصابه من هلع جراء سطوة النصارى وحملاتهم الشرسة التي لا تكاد تنتهي،منبها إياه إلى ضرورة الإستعانة بالإخوة المغاربة من بني مرين وغيرهم،وكذا مذكرا إياه بامجادهم وبطولاتهم على

[1] – المقري التّلمساني: نفح الطيب،ج4 ،ص487، 488– ابن أبي زرع الفاسي: الذّخيرة السّني، ص127.

[2] –محمد رضوان الدّاية:ابو البقاء الرندي شاعر رثاء الاندلس،مكتبة سعد الدين،ط1396،1ه/1976م،ط2 ،1406ه/1886م ،ص90

[3] –رضوان الدّاية:المرجع نفسه،ص91– شوقي ضيف:فنون الادب العربي،الفن الغنائي الرثاء،دار المعارف،ط 4، 1955 ،ص49

[4] –رضوان الداية: أبو البقاء الرّندي شاعر رثاء الاندلس، ص90

مرّ الأزمنة في عبورهم إلى الأندلس وبطولاتهم خاصة في عبورهم الأخير عام 662هـ والذي انتهى بهزيمة ساحقة للنّصارى، وهذا نستخلصه من قوله :

يا أيها الملك البيضاء رايتـــه *** أدرك بسيفك أهل الكفر لاكانوا
ياراكبين عتاق الخيل ضامرة *** كأنها في مجال السّبق عقبــــــان
وحاملين سيوف الهند مرهفة *** كأنها في ظلام النّقع نيـــــــران
وراتعين وراء البحر في دعـــة *** لهم بأوطانهم عزّ وسلــــــطان
أعندكم نبأ عن أهل اندلس *** فقد سرى بحديث القوم ركـــبان [1]

تعد هذه الأبيات من جملة الحملة التي تولى بها الفقهاء العاملون والشّعراء والأدباء الذين تحمّلوا مسؤولية الإعلام،وكان الغرض من أشعارهم العمل على تحريض العدوة المغربية على الجهاد لدحر ممالك النّصارى المجتمعة والمتربصة بهم،لإنقاذ ما أمكن من الأندلس ومحاولة التّوغل والإثخان في أرض العدو،ولعلّ صرخته هنا تخص ملوك العدوتين بعد الجفاء الذي حلّ بينهم منوها وداعيا إياهم إلى محاولة لم الشّمل ونبذ الفرقة في قوله:

ماذا التّقاطع في الإسلام بينكم *** وأنتم يا عباد الله إخـــــوان
ألا نفوس أَبِيّاتٌ لهـــــــا همم *** أَمَا على الخير أنصار وأعوان[2]

كان للسلطان يوسف الثّالث ملك غرناطة نصيب من شعر الحضّ والإستصراخ ببني مرين خاصة وأنّ الأندلس كانت تسير إلى مصيرها المحتوم نظرا للقطيعة الحاصلة بين العدوتين الأندلس وبني مرين خاصة بعد لجوء ابن الخطيب إلى المغرب واستجارتة بملك المغرب.ضف إلى ذلك عدم قدرة بني مرين على العبور إلى الأندلس والإشتغال بقضاياهم الدّاخلية نتيجة ما أصابهم من ضعف وانحلال يقول فيها:

أبني مرين والحماية شـــــأنكم *** وبكفكم سيف الجهاد يجـــــرد
أوطانكم أخوانكم بلادكـــــم *** عودوا وعهدكم القديم فجددوا
أبني حسين أنت العرب الألـى *** كرمت أوائلكم وطاب المحـــتد
جِدُّوا فإنا ناظرون إليكـــــم *** والله يعلم والملائك يشهـــــــد
إنّ النّصارى قد تجمع شملهـــا *** فعسى ببأس سيوفكم تتبـــدّد

---

[1] - نفس المرجع ،ص91

[2] - نفس المرجع،ص93

وتروعهم منكم سيوف حماية *** يجلو دجاها يوسف ومحمـــــد

أخوين قد قاما بنصرة دينــه *** فالدهر يبلى والثّناء يخلـــــــد[1]

وفي نص آخر يورد أبياتا يعبر فيها عن أسى بالغ أصابه من الحال التي أصبحت عليها الثّغور المحتلة، يتعهد الطغاة الغاصبين أن العهد الذي بينهم وبين النّصارى هو الجهاد في سبيل الله حتى تتحرر تلك الثّغور[2]

لهف نفسي على الثغور تخلت *** فهي صفر من الكماة الحماة

وأناس على المعاصي جهـــازا *** قد أباحوا حريمنا للعــــداة

لست للصيد من خلائف نصر *** يوم آهنا بسلم تلك العتـــاة[3]

وفي أخرى يبيّن أهمية الجهاد ويؤكد أنه واجب ديني ليس عليه وحسب بل وعلى كل حرّ غيور على بلاده، فالجهاد هو السّبيل الذي تتحقق به الأماني وتستخلص البلاد من أيدي الغاصبين وفي حال تخلي النّاس عنه وتقاعسهم عليه عاقبهم الله

طلاب المعالي بالرقاق القواضب *** ونيل الأماني في افتياد المقابـــــن

وراحة نفس الحر راحة باتـــــر *** وآنَفَه جبار وعطفـــة واهـــــب

فأية نفس لم يك المجد همــــها *** وبذل اللّهى والعرف من كل جانب

فلا منيت يوما بإدراك سؤلهـــا *** وأعقبها الرحمن شر العواقـــــــب[4]

وابن الخطيب بحكم الموطن والواجب فهو أحد المدافعين عن مملكة غرناطة وراية المسلمين بها فانبرى لذلك شاعرا محفزا النّفوس على الجهاد وباثا للحماس فيها ساعده في ذلك منصبه السّياسي في دولة بني الأحمر ويوضح قيامه بالجهاد ضدّ الرّوم وتبديد شمل الكفار:

وبدّدت شمل الكفر بعد ائتلافه *** فأضحى عميدا في الرّغام عميده

وجاهدته في الله حق جهـــاده *** فأذعن عاصــــــيه ودلّ عنيده

[1]– عزوز زرقان: شعر الإستصراخ في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008، ص71، 72.

[2]– شريف عبد الحليم محمد عويضة: شعر أبي الحجاج يوسف الثالث ملك غرناطة دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير، الأدب العربي، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 2014، ص79، 80.

[3] – عزوز زرقان: شعر الاستصراخ، ص80.

[4] – هبة إبراهيم منصور اللّبدي: الوصف في شعر الملك الأندلسي يوسف الثالث،ماجستير في اللغة العربية،جامعة النجاح الوطنية ،نابلس فلسطين 2012، ص108.

ومن قبيل الحرب النّفسية و للتقليل من قوة النّصارى وعجزهم عن المواجهة يقول في مدح السّلطان أبي عبد الله:

بَلَغَتْ ملوك الروم عنك مهابـة *** فغدت تمج الريق في لهواتـــها

لا غزو أن الرعب خاصر قلبها *** فالأسد تخشى وهي في أجماتها[1]

ولم يكن بنو نصر في حالة دفاع فقط بل إنهم كانوا يبادرون إلى الحروب فيفتحون المعاقل والحصون ليحققوا النّصر على عدوهم يضيف ابن الخطيب في فتح كركبول:

بشرى يقوم لها الزّمان خطيبا *** وتأرَّج الآفات منها طيـــبا

هذا طلوع فُتُوحِكَ الغر التي *** ما كان طالع سعدها ليغيبا[2]

ولعل هزيمة المسلمين في طريف وسقوط والده شهيدا فيها كانت أشدّ وقعا وقسوة عليه يقول:

لا كان يومك يا طريف فطالــما *** أطلعت للآمال برقا خلّـــــبا

وحصحصتني بالرزء والثّكل الذي *** أوهى القوى مني وهدّ المنكــبا

لا حسن للدنيا لـــــديّ ولا أرى *** في العيش بعد أبي وصنوي مأربا

حاول ابن الخطيب في شعره أن يرفع معنويات الجيش المسلم ويحقق التّوازن في المعركة ولما لا قلب الهزيمة إلى نصر، وهذا من خلال التّقليل من شأن انتصارات النّصارى والرّفع من معنويات المجاهدين حتى لا يستسلموا فيقول:

إن الحروب سجال طالما وهبت *** في اليوم فرصتها واسترجعت لغد

لا يغرر الرّوم ما نالوا وما فعلـوا *** فإن ذلك إملاء إلى أمـــــــد

وإن دون طلاب الثّأر أُسد وغى *** من قومك الغّر أو آبائك النُجُدِ[3] .

[1] – لسان الدّين بن الخطيب: ديوان لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد مفتاح، ط1،دار الثقافة، الدار البيضاء، 1989 ، ص270

[2] – لسان الدين بن الخطيب:المصدر نفسه، ص101، 104، فاروق أسليم :مفهوم الشعر وبواعثه في ديوان لسان الدين بن الخطيب،مجلة دمشق المجلد 23، العدد2، 2007، ص51، 75..للمزيد: أنظر: سعيد بن مسفر بن سعيد العاصمي المالكي: المدحة في شعر لسان الدين بن الخطيب الغرناطي(ت:776هـ).البعد والتشكيل،رسالة ماجستير في الأدب العربي، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى، السّعودية.1422هـ، ص46

[3] – بن مسفر العاصمي المالكي:المدحة في شعر لسان الدّين بن الخطيب الغرناطي، المرجع السابق ، ص27.

أدرك الشّاعر ابن المرحل[1] حجم الخطر المحدق بالأندلس فسخّر جهده في رصّ الصّفوف ولعب دوره في الدّفاع عن الإسلام مثلّه شعره، فكانت له اسهامات كثيرة خاصة ما تعلق منها في الدّعوة إلى الجهاد في سبيل الله والذّب عن حياض الإسلام وتخليصها من بطش الممالك الإسبانية .

ومناسبة القصيدة التي سنورد بعضا من أبياتها أنّ النّصارى كانوا قد ضيّقوا على مسلمي الأندلس فأكثروا غاراتهم على المدن الأندلسية فأوقعوا فيها السّلب والنّهب والقتل فتفجع أهل العدوة لحالهم فصنّع الفقيه ابن المرحل هذه القصيدة يحرض فيها بني مرين وسائر المسلمين على الجهاد ونصرة إخوانهم المستضعفين في الأندلس.وقرئت القصيدة على النّاس بصحن جامع القرويين بعد صلاة

---

[1] – ابن المرحل:هو مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرج بن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرج ويعرف بابن المرحل، وهو وصف جرى على جده علي بن عبد الرحمن لما رُحِّلَ من شنتمرية ولد في أوائل القرن السّابع الهجري وهو محل إجماع من داريسيه ومترجميه الذين قرروا أن تاريخ ميلاده كان في سنة 604هـ/1207م، ينتمي إلى عائلة مغربية مصمودية وتشير بعض المراجع إلى أنه من أسرة مالقية أندلسية، وهو من جملة العلماء حيث حلّاه ابن الخطيب " الشّيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك بن المرحل. وفي موضع آخر ذكره في جملة شيوخ على بن محمد بن عبد الحق بن الصّباغ العقيلي من أهل غرناطة ..

قال ابن الخطيب تلا بالسبع على أبي جعفر بن علي الفخار وأخذ عنه بمالقة وعن غيره وصحب. للمزيد عن ترجمة ابن المرحل: وجالس من أهلها أبا بكر عبد الرّحمن بن علي بن دحمان وأبا عبد الله الأستجي وابن عسكر وأبا وابا عمرو بن سالم وأبا النّعيم عمران بن خالد وبفاس أبا زيد البزناسني وباشبيلية أبا الحسن الدباغ ،وأبا علي الشّلوبين وتكرر دخوله إلى غرناطة وانقطع عنها عام 674هـ تواليفه كثيرة ومتعددة شعرا ونثرا.فمن شعره مختاره الذي سماها "الجولات ومنه الصدور والمطالع" وله العشريات والنّبويات على حرف المعجم والقصيدة الطويلة المسماة "بالواضحة" وآرجوزة سماها "سلك المنخل لمالك بن المرحل" والقصيدة الطويلة المسماة" بالواضحة" وآرجوزة "اللؤلؤ والمرجان" والموطأة لمالك"، توفي عام 799هـ.أنظر: ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ص327 –ابن أبي زرع الفاسي:الأنيس المطرب، ص308، 376- المقري التّلمساني:نفح الطيب،ج5، ص3، 10. شمس الدين بن الجزري: غاية النّهاية في طبقات القراء، تحقيق برجستراسر،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2006،ج2، ص35،36-الكتاني سلوة الأنفاس،ج3، ص99- عبد الله كنون :ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسية ،مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، الدار البيضاء، المغرب، ص992.وما بعدها– محمد مخلوف:شجرة النور الزكية، ج1، ص202-انظر: ابن الخطيب:الاحاطة،ج3، ص304، 306، 307، 317. محمد مسعود جيران:مالك بن المرحل أديب العدوتين(604هـ/699هـ) دراسة تحليلية في أخباره وآثاره وتحقيق نصوصه الأدبية الباقية ،المجمع الثقافي ،أبو ظبي،2005، ص43، 46، 99–عبد الرحمن السيوطي :بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم،مطبعة عيسى الباي الحلبي وشركائه،ط1، 1384هـ/1965م، ج2، ص384.وذكر له أيضا من المؤلفات"شرح لمنظومة موطأة الفصيح المسماة" موطئة الفصيح لموطأة الفصيح" أنظر: ابن الطيب الشّرقي:اللفظ ومستواه الصوابي من خلال موطئة الفصيح مجلة اللسان العربي، جامعة الدول العربية ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد 29، 1987، ص37، 38.

الجمعة وأبكت جموع الحاضرين عند سماعها وكان لها وقع في قلوب السّامعين وانتدب الكثير منهم للجهاد[1] يقول فيها:

استنصر الدّين بكم فا قدمـــوا *** فإنه إن تسلمــــوه يسلم
لا تسلموا الإسلام يا إخواننـــا *** وأسرجوا لنصره وألجــــموا
لاذت بكم أندلس ناشـــدة *** برحم الدين ونعم الرّحــــم
واسترحمتكم فارحموها فإنــــه *** لا يرحم الرحمان من لا يرحم
ما هي إلى قطعة من أرضكـــم *** وأهلها منكم وأنتم منهــــم
لكنها حدَّت بكل كافــــر *** فالبحر من جدودها والعجم
استخلص الكفار منها مــدنا *** لكل ذي دين عليها النـدم
استخلصوها موضعا فموضعــا *** واقتدروا واحتكموا وانتقـموا
وقتلوا ومثلوا وأســــروا *** وأنكلوا ويتَّموا وأيّمــــوا[2]

ثم بعد أن وصف حال الأندلس وأهلها ينتقل إلى الإشادة بأهل المغرب وقوتهم فيقول:

ما صدّقوا أن وراء البحر من *** يغضب للإسلام حين يظلم
ولا دروا أن لديكم حرمـة *** يحفظها شبابـــكم والهرم
لو عرفوا قبائل العــدوة ما *** عدوا على جيرانهم واحترموا
اليوم يدري كل شيطـان بها *** أن قد رمتم بالشعاع الأنجم[3]

ثم يحاول دفعهم إلى ساحات الجهاد والتوغل والإثخان في صفوف العدو من جانب آخر وذلك أن غيرهم سبقهم في هذا المجال وأدى دوره وفاز بالأجر والمغنم.

يا أهل هذه الأرض ما أخركم *** عنهم وأنتم في الأور أحزم
تسابق الناس إلى موطــــن *** الأجر فيها وافر المغنـــم
فغزوا الكفار في ديارهـــم *** وعزموا أن يهْزِموا فهَزَمــوا[4]

[1] – إبن أبي زرع الفاسي: الذخيرة السنية، ص98 – مسعود جبران: مالك ابن المرحل، ص336.
[2] - المصدر نفسه، ص98
[3] - المصدر نفسه، ص99
[4] - إبن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب، ص99.

وهذا ابن الجياب[1] يتحدث على الخطر المحدق للأعداء على مسلمي الأندلس ويدعو المسلمين إلى عدم اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى فكان لشعره دور في إستثارة الخلفاء واستنهاض همة السّلطان أبي الوليد:

أبشر فإن الله ناصر دينـــــه *** فالحق صبح لاح منه عمــــود

ما نصر الإسلام إلاّ يوســـف *** فلواؤه في نصره معقــــــود

من آل نصر ناصري دين الهدى *** فالنصر فيهم مبدئ ومعيـــــد[2]

وفي آخر كلامه يحضّ السّلطان على مواصلة فتوحه بعد نجاحه فتح "أشكر" عام 724هـ

أمّا مداك غاية لم تلـــــحق *** أعيت على غرّ الجهاد السّـبق

فاشرح بسعدك كل معنى مشكل *** وافتح بسيفك كل باب مغلق

وأغزُ العدا واصدع بعزمك مطلقا *** نور الفتوح بمغرب وبمشــرق[3]

وفي أخرى يُذَّكِر ابن الجياب السّلطان أبا الحجاج بانتصارات والده على أعداء الملة من النّصارى رغبة منه في المضيّ في سيرته ونهجه، فهو بهذا يستثير حميّــته ويهدد الأعداء فيقول:

كانت لوالده في الرّوم ملحمة *** وفت بما شاءه الإسلام من ظفر

وهذه أختها جاءت مقدمــــة *** لنصر دين الهدى في عصر الأحـز

فليرقب الملك منها خير مرتقب *** ولينتظرها النصارى شرّ منتظـــر[4]

وفي أخرى يستثــير حمية السّلطان يوسف ويحثه على مقارعة النّصارى والعمل على الوقوف ضدّهم وعدم تمكينهم من عقد الصّلح الذي يطلبوه :

عرف النّصارى سيف يوسف أنه *** فتّاح باب ظـــلّ ذا أرتاج

---

[1] – علي بن محمد بن علي بن سليمان أبو الحسن ابن الجياب، شاعر أندلسي غرناطي أنصاري من شيوخ ابن الخطيب ويذكره ابن الخطيب بـ"شيخنا الرئيس"، ولد عام 673هـ، له ديوان شعر باسمه جمعه لسان الدين بن الخطيب تقلد مناصب عدة منها رئاسة الكتاب ثم تقلد الوزارة والكتابة حتى لقب بذي الوزارتين. توفي عام 749هـ ،وحضر السّلطان جنازته عمل في الكتابة في كنف بني الأحمر منذ أن كان يافعا واستمر لمدة 50 سنة أو يزيد.انظر:التنبكتي:نيل الإبتهاج، ص327، 328. أنظر:لسان الدّين بن الخطيب:الكتيبة الكامنة،ص183-لسان الدّين بن الخطيب:الإحاطة،ج4،ص126،125، 137-المقري التّلمساني:نفح الطيب ،ج5، ص434-عبد الرّحمن السّيوطي:بغية الوعاة ، ج2، ص189.

[2] - جمال عبد الجابر عبد المعطي:شعر الجهاد في الأندلس في ظل بني الاحمر،ماجستير في الأدب، الجامعة الأردنية، 1986،1985م، ص132.

[3] – جمال عبد المعطي :المرجع نفسه، ص132.

[4] – جمال عبد المعطي: شعر الجهاد في الأندلس، ص137.

وكفى دليلا أن بيعته اقتـــضت *** لهم قضايا الكـــد والإزعاج

في يومها انتشرت عساكر كفرهم *** رجعت بخسـران على الأدراج

وطوى كبيرهم المهانة راحـــــلا *** فيهـــــنّ للتأديب بالإدراج

متوسلا في عقد صلح يرتجــــى *** سبب النجاة به وليس بنـاج[1]

نال شعر التّحريض حيزا كبيرا من اهتمامات لسان الدّين ابن الخطيب وذلك بحكم المناصب التي تولاها والتي جعلته جنبا إلى جنب مع السّلاطين في حلّهم وترحالهم وغُدوهم للجهاد.وبحكم المكانة التي حظي بها في المجتمع،فله من هذا قصيدة وجهها لكافة المسلمين في المغرب لإنقاذ إخوانهم مسلمي الأندلس من كَلَبِ العدو النّصراني على بلاد المسلمين وسيطرته على بعض المدن والثّغور :

إخواننا لا تنسوا الفضل والعطف *** فقد كان نور الله بالكفران يطـفا

وإذا بلغ الماء الزّبا فتــــــداركوا *** فقد بسط الدين الحنيف لكم كفا

تحكم في سكان أندلـــس العدا *** فلهفا على الإسلام ما بينهم لهـفا

وجاشت جيوش الكفر بين خلالها *** فلا حافرا ابقت عليـــها ولا ظلفا

أنوماً وإغفاءًا على سنة الكرى *** وما نام طرف في حمــاها ولا أغفى

أحاط بنا الأعداء من كل جانب *** فلا وزرا عنهم وجــــدنا ولا كهفا[2]

فالخطاب موجه إلى إخوانه المغاربة يلتمس فضل وعون لنصرة الإسلام كونهم السّباقين دائما إلى الشّخوص إلى الأندلس إذا دهمها العدو ولهم في هذا تقاليد عريقة .

ثم يتوجه ابن الخطيب إلى أهل المغرب من بني مرين وغيرهم مستثيرا مشاعرهم وعواطفهم معاتبا إياهم في نفس الوقت عن تقاعسهم عن نصرة إخوانهم ويدعوهم إلى النّهوض بفريضة الجهاد قائلا :

أفي الله شكّ بعدما وضح الهدى *** وكيف لضوء الصّبح في الأفق أن يخفى

وكيف يعيث الكفر فينا ودونـنا *** قبائل منكم تعجز الحصر والوصـــــفا

غيوث نوال كلما سئلوا النـدى *** ليوث نزال كلما حضروا الزّحـــــــفا

إذا كاتبت يوما فأقلامها القـنا *** وإن أرسلت كانت صفائحا الصّحــفا

---

[1] – نفس المرجع، ص142.

[2] –لسان الدين ابن الخطيب:ديوان لسان الدين بن الخطيب السّلماني، تحقيق محمد مفتاح ،دار الثقافة ، ط1،الدار البيضاء ، المغرب 1409هـ/1989م، ص677–للمزيد: بطرس البستاني: أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث(حياتهم،أثارهم،نقد أثارهم)دار نظير عبود،بيروت، لبنان، 1989م، ص190–ايمن يوسف ابراهيم جرار:الحركة الشعرية في الأندلس عصر بني الأحمر، ماجستير لغة عربية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2007، ص84.

فقوموا برسم الحق فينا فقد عفا *** وهبوا لنصر الدين فينا فقد أشـــــــفا

وها نحن قد لذنا بعز حمالكـــم *** ونرجو من الله الادالة واللّطـــــــــــفا[1]

يقول أيضا في المساجد التي أصبحت للضلال والحرائر والصّبايا اللاتي أُعْتُدِيَ عليهن:

فمن معقل حلّ العدو عقـــــالة *** ومن مسجد صار الضلال به وقفا

ومن نسوة اصحت أياما حواسرا *** تُعَاين في أعيانها الوهن والضعــــفا[2]

يعتبر الشّاعر بن المرابط[3]من الذين لهم نصيب في هذا النّوع من الشّعر حيث كتب قصيدة يستصرخ فيها السّلطان المريني يقول فيها:

هل من معيني في الهوى أو منجدي *** من متهم في الأرض أو منجد

هذا الهوى داع فهل من مسعـــــف *** بإجابة وإنابة أو مسعـــــــــد

هذي سبيل الرّشد قد وضحت فهل *** بالعدوتين من امرئ مسترشـــد

يرجو النّجاة بجنّة الفــــــــردوس أو *** يخشى المصير إلى الجحيم الموقد

يا آمل النّصر العزيز على العــــــدا *** أجب الهدى تسعد به وتؤيـــد

سر النّجاة إلى النّجاة مشمــــــــرا *** إنّ الهدى لهو النّجاة لمن هـــدا

لا تغترر بنسيئة الأجل الـــــــذي *** إن لم يحن لك نقده فكان قـــد

سَفَرٌ عليك طويلة أيامـــــــــــه *** ولم تستعد لطوله فاستعـــــــدِدِ

أو ما علمت بأنه لابد مـــــــــن *** زاد لكل مسافر فتـــــــــــزوّد

هذا الجهاد رئيس أعمال التُّـــقَى *** خذ منه زادك لارتحالك تســـعد

هذا الرّباط بأرض أندلس فـــرَحْ *** منه لما يُرْضِ إلهك واغـــــــــتد

---

[1] –لسان الدّين بن الخطيب: الدّيوان، ص678– أيمن جرار: الحركة الشّعرية في الأندلس، ص84.

[2] – ابن الخطيب: المصدر نفسه، ص678.

[3] – **ابن المرابط**: هو محمد بن علي بن عبد الرّحمن المرادي، لم أعثر له على تاريخ مولده ، وهو شاعر السلطان محمد بن محمد بن يوسف (633ه/701ه) ثاني ملوك بني الأحمر شاعر رقيق الشعر ،"سلك مسلك المرقين وترك سبيل المتشدقين" وأخبار حياته قليلة جداً لا نكاد نجد منها شيء في كتب التراجم ، مات صغيرا وربما هذا السبب في عدم اشتهاره ولم يجعل الشعر وسيلة لكسب عيشه بالشعر فلم يشتهر أنظر: العماد الأصفهاني الكاتب: جريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء المغرب والأندلس، تحقيق آذرتاش آذرنوش، الجزء الثاني، الدّار التونسية للنشر، 1986، ص532، 533–ابن القاضي المكناسي: درة الحجال،ج3، ص24، 26.

ومناسبة القصيدة أنه بعد موقعة الدّنونية سنة 674ه اعتزام سلطان المغرب الرّجوع إلى مراكش فخاطبه إبن المرابط بها فهو بهذا يذكرهم بالموت داعيا إلى التّوبة واستصحاب الزّاد وادخاره إلى يوم الحاجة إليه في الدّار الآخرة ثم يعرّج إلى دعوتهم للجهاد مبيّنا أن الجهاد في سبيل الله في أرض الأندلس هو خير زاد وهو رئيس أعمال التّقى[1].

ثم يتوجه الشّاعر إلى السّلطان المريني ليشحذ همّته عن طريق شرح حال الإسلام والمسلمين في الأندلس .شارحا فيها معاملة النّصارى للمسلمين المهينة حيث اقتادوهم أسرى واعتدوا على نسائهم فيقول:

أَتُعِزُّ من أرض العدو ومدائـــــن *** والله في أقطارها لم يعبـــــد

وتُذِلُّ أرض المسلمين وتبتلـــــى *** بمثلثين سطو بكل موحـــــد

كم جامع فيها أعيد كنيســــــة *** فاهلك عليه أسى ولا تتجلـد

القسّ والنّاقوس فوق مـــــناره *** والخمر والخنزير وسط المسجـد

أسفًا عليها أَقْفَرَتْ صلواتــــها *** من قانتين وراكعين وسجـــدا

كم من أسير عندهم وأسيـــرة *** فكلاهما يبغي الفدا فما فـــدا

كم من عقيلة معشر معـــــقولة *** فيهم تود أنها لم في ملـــحد

كم من تقي في السلاسل موثــق *** يبكي لآخر في الكبول مقيــد[2]

ساعدت المكانة التي وصل إليها إبن زمرك إلى أن يكون حاضرا في المشهد السّياسي وبالتالي خوض غمارها ونيل حضّه منها، ولعل هذه المزايا لم تمنعه من قرض الشّعر خاصة منه الذي يجسد واقع الأندلس المرير فكان له فيه نصيب من شعر الإستصراخ والحضّ على الجهاد كان في الغالب في مدح بني مرين ودعوتهم إلى الجهاد خاصة السّلطان أبي فارس عبد العزيز مستنفرا إياه للجهاد في إحدى قصائده يقول[3]

تناجيك خلف البحر آمال معشر *** وكل محياك البارك يَرْقُـــــــبُ

وشخصك في كل القلوب مصوّرٌ *** وأنت وراء الغيب غيث محجـب

يستنصرها نصرا عزيزا مـــــؤزرا *** يبلغ أهل الله ماهي ترغـــــب

[1] – عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر، ج7، ص263.

[2] – المصدر نفسه: ج7، ص263.

[3] – عزوز زرقان: شعر الإستصراخ، ص66.

فقلد سيوفا من مرين وسلَّـــــها *** على عصبة التثليث والله يضرب[1]

ومن أمثلة الحث الصّريح على الجهاد أيضا وطلب التعجيل به يقول:

فاصرف إلى قصد الجهاد أعنــة *** سبقت لشأو للسعود مُغـــرّب

وأجز فوارس من مرين ترتمـــي *** نحو الكريهة مِقْنبا عن مِقْنـــب[2]

نخلص إلى أنّ دور العلماء في التّحريض على الجهاد لم يكن مقتصرا على الخطب المنبرية أو الرّسائل التي كانت مقصورة على كتاب السّلاطين وفقط وإنّما مَثَّلَ الشّعر جزءا هاما من أجزاء التّحريض والدّعوة إلى الجهاد ومحاولة رفع الرّوح المعنوية و بثّ الحماس في نفوس المجاهدين .

II: المشاركة الميدانية للعلماء في ساحات المعارك :

كان للعلماء دور بارز في المشاركة في المعارك وخاصة في مجال قيادة الجيوش ويتجلى ذلك فيما كانوا يقومون به من حثّ النّاس على مواصلة القتال والإستماتة في الدّفاع عن الحوزة الإسلامية فهم بهذا يبعثون الهمم في النّفوس من أجل صدّ العدو، وكانت مكانتهم الكبيرة بين النّاس حافزا إضافيا جعل النّاس يلتفون من حولهم وسيتطلعون الآراء المختلفة عن مصير المعارك .وسيتم تقسيم هذا المبطلب إلى ثلاثة اقسام قسم للأندلس وقسم للمغرب وقسم تمّ تخصيصه للمتصوفة حتى يتسنى لنا إحصاء العلماء بشكل يجعلنا نتفادى الخلط في التّراجم وحتى لا نقع في أسلوب الإنتقال من وإلى الأندلس في كل مرة

01:مشاركة العلماء في المعارك:

أ/ علماء الأندلس

جاء ذكر العالم ذي الوزارتين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحي بن الحكيم اللّخمي المكنى أبا بكر[3] مختصرا جدا فيما يخص مشاركته في الصّراع الميداني ضدّ النّصارى فنجد

---

[1] – عزوز زرقان: شعر الإستصراخ ، ص67.

[2] – نفس المرجع، ص69.

[3] – ولد عام 665هـ كان محدثا ومؤرخا وشاعرا وكاتبا بليغا مكنته كفاءته للعمل في الكتابة في الدّار السّلطانية أكثر عمره.ثم ولي الوزارة لدى الدّولة النّصرية.أخذ العلم عن أبي جعفر الحريري وأبي الحسن القيجاطي وإسحاق بن أبي العاصي وقرأ على مشايخ المغرب المشرق الأندلس أمثال أبي عبد الله الطنجالي وأبي جعفر الزياتي وأبي عبد الله بن الكماد، له تآليف كثيرة منها كتاب ="الفوائد المنتخبة والموارد المستعذبة "وأكمل التّاريخ المسمى"ميزان العمل"لابن رشيق وكتاب" بشارة القلوب بما تخبره الرؤيا من الغيوب"وكتاب" الأخبار المذهبة" و"الإشارة الصوفية والنكت الأدبية"...إلخ، ولما حلّ برندة توفي بها عام (750هـ).أنظر: لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة،ج2، ص272 وما بعدها .

المصادر كتبت أنه كان "محاربا ذا قدرة في ذلك" ولكن لم تشر إلى الوقائع التي شهدها. واكتفت بالإشارة إلى المشاركة فقط دون التّفصيل ي مجريات المعارك[1].

دخل العالم الصّوفي الأديب أبا عبد الله المليكشي[2] الأندلس في أوائل عام(715هـ) وحضر بها مجموعة من الغزوات ذكرت عموما وليس تفصيلا[3].

ومن أمثلة الحضور الشّخصي في الميادين أن العالم الجليل عبد الله بن إبراهيم بن الزّبير (ت:683هـ) الذي كان يقوم بمهمته بأزقة غرناطة ليلا ولقي نصرانيا يتجسس لصالح أهل ملته فأسره وأدخله البلد فهذا يوحي إلى مدى حرص العلماء على أمن بلدهم وإستشعار الخطر في أي وقت[4].

ولانستبعد أن يكون العالم المؤرخ المعروف باسم"مجهول"صاحب كتاب"نبذة العصر في أخبار بني نصر"أن يكون أحد المجاهدين الذين شاركوا في الأحداث التي شهدتها بالأندلس فهو مجاهد و ربما عاصر أحداث السّقوط كلها ودوّنها بتواريخها كاملة مفصلة بهذا الكتاب المذكور، ولعله تعمّد إخفاء اسمه وعدم إظهاره خوفا على نفسه من السّلطات الإسبانية وخاصة محاكم التفتيش[5]. يقول محقق مخطوط نبذة العصر"كتب هذا السّفر رجل حربي حضر المواقع وخاض غمراتها وراقب الحوادث والانقلابات...وشاهد انهيار تلك الحصون والأبراج وكان قد اشترك في الدفاع عنها، بل إنه ليذكر في عبارة صريحة أنه كان من المجاهدين... فلقد حدثني بعض الفرسان النّجباء من أهل الشّجاعة والنّجدة والإقدام في ذلك اليوم ونحن في الطريق راجعين إلى غرناطة قال" "...كنت في أول الفرسان ونحن نتبع النّصارى فكنت أسبق إلى بعض المواقع فأجد النّصارى أمامي مقتولين ولم أرى أحدا سبقني ولا أدري من قتلهم" فهو بهذا يشير إلى العالم المجهول الإسم ودوره البطولي في المعارك .[6]

---

[1]– لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة، ج2،ص273.

[2] – هو محمد بن عمر بن علي بن ابراهيم المليكشي يكنى أبا عبد الله، رحل إلى المشرق فحجّ ولقي الكثير من العلماء ثمّ رحل إلى الأندلس عام718هـ،شغل منصب الكتابة لأمراء افريقية ثم رجع إلى سبتة.توفي بتونس عام740هـ.أنظر:ابن الخطيب:الإحاطة، ج2، ص563، 571.

[3] - المصدر نفسه:ج2، ص563، 571.

[4] – أحمد الطوخي :مظاهر الحضارة في الأندلس، ص231.

[5] –عبد الرحمن علي الحجي:هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة(ظروفها وآثارها،المجمع الثقافي،أبو ظبي، 2003، ص93.

[6] – مجهول:نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق الفريد البستاني ،مكتبة الثقافة الوطنية ، ط1، بور سعيد، مصر، 2002 ، ص17.

وكان الشّيخ بكرون بن ابي بكر بن الأشقر الحضرمي من مشايخ وقادة الجند فارسا حازما، صاحب رأي سديد وكلمة مسموعة، تولى مهمة قيادة الجند الأندلسي في أيام السّلطان ثاني ملوك بني نصر، فهو بالضرورة كان من المباشرين لفريضة الجهاد، فقد غنم الجيش على عهده مغانم كثيرة جعلت خزينة الدولة تنتعش[1].

يروي لنا ابن الخطيب خبر جهاد ووفاة العالم أبا بكر بن منخل الغافقي[2] بعد أن تُقْبِض عليه من طرف السّلطة الحاكمة وأُودع السّجن. وتمّ نقله هو وجملة من النّبهاء مأخوذين بنفس تهمته،وفي طريقهم إلى مدينة المنكّب.وفي طريقهم غيروا الوجهة في اتجاه بجاية،ولما وصلوها ركبوا البحر إلى تونس. فاعترضهم أسطول العدو.بالقرب من منطقة تكرنت ووقعت بينه وبين المسلمين معركة، فأبلى ابن المنخل في هذه المعركة بلاءاً حسنا وأخرج سيفه وهو يضرب العدو ويقول اللّهم اكتبها لي شهادة. واستولى العدو على من كان من المسلمين أسرى ومنهم ولده.إلى أن تم فك أسرهم . ولم يتوقف عند هذا الحد بل واصل في هذا السّبيل حتى مات قال ابن الخطيب".. قُدِّم على من به من الفرسان فأوردهم الموارد الصّفية بإقدامه واستباح من العدو الفرصة وأكسبهم الذكر والشهرة ..."[3]، كما أسهم العالم أبا عبد الله بن الحاج(ت:714هـ)[4](ليس ابن الحاج النّميري)في الجهاد بطريقته الخاصة التي تمثلت في صناعة الآلات الحربية والعمل بها وكان عارفا بالحيل الهندسية وفي هذا إشارة ضمنية إلى الجهاد والحضور الشخصي في المعركة[5]

بالإضافة إلى هذا ما كان يقوم به العالم أبا القاسم محمد بن أحمد بن قطبة الدّوسي في مجال قضاء الحاجات وحرصه على أعمال البر، فقد آثر الجهاد على القعود كونه من أصحاب السّبق في

---

[1] – لسان الدين بن الخطيب:الإحاطة، ج1، ص443.

[2]– محمد بن أحمد بن زيد بن احمد بن الحسن بن أيوب بن حامد بن زيد بن منخل الغافقي يكنى أبا بكر من أهل غرناطة وسكن وادي آش. هو من أهل الشورى وقضاة الجماعة ومن أعيان الأندلس وصدرا من صدورها بغرناطة وأصل بيتهم من اشبيلية يُعرف ببيت زيد الغافقي وهم فرسان ولهم شرف قديم، رحلوا إلى طليطلة ومنها إلى قرطبة ثمّ إلى غرناطة، تلقى علومه الأولى بغرناطة على شيخ الجماعة أبي عبد الله بن الفخار، وعلى أبي عبد الله الطرسوني، توفي عام (762هـ) شهيدا أو كما وردت عند ابن الخطيب " على هذا السّبيل من الشهادة" أنظر:لسان الدين بن الخطيب:المصدر نفسه، ج2، ص133، 134، 135.

[3] - المصدر نفسه ،ج2، ص135.

[4] هو محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج من أهل اشبيلية. انتقل إلى فاس على عهد ابي يوسف المنصور بن عبد الحق ثم إلى غرناطة لخدمة ثاني ملوك دولة بني نصر ثم وزارة ولده أبي الجيوش، توفي بفاس عام714هـ –أنظر:ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص40، 41.

[5] – ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص140

الفروسية والبسالة والرّماية والتّجند. ويورد ابن الخطيب في نقله عن كتاب"القدح المحلى"...وكان أبوه رحمه الله بهذه البلدة قطب أفلاكها...فقد انثل إبنه سهامها فَخَبِر عدالة وبراعة وفهما وألقاه بينهم قاضيا شهما. فظهر منه نجيا،ودعاه إلى الجهاد سميعا مجيبا فصحب السّرايا الغريبة المغيرة. وحضر على هذا العهد من الوقائع الصغيرة والكبيرة.."[1]، وسار على دربه أيضا حفيده محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدّوسي الذي انضم كذلك إلى ديوان الجندية و اعتني بفريضة الجهاد [2].

من العلماء الذين رفع العالم الصّوفي أبو عمرو محمد بن يحي بن إبراهيم بن محمد بن مالك بن عباد الرّندي[3] النّفزي(ت:792هـ)[4] من أهل رندة راية الجهاد عالية، فبالإضافة لما عُرف به من أعمال المرابطة وملازمة الثّغور فقد كان أيضا صبارا على المجاهدة حريصا على المشاركة الدائمة فيها، واقتصرت المصادر التي ترجمت له بعموم لفظ المشاركة دون تفصيل في الأحداث[5].

من العلماء أيضا أحمد بن أحمد بن خلف[6] فقد كان ينضمّ إلى الجند ويشارك في حمل السّلاح السّلاح كلما تطلب الأمر ذلك،رغبة منه في الجهاد وكسب الأجر، وعُرِفَ عنه أيضا أنه كان يرتزق

[1] - المصدر نفسه، ج2، ص250، 251.

[2] - نفسه، ج2، ص255.

[3]- **رُندة**: بضم الراء وسكون النّون وفتح الدّال المهملة وهاء في الأخر كانت تسمى قديما، Arund وتقع غربي مالقة، من أهم مدن الأندلس القديمة بها آثار كثيرة، شهدت أحداث سياسية هامة في تاريخ غرناطة.وهي بلدة كثيرة الفواكه والمياه تتميز بموقع استراتيجي مرتفع وخطير عند حدود غرناطة الغربية .إبن القاضي المكناسي:درة الحجال،ج1،ص77- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة،ج، ص30 –القلقشندي: صبح الأعشى ،ج5، ص220-إبن سعيد المغربي:المغرب في حلى المغرب ،ج1، ص334.

[4] - نشأ ببلدة رندة وهو من ذوي البيوتات الأصلية بها كانت له رحلة إلى المشرق ولقي فيها جملة من العلماء والصّوفية وأخذ عن المشيخة ثم دخل الأندلس وجال بأنحائها ثم جنح إلى التّصوف وله من المؤلفات كتاب"التنبيه في شرح حكم العطائية مات في حدود سنة 710هـ " أنظر: اسماعيل باشا البغدادي ،هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين ، وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول،1951،ج1،ص728.

[5] - التّنبكتي: نيل الابتهاج ، ص287-لسان الدّين بن الخطيب:الكتيبة الكامنة، ص40- لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة ،ج3، ص252، 253.

[6]- أحمد بن أحمد بن خلف أصله من الجزيرة الخضراء، نشأ بمالقة كانت لوالده حضوة في الوظائف السّلطانية.كان فاضلا ذكيا في في عقد الشروط غير متخذها حرفة، وعندما انتقل إلى غرناطة خدم بها في خطة الإنشاء والكتابة تتلمذ على أبي عمرو وابن منظور وتأدب بالشيخ أبي جعفر بن صفوان واتقن الخط بين يديه..انظر: إبن حجر العسقلاني: الدّرر الكامنة، ج1، ص99.

من الكتابة في ديوان الجند[1]، كما عُرف محمد بن محمد بن عبد الرحّمن بن عبد العظيم بن عبد الله بن يوسف البلوي المالقي[2] أنه من الرّماة الحذاق في الحروب كثير المشاركة فيها[3].

شارك محمد بن محمد بن حزب الله[4] في جهاد النّصارى برسم معركة طريف عام 741هـ فجرى فجرى ذكره في الإكليل الزّاهر(نقلا عن ابن الخطيب) بما نصه"ولما قضيت الوقيعة بطريف أقال الله عثارها وعجّل ثارها قذف به موج ذلك البحر وتفلت إفلات الهدي المقرب إلى البحر ورمى به إلى رندة"[5] والشّاهد هنا أنه ممن حضر الوقيعة وكان ممن نجا منها بعد أن أوقع النّصارى فيها القتل الكثير. الكثير.

أما العالم محمد بن محمد بن يحي بن بكر الأشعري فرغم توليه مهمة القضاء إلّا أنّ هذا لم يمنعه من فريضة الجهاد والمشاركة في الذّود عن بلده من كيد الغاصبين إلى أن فُقِدَ رحمه الله في مصاف المسلمين يوم معركة طريف شهيدا محرضا يشحذ البصائر والهمم صابرا محتسبا ومشيرا على الأمير أن يكثر من قول حسبنا الله ونعم الوكيل وكلمة الفقد هنا تعني الإستشهاد ولا تعني الأسر لكثرة ما وقع في المعركة من التقتيل فنستبعد هنا فرضية الأسر [6].

واختار الفقيه يوسف بن يحي بن أبي الدّنيا الأنصاري حياة الحصون والمرابطة في الثّغور حيث أقام بجبل الفتح مدة طويلة، والمعروف على جبل الفتح أنه نقطة التّماس بين الأندلس والمغرب،تولي قيادة الجند خلفا لأخيه عبد العزيز واستمر على ذلك الحال مرابطا في حصنه مستعدا للجهاد والتّدخل في أي لحظة، وبالإضافة إلى مهمة الجندية التي شغلها في الرّبط نجده لا يغفل عن دوره الدّيني حيث كان يؤذن ويؤم المسلمين في حصنه[7].

---

[1] – إبن حجر العسقلاني: الدّرر الكامنة، ج1، ص99.

[2]– توفي سنة 736هـ حين قتل حية وجدها في بستانه (ربما تكون من الجن)فوجد في نفسه تغيرا وشحوبا في الوجه فما كاد أن يركب دابته حتى اشتد به الألم وما إن وصل داره مات بالسبب السّابق.انظر:إبن حجر العسقلاني:المصدر نفسه،ج4، ص499.

[3] – المصدر نفسه،ج4، ص499.

[4] - يكنى أبا عبد الله ويعرف باسم جده، من أهل وادي آش، كان عالما له خط حسن ووراقة بديعةفيه من خفة الروح مع قدر جليل، متمكن جدا في نظم الشّعر .اتصل بباب السّلطان في المغرب وكان له حظ من وظائف القصر فعمل في خطة الكتابة مع جملة من هناك العلماء والكتاب–انظر: لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة ج2، ص367.

[5] – المصدر نفسه، ج2، ص368.

[6] - النّباهي المالقي: المرقبة العليا، ص146، 147.

[7] – إبن الزبير: صلة الصلة، ص442.

جاء ذكر دور العالم الفقيه يوسف بن علي الطرطوشي في مجال الجهاد مقتضبا[1]حيث عُرف ببأسه الشّديد وإقدامه في جهاد أعداء الملة[2]، ولكن حتى وإن أوجزت المصادر في هذا الجانب فإن الشّاهد هنا يكفينا للإستدلال على حضوره الشّخصي في الميادين .

ومن الكُتاب الحذاق الذين عُرفوا بتدوين الرّسائل ووصف المعارك تفصيلا دقيقا يحي بن عبد الكريم الشنتوفي[3]الذي أكّدت رسائله وأشعاره حضوره مع السّلطان وخروجه للجهاد حيث حضر معه معه فتوحه الكثيرة مثل التي سأكتفي بذكر حضوره فيها من خلال نظمه وذكر نفسه أو ضمير الجمع الدّال على حضوره. حيث كتب عن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب وابنه أبي يعقوب في خروجهم ونزوله غازيا ومجاهدا بظاهر شريش ما نصّه"...ومن منزلنا بمخنق شريش حيث الكتايب الهايلة هالة بدرها البادية الخسوف...ووصلنا والخيل تمرح في أعنتها تصلفا وتختال في مشيتها تغطرفا وتعض على لجمها تحدقا وتحرفا كأنها ترم قصارى قصور النّصارى..."[4]

ومن العلماء الشّيوخ المحسوبين على وظيفة الجهاد والدّفاع عن حياض الحوزة الغرناطية الشّيخ القاضي إبن سيد بونة الخزاعي أبي تمام[5]والذي وتقدم على قومه شيخا لهم وقاضيا عليهم[6]سلك

---

[1] - يكنى أبا الحجاج كان من أهل الفضل والتواضع شاعر وفقيه قائم على الفرائض عمل في الدار السلطانية كاتبا. ومدح الملوك بها .كان حيا عام 741هـ.سكن الأندلس ثم رحل عنها إلى العدوة المغربية واختص بالقضاء، فعاش مشكور السيرة.أنظر:لسان الدّين بن الخطيب، الإحاطة،ج4، ص422، 423، 425 .

[2] - المصدر نفسه، ص423.

[3] - من أهل الجزيرة الخضراء،كان كاتبا أديبا كثير النظم والنثر.المصدر نفسه،ج4، ص401.

[4] - المصدر نفسه: ج4، ص401.

[5] -هو غالب بن حسن بن غالب بن حسن بن أحمد ابن يحي بن سيد بونة الخزاعي يكنى أبا تمام ولد في ذي القعدة من عام 653هـ أصل سلفه من عنابة وهي ثغر افريقي يقع على شاطىء البحر المتوسط في منتصف المسافة بين تونس وبجاية من أرض الجزائر الحالية سكن جده الأندلس قرية زنيتة من وادي لستة شرق الأندلس ثم إلى وادي آش من عمل دانية ثم هاجر إلى الأندلس بعد أن استولى عليها العدو وسكنوا مدينة "ألش "بربض البيازين واتخذوها دار إقامة لهم هناك ويؤكد هذا ابن فضل الله العمري بقوله ."....وهو كثير العمارة يخرج منه نحو من خمسة عشرة ألف مقاتل كلهم شجعان مقاتلون معتادون على الحروب ، وهو ربض مستقل بحكامه وقضاته .."تولى القضاء والخطابة، توفي عام 733هـ، أنظر: الإحاطة،ج4، ص239.-النّباهي المالقي :المرقبة العليا، ص136- شهاب الدين احمد بن يحي ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،تحقيق كامل سلمان الجبوري ،لبنان، 2010، ج4، ص120- ابن الخطيب: الإحاطة،ج4، ص239، 240.

[6] - النّباهي المالقي، المرقبة العليا ،المصدر السابق، ص136.

مسلك الصّالحين في الصّبر والقوة والجلد والإيثار والقعود والمثابرة على الرباط[1].في الأربطة والثّغور المتاخمة للعدو والإستعداد للجهاد والخفوف والنّهوض إلى الجهاد[2] إليه متى تطلب منه ذلك[3].

وكان الشّيخ العالم الفقيه أبو عبد الله الطرطوطي(ليس الطرطوشي) فقيه مالقة دائم المشاركة مقداما في الحروب رابط الجأش إلى أن مات بربض مالقة عام 767هـ تقريبا[4].

ومن قبيل جهاد الأمراء أيضا خروج عثمان بن يعقوب المريني بعد أن بويع له بالخلافة واستقر له الأمر إلى رباط الفتح برسم التّفقد لأمر رعيته وإنشاء السّفن بغية الجهاد[5]

واشتهر القاضي أبا يحي بن أبي بكر يحي بن مسعود المحاربي الغرناطي بالشجاعة والإقدام،وهذا ما أهله للبروز عند القتال كلما دهمهم العدو فنجده في طليعة الأبطال في الدّفاع والإستبسال و تحمل الجهد والعناء.وهناك رواية أخرى تحكي عن فراره ببراعة من حصار العدو لمدينة المرية حيث وبذكاء وحيلة اخترق محلة العدو ليلا حتى وصل إلى سور البلد واستغفل الحرس وفرّ وسُرّ المسلمين بخلاصه .

يذكر النّباهي أنّ العالم والقاضي أبا بكر بن مسعود المحاربي الذي تولى قضاء مدينة المرية، واثناء حصار ملك أرغون لها صدرت منه أفعال وأقوال دلّت على شجاعته ودفاعه عن المدينة [6]،وهذا [6]،وهذا قول يضاف تأكيدا للدور الذي كان يقوم به.

ومن الذين ذكروا في هذا الجانب أيضا العالم أحمد بن القاسم بن عبد الله الجذامي ودوره البطولي في حصار برشلونة لمدينة المرية".. وله تاريخ حسن في حصاره البرجلوني لمدينة المرية ..."[7].في سنة 709هـ وبالضبط في الحصار الذي ضربته برشلونة على المرية الذي دام حوالي 06 أشهر دافع أهل المرية أيما دفاع حال دون تمكن النّصارى من اقتحام و دخول المدينة واستمرت الحرب سجالا

---

[1] – لسان الدّين بن الخطيب:الإحاطة، ج4، ص239.

[2] –المصدر نفسه، ج4ص137.

[3] - المصدر نفسه،ج4، ص239.

[4] – محمد بن تاويت: بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس واستاذ وطبيب ، دار النشر ، دون دون سنة نشر ، ص180.ويقال أنه من تأليف مجهول ولكن صفحات الكتاب التي تبدأ من ص174 إلى غاية 193 كلها تحمل اسم محمد بن تاويت، ص180.

[5] - ابن القاضي المكناسي جذوة الاقتباس، ص456.

[6]- النّباهي المالقي: المصدر السابق، ص139، 140.

[7]– هو احمد بن قاسم بن عبد الله الجذامي اشتهر بإسم إبن البغيل، من أهل المرية وأصله من مرسية، حيث انتقل أهله منها سلفا سلفا وهو محسوب على جملة شعرائها وكتابها ونبلائها، اشتهر بالتّصوف والسّير في طريقة الفقراء والزاهاد، توفي في الطاعون الجارف الذي أصاب الأندلس عام 749هـ، درة الحجال، ج1 ص133 الى 140

بين الفريقين يتحين كل واحد منهما فرصة للإنقضاض على الآخر.ففي يوم الخميس من ربيع الأول عام(709هـ)،وصل الشّيخان العالمان أبو العباس أحمد بن طلحة، وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر يقودان جيشا قوامه مائة وخمسين فارسا، فما أن أقبلوا على النّصارى حتى ذعروا، قاتل المجاهدون إزاء ذلك أعظم قتال صابرين محتسبين، واقتحموا موقع النّصارى حتى دخلوا البلد بعد أن هلكت تسعة من خيولهم وما نقص من عددهم وتم لهم النّصر من الله وحسن تدبير من العلماء[1].

ومن العلماء المشهور لهم بالبطولة والجهاد ضدّ النّصارى الشّيخ محمد بن يحي بن محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بأبو عبد الله الأشعري المالقي الذي شوهد في معركة طريف يقاتل العدو بكل بسالة وهو مقبل غير مدبر[2].

عُرف ابن الزّيات الأموي(ت:765هـ)[3]بحرصه على الجهاد .وكثير ارتباط الخيل في سبيل الجهاد وحرصه الشّديد على نيل شرف الشهادة في ساح المعارك[4] ومثله في الحفوف والنّهوض العالم الجليل جعفر بن أحمد بن علي الخزاعي(709-765هـ) المشهور بحرصه على النّفير إلى الجهاد[5]

وممن تولى الفريضة والحرص على الحضور والمشاركة في المعارك أيضا الشّيخ حسن بن محمد بن حسن القيسي المعروف بالقلنار المالقي[6] فقد كان معروفا عنه تخصصه وشغفه بمهنة الطب،ومع هذا كان محاربا شهما في صفوف المجاهدين بالموازاة مع مهنته التي يكون قد إستعان بها في الميادين كعلاج الجرحى[7]

---

[1] – درة الحجال، ص139، 140.

[2] – التنبكتي:كفاية المحتاج، ج2،ص39 –كان يقول لطلبته ما قاله الجنيد بن محمد "يا معشر الشباب جُدُّوا قبل أن تبلغو مبلغي فتضعفوا وتقصروا كماقصرت "انظر: سعيد بن حسين العفاني: زهر البساتين من مواقف العلماء والربانيين، دار العفاني، القاهرة، دون تاريخ، ص439.

[3]– أحمد بن محمد بن عيسى الأموي المشهور بابن الزيات توفي بغرناطة يوم الخميس الثاني والعشرين جمادى الثانية عام خمسة وستين وسبعمائة (765هـ) ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص287

[4] - ، المصدر نفسه، ج1، ص287.

[5] – نفسه،ج1، ص461.

[6]– حسن بن محمد بن حسن القيسي من أها مالقة أبا علي ويعرف بالقلنار،كان رحمه الله من جملة الشيوخ الأطباء ببلده حافظ حافظ للمسائل الطبية ذاكر للدواء له شهرة و تجربة في المجال طويل المزاولة مترفا في الأمور التي ترجع إلى صناعة اليدين، أخذ صناعة الطب عن أبي الحسن الأركشي ومعرفة أعيان النبات عن المصحفي: انظر، ابن الخطيب: الإحاطة، ج1 ص114

[7] – المصدر نفسه، ج1، ص467.

يورد ابن الأحمر في كتاب"نثير الجمان" قصيدة هي من قبيل دور العلماء في الحض على الجهاد وترغيب السّلاطين عليه شحذا للهمم وهي القاضي أبو بكر بن جزي أحمد بن محمد(715هـ-785هـ)[1] فمن قوله يهنئ الأمير النّصري أبو الحجاج يوسف بن اسماعيل بن فرج(734هـ-755هـ– مدة حكم السلطان) ببعض المغازي خاصة وأن الأندلس في هذه المرحلة كانت فاجعة طريف تلقي عليها ظلالها أدت إلى استيلاء صاحب قشتالة الفونسو على الجزيرة الخضراء وحاصر المسلمين وجاس خلال الديّار ونازل جبل الفتح على اثرها ولكنه ولى مدبرا واضطر جيشه للهروب وقتل هو وجمع من أتباعه وهو بهذا يعطي المثال في حضور العلماء الشعراء في المعارك

سعود بها الإسلام نال أمانيـه *** أشادت ببشراه وشادت مبانيه

هنيئا لهذا الملك نصر مـــؤزر *** وحق علينا أن نديم شهانـــيه

ضمان على الأيام أنك غالب *** وأنك لا تبقى من الشرك باقية

لقد نصر الإسلام منك مؤيـد *** معالمه أحي وأعلى مراقـــبه

يُضيف:

فيا غزوة ما كان أسعد يومــها *** ويا نعمة للدين والملك ضافــيه

ويا بطشة ما كان أعظم صولها *** ويا عزمة كانت على الروم قاضيه

يُضيف:

ألا في سبيل الله ما أنت صانع *** ولله والإسلام ما كنت آتيه

قضى الله بالتفصيل كل مُجرب *** عليم بأخــبار الأوائل راويه[2].

وتتضح لنا مشاركة العالم الفقيه محمد بن عبد الرحمن اللّخمي[1]في الرّسالة التي كتبها عن سلطانه إلى ابنه حيث قال"...إلى أن حللنا عشية الأحد ثاني يوم خروجنا بمقربة حصن اللّقوة فأدرنا

[1] –هو من أعلام غرناطة خطيب وفقيه وقاض وكاتب من أسرة بني جزي الكلبي التي يرجع أصلها إلى حصن البراجلة من منطقة ولبة ، له مشاركة حسنة في التأليف والتّصنيف، أبوه ابن جزي الغرناطي (شهيد في معركة طريف741) صاحب كتاب القوانين الفقهية" ألف أبو بكر تقييد على كتاب أبيه ، ورجز في الفرائض، تولى القضاء بغرناطة، والخطبة بمسجد السّلطان، استكتبه السّلطان أبو الحجاج يوسف ثمّ ولي سنة 785هـ–أنظر:ابن الأحمر: نثير الجمان، ص165،167– انظر: لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة ج1، ص52–لسان الدّين بن الخطيب:اللّمحة البدرية، ص116، 119– لسان الدّين بن الخطيب:الكتبة الكامنة ، ص138–ابن حجر العسقلاني :الدّرر الكامنة،ج2، ص253– عبد الرحمن السّيوطي :بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنّحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل، مطبعة عيسى البابي الحلبي ط1384،1هـ، 1965م –ج1، ص375 –ابن فرحون : الدّيباج المذهب،ص41.

[2] – ابن الأحمر: نثـــــير الجمان ص168.

به التّدبير واستشرنا من أوليائنا من تحققنا نصحه فيما يشير فاقتضى الرّأي المقترن بالرّشاد المؤذن بالإسعاد قصد قيجاطة تيسير فتحها وأملا في إضاءة فجر الأماني لديها وبيان صبحها فسرنا نحوها في جيش يجر على المجرة ذيل النفع المثار ويضيق عن كثرته واسع الأقطار ويقر عين الإسلام بما اشتمل عليه من الحماة والأنصار بأجنحة العزم إلى قبض أرواح الكفار فلما وصلنا إلى وادي يانة على مقربة منها.نزلنا به نريح الجياد.ونكمل التّأهب للقتال والإستعداد. وبات المسلمون ليلتهم يسألون الله تعالى بأن منحهم الإعانة...وحين فجر الفجر وأنار النّهار وقدحت به الأصباح زند الأنوار ركبنا إليها والعساكر قد امتطمت عقودها والسّيوف قد كادت تلفظها غمودها وبصاير الأولياء المجاهدين قد لاح من نصر الله تعالى معهودها ..."[2].

ومضمون الرّسالة يؤكد حضوره الشّخصي في المعركة باستعماله أسلوب الجمع في"فسرنا، وصلنا، نزلنا، نكمل،ربنا إلى غير ذلك من الكلمات التي تدلّ على أنه كان يباشر المعارك مع المجاهدين.وبصفته كان كاتبا لديوان الإنشاء فكان دائم التّنقل والخروج مع السّلطان حتى يدون الوقائع بأمر السّلطان ويكون كاتبا للرسائل سواءا للهدنة أو الإبلاغ.

ومما ذكر في الإحاطة في وصف العالم الصّوفي ابن عباد النفزي يتجلى لنا الدّور الذي كان يقوم به هذا العالم حيث أنه كان "زوارا للربط صبارا على المجاهدة طوعا وضرورة..."[3]

يذكر ابن الخطيب أيضا الشّيخ القاضي أبو الحجاج يوسف بن موسى الجذامي المتشافري وهو عالم من أعلام الأندلس وقد وَجَدَهُ وهو غازٍ فيمن غزا[4] قال".. لقيته في بعض الغزوات فاستظرفته لم عرفته وخاطبته بقولي:

حفظت على فرط المشقة رحـــلة *** أتاحت لعينيَّ إجتلاء محياكا

---

[1] -تم التعريف به في مبحث (الحض على الجهاد)

[2] – لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة، مج2، ص469.

[3] – هو محمد بن يحي بن إبراهيم بن أحمد بن مالك بن إبراهيم بن يحي بن عباد النّفزي من أهل مدينة رندة وعلماء التّصوف فيها يعرف أيضا الحاج الصّوفي–بيته من البيوتات الأصلية في رندة، لم أجده له سنة ميلاد أو وفاة في حدود علمي، التقي علماء والصّوفية وأخذ عنهم الطريقة ثم سلك مسلكهم و اختار لنفسه هذا النهج وترك متاع الدنيا وزهد فيها وأختار نهج الفقراء الزهاد، –انظر: لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص252.

[4] – قال فيه ابن الخطيب"هو عالم جليل يقول عنه ابن الخطيب حسنة من حسنات الدّهر وتحفة من تحف السّر..شيخ دمث الأخلاق.له عناية بالأدب وشتى الفنون الأخرى.له عناية فائقة بالبيان واشتهرت منظوماته، وله تواليف حسنة في هذا الشأن، انظر: ابن الخطيب لسان الدين: الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ،ط1، بيروت، لبنان،1983، ص119.

وقد كنت بالتذكار في البعد قانعا *** بالريح إن هبت بعاطر رياك

فجاءت ليَّ النعمى بما أنعمت به *** عليَّ فحياها الإله وحيــاكا [1]

يورد لسان الدّين ابن الخطيب عالما كان له الدّور الكبير في الجهاد"..وممن لقيته أيضا كلفا بالجهاد الشيخ القاضي أبو زكريا يحي بن السّراج المعروف بابن جلوط[2]"... لقيته بجبل الفتح حليف اغتباط بجهاد ورباط..."[3].

وترك الفقيه بن يحي بن أبي بكر يحي بن مسعود المحاربي[4] سجلا حافلا بالبطولات في ميادين الجهاد لخصها النبّاهي في قوله"...وكان في نفسه شجاعا فارسا مقدّماً جليل الهيئة، نبيه الشّارة، رائق الأبهة، يبرز عند القتال في مصاف صدور الأبطال، فيحسن دفاعه ويحمل عناده، ولما ضايقت الرّوم مدينة المرية وكان أبوه الشّيخ أبو بكر ممن شمله الحصار بها..شق أبو يحي محلة العدو ليلا وتحيّل حتى وصل إلى سور البلد وأعلى حرسته باسمه فسرّ المسلمون بتخلصه.."[5] .يضيف"وصدرت عنه في مدة حصار الرّوم جملة من الأقوال والأفعال لا تصدر إلا من حزماء الرجال[6].

ومن خلال الرّسائل السّلطانية والسّياسية التي كان يكتبها ابن الخطيب والمجموعة خصوصا في كتابه ريحانة الكتاب ونجعة المعتاب"والتي يتعلق بعضها بوصف الغزوات والوقائع الحربية نستنتج الحضور الشّخصي له في المعارك والذي نستشفه كذلك من العلاقات التي تربطه بالملوك الذين كانوا يبادرون الجهاد بأنفسهم ويحرصون على حضور كل المعارك فمن باب أولى أن يكون ابن الخطيب حاضرا معهم.

---

[1] – ابن الخطيب لسان الدين: الكتيبة الكامنة، ص120.

[2]– ابن جلوط: هو عالم زاهد منقبض عن النّاس، م نعثر له عن تواريخ الميلاد والوفاة تولى القضاء، اهتم بالبيان والشعر ومن شعره في الزهد والانقباض عن الدنيا:

نهاك نذير الشيب لو كنت ترعوي *** وهل بعد انذار المشيب انذار

انظر: لسان الدّين بن الخطيب: الكتيبة الكامنة ، ص124.

[3] – المصدر نفسه، ص124.

[4] – فقيه اشتهر بورعه الكبير، تولى القضاء في غرناطة بعد وفاة أبيه ،ثم نقل إلى قضاء المرية وأقام بها. وعرفت سيرته في نصر المظلومين وقهر الظالمين انظر: النّباهي المالقي: المرقبة العليا، ص14، 141.

[5] – النّباهي المالقي: المرقبة العليا، ص140.

[6] – المصدر نفسه ،ص141.

ويتضح لنا هذا جليا في القصيدة التي كتبها يمدح فيها السّلطان والسّفن التي شاركت في معركة سنة 740هـ ضدّ الإسبان وكان هو حاضرا فيها بكلماته يواكب الأخطار التي تحيط من البر والبحر. فوصف المعركة بكثرة سفنها وشجاعة فرسانها الذين أبرموا عقدا بفناء الأعداء

نصرت عباد الله جلّ جـلاله * وسطت بعباد المسيـــح ومريم

يمـمتها والماء موجـــــود لها * نحر العدو فكان خير تيمـــم

حملت رجالا كاليوث مصاعبا * صبرا على لفح المصاع المضرم

قصدت بهم بحر الزقاق عـزيمة * قد جرت أسيافها لم تلهـــــم

فتركن أحزاب الصليب كأنمـا * ثملوا بمختوم الرحيق المفـــدم

صرعى على عفر الرمال وليمة * للحوت وللطير أو للضيغـــم [1]

يقول في موضع اخر في مدح الشّيخ ابن صفوان القيسي[2]"...وجمعت شعره أيام مقامي بمالقة عند توجهي صحبة الرّكاب السّلطاني إلى إصراخ الجزيرة عام 744هـ..."وهذا نزر يسير مما نقله عن نفسه في مباشرة الجهاد[3]

ب/ علماء المغرب :

لم تحتفظ لنا المصادر إلّا بأسماء عدد قليل جدا من العلماء المغاربة الذين عبروا إلى الأندلس للمشاركة في الجهاد ضدّ النّصارى الإسبان خلال عهد بني نصر بإستثناء الأمراء المرينيين والزّيانيين والحفصيين الذين نالوا حقهم من التّرجمة والإشادة، وعدد قليل من الفقهاء والعلماء المشاورون وفي كثير من الأحيان كانوا يندرجون في صفوف الجيش كقادة أو قضاة وغيرها من الوظائف العسكرية . لكن بعض المصادر لم تغفل تضحيات بعض الشّخصيات المغربية في سبيل الدّفاع عن الحوزة الأندلسية وتركت بصمتها في ساح المعارك سواءا بترجمة وافية مستفيضة أو عابرة تفهم من السّياق دون إهمال ماكان لها من دور في المجال العلمي[4]

---

[1] عبد الأمير حسيني علوان الخزاعي: البحرية الإسلامية في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (92هـ-897هـ/711م-1492م)،دار دجلة للنشر والتوزيع السّلماني، تحقيق الدكتور محمد مفتاح، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1409هـ-1989م)، ج2، ص537، 538.

[2] – تعريفه مقتضب جدا، عالم من أهل مالقة كان صدرا من صدور الكتاب ذاكرا للتاريخ واللغة مشاركا في الفلسفة والتصوف من نتاجه "مطلع الأنوار الالاهية " و "بغية المستفيد " انظر: لسان الدّين بن الخطيب: الكتيبة الكامنة، ص216

[3] – المصدر نفسه، ص216

[4] – محمد عبد المؤمن: الحضور الغماري في الأندلس خلال عصر بني نصر، د دط ، دت

فبالإضافة إلى ماعُرف به العالم أبو القاسم العزفي[1] حاكم سبتة بالأعمال الخيرية الكثيرة والتي شهد لها مجتمع سبتة وسجلتها كتب التّاريخ، نجده أيضا يسجل حضوره الدّائم في مجال الجهاد من خلال ماكان يقوم به من الجهود الحثيثة في تجهيز الجيوش المغربية إستعدادا لعبورها إلى الأندلس وهذا عملا بالهدي النّبوي الذي يدعو إلى تجهيز الغزاة فمن جهز الغزاة فقد غزا [2]

كان له دور في زحف المسلمين للقتال في جهادهم والعبور إلى بلاد الأندلس وكان ذلك في عهد الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني الذي أمره بعد إحدى غزوات النّصارى أن يشرح الإنتصار الذي أحرزه على النّصارى في الفتح العظيم وكان ذلك على منابر الجوامع ومسامع المسلمين والغرض من هذا تقوية عزائم المسلمين وحثهم على مواصلة الجهاد[3]

ومن العلماء الذين رافقوا السّلطان لمريني أبي الحسن إلى هذه المعركة وشارك فيها العالم ابن مرزوق، وفي هذا يقول الخطيب"وفي 741هـ حضرت معه موقعة طريف ثم عدت إلى تلمسان ولزمت مجلسه"ويقول أيضا"...ثم رحلت سنة إحدى وأربعين فشاهدت(فشهدت) واقعة طريف في خدمة

---

[1]- هو عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العزفي يكنى أبا طالب، ويعرف بها أيضا (الرئيس، الفقيه ،صاحب الأمر و الرياسة والإمارة)،من الأعلام المعروفين كان فقيها أصوليا لغويا عارفا بالرواية شاعرا مجيدا في بلاد المغرب ومن ذوي الجلالة والأصالة والطهارة ،حافظ للحديث الشريف وضابط للتاريخ حريص على ملازمة كتاب الله حتى لقب بخاتم الحفّاظ،قام بسبتة عام 647هـ/1249 بمساعدة وتدبير قائد البحر أبو العباس الرّنداحي لصداقة بينهما توفي رحمه الله عام 677هـ بعد ثلاثين سنة من حكمه لسبتة"...ولما ثار عليه اهل سبتة خرج اليهم وشكر مساعيهم وقال لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل فانصرفوا ودخل منزله حتى قبض عليه. انظر لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة، ج3،ص383 ،385: المقري: أزهار الرياض، ج1، ص230- عبد الرحمن بن خلدون:ديوان العبر، ج7، ص302 - الناصري، الإستقصا، ج2، ص255 - ابن أبي زرع الفاسي، الذّخيرة السّنية، ص152 .

[2] - عبد الأحمد السّبتي حليمة فرحات: المدينة في العصر الوسيط قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي،المركز الثقافي العربي ، ط1 ،1994، ص86

[3]- عبد الرحمن ابراهيم حمد الغنطوسي، عدنان محمود عبد الغني الشاوي: علماء المغرب الأقصى من خلال كتاب الذخيرة السنية لإبن أبي زرع الفاسي المتوفي (741هـ 1340م) خلال القرن السابع للهجرة الثالث عسر للميلاد، مجلة الفراهيدي، العدد 23، 2015 ، ص218

السلطان المرحوم أبي الحسن[1] والتي أدت إلى هزيمة المسلمين يوم 7جمادى الأولى 741هـ/06أكتوبر 1340م[2].

من العلماء المشاركين في الجهاد نجد العالم المتصوف محمد بن عبد الحق بن سقيمان[3] التينملي الذي يذكر لنا ابن حجر أنه شهد وقعة جبل الفتح ضدّ النصارى[4].

ومن العلماء المغاربة المشهود لهم بالجهاد في الأندلس إبنا الإمام أبو زيد وشقيقه أبو موسى فعندما انتهى السّلطان المريني أبو الحسن والتقي بالعالم الشّهير أبا موسى بن الإمام أثنى على الشّيخ الآبلي ووصفه بما يليق به من تقدمه في العلوم وكان هو إذ ذاك يعتني بجمع العلماء لمجلسه فاستدعاه (الآبلي)من فاس وجعله في طبقة العلماء الخاصة به.وعكف على التّدريس والتعليم.وحضر معه الكائنة الكبرى بطريف ومعركة القيروان قال ابن خلدون(نقلا عن المؤلف)"لازمته وأخذت عنه فنونا ثم طلبه أبو عنان بتلمسان فنظمه في طبقة علماء أشياخه وكان يقرأ عليه حتى مات سنة 757هـ وأخبرني أن مولده سنة إحدى وثمانين وستمائة ..."[5].

---

[1] -محمد بن مرزوق التلمساني:المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن،تحقيق ماريا خيسوس بيقيرا الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981، ص24- المقري التّلمساني:نفح الطيب،ج5،ص413- مريم التلمساني: البستان، ص185.ابن مرزوق : المناقب المرزوقية، ص305.

[2] -ابن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح، ص24 .

[3] – كان أبوه رئيس الموحدين عند أبي عصيدة، ثم نكبه ففر محمد بن عبد الحق بن سقيمان إلى فاس ثم رجع إلى تونس حاملا معه تصوفه ثم زار البقاع المقدسة فحج وعاد وتسامع الناس به فترددوا عليه واعتقدوا بكراماته .استعمل في السّفارة إلى الملوك، مات في الطاعون عام 750هـ.انظر: ابن حجر العسقلاني :الدرر الكامنة، ج3، ص491.

[4] – المصدر نفسه،ج3، ص491.

[5] – أصلهما من برشك (قوراية)من تلمسان تبعد عن مدينة تنس ستة 36 ميلا وهي على ضفة البحر– الحميري :الرّوض المعطار ، ص88)، بعد أن قتل أبوهما رحلا إلى تونس فقرآ بها على أصحاب ابن ريتون وتفقها بأصحاب ابن شعيب الدكالي، ثمّ رجعا إلى المغرب بعلم وافر ثم دخلا مليانة ثمّ عاد إلى تلمسان وبنى السلطان مدرسة فجلسا بها للإقراء بها، لما تمكّن أبو الحسن المريني من دخول تلمسان وكانا إذ ذاك بها أكرمهما ورفع درجتهما. توفي أبو زيد بعد العودة من معركة طريف، أما أبو موسى فتوفي في طاعون 749هـ، أنظر: إبن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح، ص265 ،266: التّنبكتي :نيل الإبتهاج، ص413،412: الزركلي: الاعلام، ج3 ،ص330- محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، ج1، ص219 ،220- التّنبكتي:كفاية المحتاج، ج1، ص264–ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج8، ص232 - التنبكتي: نيل الابتهاج، ص167 - يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1 ،ص7،71- عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر، ج7، ص517،516- إبن مريم التلمساني: البستان، ص79– عادل نويهض:معجم اعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية،بيروت، لبنان، 1400هـ، 1980م، ص22 ،23– درة الحجال، ج3، ص81–كفاية المحتاج، ص55- عبد العزيز فيلالي،بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط،دار الهدى للطباعة 2014 ،ص101.

حظي الشّيخ الجليل إبن الحاج النّميري(ت:713-768هـ)[1]بمكانة مرموقة بصفته كاتب سرّ السّلطان ومرافقه،وبهذا أصبح ملازما له أينما حلّ وارتحل سواءا في المغرب أو الأندلس، ولعل الأمر الذي أكد لنا هذا الطرح موجود في قصائده التي يمدح فيها السّلطان أبي عنان في معاركه ،ويأتي المدح قرينا للصّولات والجولات القتالية للسلطان، وغالب مدائحه تحوي حديثا عن الحروب، وهناك قصائد عديدة تناول فيها إبن الحاج النّميري الغرناطي القتال ووصف فيها كل الأحداث والمشاهدات والشّاهد هنا مطلع قصيدة ينوه فيها بتخلفه عن ركب الجهاد يقول :

أشفقت من مرض أتاح تخلفي * يوم الرحيل عن الرّكاب الأشرف

وطَفِقْتُ أُظهر عِبرة من عِبـرة * وأَشُبُ ناري لوعـــــة وتأسف [2]

فهو بهذا يبيّن مدى تعلقه وتشوقه للجهاد ويصف أنّ الجيش سار صوب العدو ولم يلحق به فندم ندما شديدا أثر على نفسيته حتى أنه مرض مرضا شديدا جراء هذا، ولكنه بعد هذا يحاول أن يخفف عن نفسه همها الكبير بذكر مشاركة في معركة سابقة فيقول :

لكن نفى همي حضوري قبل ذا * غزوا بقرطبـــــة جلا ذكرا يفي

ووقائعا بكمـــــاتها قد خلدت * شرفا لرمحي والكميت المشرف[3]

ويصف معركة قرطبة قائلا :

فإذا الجيوش لأرض قرطبة كما * هاج البحار هبوب ريح معصف

وأعدها ملء الاباطح والـــرّبا * جرارة وأذيال نقـــــــع مردف

هذا وصف دقيق لمعركة قرطبة التي حضرها، ومن جهة أُخرى يصف السّلطان أبوعنان في ميادين الوغى وخوض المعارك الطاحنة قائلا نثرا ".. وكان مولانا يبعد عن صوب المحلات (...) المصائد

---

[1] – ينتمي إلى قبيلة عربية من نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ورد في كتابه فيض العباب أن كل من ترجم له قال أنّ ولادته عام 713هـ/1313م،بإستثناء الصفدي صاحب الوافي بالوفيات الذي قال بمولده عام 712هـ، وذلك على إثر اجتماعه به في فريضة الحج عام 738هـ، أما عن وفاته فيه خلاف على أنّ بعض المصادر قالت توفي بعد سنة 774هـ والبعض قال قبل هذه السنة وجعلوها عام 768هـ، غير أنّ التاريخ بقي في حكم المجهول لأن المؤرخين سكتوا عنه سكوتا تاما،كانت له رحلة نحو المشرق لأداء فريضة الحج بالإضافة إلى رحلته الشهيرة، له عدة مؤلفات يذكرها في كتابه فيض العباب تقارب 23 مؤلفا منها "كتاب المساجلة والمسامحة" وكتاب "إيقاظ الكرام بأخبار المنام ط وكتاب "تنعيم الأشباح بمحادثة الارواح" وكتاب "الزهرات واجالة النظرات "وكتاب "الوسائل ونزهة المناظر والخمائل .انظر:النميري، فيض العباب، ص25 ،26، 41

[2] –محمد بن علي بن محمد السّنيدي، شعر ابن الحاج النّميري الغرناطي (768/713هـ)دراسة في المضمون والشّكل، ماجستير في الأداب، كلية اللغة العربية، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1430هـ/1431هـ، ص103

[3] – محمد السّنيدي: المرجع نفسه، ص104

والمطارد ومنتحيا الجهات التي تنجم منها طلائع العدو المعاند، ويميل على الجوانب المخوفة مبتدرا للطعن إن أزفت الغارة..."وهذا يثبت وبيقين لايدعو إلى الشّك حضوره الدّائم في المعارك رغم أنّ المصادر أغلبها تذكر علاقته الوطيدة بالسلطان ولا تذكر أعماله الجليلة في مجال الجهاد [1]

وحضر عبد الرحمن بن محمد بن الإمام مع السلطان أبي الحسن غزوة طريف بالأندلس عام 740هـ[2].

لم تعطينا المصادر سببا واضحا في إرتحال العالم المغربي(الجزائري) إبن مقلاش الوهراني[3] إذ لا نتوفر على أدلة قوية تؤيد إحتمال الهجرة التقليدية.ويقوم إحتمال ثان.وهو أن يكون إبن مقلاش قد زار غرناطة زيارة عادية عابرة كان الغرض منها النّهل من علمائها أو إحتمال ثالث هو أن يكون قد انتقل إلى الأندلس إنتقال عدد من العلماء أثناء الجوازات التي كانت على عهد المرينين فترة تغلبهم على بني عبد الواد بتلمسان وفترة معاهداتهم مع بني نصر بالأندلس. وكانت هذه الجوازات أو الرّحلات إما نفورا وفرارا من التناحرات القبلية والتقلبات السّلطانية أو استجابة لاستغاثات بني الأحمر نصرة لهم ضدّ الغزو القشتالي أو أداة من هؤلاء العلماء لواجب الحفاظ على الإسلام بتلك الربوع خصوصا إذا علمنا أن هذه المرحلة تعد مرحلة فيصلية كانت فيها الأندلس ترزح تحت سيطرة الاسبان إيذانا بسقوطها[4] والقول الراجح في مسألة الهجرة هو نهوضه إلى الجهاد بهذا الصّقع الإسلامي كون غالبية العلماء في هذه الفترة اختاروا الجهاد في الأندلس كون غالبية العلماء في هذه الفترة اختاروا الجهاد على الأمور الأخرى. حتى وإن كان العكس فإن التّدريس بغرناطة وغيرها في الأندلس ساهم بحد كبير في نمو الوعي الوطني بوجود الجهاد والحفاظ على الرقعة الإسلامية،ومن العلماء الذين اشتهروا وعرفوا بمرافقة السلطان أبي الحسن المريني في غزواته محمد بن الصّبّاغ الخزرجي المكناسي ولكن المصادر لم تذكر لنا المعارك التي حضرها في الأندلس ربما كونها كانت تترجم للسلطان فغفلت عن من

---

[1] - السّنيدي، شعر ابن الحاج النميري الغرناطي، ص105 - ابن الحاج النّميري: فيض العباب، ص127

[2]- عبد الرحمن بن محمد بن الإمام: ولد ببرشك(قوراية) حيث كان أبوه إماما بها،رتحل إلى تونس مصحوبا بأخيه عيسى وبعد رحلة في طلب العلم وبعد عودته من المشرق حلّ بتلمسان حوالي 737هـ.الحاج محمد بن رمطان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر،1995،مج1، ص123، 124.

[3] -**ابن مقلاش**:تكاد المصادر تخلو من ترجمته لهذا العالم وفي هذه الدرجة من العلم في حين نجد تراجم من هم أقل منه في جل المصادر.فمعظم كتب التّراجم والبرامج لا تورد اسمه، فلا نعرف عنه لحد الآن إلاّ الاسم والنزر اليسير عن حياته.وطال الإختلاف حتى ذكر اسمه كما ورد عند الونشريسي في المعيار مرة بابن مقلاش وأخرى بابن مغلاش أنظر: عبد الرحمن بن محمد المدعو ابن مقلاش الوهراني:شرح البوردة البوصيرية (الشرح المتوسط)،تحقيق محمد مرزاق، دار ابن حزم، 1430هـ، 2009م ،ص27 إلى 52

[4] - ابن مقلاش الوهراني :شرح البردة البوصيرية، مج1، ص42، 43.

صاحبهم من ذوي العلم والجاه. وبالعودة إلى معارك أبي الحسن المريني في الأندلس وكثرتها نستطيع أن نستشعر وجود ابن الصّباغ فيها دون ذكر له ولا لكفية المشاركة[1].

ومحمد بن عبد الله بن عبد النّور النّدرومي الذي توفي في الطاعون(ت:749هـ)،ولّاه أبو الحسن المريني مهمة القضاء في عسكره الذي يحتمل أن يكون قد خاض معه معارك عديدة بحكم الإنتماء والوظيفة التي تقتضي الملازمة أحيانا كثيرة [2] ومثله في الوظيفة محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي التّلمساني[3] الذي تولى قضاء العسكر وقد يصلح عليه ما صلح على سابقه[4] .

يشير أبو عبد الله القرشي المقري إلى حاله في المعارك شعرا فيقول:

رفضت السّوى وهو الطهارة عندما * تلفعت في مرط الهوى وهو زينتي

وجئت الحمل وهو المصلى ميمـما * بوجهة قلبي وجهـــها هو قبلتي

وقمت وما استفتحت إلا بذكـرها * وأحرمت إحراما لغـــــير تحلة

فديني إن لاحت ركوع وأن دنـــت * سجود وإن لاهت قيــام بحسيرة

وفيها لقيت الموت أحمـــرا والعدا * مرزقة أسنان الرمــــــاح وحدّة[5]

ورد في تعريف إبراهيم بن أبي يحي التّسولي التّازي إشارة تدل في مضمونها على تمرس هذا العالم في ميدان الفروسية والشّجاعة غير أننا لم نجد إشارة صريحة تدل على مشاركته في المعارك ولكن مع ربط الأحداث التّاريخية بعضها ببعض نجد أنه كما قال المقري في نفح الطيب أن التّسولي ابتلي بصحبة السّلطان وفيه دلالة جلية على كثرة المرافقة،والمعروف عن سلاطين بني مرين حرصهم الشّديدعلى قيادة الحملات الحربية في المغرب والأندلس وهذا يحيلنا إلى أن الصّحبة تقتضي المشاركة أيضا، أضف إلى ذلك ثقة السّلطان المفرطة في شخصه جعلته يعتمده في السّفارة إلى الأندلس التي يكون قد خَبِرها في خروجه المتكرر إليها ،وخَبِرَ ملوكها من المسلمين والنّصارى . [6]

---

[1] – التنبكتي: نيل الإبتهاج، ص410.

[2] ابن مقلاش الوهراني:المصدر السابق ،ج1، ص48.

[3] وعرف كذلك بالمقري نسبة إلى قرية من قى الزّاب بإفريقية وهي بالمسيلة الحالية، شغل منصب قاضي الجماعة بفاس كان واشتهر بالنزاهة والعدل وكان مجتهدا حافظا مع قيام على الفقه والتفسير والعربية ويحفظ الأخبار والحديث، مع عناية كبيرة بالمنطق والتصوف.قرأ العلم بتلمسان عن السّلوي ولازم الآبلي وأبناء الإمام و لمـّا ملك أبو عنان تلمسان رحل معه لفاس وولاه قضاءها. ثم سخط عليه وعزله، توفي سنة 758هـ. التنبكتي: كفاية المحتاج، ج2، ص62.

[4] – التنبكتي: المصدر نفسه،ص62.

[5] - لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة، مج2، ص204.

[6] – المقري التّلمساني: نفح الطيب، ج5، ص387، 388

سبق وأن أشرنا إلى أن الصّحبة تقتضي المشاركة أحيانا وقد تكون للوظيفة التي تولاها العالم دور في المشاركة الميدانية في المعارك وهذا شأن الشّيخ الآبلي الذي عرض عليه السّلطان يوسف بن يعقوب المريني[1] قيادة الجند الأندلسي في بعض المناطق فلم يستطيع أن يرفض طلب السّلطان رغم أنه لم يكن مهيئ لهذه الوظيفة،ولكن المصادر لم تعطنا معلومات عن المدة التي قضاها على رأس قيادة الجيش ولا عدد المعارك التي خاضها ولا تفاصيل عنها.[2]

ومن هذه الشّخصيات حامد الغماري حيث جاءت هذه الشّخصية في عدد من المصادر نذكر منها نفح الطيب ونبذة العصر بالإضافة إلى ديوان عبد الكريم القيسي الذي مدحه بقصيدتين لا يسعنا المقام ذكرهما .

كان الشّيخ المسمى حامداً قائدا وشيخا للغزاة في مدينة بسطة وقد دافع هو وجنوده الغماريون ببسالة عن الأراضي التي بقيت بيد الدّولة النّصرية إلى نهاية القرن التّاسع الهجري الخامس عشر الميلادي وقد جاء ذكره في المصادر القشتالية بشدة البأس وصعوبة المراس[3]

ليس هذا فحسب فقد تولى عبد الله بن عمران منصب شيخ الغزاة ببسطة بين سنتي (859هـ/860هـ)ورفض خلالها التّخلي عن حصن سوليرا وتسليمه للنصارى بعد أن تنازل عليه السّلطان النّصري لصالح قشتالة مقابل الهدنة ودافع عنه بكل شراسة[4]

ولا يقل دور ابن ميمون المغربي[5] عن سابقيه حيث وبعد توليه منصب القضاء بمدينة شفشاون عكف على محاربة القشتاليين في السّواحل مما جمع له عدد كبير من الغزاة وولوه قيادتهم إلى أن إستعفى من الخدمة وآثر الرّحيل إلى المشرق وتوفي بإحدى قرى لبنان [1]

---

[1] - نتيجة لتفاقم الخصومات بين الدولة الزيانية و المرينية أُلقي القبض على والد الشّيخ الأبلي وتم وضعه في الأسر وكان قبله يقوم بأمر الجندية خلال الحصار المريني لتلمسان، وكان الآبلي قد أحسن الظّن في يوسف بن يعقوب المريني وفي عفوه الذي كان لا يرى مانعا من العفو عن المأسورين وخاطر بنفسه و خرج من تلمسان قاصدا بلاط فاس تدفعه في ذلك غريزة الأبوة ، وهو في مجلس السّلطان أخذ يستعطفه في أمر ابيه غير السلطان قابله بالرفض، حينها توسم سلطان في الآبلي خيرا عرض عليه العمل كقائد للجيش الاندلسي،أنظر: بن خلدون: التّعريف بإبن خلدون، ص34- يحي إبن خلدون، بغية الرواد، ج1 ، ص17 .

[2] - عبد الرحمن بن خلدون: التعريف بإبن خلدون، ص34- يحي إبن خلدون: بغية الرواد،ج1 ، ص17 .

[3] - محمد عبد المؤمن: المرجع السابق،ص79-عبد الكريم القيسي البسطي، ديوان البسطي، تحقيق مجموعة من الباحثين التونسيين ، بيت الحكمة ، تونس، 1988، الطبعة الأولى، ص437، 485 .

[4] - البسطي، ديوان البسطي، ص265، 490- محمد عبد المؤمن: المرجع السابق، ص79 .

[5] - ابن ميمون المغربي أبي بكر بن يوسف الهاشمي الحسني الإدريسي الفاسي المالكي يكنى أبو الحسن، قاضي من العلماء الغزاة ولد بغمارة وأقام بفاس، من مؤلفاته" الرسالة الميمونية في توحيد الأجرومية "، وكتاب" تنزيه الصّديق عن صفاة الزنديق" دفاعا عن

إستشعر العلماء دورهم المنوط بهم في الحروب المتواصلة تجاه الغزو النّصراني للأراضي الأندلسية منذ وقوعه متمثلا فكريا بالدعاية للجهاد، وعملوا ما بوسعهم القيام به من الحضّ على الجهاد والعمل على رصّ الصّفوف ونبذ الفرقة بعيدا عن المشاركة العسكرية والحضور الشّخصي في المعركة، هذا ليس حكم عام على العلماء وإنّما إختصّ به البعض فقط، ولعلّ هذا التمنّع عن الحضور كان بسبب رؤية العالم أنّ هذا الأمر خارج عن المهام الأساسية المنوطة بالعالم المتمثلة في إستعمال القلم كسلاح والعمل على نشر العلم عن طريق التأليف والتّدريس والخطابة وغيرها من الوسائل، ولعنا نورد هذا في النّموذج المشرقي العماد الأصفهاني الذي قال بهذا صراحة على إثر عدم مشاركته في موقعة الرّملة وتخلفه عنها زمن الحروب الصليبية عام 573هـ/1177م حين قال"وأنا صاحب قلمٍ لا صاحب عَلَمٍ (راية).. وهذه نوبة السّيوف لا نوبة الأقلام وفي سلامتنا سلامة الإسلام والواجب على كل منّا أن يلزم شغله ولا يتعدى حدّه ولا يتجاوز محلّه .."[2]

رغم هذا لم نكد نصادف نموذج من هذه النّماذج التي عزفت عن الحضور الميداني في المعارك وهذا راجع ربما إلى التّرجمات المقتضبة أحيانا للعلماء وفي أحيان أخرى التّركيز على الجانب العلمي وإهمال السّياسي وفي أخرى ترجمة العالم لنفسه على شاكلة المذكرات التي تقتصر على ذكر الإنجازات وإهمال كل ما من شأنه الإنقاص من قيمة العالم، رغم هذا فقد شهدت المواجهات العسكرية التي دونتها لنا المصادر مشاركة كثير من العلماء ورجال الدّين في المقاومة المسلحة وتعددت طرق المشاركة كحمل السّلاح وقيادة الحملات والمشاركة في المرابطة على الثّغور والمشاركة في حصار المدن والمشاركة في وضع الخطط والمشاورة،وأثبت هذا الدّور سقوط عدد الكثير منهم شهداء في ساح المعارك وفي هذا دليل واضح وجلي على تعدد مساهمتهم من جهة وأهمية المشاركة والمقاومة من جهة أخرى[3].

ج/جهاد العلماء المتصوفة:

أولى العلماء من المتصوفة عناية فائقة للوطن قولا وعملا كون حُبَّهُ مرتبة سامية من مراتب الإيمان، ومما لا شك فيه أن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام وبغية ومراد كل مسلم هو أن يكون في

=ابن عربي، وفي دار الكتب بالقاهرة، وكتاب" غربة الإسلام في مصر والشام وما والاها من بلاد الروم والأعجام"و "شرح مقدمة الجزولية "،توفي عام 917هـ، أنظر: الزركلي:الأعلام، ج5، ص27- البغدادي: هدية العارفين، ج1 ، ص741 .

[1] - الزركلي: الأعلام، ج5، ص27 - محمد عبد المؤمن: المرجع السابق، ص79 .

[2] - أبو شامةشهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،2002،ج2، ص301

[3] - لؤي البواعنة: دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الصّليبي، ص208

صفوف الشّهداء في سبيل الله، فنجد أنهم كانوا الدّرع الحامي للوطن في النّائبات وقت تكالب الأعداء وهذا بالعمل على التّعبئة العامة للجهاد في الحملات التي كان يرسلها السّلاطين من المغرب والأندلس من حضّ ومشاركة وكذا محاولة لم الشّمل والكلمة[1]

يعد الجهاد من الأعمال التي ميزت الصّوفية في المغرب والأندلس،ساعدهم على ذلك جبهة الأندلس المفتوحة وعدو يتربص بهم الدّوائر ينتظر الوقت المناسب للإنقضاض،هذه الجبهة شكّلت متنفسا للصوفية الباحثين عن سمو الرّوح عن طريق جهاد النّفس والجهاد في سبيل الله لنيل أعلى درجات الشّهادة وهذه المشاركة من جانب الصّوفية في الجهاد تعد عاملا طبيعيا نابعا من طبيعة المغرب الذي يعد ثغرا من ثغور المسلمين، أي منطقة حدودية أمامية تشرف على دار الحرب ،الأمر الثّاني هو دور الزّوايا التي سكنها الصّوفية وجعلوها منطلقا لدعوتهم الدّينية التي جعلت شعارها مقاومة الأجنبي وبث الحمية الوطنية،الأمر الذي جعل نداءات علماء الصّوفية تلقى آذانا صاغية لدى مرتادي هذه الزّوايا بعد أن وثق العامة بهم وبحسن سلوكهم[2].

لم المصادر تسعفنا في وضع تصور عن العلماء الصّوفية ودورهم في هذا المضمار غير أننا وجدنا أنهم كانوا يشاركون بعض السّلاطين في حملاتهم الحربية مثل السّلطان أبي الحسن الذي كان محبا للعلماء والصّالحين وكان دائما يستصحبهم في كل حروبه وأسفاره، ولا شك أنه كان يصحب معه العلماء من الصّوفية وغيرهم إلى الجهاد بالاندلس.

حضيت الرّحلات المتعددة للعالم الصّوفي الشّستري بمدينة قابس بعد مدينة فاس ثم مكناس حيث عاش فترة من الزّمن في رباط قابس لم تذكر المصادر مشاركة له في الجوانب العسكرية الجهادية رغم قداسة فريضة الجهاد عند الصّوفية الذين وهبوا أنفسهم لها، و إعتمدت المصادر في التّرجمة له على الجوانب الرّوحية والعرفانية وأحيانا الغلو في كراماته، ولكن من خلال التّرجمة له في آخر حياته بالمشرق العربي أثناء رحلته إلى مصر ودمياط وغيرها توحي أنه كان كلفا بالجهاد متعود عليه معتقدا بواجب تحرير الأوطان، فقد حارب الشّستري الصّليبيين مع رجاله من الصّوفية عام 1249م وإتخذ له رباطا بها

---

[1] – صالح شكاك:حب الأوطان من مراتب الايمان ، مجلة التّصوف وفقه التّحرر،جامعة القنطرة، المغرب، دت، ص16

[2] – أسعد الخطيب: البطولة والفداء عند الصّوفية دراسة تاريخية، الطبعة 5، دار التّقوى، دمشق، سوريا، دون تاريخ ص163

وورثه الشاذليون بدمياط فيما بعد[1]وربما هذا سندنا في إثبات الدّور الذي قام به في جهاد النّصارى فكيف يقوم به في المشرق ويغفل عنه في أرضه المغرب.

نشر المؤرخ"فرناندو دي لا جرانخا" مقالة في مجلة بالمعهد المصري للدّراسات الإسلامية مقالاً مطولاً حول كتاب" تحفة المغترب ببلاد المغرب في كرامات الشّيخ اليحانسي(البجانسي)[2] الذي ألّفه تلميذ هذا الأخير.ضمّنه حوالي المائة وأحد عشر جزءًا من حياة وخاصة عن كرامات هذا الشّيخ الجليل. ومن جملة ما يحدثنا عنه وهو مدار حديثنا في هذ المبحث وهو مشاركة أبي مروان اليحانسي في الجهاد في ثغور غرناطة محرضا المسلمين على التّصدي للعدو المشترك[3] .

وفي معرض سرده لكراماته الكثيرة التي سجلها عنه تلميذه القشتالي (وقيل الفشتالي)كونه كان مرافقه في كثير من محطات حياته أو التي سمعها عنه ومن جملتها ما عنونها فرناندو دي لا جرانخا ب" ومن تأثير همته فيمن يأخذ برأيه ووقف مع مخالفة أمره ونهيه" وذلك أن أهل حصن قنجاير من وادي المرية كانوا قد بايعوا محمد بن يوسف بن نصر و نقضوا بيعة ودعوة عبد الله ابن الرّميمي الذي كان مصالحا للروم إذ ذاك.فلما رأى صنيعهم هذا حاول تسوية الأمر وذلك بأن وجه ابنه عبد الله بأربعة مائة فارس مسلم يدعمهم في ذلك فرسان النّصارى وحاصر المرية حصارا شديدا ونصّب المنجنيق استعدادا لدك أسوار الحصن، وكان الشّيخ أبو مروان اليحانسي في جملة من بالحصن.فطلب عبد الله بن الرّميمي من الشّيخ في التّوسط لأهل الحصن للرجوع إلى الطاعة.فكان له ما أراد وطلب أهل

---

[1] – علي سامي النّشار: أبو الحسن الشستري، ص144- عبد الله بن عبد القاد التليدي: المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، دار الأمان الرباط ، ط4، 1424هـ/2003م ،ص128 .

[2] – ينسب إليه برج أليحانس: ohones بولاية المرية وقيل أنّ البرج كان يستخدم كمركز حراسة متقدم حيث توقد في أعلاه النيران عند ظهور العدو في البحر ويقع حاليا في Elena –punta ولعله أليحانس الحالية، لم نجد له ترجمة كاملة في التراجم إلّا هذه الشّذرات لعبد الحق البادسي في كتابه"المقصد الشّريف" كونه الأندلسي الوحيد الذي يذكره مع صلحاء الرّيف لأنه استقر بسبتة آخر أيامه إلى أن مات بها فيقول:"ومنهم العارف المحقق السالك المتحقق صاحب المجاهدة والحق المسلوب عن الأحقاد والإحن جواب الأفاق ومجير الرفاق قاتل عبدة الصلبان من الأساقف والرهبان منير دياجي الظلام الحالك"انظر:عبد الحق بن اسماعيل البادیسي:المقصد الشّريف والمنزع اللطيف في التّعريف بصلحاء الريف،تحقيق سعيد أعراب ط2،المكتبة الملكية،الرباط .1414هـ-1993م،ص99.وهو الآن مدفون بسبتة بمقبرة أحجار السّودان وضريحه ضريح مشهور يصعد منه النّور حسب ما ذكر بن عبد المالك الأنصاري ولعل الرّواية مبالغ فيها قليلا تدخل في باب الخرافة:أنظر: محمد بن القاسم الأنصاري السّبتي :إختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار،تحقيق عبد الوهاب بن منصور،الطبعة الثانية،الرباط 1403هـ،1983م، ص25.

[3] –فرناندو دي لا جرنجا: تحفة المغترب ببلاد المغرب،مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد،المجلد السابع عشر، مدريد 1972-1973،ص10.

الحصن من عبد الله رفع الحصار عنهم والعودة أدراجه وفي المقابل يترك من يكون ضامنا له في الحصن وتمّ الإتفاق على ترك مشرفه نيابة عنه في الحصن،ولكن ابن الرّميمي أصّر على أن يدخل الحصن قائلا"هؤلاء هم المسلمون معي والرّوم وليس لأهل الحصن بـمن يلوذون ولا من ينصرهم"هنا قال عريف المرية للرّميمي"يا سيدي هذا المنجنيق على الخلاص والله ما يبقى لهم بقية من نسورهم في أسرع وقت"فرد الشّيخ اليحانسي وفي قدرة الله أن يحرق ذلك المنجنيق بالزيت الذي يعمل به" فقال العريف "سلامة الله أطلب أنا لا أعمل شيئا أدخل رأياً والرّوم هم الذين يعلمون"[1] حمل ابن الرّميمي كتاب أبيه وأراه للشّيخ مكتوب عليه جملة من الشروط المفروضة وهي أن يحصل الرّوم على سبي الحصن ويهدم عبد الله الحصن وبالتالي يكون قد انتقم من صنيع أهل الحصن يقول الشّيخ"...فاجتمعت مع الحريمل قائد فرسان المسلمين في الحصن لولا أنتم واختلاطكم مع الرّوم لخرج أهل الحصن على الرّوم وأفسدوهم فلو انفصلتم عنهم وانحرفتم لجانب عنهم لنفسوا عن أنفسهم فوعد القائد بتطبيق الخطة فانحرف عن أهل الحصن بناحية وطلب الكلام مع الرّوم في خطة الإلهاء..يضيف الشّيخ قائلا: فلما رجعت لأهل الحصن قلت لهم "الحر فيكم كذا وكذا وأن تقتلوا ويسبى حريمكم فتراني أخرج عنكم إلى يحانس، فإذا كنت في منتصف الطريق فاخرجوا على الرّوم خرجة رجل واحد والله يعينكم. فلما صرت في نصف الطريق إلّا والنّاس قد هجموا على الرّوم وأوقعوا فيهم القتل الرّهيب وأحرقوا المنجنيق كما قال الشّيخ وأحرق الرّوم الذين صنعوه ورجع الرّميمي خاسرا مخذولا.." فكانت كلمات الشّيخ التي بثها في أهل الحصن بمثابة الشّعلة التي أنارت أمامهم درب المواجهة والقتال فنجح في تحريضه لهم[2]

ومن جملة المواقع التي عاشها وحضرها الشّيخ اليحانسي بنفسه يوم توجه رفقة أبي الحسن المريني إلى وادي آش عام (663هـ/1265م) والعمل على استرجاع حصن كان النّصارى قد غنموه وتوجه الشّيخ أبو مروان اليحانسي ومن كان معه الصّوفية .فوقع الحصار وقاتل أهل الحصن نحو يومين وليلتين إلى أن تمّ للمسلمين إستعادته .وكان قبلها أبو الحسن المريني قد سئم وملّ من الحصار وهـمّ بالرحيل عن الحصن لولا أنّ أبو مروان هذا سعا إلى منعه عن الرّحيل بعد أن هـمّ به فقال الله الشّيخ إلى أين؟ قال اهبط للوضوء قال له الشّيخ يساق لك الماء وتتوضأ هنا والله من هنا يفتح الله الحصن بحول الله تعالى.وكان ما أراد الله له أن يكون حيث ما إن حلّ الغروب كان المسلمون قد ملكوا

[1] – فرناندو دي لا جرنجا: تحفة المغترب المرجع السابق، ص74.

[2] – فرناندو دي لا جرنجا: نفس المرجع، ص75.

الحصن.فجاء أبو الحسن إلى الشّيخ وقبّل رِجل الشّيخ[1] بعد أن نزل من فرسه.وقال له"يا سيدي قد كنت عزمت على الهروب لولا أنت والله هذا الحصن إلاّ ببركتك والحمد لله"[2] غير أن حيثيات المعركة لم تذكر ولم يذكر غير بركة الشّيخ وإغفال الطريقة التي تمكّن المسلمون من خلالها دخول القصر .

وقبل هذه الفترة بكثير وبالضبط أثناء حصار الرّوم لمدينة قرطبة قبل أن يتمكنوا منها عام (633هـ-1236م) قصدالشّيخ قرطبة محاربا مجاهدا ولكنه لم يستطع بلوغها نظرا لشدّة الحصار المضروب عليها فآثر الرّحيل في اتجاه غشبيلية للرباط بها[3] كون الرّباط من التّقاليد الإسلامية الحميدة للدّفاع عن ثغور المسلمين[4].

ومن أوجه المشاركة أيضا إستشعار سلطان غرناطة لبركة الشّيخ اليحانسي وهذا حين وفد عليه من غرناطة إلى وادي آش مستغيثا من أمر ملك قشتالة الذي طلب منه الدّعم العسكري والسّير بجنوده لقتال ملك برشلونة خصم قشتالة، وهذا ما نصت عليه معاهدات هدنة سابقة تعهد فيها سلطان غرناطة بتقديم العون لملك قشتالة عند الحاجة إلى ذلك وهي بمثابة إتفاقيات الدّفاع المشترك في وقتنا، وعند ذلك دعا له الشّيخ ووعده النّجاة وطمأنه مما يخاف[5].وقتها تراجع ملك قشتالة عن قراره وأمر سلطان غرناطة بالرّجوع إلى دياره والكفّ عن قتال خصمه ملك برشلونة[6] .

ما يمكن أن نستخلصه من سيرة هذا العالم الصّوفي أنه لم يكن زاهدا منقطعا إلى العبادة فحسب بل شارك مشاركة فعالة في الرّباط والجهاد ضد الرّوم ذوداً عن أرض الإسلام. وكانت الأندلس إذ ذاك تعاني فترة عصيبة أعقبت سقوط الموحدين ونتيجة ذلك كَلَبَ الرّوم على أرض الأندلس واستولوا على حواضرها.

من العلماء الصوفية الذين شاركو في الجهاد وذكرتهم المصادر الإمام الصّوفي محمد المقري[7] الذي كان يحظى بإحترام وحب كبيرين من السّلطان ابي عنان المريني،ولعل هذه العلاقة لعبت دورا في

[1] -أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب ،ليبيا ،تونس 1984، ص274.

[2]- المرجع نفسه، ص275.

[3] - نفسه،ص272.

[4] - نفسه، ص273.

[5] - أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، ص273.

[6] - المرجع نفسه، ص274.

[7] -ولد في بيت علم وتدوين ونباهة، ومكانة لدى الحكام، تعلم وروى عن علماء كثيرون في المغرب والمشرق وهذا يعود إلى رحلاته الكثيرة، برع في الكتابة والشّعر مكناه من إكتساب ملكة لغوية ضمنت له مكانة مرموقة لدى حكام عصره، كتب في البلاغة والأدب والحديث والفقه، من مؤلفاته في التّصوف "اللّباس والصّحبة في جمع طرق المتصوفة"انظر: المقري التّلمساني: نفح

الإرتقاء به في الدّرجات والمناصب كونها كلّلت بتعينه كبيرا للقضاة في عاصمته، غير أَنَ توتر العلاقات بين الرّجلين بدا واضحا خاصة بعد عزله عن مهمة القضاء عام 758هـ/1355م الشّيئ الذي ترك المقري يفكر في الرّحيل إلى غرناطة وكان له ذلك ونزل بحضرة سلطانها ابن الأحمر الذي أكرم وفادته وحفظ له مكانته،ولكن بعد أن زالت أسباب الضّغناء وعاد إلى المغرب حيث عمل السّلطان أكثر أبو عنان على تلطيف الأجواء وأعاد له منزلته المعهودة وأصبح يصحبه في كل خرجاته وحملاته تقريبا ،ولم يكتف بذلك بل وعينه بالموازاة مع ذلك قاضيا للجيش،فحضوره الدّائم في حملات السّلطان دلالة على حب السّلطان له ورغبته الكبيرة في الدّفاع عن الحوزة الاسلامية والاستشهاد والسّمو[1]

02:دور العلماء الأطباء في المعارك:

لعل نبوغ المسلمين في علم الطب جعلهم محط أنظار الغرب النّصراني بغية النّهل من هذا العلم سواءا بتعلم العربية ومحاولة ترجمة أمهات الكتب في الطّب أو محاولة استمالة العلماء إليهم بشتى المغريات، ولعل هذا النّبوغ ترجم على أرض الواقع ببناء المستشفيات وبداية علم التّخصص في الطّب بعد أن كان عاما،حيث خصص فيه لكل فئة جزء مقسوم،وكان الطّب النّظري محط اهتمام عدد كبير من الأدباء والفقهاء والعلماء من غير ذوي الإختصاص فيه نتيجة العناية الكبيرة التي أولاها السّلاطين لهذا الجانب من العلوم فضلا عن المهمة الصّحية التي يمليها عليهم الجانب الإنساني،وفي المقابل اختار قسم من العلماء ميادين القتال للقيام بهذه المهمة وتخصصوا في الجانب العسكري،وكنموذج لهذا يذكر العالم الأمريكي"فيكتور روبنسن"أنه كان بطليطلة وحدها ما يزيد عن400 مستشفى غير أنه لم يفصل في شرحها، غير أنّ المنطق يقول أنّ المستشفيات في طليطلة وفي عامة الأندلس كانت تخصص للاغراض العسكرية أيضا في مجال تطبيب الجند في الغزوات وبعدها[2]

=الطيب،ج5 ،ص531–جماعة من الأساتذة: تراث الأندلس تكشيف وتقويم نماذج تقدي المؤلفين والمؤلفات،إشراف محمد حجي، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية ،الدار البيضاء، المغرب،1993 ،ص53

[1] –العباس بن إبراهيم السّملالي: الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، المطبعو الملكية، الرباط،1413هـ، 1993م ، ج4،ص383

[2] – راجي عباس التكريتي: الاسناد الطبي في الجيوش العربية الإسلامية ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام(سلسلة الدراسات)، الجمهورية العراقية،1984،ص202 ،203–جاء في كتاب وفيات الأعيان لإبن خلكان(نقلا عن التّكريتي)أنّ بعض المستشفيات كانت متحركة يحملها أربعون جملا وكانت هذه المستشفيات مجهزة بكل ما يلزم المرضى وهي ميدانية ترافق الجيوش اينما حلّت: انظر:التّكريتي: الاسناد الطبي في الجيوش العربية، ص203–عبد العزيز فيلالي: بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى،الجزائر 2014، ص118 ،119 .

قام الأطباء الأندلسيون بمهام عدّة في ميادين المعارك لازمت الوظيفة التي شغلوها كأطباء وهذه المهام مع تنوعها تنحصر خاصة في مرافقة الحكام والقادة العسكريين كمقاتلين حتى عرف عن بعضهم الفروسية كالطبيب عبد الله بن إبراهيم الثّقفي العاصمي، بل لقي عدداً كثير منهم حتفه وهو يجاهد في سبيل الله صابرا محتسبا في تلك المعارك ومن ذلك وفيات معركة العقاب 609هـ/1212م فقد توفي فيها كل من الطّبيب عبد الله الهمذاني الغرناطي والطبيب محمد الدّاني الذي استشهد وهو يطبب جرحى المعركة [1].

قام الأطباء بدور مميز في المعارك التي شاركوا فيها حيث قدموا خبرتهم في مجال الطب العسكري وهذا من خلال إعطاء تعليمات في مجال التّداوي وكذا وصفهم لمواد سامة تستخدم في طلي السّيوف والسّهام لكي تكون أكثر فتكا وأبلغ في القتل ومن تلك المواد التي استخدمها الأندلسيون في طلي سيوفهم في المعارك مادة الأينون[2]وأهرن القس[3] والطّخشيقون[4].

ساهم الأطباء في علاج المرضى لأنه من المهام الأساسية في أماكن القتال، ولا يمكن الإستغناء الطبيب كون بعض الإصابات تحتاج إسعافا سريعا"مخافة الهلاك، والأخرى يمكن للمقاتل من العودة للقتال في نفس المعركة أو التي تليها كالكسور والرّضوض أو ما يصيب النّاس من أمراض جراء الحصار المضروب على البلاد على غرار الطواعين والأوبئة وصنّفوا في ذلك مصنفاتهم،كل حسب طبيعة المرض فمنها ما تعلق بجروح القتال ومداواة الإصابات ومنها ما تعلق بعلاج السّموم فألف ابن البيطار كتاب السّموم وكتاب ومثله الزّهراوي الذي ألّف كتابه"التّصريف" الذي خصّص الفصل الثّالث والتّسعون منه لإخراج السّهام من الجند المصاب والأدوات المستعملة لإخراجها ،ولعل تفاني الأطباء في أعمالهم الحربية جعلهم محط إعجاب الجانب النّصراني إذ وفي كثير من الحالات استعان جرحى النّصارى واليهود بأطباء المسلمين كون العملية إنسانية بغض النظر عن العدو والصّديق[5].

---

[1] –ابراهيم بن عطية هلال السّلم: الطب العسكري الأندلسي من القرن الرابع هجري إلى القرن الثامن الهجري دراسة تاريخية حضارية ،مجلة دراسات حوض النّيل،جامعة أم القرى، قسم التاريخ العدد18، ص

[2] – الأينون: ويعرف كذلك بالراسن بحيث اذا أصيب به المقاتل فسوف يموت من ساعته(انظر:ابراهيم هلال السلمي: المرجع نفسه، الصّفحة غير واضحة .

[3] – أهران القس: خطير جدا ريحه قاتلة–هلال السّلمي: الطب العسكري الأندلسي،المرجع السّابق، الصّفحة غير واضحة .

[4] – الطخشيقون: يعرف طقشقون:هو مادة سامة تستعمل كدهان تطلى به السّهام ويعرف بكثرة لدى أهل أرمينية(إبراهيم هلال السلمي، نفس المرجع)،

[5] – إبراهيم هلال السّلمي،المرجع السابق، ص139.

لم يكتف الأطباء بعلاج المرضى بل ساهموا بقدر كبير في نقل خبراتهم الطبية لغيرهم حتى يعمّ النّفع ، خاصة ما تعلق منها بالإسعافات الأولية وإخراج السّهام وإيقاف النّزيف وخياطة الجروح[1].

قسم الأطباء الإصابات على حسب خطورتها وموضع الإصابة إلى قسمين:

إصابات في الأعضاء الرئيسية(خطيرة)كالدّماغ والقلب والرئة والعينين والأمعاء والمثانة والعروق الضّاربة والأعصاب.

وإصابات في الأعضاء غير الرئيسية(غير خطيرة): كالوجه والحلق والصدر والظهر واليدين والسّاقين والأربطة والأوتار والعضلات[2].

كما صنفوا كذلك في أنواع الأسلحة المسببة للإصابات التي وقعت للمقاتلين من سهام ورماح وسيوف وسكاكين وأعواد وحجارة وحجم خطورة كل سلاح، كانت في مقدمتها السّهام فعمدوا أيضا إلى وصفها وذكر أنواعها ومدى تأثيرها على المصاب فنجد الطبيب محمد القربلياني قد صنّف في هذا كتابه الشّهير ب"الإستقصا والإبرام في علاجات الجراحات والأورام"[3].

مع الأطباء دائما فلا نستبعد حضور العالم أبا عبد الله بن السّراج الطّليطلي(ت:730هـ/1329م)[4] في المعارك التي كان يقودها السّلطان النّصري محمد الفقيه بنفسه كونه كان ملازما له وشغل منصب طبيب الدّار السّلطانية[5]على غرار ماكان يقوم به من خدمات طبية في المعالجة في المنازل والإشراف على حالة النّاس الصّحية خاصة منهم ذوي الدّخل المحدود ورفع معنوياتهم والتّخفيف عنهم [6]

---

[1] - ابراهيم هلال السّلمي:الطب العسكري، ص140-استعمل الأطباء المغاربة والأندلسيين الزيت المغلي أو القطران الساخن والحناء وصمغ الصنوبر والفحم لتضميد الجراح ووقايتها من التّعفن واستعملوا أيضا الصّوفان والمساحيق المستخلصة من اليقطين ودقيق الفول لإيقاف النزيف انظر:عادل عواد الطائي-الصّنوف والخدمات في جيش دولة المرابطين(430-539هـ/1038-1144م)في المصادر والمراجع العربية ،الفكر العسكري العربي، مجلة شؤون عربية الموصل، العراق 2012،العدد 19، ص440.

[2] - ابراهيم هلال السّلمي: الطب العسكري ، ص141.

[3] - المرجع نفسه ،ص142.

[4] -سبق تعريفه في الفصل الثاني (مبحث: الحالة الاجتماعية)

[5] -لسان الدين بن الخطيب :الإحاطة، ج3، ص160.

[6] -ابن حجر العسقلاني:الدّرر الكامنة ، ج1، ص11 –كان ملوك غرناطة حريصين على أن يجعلو للطب والأطباء مكانا خاصا في قصورهم تشبه إلى حد كبير هيئة الأطباء يرأسها الحاذق في المهنة، انظر: المغراوي رابح عبد الله: تاريخ الأوضاع الحضارية لمملكة غرناطة من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لإبن الخطيب (713هـ/76هـ) حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، 2000 ، ص175

ساهم أطباء الأندلس في حفظ الصّحة زمن الحروب وفي غيرها كالحصار الذي كان يضرب على مدن الأندلس وتطول مدّته في الغالب، وما يصاحبه من نقص في التّموين يؤدي إلى ظهور بعض الأمراض الخطيرة مثل الطّواعين وغيرها وكذا أمراض المياه الرّاكدة و المعدية والتي يكون سببها سموماً طرحها النّصارى في الآبار ومصادر المياه[1] جعل من الأطباء في رحلة بحث عن الخلاص من هذه الأمراض مستعملين ما أتيح من لهم من أعشاب الأرض،أو طرق أخرى على غرار الكي الذي كان يستعمل كعلاج لمرض" الدّبيلة" وهو عبارة عن تكيس يصيب المعدة أو المثانة يؤدي إلى إحداث ثقب في المعدة.يتم كيها بمكواة أسفلها لإخراج القيح[2] .

برز عدد كبير من أطباء الأندلس وذاع صيتهم خاصة في علاج إصابات الحروب والأمراض الملحقة بها[3]ونذكر منهم أبو عبد الله محمد بن علي بن فرج القربلياني(ت:761هـ/1332)[4]الذي نال

[1] – هلال السلمي: الطب العسكري، المرجع السّابق، ص143.

[2] – المرجع نفسه، ص144.

[3]– هلال السلمي: الطب العسكري، ص150.

[4] – هو أبو عبد الله بن علي بن فرج القربلياني الملقب بالشفرة أصله من قربليان الواقعة تحت حكم النّصارى، وعلى هذا فإنه يعتبر من المدجنين أي المسلمين الذين كانوا يقطنون البلاد الواقعة تحت حكم النصارى في اسبانيا (قربليان هي بلدة من نواحي القنت أو ألكنت(الحالية) قريبا من بلدة ألش من أعمال بلنسية)، تتلمذ على يد أبيه ببلده، وأخذ علم الجراحة(كانت تسمى بصناعة عمل اليد في ذلك الوقت) عن بعض محسني هذا العلم من الرّوم النّصارى، حيث يذكر في أحد كتبه في الجراحة وهو كتاب الإستقصاء والإبرام الذي حققّه محمد العربي الخطابي ونقل نصه الكامل في كتاب" الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية " أنّ أحد شيوخه من النّصارى إسمه أليشو بيرناد دعا السّلطان نصر الملقب بأبي الجيوش إبن فرج لخدمته في وادي آش، حيث أنشأ إبن فرج في قصر السّلطان بستانا جعله منبتا لكثير من الأعشاب الطبية يقول عنه ابن الخطيب كان رجلا ساذجا مستغلا بصناعة الطب عاكفا عليها عمره محققا لكثير من أعيان النّبات كلفا به متعيشا من عشبه أول مرة...تصدر للعلاج ورَأَس به وحفظ الكثير من أقوال أهله.عالج السّلطان نصر المستقر بوادي آش وقد طرق من بها مرض وافد...أقام بمراكش سنين ثم رحل إلى غرناطة عام أحد وستين وسبعمائة وبها هلك على إثر وصوله.." وبالإضافة إلى مراكش وغرناطة فقد زاول مهنته وباشر في علاج المرضى والمصابين بالسهام أو بكسور في العظام وغيرها من الأمراض في مدينة سبتة وفاس، قرأ على علي عبد الله بن سراج وغيره من أهل الإختصاص.

تناول المستعرب الفرنسي"رونو" في بحثه الذي أنجزه عن الطبيب القربلياني في سنة 1935 كتب" بعنوان "جرّاح مسلم من مملكة غرناطة "، كما أن الطبيب الفرنسي "لوسيان لوكيرك "في كتابه الشهير" تاريخ الطب العربي تحدث أيضا عن إبن فرج، توفي عام 761هـ.أنظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص176- إبن حجر العسقلاني: الدّرر الكامنة،ج4،ص70-محمد العربي الخطابي:الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية،دراسة وتراجم ونصوص،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ج2،ص28،29-ابن الخطيب:الاحاطة،ج3، ص179–الزركلي:الاعلام،ج6، ص285(بيروت،1984)-كمال السّامرائي:مختصر تاريخ الطب العربي

شهرة واسعة في الجراحة حتى عُرِف بالشفرة. اهتم بعلاج إصابات السّهام وكسور العظام، ولعلّ المقالة الثّالثة من كتابه الإستقصا تخص بالذكر الأدوية المفردة والمركبة التي تصلح لعلاج الأورام والجروح والكسور وإخراج الشّظايا وتضميد الرّضوض وما إلى ذلك[1]ومما يذكره القربلياني في مجال المدواة يقول رجل آخر وقع به سهم في العين اليمنى فشارفت عينه على البروز وأبى السّهم أن يخرج وكان يضمّد على العين بالسّريس[2]مدقوقا. حتى كثر القيح فكان دائم النّوم على وجهه فلما كان بعد شهر أو أزيد شعر بشيء ثقيل فظهر السّهم فجذبه وبرئ الجرح. وفي أخرى يقول أن شخصا ضربه علج كان أسيرا عنده بشاقور على رأسه الأيمن وهو نائم فدفع من العظم بطول أصبع وعرض أصبعين وبقى مسكوتا بطول ثلاثة أيام فدخلت عليه ونقيت جرحه والعظم قد ارتفع إلى ناحية أعلى الرأس وظهر الدّماغ فتركت العظم في موضعه ونقيت الجرح وجعلت عليه خرقة.

بالإضافة إلى أطباء آخرون نذكر منهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الدّاني، وعبيد الله الهمذاني ومحمد بن فتح طلمون القرطبي الذين كان لهم باع كبير في مجال الطب العسكري[3] .

إضافة إلى هؤلاء فقد ساهم أطباء الدّار السّلطانية في غرناطة وهم كُثر في علاج المصابين في المعارك كونهم كانوا يهرعون إلى الجهاد كلما نهض السّلطان فيكونوا من خاصته والمرافقين له،والمشاركين في المعارك حسب ما تقتضيه الضّرورة فمرة بالسّيف ومرة بالتطبيب. ونذكر منهم أحمد بن محمد الكُزَنِي ومحمد بن عبد العزيز بن سالم القيسي(ت:717هـ/1317م)[4]

وأبو عبد الله بن سراج (ت:741هـ/1329م)وعبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السّلماني(ت:741هـ/1340م)والد لسان الدّين بن الخطيب الذي استشهد في معركة

=،دار النضال،بيروت،لبنان، 1990، ص522-محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس، ج2، ص35 – محمد عبد الناصر كعدان: النظرية السببية للأورام عند القربلياني في منظور علم الأورام الحديث (مقال منشور على الأنترنت)

[1] – ابراهيم هلال السلمي: الطب العسكري، ص149، 150، 152.الزركلي: الأعلام، ج7، ص176– إبن حجر العسقلاني:الدرر الكامنة ،ج4 ،ص70– محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي(مدخل ونصوص) الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص30 ، 31

[2] – السّريس: (الهندباء)كما أنه مفيد في علاج الكبد ومدر للبول ويعالج النقرس كما يستخدم مسكنا لالام المعدة وهي تعالج الأورام في العين وتقاوم السّموم ولدغ العقارب.

[3] – هلال السلمي: الطب العسكري ، ص153.

[4]- فاطمة بلهواري،عبو دليلة:أطباء الدار السلطانية في عصر بني الأحمر(635هـ-897هـ/1238م-1492م) وجهودهم الطبية– المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية ،المجلد5،العدد09،جوان 2015، ص13.

طريف[1] ومحمد بن احمد الرّقوطي الذي كان يجادل النّصارى.ولسان الدّين بن الخطيب (ت:776هـ /1374)[2] .

ومنهم أيضا غالب بن علي بن محمد اللّخمي الشّقوري المكنى أبوتمام طبيب من أهل غرناطة الذي توفي بمدينة سبتة عند حركة مخدومه أبي الحسن المريني فاتجه إلى الأندلس قاصدا للجهاد وهذا الكلام يحيلنا إلى الاستعداد الدّائم لهذا العالم للمشاركة في المعارك[3].

كما يتضح دور المرأة الجهادي في الغرب الإسلامي جليا حيث اعتادت الخروج مع الرّجال للغزو في حملات عديدة وبرزت في ساحات المعارك محرضات مرغبات أزواجهن على الإستماتة ومحذرات من الإدبار والتّولي مستعملات الشّعر والنّظم، كما حرصت النّساء دوما على التّكفل بالجرحى وكذا بالعناية بالأسرى في سجونهم غير أن البحث عن نماذج النّساء العالمات في هذا المجال حال دون إعطاء أمثلة عن دورهن في المشاركات الميدانية فتكتفي المصادر والمراجع بذكر الإطار العام للمشاركة دون إفراد .[4]

03: جهاد العلماء عشية سقوط غرناطة:

قَدَّمَ المسلمون ضُروباً رائعة في البسالة والإقدام لقتال العدو المحاصر مرات عديدة مستعملين في قتالهم أسلوب الكرّ والفرّ، ما سبب للنّصارى هلعا كبيرا أفسد خططهم في عديد المرات في اقتحام مدينة غرناطة،كان الهدف استتنقاذ ما أمكن بأي وسيلة وحفظ ماء وجه الإسلام، ولعل هذه البطولات شهد بها العدو قبل الصّديق فهاهي القوى النّصرانية تشير إلى هذه المعارك الأخيرة التي وقعت في غرناطة بينها وبين المسلمين في إقرار بصعوبة الأمر وشدّة المقاومة، ذاكرين في معرض ذكرهم كل ما كان يبديه الفرسان المسلمين من الشّجاعة والجَلَد والبطولة والإقدام في الدّفاع عن ما تبقى من بلاد الأندلس هناك[5].

---

[1] - فاطمة بلهواري، أطباء الدار السلطانية في عصر بني الأحمر، ص14.

[2] – نفس المرجع، ص15.

[3] – باقر أمين الورد: معجم العلماء العرب(العلماء القدماء من أواخر القرن الاول الهجري الى أواخر القرن الثالث الهجري)مكتبة النهضة العربية، الطبعة الاولى، بيروت، 1406هـ/1986م، ص132

[4] – محمد عبد العظيم الخولي: مكانة المرأة المغربية في العصر المريني (668-869هـ/1269-1465م) مجلة المؤرخ العربي، العدد 26 ، الجزء الاول، 2018م، ص389

[5] – محمد عبد الله عنان:دولة الإسلام في الأندلس،العصر الرابع،نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مكتبة الخانجي،ط4، 1417هـ،1997م، ص237.

تجلت المقاومة إذ ذاك في الفارس المجاهد موسى بن أبي غسان(ت:897هـ-1491م)، وهو أحد رجالات العلم رغم أن المصادر تشير إلى إسمه مقرونا بكلمة قائد ولعل هذا يعود إلى قصته البطولية الشّهيرة التي أنهت مسيرة بطل وبالتّالي حمل لقب القائد، تجلّت فيه روح الفروسية وهو من الأُسر التي تتّصل ببيت الملك أبي عبد الله الذي عاش مبغضًا للنّصارى وكان يرى أن الموت في هاته الظّروف أفضل من القعود والرّضوخ لسلطة العدو، عَمِلَ على تدرّيب الفرسان وإذكاء الحماس في نفوس الغرناطيين وكأنه يستشعر القادم، ولم يكن من قادة غرناطة يومئذ من هو أبرع من موسى في الطّعان والفروسية، عمل على نشر روح الحماسة في نفس الملك أبو عبد الله لعله يستفيق من غفلته و وخضوعه لملك النصارى، قاد السّرايا إلى أرض العدو وهاجم وفاجأ حاميات العدو المجاورة. وكان من أشد المعارضين لطلب فرناندو الخامس إلى أبي عبد الله في تسليم الحمراء. وكان لموقفه هذا أكثر الأثر في تطور الحرب، فحمل السّلطان ورعيته إلى فريضة الجهاد وحمّسهم بوجوب الدّفاع إلى آخر رمق، واستطاع بذلك أن يعطي الملك بصيص أمل بعد أن خارت عزيمته في الدّفاع عن المدينة[1].

وكان قوله المأثور يومئذ:"ليعلم ملك النّصارى أن العربي وُلِدَ للجواد والرّمح فإذا طمح إلى سيوفنا فليكسبها، وليكسبها غالية أما أنا فخير لي قبر تحت أنقاض غرناطة في المكان الذي أموت مدافعا عنه من أفخم قصور نغنمها بالخضوع لأعداء الدّين"[2]

---

[1] - السّلاوي:الإستقصا، ج4،ص103-عبدالله عنان: نهاية الأندلس، ص238- مفتاح علي عثمان عبد الله الكافي:المورسكيون ودورهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية في الأندلس،رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي،كلية الآداب والتربية،قسم التاريخ، 1425،1426هـ/2005،2006م، ص128.

[2] -عبد الله عنان: المرجع السابق، ص238.

وقصة القائد موسى بن أبي غسان تبدأ من تحرك ملك النّصارى بجيشه الذي تجاوز 20ألفا من الفرسان على مرج غرناطة و أظهر همجية توحي إلى مدى الحقد الصّليبي الذي يكّنه للإسلام وهم يخربون الحرث والنّسل وكل بناء في طريقهم طامسين خلفهم تاريخ مدينة عمّرت ثمانية قرون إستطاعت خلالها أن تتصدّر عرش الحواضر في ذلك الوقت، وكان موسى زعيم الجيش يقود جيشه صوب الحصون النّصرانية فيثخن فيها كل مرة. وكانت نجاحاته المتكررة تثير في الجيش روح الحماسة وتشجّعهم على الإستمرار ولكن في الجانب الآخر، استمر النّصارى في سياسة التّدمير وجيش غرناطة يقاوم ويحاول قطع المواصلات والمؤن عن النّصارى ولكن ما لبثت جيوش العدو أن ملأت فحص شنيل(laviga) وطوقت غرناطة وشدّدت حصارها تحذوهم عزيمة قرب الخلاص من غرناطة وجيشها، فامتنع المسلمون بمدينتهم صابرين محتسبين متضرعين لله الخلاص[1].

أدرك موسى وأصحابه أن النّصارى يجهزون للهجوم والإقتحام فأمر الفرسان بفتح الأبواب والهجوم على طلائع الجيش النّصراني في محاولة منه لخلخلة صفوف الجيش النّصراني وبعث الرّعب فيه ،فحدثت معركة تسمى"مناوشة الملكة"واشتدّ الصّراع وكان الفرسان المسلمون وعلى رأسهم موسى رأس المعركة والملك يقود الحرس الملكي، وكان القتال شديدا أظهر فيه بسالة منقطعة النّظير،ونظرا لعدم تكافؤ القوى استطاع جيش النّصارى تمزيق قوات المشاة الغرناطية وأجبرتها على التراجع، وتبعهم فرسان الحرس الملكي، حاول موسى جمع شمل الجند للدّفاع عن عرين الإسلام وحُرَمِهِمْ وممتلكاتهم غير أن كلماته لم تلق من يُلقي لها بال،ووجد نفسه وحيدا في الميدان مع من أخلص له من فرسانه، وفي الأخير اضطر إلى الإرتداد إلى المدينة ناقما على ما بدر من الجنود من تخاذل في ردّ العدوان[2].

أُغلقت أبواب غرناطة وبقيت تنتظر قدرها المحتوم بعد أن حاصرها فرديناندو وإيزابيلا الذّين أصرا على مواصلة الحصار و أن يسلماها للجوع وكان لهم ما أرادوا فأقاموا في فترة الحصار مدينة سميت"سانتافي"[3] ومعناها الإيمان المقدس، وعمل الجوع في المدينة أكثر مما عملته المدافع والحرب هذا ما دفع بالنّاس إلى التّوسل لإنقاذهم من الجوع والبداية في مفاوضات التّسليم التي رضخ لها الملك[1] .

---

[1] – عبد الله عنان :نهاية الأندلس، ص138.

[2]– عبد الله عنان:المرجع نفسه،ص130–طارق السّويدان:الأندلس التاريخ المصور :شركة الإبداع الفكري،ط1،الكويت، 1426 هـ،2005م، ص474، 480–مفتاح الكافي: المورسكيون ودورهم في الحفاظ على الهوية ،المرجع السابق، ص129.

[3]– مدينة سانتافي أو كما تكتب في النّصوص العربية بناها فرناندو وايزابيلا في أواخر 1491م لإدارة معركة غرناطة الاخيرة، انظر :حسين مؤنس:رحلة الاندلس حديث الفردوس المفقود،الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط1963،1م،ط2، 1405هـ/1985م ،ص139 -140

استمرت محاولات موسى بن أبي غسان في بثّ الحماس إيمانا منه أنّ فيهم قلوب تنبض بالجهاد قال:" لم تنضب كل مواردنا بعد فمازال لنا مورد هائل للقوة كثيرا ما أدى المعجزات :ذلك هو يأسنا فلنعمل على إثارة الشّعب ولنضع السّلاح في يده ولنقاتل العدو حتى آخر نسمة وإنه خير لي أن أحصي مع الذين ماتوا دفاعا عن غرناطة من أن أحصى بين الذين شهدوا تسليمها..."[2]

ومثله أيضا الشّيخ الصّالح أبو الحسن علي المنظري الأندلسي الغرناطي التّطواني الذي كان من جند ابن الأحمر وشيوخه وأبطاله حيث أبلى البلاء الحسن في الجهاد والدّفاع عن مملكة غرناطة،ثم هاجر إلى المغرب وتولى رئاسة المجاهدين المهاجرين، وأشرف على بناء مدينة تطوان قلعة الجهاد في الضّفة الأخرى من المتوسط، ودافعت غرناطة وأهلها قبل سقوطها دفاعا رهيبا كلّف الكثير من أهلها ضحايا في ميدان الشّرف احتفظت لنا الرّوايات التّاريخية بأسماء البعض من أمثال موسى بن أبي غسان ونعيم بن رضوان وسكتت عن كثير[3]

لم يتوقف تفكير المسلمين في إستعادة الأندلس من قبضة النّصارى مستعملين في ذلك ما أمكن لهم، فعمدو إلى الجهاد البحري(القرصنة في كتابات المستشرقين)على السّواحل الذي أرهق النّصارى وأرغمهم مراراً على التّراجع والفرار أحيانا أخرى،والتّحصّن عديد المرات حتى بدأت الشّكوى من تلك الغارات التي تواصلت بلا إنقطاع أكثر من مئة سنة ساعد فيها ضعف تحصين السّواحل الإسبانية،غير أننا لم نعثر على تفاصيل كثيرة لتلك الغارات أو حتى أسماء القادة الذين قادوها والفئات المجتمعية التي شاركت فيها كي يتسنى لنا معرفة مدى مشاركة فئة العلماء فيها [4]

والأمثلة على دور وجهود العلماء في ميادين الجهاد يطول ذكره، إذ أنّهم عملوا على تحقيق مبدأ الإمام القدوة فحقاً كانوا قدوة حسنة يعملون العلم والفقه بدروسهم وسيرتهم،وكانوا لا يتوانون في الخروج إلى المعارك ويقاتلون بالسّيف وغيره من الأسلحة و يحملون الألوية ويرفعون الأعلام ويَثْبُتون أمام العدو في المقدمة يبتغون الموت في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وتثبيتا لشرع الله وتحريضا للآخرين على فضل المقدمة وكذا، ولكن أين علماء الأمة اليوم في الإقتداء بهم والسّير على نهجهم هل رضوا

[1]- مفتاح الكافي: المورسكيون ودورهم في الحفاظ على الهوية، المرجع السابق،ص130–عبد الله عنان :المرجع السابق، ص241.

[2] – عبد الله عنان:نهاية الأندلس، ص141.

[3] – حسين مؤنس: رحلة الاندلس، ص140

[4] - هنري تشارلز لي: العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة ترجمة حسن سعيد الكرمي، الطبعة الأولى، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1409هـ/ 1988م، ص164، 165

بالقعود وركنوا إلى الدِّعة و الرّاحة واطمأنوا إلى ملذات الحياة واندهشوا بالألقاب ونَسُوا الهدي الذي أخذه الله على أهل العلم من إقامة مافرض عليهم .

III : علماء سقطوا شهداء في ميدان القتال

تطلق كلمة الجهاد ليراد بها المشاركة في الثّورة ضدّ أعداء الملة، أما كلمة الإستشهاد فقد تستعملها بعض المصادر أحياناً في مقتل أحد العلماء ظلماً على أيدي مسلمين، أو مقتله في ساحات الوغى، لكن الأهم في هذا هل يسمى كل من مات بالطرق المذكورة شهيداً[1]

فعنون البخاري لأحد أبواب كتاب الجهاد في صحيحه بـ"باب لا يقول فلان شهيد"،فأورد قول النّبي في حديث أبي هريرة"رضي الله عنه"الله أعلم بمن يجاهد في سبيله والله أعلم بمن يَكْلَمُ في سبيله"،ثم حديث الرّجل الذي قال عنه النبي"صلى الله عليه وسلم"إنّه من أهل النّار رغم أنه قاتل المشركين معه قتالاً شديداً وقد تبين أن ذلك الرّجل أصيب بجرح غائر فاستعجل الموت وقتل نفسه، فالمراد النّهي عن تعيين وصف واحد بعينه بأنه شهيد بل يجوز أن يقال ذلك عن طريق الإجمال،فلا يطلق على كل مقتول في الجهاد أنه شهيد لإحتمال أن يكون مثل هذا وإن كان مع ذلك يعطى حكم الشهداء في الأحكام الظاهرة[2]

ولكن خلال إطلاعنا على موضوع الدّراسة في هذه الفترة لم نعثر على حادثة مثل هذه واكتفت المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها بذكر استشهاد وجهاد العالم بشهادة رفاق الدّرب أو من دوّن عنه من كتاب الدّولة المرافقين للحملات آنذاك.

01:العلماء الشهداء:

ونأتي إلى محاولة ذكر العلماء الذين سقطوا في ميادين الشّرف شهداء أو أسرى وماتوا في الأسر مرحلة بمرحلة في المراجع والمصادر التي بحوزتنا .

استشهد سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن أحمد الحميري الكلاعي[3] عام 643هـ بقرية أنيجة[1] من إقليم بلنسية وتبعد عنها بحوالي(12 كم) [2].

---

[1]- الضّبي: بغية الملتمس، المصدر السابق،ج4،ص51.

[2] – البخاري: صحيح البخاري ،ط.الرابعة ،عالم الكتب ،بيروت(1405هـ/1985م)،ج4،ص104، 105.

[3] – من أهل بلنسية يكنى أبا الربيع ويعرف بابن سالم. من أهل العلم كاتب بليغ مشهور بحفظه للحديث وضبط أحكامه وأسانيده،شغل منصب خطيب بجامع بلنسية، ثم تولى بها القضاء فحسنت سيرته وعرف بالعدل، له مؤلفات عديدة منها"مصباح الظلم" في الحديث والأربعون عن الأربعين من الصّحابة، والأربعون السباعية و" السّباعيات من حديث الصّدفي، و"حلية الأمالي

ومثله أبو عبد الله العبدري الصّدفي الذي توفي شهيدا بمرسى جبل الفتح حين باغتهم العدو واقتحم محلتهم .فقاتل ببسالة حتى قتل وذلك عام 651 هـ قال ابن الخطيب فيه "وسمعته يتوسل إلى الله، ويسأله الشّهادة" فكان له ما أراد[3].

أورد ابن الزّبير قصة استشهاد محمد بن أحمد بن محمد الفهري[4] قال"...دخل الأندلس وجال في بقية بلادها وتوفي في رمضان تمام أربعة وستين وستمائة، استدعاه صاحب منرقة[5] الفقيه الرئس أبو عثمان بن حكم على عاداته مع من سمع به من جلة الطلبة وأهل الإسناد فأقام عنده مدة ثم ركب البحر مسافرا فلقوا العدو فاستشهد مقبلا وأهل الإسناد فأقام عنده مدة ثم ركب البحر مسافرا فلقوا العدو فاستشهد مقبلا غير مدبر بمقربة من جزيرة منرقة وسنه نحو خمسين سنة..."[6].

واستشهد علي بن يوسف بن علي بن باق[7] في مداهمة غادرة للنّصارى بمقربة من حصن وَرْكَلْ في شهر جمادى الآخرة من عام 674هـ[8] .

=في المراقبات العوالي" و" تحفة الوداد ونجعة الرواد" والمسلسلات والإنشادات" أنظر: ابن الخطيب:الإحاطة: ج4، ص297 – ابن الزبير: صلة الصلة، ص360.

[1] **- أنيجة**:أو **أنيشة**: سميت المعركة باسم الحصن والتّل الذي وقعت به، يقع على نحو سبعة أميال من شمال بلنسية،وهو من أمنع حصونها الشّمالية،خربه الأمير أبو جميل زيان أمير بلنسية كي لا يتخذه نصارى أرغون قاعدة لهجماتهم كاستراتيجية لحماية المدينة، ثم احتل الأرغونيون الرّبوة التي بني عليها الحصن،ولما وعزم الأمير أبو زيان على استرجاع الحصن حشد لهذه العملية جيشا وسار في قواته شمالا.والتحم الجيشان في ظاهر تل أنيشة، هزم فيها المسلمون وقتل منهم جماعة كبيرة خاصة فئة العلماء خاصة علماء بلنسية جاوز عددهم السّبعين عالما وكان ذلك في العشرين ذي الحجة من سنة 634هـ-أنظر: لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة، ج4، ص303.

[2] – المصدر نفسه: الإحاطة ،ج4، ص296- ابن الزبير :صلة الصلة، ص361.

[3] **-** أصله من الجزائر. لسان الدين بن الخطيب: نفس المصدر،ج3، ص156.

[4] – اشبيلي الأصل من سكان تونس كنيته أبا عبد الله يعرف بابن الجلاب متصوف وأديب وشاعر.قرأ على جمع كبير من المشايخ أمثال القاضي أبي بكر بن محرز، وابي الحسين السّراج ، وأبي بكر بن أبي الغصن بمرسية، وجماعة كبيرة غير هؤلاء، له عناية بالفقه والعربية وغيرها من العلوم، أنظر: ابن الزبير: المصدر السابق ، ص19، 20.

[5] – منرقة:وهي جزيرة تقابل برشلونة وبينهما نهر، وبينها وبين سردانيا أربعة أودية، وهي إحدى بنتي جزيرة ميورقة وهما منرقة ويابسة –الحميري : الرّوض المعطار، ص549

[6] – ابن الزبير: صلة الصلة، ص20.

[7] – يكنى أبا الحسن، خطيب جامع الرشاقة من مرسية، كان معلما للقرآن، روى عن الشّيخ العباس ابن نبيل، وأبي بكر محمد بن غلبون بن محمد بن غلبون، والحاج أبي عبد الله بن أبي زكرياء المعافري المقرىء، و أخذ عنهم بالقراءة والسّماع وأجازوا له ، استشهد في التاريخ المدون أعلاه– أنظر: ابن الزبير: المصدر السابق، ص306.

[8] – ابن الزبير: المصدر نفسه، ص306.

سقط السّلطان يعقوب بن عبد الحق المريني الزّناتي بالجزيرة الخضراء مجاهدا زوال يوم الثلاثاء 22محرم عام ستمائة وخمس وثمانين[1].

وفي سنة 716هـ استنصر السّلطان المخلوع أبو الجيوش(ت:722هـ/1322م)خامس سلاطين الدّولة النّصرية بالنّصارى على منافسه وقريعه في الملك السّلطان أبي الوليد بن فرج(ت:725هـ: /1324م)السّلطان السّادس لبني نصر والتقت الملتين بوادي فرتقونة و(قيل قرمونة في العبر) وانهزم المسلمون وكان الأمير أبو زيد عبد الرّحمن بن يحي بن يغمراسن(جد أبي حمو) قد نال من العدو وصبر محتسبا في المعركة إلى أن استشهد.[2]

واستشهد الشّيخ أبو عامر خالد في موقعة 719هـ بالأندلس بين السّلطان الغالب بالله أبو الوليد وقائد النّصارى"دون بطرة "أمير مدينة رندة في معركة مالت كفتها للمسلمين[3]

استشهد أحمد بن أحمد بن خلف[4] في كائنة الصّفتجة بالقرب من حصن الطودون[5]في منتصف ذي ذي القعدة سنة 730هـ[6]

واستشهد أبو عبد الله محمد بن علي بن هاني اللّخمي السبتي[7] بجبل الفتح[8] والعدو يحاصره حيث حيث بعد نشوب مناوشات بين الفريقين أصابه حجر المنجنيق في رأسه أواخر عام 733 هـ [1]

---

[1] – ابن غازي: الروض الهتون،ص36.

[2] – يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج2، ص44.

[3]- النويري: نهاية الأرب، ج32، ص240.

[4]- أصله من الجزيرة الخضراء ونشأ بمالقة وكان أبوه صاحب مكانة وحضوة عند السلطان وتولى بها الوظائف .كان فاضلا ذكيا في في عقد الشروط، انتقل إلى غرناطة فارتسم بها في خطة الإنشاء والكتابة ، قرأ على أبي عمرو وابن منظور ، وتأدب بالشيخ أبي جعفر بن صفوان واتقن الخط بين يديه..انظر: ابن حجر العسقلاني: الدّرر الكامنة ،ج1، ص99.

[5] –ورد عن ابن الخطيب في نفاضة الجراب "ثغر الطورون "، ص117.

[6]-ابن حجر العسقلاني : الدّرر الكامنة ، ج1، ص100.

[7] – أصله من اشبيلية قرأ على أبي اسحاق الغافقي وأبي عبد الله بن حريث شرح التّسهيل لابن مالك وعمل الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة وارجوزة في الفرائض،كان عالما بالعربية كثير القناعة حافظا لمروءته،بارع الخط متوسط النظم،ابن حجرالعسقلاني:الدرر الكامنة،ج4، ص91–يقول ابن الخطيب:"ولما أخذ المسلمون منازلة الجبل وحصاره وأصابوا الكفر منه بجارحة" .

[8]–"قبل هذا الحصار انتزع النّصارى جبل الفتح من المسلمين في سنة 709هـ/1310م ولبث المسلمون يتحينون الفرص لاستردادها.وبعث السلطان محمد بن اسماعيل بن الأحمر ملك غرناطة يستنجد بملك المغرب السّلطان أبي الحسن المريني فلبى نداءه وحاصرت القوات المتحالفة جبل طارق بشدة من البر والبحر واستطاعت في النهاية أن ترغم الحامية النصرانية على التسليم عام (733هـ/1333م)وأن تسترد الجبل ليبقى في يد المسلمين عصرا آخر" :لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة–مج3، ص152.

وشهدت معركة طريف سقوط عدد كبير من العلماء شهداء كان فيهم عبد الله بن عبد الله بن سلمون الكناني [2] سنة 741هـ [3] من شعره قيل أنه لم ينظم قط غيرهما.

أمولاي عطفا على مذنب * بجنبيه نفس من أعدى العدى

أدارت عليه من أهـــوائها * كـــؤوسا سقته هموم الـردى

وعند ابن الخطيب في الإحاطة قال "فُقِدَ في الوقيعة العظمى بطريف"حَدَّثَ بعض الجند أن رآه يتحامل وهو مجروح بالصدر رابط الجأش وأن بعض المنهزمين أراد إركابه على فرسه بعدما سقط، فلم يقدر وقال انصرف هذا يوم الفرج أي يوم الاستشهاد إشارة لقوله تعالى" فرحين بما آتاهم الله من فضله [4].

وسقط شهيدا في نفس المعركة قاضي الجماعة محمد بن يحي بن محمد بن أحمد بن بكّر بتشديد الكاف الأشعري المالقي أبو عبد الله [5] الذي فقد محرضا يشحد البصائر ويشير على الأمير أن يكثر من قول"حسبنا الله ونعم الوكيل" وزعموا أنه وقع عن بغلة يركبها. وأشار إليه بعض المنهزمين

---

[1] – ابن الخطيب: الإحاطة ، مج3، ص144-ابن حجر العسقلاني: الدّرر الكامنة، ج4، ص91.

[2] – هو الإمام العلامة ابو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن عبد الله بن عبد العزيز بن سلمون الكناني الغرناطي ،ولد بغرناطة عام669هـ، وقرأ بها وبمالقة وسبتة وتصوف بفاس، له من المؤلفات "الشّافي في تحرير ما وقع من الخلاف بين التبصرة والكافي"في فروع المالكية،كان وحيد عصره وفريد دهره علما وعملا وفضلا وخلقا،نبغ في فنون كثيرة حتى اصبح إمامها ،تتلمذ على يد شيوخ عصره لعل أهمهم ابي الحسن بن فضيلة وأبي الحسن البلوطي.انظر:إبن القاضي،جذوة الإقتباس،ص506- التنبكتي: نيل الابتهاج ،ص219- أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن سلمون الكناني(ت:741هـ): العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام ،تحقيق محمد عبد الرحمن الشّاغول،دار الافاق العربية ،القاهرة ،2011،(مقدمة المؤلف ص ج د) – بعلي زبير نوازل النكاح من مخطوط العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام لقاضي قضاة غرناطة الفقيه أبي القاسم سلمون بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الغرناطي (ت:767هـ، 1367م) ماجستير تاريخ وسط كلية العلوم الإسلامية، جامعة قسنطينة، قسم التاريخ والآثار(1430هـ- 1431هـ/2009- 2010)، ص18- لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص404.

[3]- التنبكتي:كفاية المحتاج ،ج1، ص239 – التنبكتي:نيل الإبتهاج ، ص219.

[4]- لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص404.

[5] - يكنى أبا عبد الله ويعرف بإبن بكر ،ولد عام(674هـ) كان من صدور العلماء وأعلام الفضل، عارفا بالأحكام والقراءات مبرزا في الحديث والتاريخ والأنساب.تقدم للشياخة ببلده مالقة ناظرا في أمور الحل والعقد، ثم ولي القضاء بها ،وتولى القضاء والخطابة بغرناطة فصدع بالحق فكان كما قيل فيه"صاحب عزم ومضاء وحكم صادع وقضاء، وتصدر لنشر العلم فأقرا العربية والفقه والقراءات والأصول والفرائض والحساب وعقد مجلس الحديث شرحا وسماعا، النّباهي المالقي: المرقبة العليا، ص141-ابن العماد الحنبلي الدّمشقي(1032-1089هـ)شذرات الذّهب في اخبار من ذهب ،تحقيق عبد القادر الاناؤوط ومحمود الاناؤوط ،ط1،دار ابن كثير، دمشق .1413هـ/1992م،ج8 ص231-232 – لسان الدين بن الخطيب: اللّمحة البدرية ،ص91

بالركوب فلم يقدر[1] وفي رواية أخرى في"المرقبة العليا"...وقد كتف دابته التي كان عليها راكبا وهو رابط الجأش ،مجتمع القوى ،وأنشأ عليه بالركوب وقال له:إنصرف هذا يوم الفرح، يشير والله أعلم إلى قوله تعالى في الشّهداء"فرحين بما أتاهم الله من فضله" وذلك ضحى الإثنين السّابع من جمادى الأولى عام741هـ..."[2]

واستشهد في هده المعركة أيضا الخطيب أبو القاسم بن أحمد بن جزي الكلبي[3]الذي سقط شهيدا "رحمه الله تعالى"في يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة حيث

---

[1] – ابن العماد: شذرات الذهب ص232- لسان الدّين بن الخطيب:الإحاطة ،ج2 ، ص180-التنبكي، نيل الابتهاج، ص398، النباهي المالقي: المرقبة العليا، ص146- الرّعيني أبي جعفر،(779هـ) ورفيقه إبن جابر الأندلسي(الأعمى والبصير، رسالتان في السّيرة النبوية والمولد الشّريف، تحقيق مصطفى بن مبارك عكلي التمكروتي، ط1، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 1432هـ/2011م- البلوي: ثبت البلوي، ص213– لسان الدين بن الخطيب:الإحاطة، ج2، ص180.

[2] – النباهي المالقي: المصدر السابق ،ص146

[3] - ابن جزي:محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الله بن سحي بن جزي الكلبي المالكي يكنى بأبي القاسم واشتهر بابن جزي من ذوي العلم والنباهة والأصالة.ولد في 9 ربيع الأول عام 693هـ بغرناطة وبها نشأ وتعلم، وأحاط بابن جزي بيت علم وفضل فعاش في بلده وكان، قرأ عن الشّيخ أبو جعفر بن زبير الذي أخذ عنه العربية والفقه الحديث والقرآن الكريم، والشّيخ ابن الكماد، وابن رشيد، وابن أبي الأحوص، وابن برطال وغيرهم ،كان فقيها حافظا قائما على التدريس.تولى الخطابة في الجامع الكبير بغرناطة فاستمال القلوب ببلاغته وأدبه ودرس فأفاد الطلبة، أخذ عنه أبناؤه الثلاثة، القاضي أحمد، وأبو عبد الله محمد والقاضي أبو محمد عبد الله، وأخذ عنه لسان الدين بن الخطيب، وله تواليف كثيرة منها "وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم" و" الأنوار السّنية في الكلمات السّنية "و"الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار" و"القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية "و "التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية" وكتاب" تقريب الوصول إلى علم الأصول" وكتاب" النور المبين في قواعد عقائد الدين" و"المختصر البارع في قراءة نافع" وإلى غير ذلك مما قيده في التفسير والقراءات وغير ذلك أنظر: محمد بن احمد بن محمد بن جزي الكلبي المالكي (ت:741هـ) :النور المبين في قواعد عقائد الدّين ، تحقيق نزار حمادي ،دار الضياء للنشر والتوزيع ، ط1 ،الكويت ، 1436هـ/2015م ص 13– المقري: التّلمساني: نفح الطيب،ج5، ص515، 516ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة، ص46، 47، التنبكي: نيل الابتهاج، ص 398، محمد مخلوف :شجرة النور الزكية، ص213- ابن الخطيب:الإحاطة،ج3، ص20، 21- ابن جزي الكلبي الغرناطي(693هـ، 741هـ) :القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق محمد بن سيدي محمد مولاي ددط، د س، ص315-ضيف الله بن هادي بن علي الزيداني الشّهري: أصول الفقه في القرن الثامن الهجري، دراسة تاريخية تحليلية، دكتوراه أصول الفقه، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الشريعة، الرياض، 1426هـ، ص125، 126.ابن فرحون: الديباج المذهب ،ص296/295-ابن حجر العسقلاني:الدرر الكامنة ،ج3،ص446- أبي زكريا يحي بن محمد بن محمد الرعيني الطرابلسي(الحطاب): رسالة في حكم بيع الأحباس، تحقيق إقبال عبد العزيز المطوع، الأمانة العامة للأوقاف، الشّارقة،1427هـ/2006م، ص20.ويخلط الكثير من الدّارسين بين ابن جزي المترجم له ومحمد بن جزي (693-758هـ/1294-1357م) وهو محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي الكلبي (أبو عبد الله) وهذا الأخير مؤرخ واديب وشاعر على عكس سابقه الفقيه ،توفي بفاس عام 758هـ .انظر :عمر رضا كحالة:معجم

فقد وهو يحرض المؤمنين ويشحذ هممهم.ويثبت بصائرهم عن عمر يناهز 84سنة كرم الله مصرعه ونفعه بما تجرعه، قال الفقيه المحدث الوزير أبو بكر بن ذي الوزارتين بن الحكيم أنشدني يوم الوقيعة من آخر شعره قوله:

قصدي المؤمل في جهري وأسراري * ومطلبي من إلهي الواحد البـــاري

شهادة في سبيل الله خالصــــــة * تمحو ذنوبي وتنجيني من النــــار

إن المعاصي رجس لا يطهرهـــا * إلا الصّوارم من أيمان كفــــــار

ثم قال أرجو اليوم نيل ما سألته في هذه الأبيات فقلت له جعلت للكفار يمينا فقال لي والحطمة في الناس من أيدي الكفار فكان آخر عهدي به[1] .

واستشهد في هذه المعركة والد لسان الدين بن الخطيب وهو عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السّلماني[2] مع ولده الأكبر أخ لسان الدّين ابن الخطيب.يومها انهزم المسلمون بقيادة السلطان أبي الحسن المريني ملك المغرب والسلطان أبي الحجاج يوسف أشنع هزيمة وسقطت على إثرها طريف والجزيرة الخضراء في أيدي النصارى[3].

واستشهد المسلمين في معركة طريف أيضا الفقيه أبو القاسم الغساني الشّهير بابن حفيد الأمين[4].

المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة ،ط1، بيروت ،1414هـ/1993م ،ص625-ذكره تلميذه ابن رضوان المالقي في "الشهب اللامعة "وسماه الشهيد لأنه قتل في معركة طريف مع السلطان ابي الحسن .انظر :احسان عباس ،ابن رضوان وكتابه في السياسة ،مقال مستل من كتاب "العيد "الصادر سنة 1967 ،ص366

[1]- ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص23- الشّهري: أصول الفقه في القرن الثامن الهجري ، ص126- ابن مخلوف: شجرة النور الزكية، ص213- ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة ، ص46- المقري: نفح الطيب، ج5، ص516- التنبكي: نيل الإبتهاج،ص 398، 399. التنبكي: كفاية المحتاج، ج2، ج2، ص41.

[2] -يكنى أبا محمد وهو والد لسان الدّين صاحب الإحاطة، غرناطي الولادة والاستيطان، أصله من لوشة كان سلفه يعرفون بقرطبة ببني وزير. وبيتهم بيت فقه وخير ومال وجاه وفروسية، قرأ على بني إسحاق بن زرقال وأبي الحسن البلوطي ثم على أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزبير.انتقل إلى لوشة بلد أسلافه مخصوصا بلقب الوزارة.مولده بغرناطة في جمادى الاولى عام اثنين وسبعين وستمائة(672هـ) ووفاته عام 741هـ-انظر: ابن الخطيب :الإحاطة،ج1، ص21- الإحاطة، ج3، ص387-المقري:نفح =الطيب،ج5،ص17-المقري: أزهار الرياض،ج1،ص187-ابن حجر: الدُّرر الكامنة ،ج3، ص469- محمد بن زين العابدين رستم: بيوتات العلم والحديث في الأندلس، ط1، دار ابن حزم ، 1430هـ/2009م، بيروت ، لبنان، ص92.

[3] – ابن الخطيب :الإحاطة ،ج3، ص389- المقري: نفح الطيب،ج5، ص17-ابن العماد شهاب الدّين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي(ت:1089): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط،دار ابن كثير، ط1، بيروت 1413هـ/1992م، ص220 -المقري: أزهار الرياض،ج1، ص187.

[4] – ابن الخطيب: الإحاطة، مج5، ص64.

فلما كانت الوقعة الكبرى بظاهر طريف خرج محمد بن علي بن محمد الأنصاري الكحيلي الغرناطي بنفسه على العدو بعد أن استاك وتكحل فقتل في سابع جمادى الأولى 741ه [1] .

واستشهد فيها أيضا الشّيخ أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الله[2] ومات على إثرها الشّيخ عبد الرّحمن بن عفان الجزولي أبو زيد 741ه قال المقري" دخلت على عبد الرحمان بن عفان الجزولي وهو يجود بنفسه وكنت قد رأيته قبل ذلك معافى ...فأخبرني أنه خرج إلى لقاء السلطان فسقط عن دابته فتداعت أركانه، وكان ذلك يوم الأياب من معركة طريف فنزل عن فرسه ونزل له السلطان أيضا فسقط هو عن دابته[3]

واستشهد الشّيخ الأستاذ ابن حزب الله أحمد بن أحمد بن محمد الخزرجي[4] يعرف بابن خالد.من أهل تاجلة[5] سابع جمادى الأولى سنة 741ه[6]

وممن فقد في الكائنة العظمى الشّيخ أحمد بن علي بن خالد البلوي[7]

---

[1] – ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة،ج4، ص88.

[2] –تكتب(عبد الله ثلاثا) في غالب التراجم، هو عالم فاضل وحيد عصره وفريد دهره في كثير من الفتون، قرأ على أبي الحسن بن فضيلة وأبي الحسن البلوطي وجماعة أخرى ولقي أبا الربيع بن سالم وأبا طالب محمد المقبلي وابن المرحل وغيرهم وأخذ عنهم. قال الخضرمي أخذت عنه كثيرا قراءة وسماعا له مؤلفات نذكر منها كتاب"الشافي فيما وقع في الخلاف بين التبصرة والكافي. مولده سنة 669ه. توفي في طريق كما سبق ذكره–741ه.أنظر: محمد مخلوف: شجرة النور الزكية ، ص214 .

[3] – الجزولي :فقيه مالكي عمّر طويلا من اهل فاس قال في ه التنبكتي "كان علّامة في المذهب ورعا صالحا وكان للناس احتفال في مجلسه وانكباب في الاخذ عنه ،قيدت عنه على الرساله ثلاثة تقاييد احدهما في سبعة مجلدات والثاني في ثلاثة والاخير في مجلدين –المقري: نفح الطيب، ج5، ص260–التنبكتي :كفاية المحتاج ،ج1، ص263– التنبكتي :نيل الإبتهاج، ص244– أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني:كتاب الوفيات ،تحقيق عادل نويهض ،منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت ، لبنان ،ط4 ،1403ه–1983م،ص351

[4] –هو أحمد بن حزب الله الخزرجي العبادي السّعدي من بيت علم وأصالة بفاس أصله من الأندلس كان فقيها أديبا مدرسا مقرئا. توفي شهيدا سنة 741ه.أنظر: ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص119.

[5] –تاجلة:يورد ابن حجر في هذا الاسم قولان، هل الرجل هذا أندلسي أم مغربي ولكن بعد البحث والتعمق لم يجد مكانا في الأندلس باسم تاجلة وفي المقابل هناك تادلة في المغرب ولعل هذا هو الصواب:ابن حجر :الدّررالكامنة،ج1، ص208.

[6] – ابن حجر العسقلاني:المصدر نفسه، ج1، ص209.

[7] –كان عالما خطيبا، حسن السمت، ملتزما بالسنّة شديد الانقباض .ولي القضاء ببلده، فمن قوله يخاطب أبا الحسن الجياب في في شأن كتاب وجه به إليه في عيد الأضحى فضاع في الطريق :

زعموا بأن الهدى الوالي*** للمجد ضاع فقلت ذلك دينه

طورا يثبطه الحياء وتارة*** بعد المزار ووعثه وحـــــــزونه

مهابة البيت المؤمل ركنه*** ومقامه السامي الذرى وحجونه

استشهد أيضا تاشفين بن السّلطان المريني أبي الحسن فقد أصرّ على اختراق صفوف النّصارى في فئة قليلة من قومه وذويه فطوقه السلطان أبي الحسن إذ أنه ما إن سمع باستشهاد ابنه حتى ولى متحيزا إلى فئة المسلمين مما زاد في اضطراب صفوفهم، وذبح خلالها أيضا بعض أولاد السلطان وحريمه وحشمه وسالت دماء المسلمين غزيرة[1]

ومات العلامة أبو العباس أحمد الزواوي الذي كان ملازما لأبي الحسن المريني غريقا بأسطول هذا الأخير وهلك كل من كان معه من أعلام المغرب وكانوا زهاء أربعمائة.منهم أبو عبد الله محمد بن سليمان السّطي، وأبو عبد الله محمد الصّباغ المكناسي.ومن العجيب أنه لم ينجح في تلك الليلة إلّا السّلطان أبي الحسن المريني[2].

وتوفي العالم غالب بن علي بن محمد اللّخمي[3]سنة 741هـ بسبتة أثناء النّفير إلى الجواز إلى الأندلس بقصد لجهاد[4].

وفي غرناطة حيث مكث الفقيه قاسم أخ الشّريف أبو غرة وتزوج من بنت الشّريف أبي عبد الله بن ابراهيم المكي لينتقل إلى جبل طارق حيث أقام فيه مشاركا في العلوم والرباط إلى أن استشهد بوادي كَرَةَ من الجزيرة الخضراء"..وخرق المعتاد في الشجاعة وله فيها أخبار شهيرة عند الناس"[5]

واستشهد ابن عبد الملك بن سعيد الأنصاري الأوسي[6] في وقيعه على المسلمين من جيش مالقة بأحواز أستبة في ذي القعدة من عام 743هـ[7].

.أنظر: ابن حجر العسقلاني: الدّرر الكامنة: ج1، ص208.

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر، ج7، ص347- النّاصري: الإستقصا، ج3، ص137.

[2] ابن القاضي المكناسي: درة الحجال، ج1، ص95 – الناصري:الإستقصا ،ج3، ص170، 171.

[3] – غالب بن علي بن محمد اللّخمي يكنى ابو تمام ،كان محسوب على أهل الفضل والدّماثة، حسن الاخلاق، رحل إلى البقاع المقدسة لأداء الحج،انتقل بعدها الى القاهرة اين قرأ الطب هناك،جلس في بجاية وانتصب فيها للمداواة بحكم تخصصه، انتقل منها إلى غرناطة أين كانت له مشاركات سياسية في خدمة سلطانها،رحل بعدها الى العدوة المغربية أين تولى وظيفة الحسبة وحسنت حاله بعد أن تكونت له ثروة هناك، وكغيره من علماء عصره عكف على التأليف وكثرت مؤلفاته ليجلس بعدها للقراءة والزهد انظر :لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة ،ج4 ،ص 241

[4]- أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الإقتباس ، ص506- ابن الخطيب: المصدر السابق، ج4، ص 241

[5]- عبد القادر الدّرة:العلماء الشهداء، ص93.

[6]- هو محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي،يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي من أهل مراكش، وسكن غرناطة. ابن الخطيب: المصدر السابق، ج5، ص527.

[7] -ابن الخطيب: المصدر السابق، ج2، ص528.

وفي نفس سنة 743هـ توفي محمد بن محمد بن محمد بن م الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي[1] استشهد في وقيعة على المسلمين من جيش مالقة[2].

ومات محمد بن علي بن سليمان السّطي غريقا في أسطول أبي الحسن المريني في ثامن ذي القعدة عام تسعة وأربعين وسبعمائة (749هـ/1349م)[3]

تعرض العالم الكبير علي أبي بكر الغافقي(ت:762هـ)[4]إلى محنة الإهانة على يد سلطان غرناطة الذي همّ بسجنه هو وولده قبل نفيهما مكبلين إلى تونس فاعترضهم في عرض البحر النّصارى، فسأل أبو بكر ربه الشهادة وقاتل ببسالة حتى سقط شهيدا في تلك الحادثة[5].

كذلك من الأمراء المشهود لهم بالتحمس لفريضة الجهاد الأمير أبو سعيد عثمان بن يغمراسن ثاني سلاطين الدّولة الزيانية الذي بقي مرابطا على ثغر قرمونة إلى أن استشهد بها أثناء الجهاد[6].

وفي سنة 716هـ استنصر السلطان المخلوع أبو الجيوش (ت: 722هـ/1322م) خامس سلاطين الدّولة النصرية بالروم على منافسه في الملك السّلطان أبي الوليد بن فرج(ت: 725هـ/1324م)سادس سلاطين بني نصر والتقى الفريقين بوادي فرتقونة و(قيل قرمونة في العبر) وهزم المسلمون بعد ان نال الأمير أبو زيد عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن(جد أبي حمو) من العدو وصبر محتسبا في المعركة و استشهد.[7]

ومن أعلام أسرة بني عاصم العالم أبو يحي محمد بن محمد بن عاصم[8] المعروف بالشهيد لأنه استشهد استشهد في مدينة أنتقيرة عام 813هـ أثناء قيادته لجيش المسلمين[1] وأبو يحي هذا هو عم مؤلف

---

[1] -هو إمام وعلامة عصره قيل توفي سنة 743هـ. يضيف أبو العباس بن الخطيب القسنطيني" العالم المحقق المدرس المفتي الصّالح الشهير قاضي الجماعة ببجاية شهير الذكر رفيع القدر رقيق القلب غزير الدّمعة أخذ عنه جماعة كمنصور الزواوي والخطيب بن مرزوق والإمام المقري" أنظر: التنبكتي: كفاية المحتاج، ج2، ص44.

[2] - ابن القاضي المكناسي:درة الحجال، ج2، ص121.

[3]- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، ج1، ص153

[4] -محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن الحسن بن أيوب بن حامد بن زيد بن منخل الغافقي، يكنى أبا بكر من أهل غرناطة، أصله من اشبيلية.كان علما من أعلام الأندلس في عصره وصدرا من صدورها، استعمل في الوزارة ببلده أصابته محنة مع ولده فسجن ونفي عن الأندلس.أنظر: ماجد نمرة الزبدة:محنة العلماء في الأندلس،رسالة ماجستير في التاريخ، الجامعة الإسلامية ،غزة، 1436هـ/2014م، ص76، تم التعريف به(العلماء المشاركون في الجهاد)

[5] - ماجد نمرة :نفس المرجع، ص76.

[6] – عبد الرحمن بن خلدون:ديوان العبر،مج07، ص238، 239

[7] -يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج2، ص44.

[8] -كان من مشاهير العلماء وكبارهم في غرناطة فقيه وخطيب وكاتب وصاحب الأحكام، وهو ابن عم والد ابن عاصم الغرناطي صاحب كتاب جنة الرضا "ابن عاصم الغرناطي، ذكر في التراجم أبو يحي (محمد4) ومحمد (3) فحفيده المشار إليه سابقا ذكره

كتاب"جنة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى" أبي يحي محمد بن عاصم الغرناطي المتوفي عام 857هـ[2].

وهذا آخر ما وفقنا الله لجمعه من تراجم الشّهداء رضوان الله عليهم، وقد تجاوزت عن الكثير منهم ممن ذكرو في المصادر والمعاجم بالقتل لمعارضة السلطان،أو ماتوا بغدر غادر،والجدير بالذكر والذي ينبغي أن يعلمه الجميع أن الكثير من العلماء الذين سقطو في ميادين الشرف لم يدون لهم التاريخ شيئا من آثارهم، الامر الذي جعل الكثير منهم غائب عن صفحات التاريخ رغم ما بذلوه في ميادين الشرف لم يدون لهم التاريخ شيئا من آثارهم، الأمر الذي جعل الكثير منهم غائب عن صفحات التّاريخ رغم ما بذلوه في الميادين شهد بها القريب والبعيد

بأربعة وأما أبي عبد الله محمد المجاري فأشار ب(3) محمد بن محمد بن محمد، أخذ العلم عن أبي اسحاق الشاطبي(ت:790هـ) وأبي سعيد فرج بن قاسم بن لب أخذ نه عدد من علمماء غرناطة منهم أبو عبد الله المجاري المتوفي سنة 863هـ ،له مؤلفات عدة نذكر منها مؤلفاته في الرّد على شيخه أبي سعيد النّصارى لب في مسألة الدعاء بعد الصلاة المقري:نفح الطيب،ج5 ،ص513،514- أبي عبد الله محمد المجاري الإندلسي(ت:863هـ): برنامج المجاري ،تحقيق محمد أبو الاجفان ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان ،ط1 ،1982، ص126– التّنبكتي:نيل الإبتهاج، ص39، 220، 266-قبس فاروق صالح مطلوب: تاريخ الحركة الأدبية في الأندلس،أبو يحي بن عاصم الغرناطي في ظل دولة بني الأحمر سلاطين غرناطة أنموذجا (دراسة تاريخية) ،مجلة الفراهيدي، العدد 22 ،2015، ص225-226

[1] -**أنتقيرة**: مدينة قديمة تبعد عن مالقة بنحو 95كم عامرة بالسكان وهي عبارة عن حصون تمتد بين مالقة وغرناطة. أنظر: أحمد مختار العبادي: مشاهدات لسان الدّين الخطيب في بلاد المغرب والأندلس(مجموعة من رسائله)، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1983، ص94.

[2] -أبو يحي محمد بن عاصم الغرناطي(ت: 857هـ):جنة الرضى في التسليم لما قدّر الله وقضى، تحقيق الدكتور صلاح جرار، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1989، ص39- التنبكتي: نيل الإبتهاج، ص285.

الفصل الرابع

الجهود الفكرية والدّعوية لعلماء الغرب الإسلامي ودورها في إنقاذ مملكة غرناطة

I:الجهود الفكرية والدّعوية لعلماء الغرب الإسلامي:

لعلّ عمل الإسلام مصححا لكل ماحدث من تغيير وتبديل وتزييف في الكتب السّماوية المقدسة خاصة فيما يتعلق بالعقائد ،ومن الطبيعي أن يحدث هذا الموقف العقائدي جدلاً دينياً تتضح أهميته في توضيح الدّور الذي لعبه الجدل الدّيني في الدّعوة إلى الإسلام حيث أن المبدأ الإسلامي في الدّعوة هو قوله تعالى"ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"[1]وأنّ الإسلام لم يختص بأمة بعينها وإنما دعوة للناس كافة، قال تعالى"وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ"[2]

دعا الله عزّ وجل رسوله إلى الحوار معهم اليهود والنّصارى،إذ قال تعالى "قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ ٱللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا"[3] ودعوتهم لعبادة الله الواحد، تبرز أهمية الجدل الدّيني معهم لأن كثير منهم ينطلقون من مبدأ رفض الآخر والمكابرة ،فمن الطبيعي أن يحتاج المحاور المسلم إلى المراس الجدلي، وقد جادلهم القرآن في عقائدهم التي حُرِفتْ مع مرور الزمن، وكذلك فعل رسول الله وصحابته والتّابعين.

وتظهر أهمية هذا الجدل في مجال الدّعوة من خلال التّعرف على دور الفرق الإسلامية في نشر الإسلام،أضف إلى ذلك أنه يعكس روح التّسامح الدّيني الذي يكفله الإسلام لغير المسلمين عامة ،ولأهل الكتاب بصفة خاصة،إذ يعطيهم حق الدّفاع عن عقائدهم والاحتجاج لها،وأكثر من ذلك يضمن لعقائدهم حرية التّعبير عن موقفهم من الإسلام ،تلك الحرية التي لا تجد لها مثيلاً في أي نظام عقائدي قديماً أوحديثاً،لأنها حرية ملتزمة بآداب الجدل الموضوعي مصداقاً لقوله تعالى-" وَلاَ تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِالَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ"[4]،[5]

[1] – سورة النحل : الآية 125.

[2] – سورة الأنبياء : الآية 107.

[3] – سورة آل عمران: الآية 64

[4] – سورة العنكبوت :الآية 46.

[5] – خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي: الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس (ابن حزم ،الخزرجي) ،دار قباء للطباعة والنشر، 2001، ص 62، 63.

وتتضح أهمية دراسة الجدل في احترام الإسلام للرأي الآخر حتى أنه يتفاعل معه من أجل الوصول للأفضل والأصح الذي يكون أساساً للانطلاق إلى الأمام، ويأتي هذا الجدل تأكيداً لقبول الحضارة الإسلامية بالتعددية في مكونها البشري، قال تعالى " **وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ**"[1].وقال أيضاً "**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**"[2]، ولأدلّ على ذلك أنّ الفرق الأخرى شكلت جزءا هاما من المكون البشري في الغرب الاسلامي عامة وهذا بالضرورة يؤدي إلى تمازج في المكونات الثّقافية إلى حد ما،ولعل ما قدمته لنا كتب التاريخ في هذا المجال لهو كاف لإثبات مدى التّعايش بين الإسلام وباقي الدّيانات الاخرى بحث أن اليهودي أو النّصراني لم يكن يحس أنه من الأقليات الدّينية المهمشة أينما حلّ وارتحل،ولعل هذا التّمازج الثّقافي والدّيني والإجتماعي أفرز لنا نوعا من التّناظر الفكري والعقدي شكّل ابن حزم الظّاهي نواته الأولى في مرحلة من مراحل التاريخ الأندلسي[3]

01:دور العلماء في الجدل الدّيني:

أجاد العلماء المسلمين الجدل بالحجج المنطقية مع المخالفين بوصفهم علماء اشتهروا بوصفهم فقهاء أو أصوليين في العقائد والملل.والدّارس لمؤلفاتهم يقف على موسوعية وفهم لعقائد أهل الكتاب،كما أن التّاريخ أثبت في أكثر من مرة تفوق المجادل المسلم سواءً على مستوى المؤلفات والرّسائل الجدلية او على مستوى المناظرات[4] وتكشف أيضاً عن الدّور الكبير الذي لعبه علماء المسلمين عامة والأندلس خاصة في الدّفاع عن الإسلام وردّ مطاعن الأعداء ،وعن أهمية هذا الدّور يقول ابن تيمية(ت:728هـ)"فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى للإسلام حقه ولا فىّ بموجب العلم ولا حصّل بكلامه شفاء الصّدور، وطمأنينة النّفوس ولا أفاد كلامه العلم اليقين" [5]

---

[1] – سورة هود: الآية 118.

[2] – سورة المائدة: الآية 48.

[3] – خالد عبد الرحيم السيوطي: الجدل الديني ،المرجع السابق ،ص64– آسية الكنوني: مدخل الى المناظرات الدينية بالغرب الاسلامي ، مجلة كلية والاداب والعلوم الانسانية، الرباط المغرب ، العدد 23 ،2016 ،ص64

[4] – خالد السّيوطي: المرجع السابق، ص65.

[5] – نفس المرجع، ص 65، 66.

نحاول أن نتتبع دور علماء الأندلس في الصّراع والجدل مع النّصارى من خلال مؤلفاتهم في هذا المجال أو المناظرات التي وقعت بينهم فيما هو آت من هذا الفصل.

سعى النّصارى جاهدين للتّشكيك في الدّين الإسلامي واغتنموا كل فرصة في سبيل ذلك وعمدوا إلى تحدي الفقهاء كونهم حماة الدّين والذّابون عنه. فخاضوا في المسائل المستعصية لأنّ هدفهم تعجيزي في الكثير من الأحيان.

تولى عزم الرّد عليهم الشّيخ أبو سعيد بن لب[1](ت: 782هـ) وأسهم في كشف شبهاتهم وهذا عندما سأله رجل ذمي مسألة على شكل أبيات شعرية في مسألة عقدية تكررت فيها التّساؤلات. حيث أورد الذّمي شبهة قائلا:

أيا علماء الدّين ذمي دينكـــــــم *** تحيَّر دلّوه بأوضح حـــــــجة

إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكـــم *** ولم يرضه منّي فما وجه حيلـــتي

قضى بضلالي ثم قال: اَرْضَ بالقضا *** وهل أنا راضٍ بالذي فيه شِقوتي

دعاني وسدّ الباب دوني فهــــل إلى *** دخولي سبيل بينوا لي قضيـــتي

إذا شاء ربي الكفر منه مشيـــــئة *** فهل أنا راض باتباع المشيـــئة

وهل لي اختيار أن أخالف حكــمه؟ *** فبالله فأشفوا بالبراهــــين علتيّ

ومضمون السؤال في هذه الأبيات تشكيك في العدالة الإلهية وما هي إلّا صدى لصيحات الفلسفة القائلة:هل الإنسان مخير أو مسير؟ وهل أفعاله بإرادته أم مفروضة عليه؟ وهذا الذي يؤمن بالأخيرة فكيف يسبق في كتاب الله أنه كافر ثم يحاسب على كفره ويطالب بالتسليم وبالقضاء الذي فيه شقاوة؟ [2] فجاءه الرّد التّالي:

قضى الرّب كفر الكافرين ولم يكن *** ليرضاه تكليفا لدى كل ملّـــــة

نهى خلقه عما أراد وقوعــــــــه *** وإنفاذه والملك أبلغ حجـــــــة

---

[1] – هو أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب، وقيل ليث التغلبي الغرناطي، كان عارفا بعلوم العربية واللغة متقنا لعلم التفسير قائما على القراءات جيد الحفظ والنّظم والنثر، مشاركا في الأصليين. قعد للتدريس ببلده غرناطة تولي مهام الخطابة بمسجد غرناطة. توفي عام 782هـ وقيل سنة 783هـ– ابن بطوطة اللّواتي الطنجي: رحلة ابن بطوطة، تحقيق على المنتصر الكتاني مؤسسة الرسالة، ط4 مؤسسة الرسالة،1405هـ، ج2، ص469.

[2] – "المسألة التي أثارها هذا الذّمي كانت من المسائل المنتشرة عند القدرية في المشرق ففي الأخبار أن قدريا سأل ابن عباس قائلا: لي مولى قادر على هدايتي وعصمتي وإرشادي فمنعني الهداية والعصمة.أليس قد ظلمني وأساء إلي؟" أنظر: آمنة بن منضور المناظرة في الأندلس ،الأشكال والمضامين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص46).

فنرضى قضاء الـــــــــرّب وإنما *** كراهتنا معروفة للخطيــــــــئة

دعا الكل تكليفا ووفق بعضهـــم *** فخصّ بتوفيق وعمّ بدعـــــوة

فتعصى إذ لم تنتهج طرق شرعـــه *** وإن كنت تمشي في طريق المشيئة

وما لم يُرِدْه الله ليس بكائـــــــن *** تعالى وجلّ الله رب البريـــــــة[1]

إليك اختيار الكسب والرّب خالق *** مريد بتدبير له في الخّليقـــــــة

فهذا جواب عن مسائل سائــــل *** جهول ينادي وهو أعمى البصيرة

ردّ الشّيخ ابن لب في البيت الأول مأخوذ من قوله تعالى" لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ"[2] " وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَافَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ" "[3]مع قوله "وَلاَ يَرْضىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ"[4] .

والثّاني مأخوذ من قوله تعالى" قُلْ فَلِلهِ اِلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدِيكُمُۥ أَجْمَعِينَ"[5] يعني حجة الملك والثّالث والرّابع مأخوذان من قوله تعالى"اِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ"[6] وقوله تعالى" وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دارِ اِلسَّلَٰمِ وَيَهدِے مَنْ يَّشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ"[7] فعمّ بالدّعاء إلى الجنة وخصَّ بالهداية .

أما السّادس فمأخوذ من قوله تعالى" مَنْ يَّشَإِ اِللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَّشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ"[8] و "مَنْ يُّضْلِلِ اِللَّهُ فَلاَ هَادِىَ لَهُۥ وَنَذَرُهُمْ فِے طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ"[9]،والبيت السّابع مأخوذ من قوله تعالى" تعالى" وَاللَّهُ وَمَاخَلَقَكُمْ وما تَعْمَلُونَ "[10]والبيت الثامن مأخوذ من قوله تعالى" وَمَا تَشَآءُونَ إِلآَّ أَن

---

[1] - آمنة بن منضور: المناظرة في الأندلس،ص46.

[2] – سورة الأنعام: الآية 107.

[3] – سورة الأنعام:الآية 112.

[4] – سورة الزمر: الآية 08.

[5] – سورة الأنعام: الآية 149.

[6] – سورة المائدة: الآية 01.

[7] – سورة يونس: الآية 25.

[8] – سورة الأنعام: الآية 39.

[9] - سورة الأعراف:الآية 186.

[10] – سورة الصافات: الآية 96.

يَّشَآءَ ٱللَّهُ "[1] وقوله أيضا " إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ"[2] وقوله " إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ"[3] [4].

بعد السّيطرة الإسبانية على جلّ الأقاليم الإسلامية استمر المدجنون[5] كحلقة وصل بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية في الأندلس، فقد كان هناك طائفة من المدجنين في مدينة مرسية في حوار دائم مع الإسبان حول القضايا الشّائكة بين الطرفين، واحتدم الصّراع فسعي كل طرف إلى إثبات أحقية دينيه في الإتباع[6].

تمثل المناظرة التي جرت بين علي بن الحسن بن رشيق[7] وقسيس قَدِمَ إلى مرسية حلقة من حلقات الجدل الدّيني في الأندلس مستوى النّبوغ الذي وصله ابن رشيق في سنٍّ مبكرة وقدرته وبراعته على الحجاج وتمكّنه من الجدل ووسائله وبراعته في الارتجال.

جرت هذه المناظرة في مرسية كما أشرنا وهذا بعد سقوطها في يد الإسبان وحرص القساوسة على مناظرة المسلمين بغية طمس معالم الإسلام والتشكيك فيه[8].

---

[1] – سورة الإنسان: الآية 30.

[2] – سورة النحل: الآية 37.

[3] – سورة القصص: الآية 56.

[4]–خالد بن ناصر بن سعيد آل حسين العبدلي الغامدي: الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنّصارى والنّصارى من الفتح الإسلامي(92هـ)حتى سقوط غرناطة(897هـ)، دراسة عقدية، جهاد الأستاذ لخدمات الطباعة، المملكة العربية السعودية 1422هـ/2002م، ص498، 497.

[5] الدّجن: تطلق ليراد بها "المسلمون الذين بقوا تحت حكم النّصارى عندما استولوا على بلدانهم وسمحوا لهم أن يكونوا تحت ذمتهم يؤدون إليهم الجزية، وفي الكلام العامي يطلق عليهم لفظ دجال. وقد بدأ الدّجن في مرسية سنة 639هـ وقيل 640 هـ".

[6] – عدنان خلف سرهيد الدراجي: التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النّصرانية خلال عصر سلطنة غرناطة غرناطة 635هـ-897هـ/1238م-1492م، دكتوراه فلسفة، قسم التاريخ، جامعة المستنصرية 1433هـ-2012م، ص63.

[7]–**ابن رشيق**:هو الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي أبو علي شاعر من أدباء الأندلس ومؤرخيها.أصله من مرسية.استوطن سبتة وأقام آخر أيامه بغرناطة قال لسان الدين بن الخطيب في ترجمته(نقلا)"كان شاعرا مغلقا عجيبا قادرا على الاختراع والأوضاع جهم المحيا موحش الشّكل يجيد اللّعب بالشطرنج" ألف كتابا في التّاريخ وكتابا آخر سماه" ميزان العمل" توفي سنة 680هـ/1281م:انظر: خير الدين الزركلي: الإعلام،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنّساء من العرب والمستغربين والمشرقيين ،دار العلم للملايين، الطبعة15.بيروت ،لبنان،ج2، ص243.

[8] – آمنة بن منصور: المناظرة في الأندلس، المرجع السابق46.

بعد سقوط مدينة مرسية في أيدي النّصارى قَدِم هذا القس إليها مع وفد من الرّهبان والقساوسة مبعوثين من قبل ملك النّصارى للإنقطاع للعبادة والإطلاع على علوم المسلمين والنّهل منها وترجمتها والحرص على مناظرة المسلمين هناك[1].

ذكر ابن رشيق في كتابه"الرّسائل والوسائل"الذي يُعدُّ في حكم المفقودقال"كُنت في مدينة مرسية جبرها الله أيام محنة أهلها بالدَّجَنِ الذي عصم الله تعالى من غوائله وخلص من حبائله وكان قد ورد من قبل طاغية الرّوم جماعة من القسّسين.."كما أشرنا في الفقرة السّابقة إلى أن قال"...ولهم حرص على مناظرة المسلمين وقصد ذميم في إستمالة الضّعفاء يأكلون على ذلك مال طاغيتهم ويستمدون به الجاه من أهل ملّتهم قطع الله تعالى دابرهم.وكنت في ذلك الوقت أجلس بين يدي والدي رحمه الله تعالى لكتب الوثائق وعقود الأحكام"[2].

يضيف"...فتوجهنا معهما إلى مجتمع أولئك الرّهبان بدار كان لهم فيها كنيسة يعظمونها فلما فرغنا من قصدنا استدعاني قسيس منهم من بلاد مراكش.فصيح اللّسان مدرك للكلام معتدلٌ في المناظرة[3]وأخذ يستدرجني للمكالمة ويقول أنت طالب نبيه وقد سمعت بوالدك وبك وحدثني المسلمون عنكما بخير وعلم وأنا أريد أن أكلمك فيما لك فيه منفعة ولي..."وهو على هذه الحال من ذكر المحاسن حتى يقع في نفس المسلم ويأمن جانبه ويقبل الجلوس معه في جلسة علمية كان قد أعدّ لها النّصراني حريصا أن يستميله ولا ينفره منه قال"وأنت لست ممن تخاف أن يخدع بالباطل.ولا ممن يخض عليه الحق ويعاند فيه إذا ظهر له فاجلس معنا نأخذ في مسألة المذاكرة، فأعجبني كلامه وتصرفه في كلام العربي"..فجلست معهم وقعد إليَّ منهم أربعة وهو أحدهم وكأنهم تركوه للمكالمة،فأخذ معي في أمر معجزة أخذ متأدب مع الشّارع .وذلك منه خوف أن ينفرني ومكيدة يستميلني بها لسماع كلامه..." ولعلّ ما حصّله من والده من علم في أصول الدّين ساعده في مجلسه، ومن جملة المسائل التي تعرض له النّصراني"..قال لي أنتم تقولون أنّ من أعظم معجزات نبيكم القرآن العظيم الذي بين أيديكم[4] قلت له نعم:قال: وأنتم تقولون أن نبيكم تحدى به العرب قاطبة في أحفل ما كانوا في الفصاحة فعجزوا، قلت له: نعم.

---

[1] – سرهيد الدراجي: التأثير الحضاري المتبادل،ص63.
[2] – الغامدي: الصراع العقائدي في الأندلس، ص469.
[3] – الغامدي: المرجع نفسه ، ص469.
[4] – المرجع نفسه: ص470.

قال: اسمع الآن ما أقوله لك"...إنّ الكتاب المسمى بالمقامات قد أجمع أهل ملّتكم على أنّ أهل الأدب عجزوا عن معارضته وكل من تعرض لذلك لم يأت بشيء يقاربه ثمّ إن مؤلفه بعد ذلك تحدّى أهل اللّسان قاطبة بشيء منها رأى أنه لا يؤتى بمثله وزاد إلى ذلك بأن صرح بنفي الإتيان بمثله في المستقبل تصريحا لا يمكن إنكاره[1] وذلك قوله في المقابلة السّادسة والأربعون أنشد البيتين والمطربين المشتبهي الطرفين الذين أسكتا كل نافث وأمنا أن يعززا بثالث فأنشده:

سم سمة يحسن آثارهـــــــا *** واشكر لمن أعطى ولو سمسمة

والمكر مهما استطعت لا تأته *** لتنتقي السّـــــــؤدد والمكرمة

وقد مضت بعض الأعصار وانقرضت الأجيال فلم يأت بثالث كما قال لا في عصره ولا بعد عصره على كثرة درس النّاس لها وتداولها في مجالس المذاكرة ومحافل الأمراء واشتهارها في الأمصار فعلى ما تقرر أولا وجدناه عند جمهوركم في حق القرآن مسلما ينبغي أن يكون ما أتى به الحريري أيضا في هذا الموضع معجزة[2]

وإن لم يرد هو ذلك ولا قصد هذا المقصد الذي نحن بسبيله لكنه وقع ذلك في الوجود انفاقا ووقع وقوعا لأمريه فيه وأنتم مع ذلك لا تقولون إنه نبي ولا يمكنكم قول ذلك[3] ولا أنا أريده ولكن أريد أن هذا أمر قد وقع لمن حصل التسليم منكم فيه أنه غير نبي فما الفرق بينه وبين ما كنا بسبيله أولا؟ اللّهم إلاّ أن نستعين على ذلك بقرينة أخرى أو بقرائن من غير القرآن غير مستقل بإثبات نبوءة نبيكم وليس هذا قول أئمتكم.وأخذ يقرر أشياء من هذا القبيل يتحرَّ فيها من تنفيري فيتأدب مع القرآن عند ذكره ويعظم النبي صلى الله عليه وسلم متى عرض له ذكرا ويقول النّظر في هذا أحق عليك منه عليَّ.

" فأدركني والله انبعاث عظيم الزّيادة على البيتين لم أر آكد عليّ منه في الوقت ولا ألجم لذلك المخزي منها فأخذت أبدي له الفرق بين المسألتين بطرائف البراهين الأصولية والأقاويل العلمية وخاطري مشتغل بالتفرغ للزيادة عليها وهو يقول في كل ما أقوله له سمعت هذا وناظري به فلافقلت له:مع هذا

---

[1] – آمنة بن منصور: المناظرة في الأندلس الأشكال والمضامين، ص49.

[2] – آمنة بن منصور: المناظرة في الأندلس، ص50 .والإطلاع على المناظرة كاملة: أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي:المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان 1401هـ/1981م، ص156، 157، 158.

[3] – الغامدي: الصّراع العقائدي في الاندلس، ص471.

فقد زاد الناس على البيتين ولم يغفلوا عنهما فقال لي وأين هذا؟ فوالله ما رأيت أحدا إدعى هذا ولا ذكره يوما قط".

"فقلت له أنا أذكر بيتا ثالثا لهما ولا أذكر الآن قائله ولم أر أني أنسبه لنفسي في الوقت لأني قدرت أنه إن فعلت ذلك لا يقع منه موقعا مؤثرا ثم انشدته:

والمهر مهر الحور وهو التّقـــــــى *** بادر البكرة والمهرمـــــــــــــــــــــة

فلما سمعه وأعدته عليه حتى فهمه فكأنما القمتُه حجرا ورأيت فيه من الإنكسار لذلك ما لم أره عند ساع الحجج العقلية والمآخذ الأصولية فأخذ في الثناء عليّ وأخذ أصحابه يسألونه عن تفهيم ما قلته له فأفهمهم إياه.وقيّدوا البيت ولم أنفصل إلاّ وهم كالمسلمين في انقطاع شبهتهم قطع الله دابرهم"[1].

والغريب في أمر هذا القس أنه كان يكفيه بيتا واحدا عجز الناس عن الاتيان به ردحا من الزّمن وكي يقتنع حقا بإعجاز القرآن على العموم فقد ساد المناظرة جو من الاستقرار والهدوء ترجمه القس في احترام الشّعائر الإسلامية والعمل على الحفاظ على عدم تنفير الآخر كي يتسنى له إكمال المناظرة[2].

يتضح لنا من خلال هذه المناظرة مدى تأثير اللّغة العربية في تكوين شخصية القسّ القشتالي ريموند مارتن وغيره من القساوسة وموسوعيتهم،حيث أدركوا أهميتها كوسيلة من وسائل الحجاج لديهم بحيث مكّنتهم من الإلمام بالعلوم الإسلامية وبالخصوص مجال العقائد والأديان .

لعلّ رغبة بعض العلماء في الحفاظ على أملاكهم وعقاراتهم وعدم التّخلي عنها بعد سقوط المدن الأندلسية في يد النّصارى مثل طليطلة جعلهم يفضّلون الدّجن على الرّحيل إلى الأصقاع الإسلامية الأخرى،ولعل اختيارهم البقاء جاء بعد معرفة العلماء السّابقة بالظروف القاسية التي يمر بها بعض الأندلسيين في المغرب ورغبتهم في الرّجوع إلى الأندلس.

ولعلّ صمت كتب الطبقات عن ذكر هؤلاء العلماء إلّا في القليل النّادر جدا لأن تلك المدن لم تعد ديارا إسلامية حتى إن كانت في الواقع أقرب إلى المدن الإسلامية[3]. ومن جهة أخرى مخافة تربص العدو النّصراني بهم وكشفهم وهم الذين حرصوا على العمل بعيدا عن الأنظار حتى يعم النفع ويسلموا من ملاحقة النّصارى حتى انه عمدوا إلى استعمال أسلوب التّقية ومنها تغير الإسم في الفترة الأخيرة من تاريخ الأندلس.

---

[1] – الغامدي: الصّراع العقائدي في الاندلس ، ص472.

[2] –آمنة بن منصور: المناظرة في الأندلس، ص51.

[3] – سرهيد الدراجي: التأثير الحضاري المتبادل، ص63.

ومن له إسهام في هذا الباب(الجدل الدّيني) محمد بن أحمد القرموطي الأندلسي وقيل الرّقوطي[1] نسبة إلى رقوطة[2]وعند تغلب الرّوم على مرسية عُرِّفَ حقه. فبنيت له مدرسة يقرئ بها المسلمين واليهود والنّصارى جميع ما يرغبون بألسنتهم.وهذا دليل على تضلعه في اللغات.ولم يزل معظما عنده حتى استقدمته سلطات الدّولة النّصرية أبو عبد الله محمد الثّاني.

وممّا يذكر في هذا الباب أنّ ملك النّصارى قال له يوما"لو تنصّرت وحصّلت الكمال كان لك عندي كذا وكذا وكنت كذا فأجابه بما أقنعه ولما خرج من عنده قال لأصحابه أنا الآن أعبد واحدا وقد عجزت عما يجب له فكيف حالي لو كنت أعبد ثلاثة كما أراد مني ملك النّصارى".

استقدمه سلطان المسلمين ثاني ملوك بني نصر(الفقيه)واشتغل بالتدريس خاصة الطب والجدل وكان منزله مزارا للطلبة يغشونه بقوة، "...وكان السّلطان يجمع بينه وبين منثابي حضرته ممن كانت لهم رغبة في التّعلم وانتحال صنعة الجدل، فكان يتفوق دائما على من يناظره.."[3].

ولا يَقِلُّ العالم المغربي الآخر عبد الله بن سهيل مكانة عن سابقيه وهو الذي ذاع صيته في أيضا، إذ كان يملك شهرة كبيرة في العلوم والرّياضيات إلى حدّ أنّ الإسبان في كل شبه الجزيرة الإيبيرية لا سيما طليطلة كانوا يرحلون إليه في مدينة بسطة bacza لمجادلته والانتفاع من علمه[4]. فهذا الفقيه لم يجد حرجا في تعليم النّصارى أنواع العلوم ولكنه يكون قد حرص على إدخالهم في دين الإسلام[5]

---

[1]- الرقوطي: هو محمد بن أحمد الرقوطي المرسي يذكره احمد المقري بإسم القرموطي وهذا خطأ لأن الأصح مانقله ابن الخطيب بإسم الرقوطي نسبة الى رقوطة ricate الاسبانية ، وهي بلدة صغيرة في شرق الأندلس بالقرب من شمال غربي مرسية في الضفة الغربية لنهر شقورة، من أعيان المائة الثامنة، لم يذكر مولده ولا وفاته جمع العلوم القديمة والمنطق والهندسة والموسيقى والفلسة ومعرفة الألسن،لا يجاري في الطب،متمكنا من علم الجدل استقدمته ثاني ملوك بني نصر وأشاد به وأخذ عنه، وكان يستعمله لمجاراة أصحاب الفنون فيغلبهم في كل مرة، يقرئ الأمم بألسنتهم وفنونهم التي يرغبون في تعلمها أنظر: المقري التلمساني: نفح الطيب ،ج4،ص130-ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص47، 48.ص67،ص375- عبد الأحمد السّبتي، حليمة فرحات: المدينة في العصر الوسيط قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الاسلامي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ،1994 ،ص85- أحمد حدادي: المجالس والمناظرات الادبية والعلمية في غرناطة حصيلة وآفاق ،منشورات كلية الاداب جامعة وجدة، المغرب، 1988، ص196

[2]- نسبة إلى رقوطة وبالاسبانية Ricate وهي بلدة صغيرة في شرق الأندلس تقع على مقربة من شمال غربي مرسية على الضفة الغربية لنهر شقورة .أنظر: لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة ، مج3، ص67.

[3]- ابن حجر العسقلاني:الدرر الكامنة، ج3، ص375- لسان الدين بن الخطيب:المصدر السابق،ج3، ص68،48- أحمد تيمور باشا: أعلام المهندسين في الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،مصر، 2012، ص41- الغامدي: الصّراع العقائدي، ص477 – سرهيد الدراجي: التأثير الحضاري المتبادل، ص64.حدادي: المجالس والمناظرات، ص197.

[4] -سرهيد الدراجي: المرجع السابق، ص64.

[5] -الغامدي: المرجع السابق، ص590.

تنطبق المقولة القائلة "فهم الشّيئ جزء عن تصوره" على الشّيخ أبو عبد الله بن لب الكناني الذي كان نفوذه في فهمه دون نفوذه في حفظه لأن الحافظ أحيانا يخونه حفظه ويعجز عن الإسترجاع في بعض المواقف،سخّر موهبته في العلم المختلفة فكان "كثير التّرحال إلى أرض النّصارى وكان يتكلم مع الأساقفة في أمور الدّين.وكان كثير التّغلب عليهم".ولكن المواضيع التي دارت حولها هذه المناقشات لم تذكر في المصادر، ولكنّ الصّراع الدّيني في ذلك الوقت يحتم على العلماء الخوض في مسألة أي الأديان أحقية في الإتّباع وكذا الخوض في مسائل العقائد، وقيل عنه أيضا أنّه كان يتّصف بأمور غريبة وكان يمزج بين اليقظة والغفلة والسّذاجة والدّعابة في أسلوبه الحجاجي الجدلي[1].

ولمحمد بن علي اللّخمي كتاب أسماه"قمع اليهود في تعدي الحدود" وقد أحسن فيه ماشاء وسرد فيه بإسهاب الرّدود المفحمة في هذا السّبيل لم تتح لنا فرصة الإطلاع عليه كونه مفقود[2]

من طرق التأليف التي شاعت في الأندلس نجد إيراد المناظرات التي اشتهرت في التّاريخ الإسلامي لتشجيع المسلمين على علم الجدل واستشعار أهميته وممن كان لديهم الدّور في ذلك أبو الحسن النّباهي الأندلسي[3]الذي أورد في كتابه الشّهير "المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا" نموذجا رائعا من المناظرات بغية إطلاع النّاس عليها وحضّهم على هذا النّوع من العلوم وهي المناظرة التي وقعت لأبي بكر بن الطيب الباقلاني مع ملك النّصارى[4].

دار الحديث في هذه المناظرة حول إنشقاق القمر للنبي صلى الله عليه وسلم وفيها أن ملك النّصارى قال له"هذا الذي تدّعونه في معجزات نبيكم من انشقاق القمر،كيف هو عندكم؟ يقول القاضي أبو بكر الباقلاني ،قلت هو صحيح عندنا وانشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأى النّاس ذلك وإنما رآه الحاضرون ومن اتفق نظره في تلك الحال،قال الملك وكيف لم يره جميع النّاس قال: لأن النّاس لم يكونوا لأي شيء لم تعرفه الرّوم وغيرها من سائر النّاس وإنما رأيتموه

---

[1] – لسان الدين بن الخطيب:الإحاطة في أخبار غرناطة، مج3، ص80.حدادي، المجالس والمناظرات، ص196

[2] – حدادي: المرجع نفسه، ص196

[3] – من العلماء الأعلام المجتهدين والمثقفين والمفكرين في الأندلس أيام بني الأحمر سلاطين غرناطة، وقاضي الجماعة بغرناطة ولد عام 713هـ،قال ابن الخطيب في ترجمة السّلطان محمد بن الأحمر"وقدم للقضاء الفقيه الحبيب أبو الحسن بن الحسن(النباهي)وهو عين الأعيان بمالقة فحصوص برسم التجلة والقيام بالعقد والحل يسدد ويقارب وحمل الكل وأحسن فحصاحة الخطبة والخطة مع نزاهة..." له كتاب"المرقبة العليا" وبحث في مسألة الدعاء بعد الصلاة".كان حيا عام اثنين وتسعين وسبعمائة(أنظر: التمبكتي: نيل الإبتهاج، ص329، 330 –خالد محمود عبد الله، قيس فاروق صالح: القاضي أبو الحسن النباهي مؤرخا، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 15، العدد 09، 2008، ص226–المقري التلمساني: أزهار الرياض، ج2، ص07.

[4] – الغامدي: الصّراع العقائدي، ص474.

أنتم خاصة ردّ عليه"المائدة"[1] بينكم وبينها نسبة وأنتم رأيتموها دون اليهود والمجوس والبراهمة وأهل الإلحاد ويونان جيرانكم فإنهم كلهم منكرون لهذا الشأن فتحيّر الملك وقال في كلامه سبحان الله وأمر بإحضار فلان القسيس ليكلمني وقال نحن لا نطيقه لأن صاحبه قال ما في مملكتي مثله قال القسيس: الذي قاله المسلم لازم هو الحق. لا أعرف جوابا إلاّ ما ذكره.

ثم ذكر له القاضي حجة أخرى أفحمه بها بأن قال له" ألست تزعم أنّ الأرض كروية قال: نعم ردّ القاضي" أفتنكر أن يرى في هذا الإقليم ما لا يرى في إقليم آخر إنّ الكسوف يرى في موضع دون موضع وكواكب السّماء ترى في موضع دون غيره أم تقولون إن الكسوف إذا وقع رآه أهل الأرض كلهم. قال القسيس بل يراه إلّا من كان في محاذاته قال القاضي فما أنكرت من انشقاق القمر إذا كان في ناحية لا يراه إلاّ أهل تلك النّاحية ومن تأهب للنظر له، فأما من أعرض عنه ومن كان في الأمكنة التي لا يرى منها فلايراه. وبهذا يكون قد ألجمه وأقام عليه الحجة[2]

وفي مجلس آخر سأله الملك ما تقولون في المسيح عيسى ابن مريم عليه السّلام أجابه:وكلمته وعبده ونبيه ورسوله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وتلا عليه قوله تعالى"**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**"[3]فقال يا مسلم تقولون المسيح عبد فردّ: نعم كذا نقول ونذين.قال ولا تقولون أنه ابن الله .ردّ مَعَاذَ الله وتلا عليه قوله تعالى" **مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ**"[4] وبعد أن قرأ عليه نصّ الآية الكريمة قال له إنكم لتقولون قولا عظيما فإذا جعلتم المسيح ابن الله فمن كان أبوه وأخوه وجدّه وعمه وخاله وعدّد عليه

---

[1]- المقصود بالمائدة –هي القصة المذكورة في آخر سورة المائدة حيث طلب الحواريون من عيسى عليه السّلام أن يسأل ربه أن ينزلها عليهم واختلف في نزولها وقال الجمهور بنزولها واختاره ابن جرير لأنه تعالى أخبر بنزولها بقوله" إني منزلها عليكم" وعد الله الحق وصدق قال ابن كثير(نقلا) وهذا القول هو والله أعلم الصواب كما دلت عليه الأخبار والآثار– محمد علي حيدر: مساهمات الإمام الباقلاني في مقارنة الأديان مع التركيز الخاص على مناظراته مع النّصارى،ماجستير في الإسلاميات والعلوم الإنسانية، جامعة دار الهدى الإسلامية، كيرالا، الهند، 2018، ص69.

[2]- النباهي المالقي: المرقبة العليا، ص38،39– الغامدي:الصّراع العقائدي، المرجع السابق، ص474،475–محمد بن عبد العزيز الخضيري:المناظرة العجيبة(وقائع مناظرة الإمام الباقلاني للنّصارى بحضرة ملكهم،ط1،دار الوطن للنشر،الرياض السعودية1420هـ/ 2000م ، ص37، 38 – علي حيدر: مساهمات الامام الباقلاني، ص70، 71.

[3] – سورة آل عمران، الآية 59.

[4] – سورة المؤمنون، الآية 91.

الأقارب فتحيّر وتلعثم وغابت حجته[1]وقال يا مسلم العبد يخلق ويحي ويميت ويبرئ الأكمه والأبرص؟ قال: لا يقدر على ذلك وإنما ذلك كله من فعل الله تعالى قال القاضي: معاذ الله! ما أحيا المسيح الموتى ولا أبرأ الأكمه والأبرص فتحيّر الملك وقلّ صبره.وقال يا مسلم أتنكر هذا مع اشتهاره في الخلق وأخذ النّاس له بالقبول.قال:ما قال أحد من أهل الفقه والمعرفة أنّ الأنبياء يفعلون المعجزات من ذاتهم وإنما هو شيء يفعله الله.على أيديهم تصديقا لهم يجري مجرى الشّهادة[2] قال الملك: قد حضر عند جماعة من أولاد نبيكم والمشهورين فيكم وقالوا إن ذلك في كتابكم.قال القاضي:أيها الملك في كتابنا أنّ ذلك كله كان بإذن الله تعالى وتلا عليه من نصوص القرآن في المسيح: "**إِذْ قَالَ اَللَّهُ يَٰعِيسَى اَبْنَ مَرْيَمَ اَ۪ذْكُرْ نِعْمَتِے عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذَ اَيَّدتُّكَ بِرُوحِ اِلْقُدُسِ تُكَلِّمُ اُلنَّاسَ فِے اِلْمَهْدِ وَكَهْلاًۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ اَلْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرِيٰةَ وَالِانجِيلَۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ اَلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ اِلطَّيْرِ بِإِذْنِے فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَٰٓيِراَۢ بِإِذْنِےۖ وَتُبْرِئُ اُلَاكْمَهَ وَالَابْرَصَ بِإِذْنِےۖ وَإِذْ تُخْرِجُ اُلْمَوْتيٰ بِإِذْنِےۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِے إِسْرَآءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ اَلذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمُۥٓ إِنْ هَٰذَآ إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ**"[3]وقال أيضا "**وَرَسُولاً اِلَيٰ بَنِے إِسْرَآءِيلَ أَنِّے قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمُۥٓۖ إِنِّيَ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِينِ كَهَيْـَٔةِ الطَيرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَٰٓيِراَۢ بِإِذْنِ اِللَّهِۖ وَأُبْرِئُ اُلَاكْمَهَ وَالَابْرَصَ وَأُحْيِ اِلْمَوْتيٰ بِإِذْنِ اِللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَاكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِے بُيُوتِكُمُۥٓۖ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمُۥٓ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ**"[4]. فلو كان المسيح يحي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص من ذاته وقوته لجاز القول كذلك في نبي الله موسى أنه فلق البحر.وأخرج يده بيضاء من غير سوء من ذاته وليست معجزات الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام من أفعالهم دون إرادة الخالق فلا يجوز هنا أن تستند المعجزات التي ظهرت على يد المسيح إليه.قال الملك:سائر الأنبياء كلهم كانوا يتضرعون للمسيح حتى يفعل ما يطلبون.ردّ القاضي: أفي لسان اليهود عظم لا يقدرون أن يقولوا إنّ المسيح

---

[1] – النباهي المالقي: المصدر السابق، ص39– الخضيري: المناظرة العجيبة، ص39.القاضي عياض بن موسى بن عياض السّبتي (ت:544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق سعيد أحمد اعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1402هـ/1982م، ج7، ص65.

[2] – النّباهي المالقي:المرقبة العليا،ص39.–الخضري: المناظرة العجيبة ص40–عياض السبتي: ترتيب المدارك–ج7، ص65.

[3] – سورة المائدة، الآية 110.

[4] – سورة آل عمران، الآية 49.

كان يتضرّع إلى موسى وكل صاحب نبي يقول:إن المسيح كان يتضرع إلى نبيّه فلا فرق في الموضعين في الدّعوى[1] .

ومن المناظرات لتي أوردها الفقاي(أفوقاي)في كتابه أن عالما من النّصارى قبل أن يسلم قال لي" أن السّلطان بمراكش أمر بإحضاري أمامه لما علم أنيّ من علماء النّصارى وقال له: ماذا تعرفون عن عيسى عليه السّلام.قال:أحد الثّلاثة في الألوهية ومات ليخلص العالم من ذنب ارتكبه آدم.قال السّلطان هب أني أمرت أن يُقتل كل داخل إلى بستاني هذا واتفق أن داخل أحدهم عالم بالمنع ثم أمرت الخدم أن يأتوني بابني وقلت لهم اقتلوه لأجل دخول فلان في هذا البستان الذي نهيت النّاس عن دخوله"هذي على زعمكم أن عيسى ابن الله وقُتِل في ذنب آدم.وهل يقول عاقل بهذا.فبهت الرّاهب فقال الفقاي للراهب هذا الكلام لم يبق ما تجاوبون به[2].

وفي هذا الباب أيضا ما وقع له مع نصراني كان قد أقام فترة من الزّمن في مراكش ولا يعرف عن غايته فيها فربما كان حينها من رجال الإستخبارات حيث عرض عليه القيام بكل الخدمات التي يطلبها منه وفي المقابل يعمل على مساعدته على فهم كتب العربية التي يملكها النّصراني.فطلب منه إحضارها فكانت القرآن الكريم. وقانون ابن سينا وكتاب إقليدس في الهندسة والأجرومية والكافية. فلما أجاب عن كيفية الحصول عليها قال:أنّ جلوسي بمراكش فترة من الزّمن كان عن أمر سلطان النّصارى ليخبره بحروف الرّمز بكل ما يصل إلى علمه عن تحركات السّلطان وما يقع في ديوانه[3].

وقعت عين الفقاي على جملت كتبت في هامش المصحف الذي جاء به النّصراني أمام قوله تعالى " نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ "[4] وكأنه يقول أنّ عدم تعيين القرآن الكريم لمكان الوطئ فيه إباحة اللّواط للمسلمين. قال له من قال لك أنه مباح عندنا ؟.

قال ظاهر هذه الآية يدلّ على الإباحة.

قال "نحن عندنا أن اللّواط أشدّ ذنبا من الزّنا لأنه إذا زنا محصن يُرجم إلى أن يموت وإذا كان غير محصن يجلد مائة جلدة ويغرَّبُ عن بلده ويُسجن فيه عاما.وإذا فعل فعل قوم لوط كان محصنا أو

---

[1] – النباهي: المرقبة العليا، ص39–الخضيري: المناظرة العجيبة، ص42، 43،عياض السّبتي:ترتيب المدارك–ج7، ص66.

[2] – احمد بن قاسم الحجري (افوقاي) رحلة أفوقاي الأندلسي(مختصر رحلة الشّهاب إلى لقاء الأحباب، تحقيق، محمد رزوق، ط1، دار السويدي للنشر والتّوزيع، ابو ظبي، الأمارات العربية المتحدة –2004، ص38.

[3] – إبن منصور عبد الوهاب:أحمد بن قاسم الفقاي الحجري آخر موريسكي يؤلف بالعربية ويدافع جهرة عن الإسلام، مجلة الأكاديمية، المغرب، العدد12، 1995، ص25.

[4] – سورة البقرة، الآية 223.

غير محصن يموت مرجوما شرعا.فكيف فسّرت ذلك وأنت لا تعرف العربية ولا النّحو. فأمره أن يمحو الذي كتب فأبى أن يفعل ذلك وبقي في عناده"[1].وصادف أن ذهب الإثنان إلى مكتبة فوجدا كتابا عربيا وفتحاه ليجدا بالصدفة تفسير الآية أبيات شعر فأخذ القلم وكتبها النّصراني حاضر[2].

حبذا من وُهِبَ النّساء الصالحات *** هُنَّ للنسل وهن للدّين ثبات

يهب الله لمن يشاء النِسا الخيرات *** إنما الأرحام لنا محتـــــــرثات

فعلينا بالزرع فيها وعلى الله النبات[3] .

قال له بعد هذا أن الأرحام موضع الحرث، وهل سمعت يوما أن أحدا يحرث في حجر قال: لا قل الفقاي:إن كان أحد لا يحرث إلّا في موضع النّبات أو الزّرع والنّساء من حرث الرّجال في محل النّبات، فوقتها اقتنع النّصراني وسلّم للمسألة[4].

تجلت الرّدود على النّصارى في بعض مؤلفاتهم التي ضمّنوها بعض المناظرات التي وقعت لهم كالكتاب الذي سنأتي على بيانه وهو لأحمد بن قاسم الحجري المشهور ب أفوقاي[5]رغم أنه يؤرخ لفترة التّسلط النّصراني التي أعقبت سقوط الأندلس إلّا أنه قدّم لنا مادة دسمة في هذا المجال، كونه انتصر فيه للإسلام في محتواه و سمّى هذا الكتاب"ناصر الدّين على القوم الكافرين".

أورد لنا فيه بعض الدّوافع التي جعلته يعمل على تأليف الكتاب فيذكر في مواضع عديدة من كتابه هذا أنه عندما قفل رجعا إلى مدينة مراكش بعد الرّحلة التي قام بها إلى بلاد الفرنجة(فرنسا)

---

[1] – عبد الوهاب ابن منصور: أحمد بن قاسم الفقاي الحجري، ص25.

[2] – أحمد بن قاسم الحجري أفوقاي: رحلة أفوقاي الأندلسي، ص34.

[3] – أحمد بن قاسم الحجري (افوقاي): المصدر نفسه، ص35.

[4] – عبد الوهاب ابن منصور: المرجع السابق، ص26.

[5]– أفوقاي:احمد بن قاسم الحجري(1047هـ: مورسكي عاش في غرناطة ولمّا سنحت له الفرصة فرّ إلى المغرب في عهد المنصور الذهبي،مكنته خبرته وتضلعه في الإسبانية فيالعمل على ترجمة الكتب عند السلطان المذكور، وقام بنفس المهمة في عهد السلطان زيدان وابنيه عبد الملك والوليد،تولى مهام السّفارة عن السلطان زيدان إلى كل من فرنسا وهولندا (1020هـ-1022هـ/1613م-1022م) ثم رحل إلى المشرق الإسلامي حيث حجّ وقفل راجعا واستقرّ بمصر مدةمن الوقت ورجوعه إلى تونس عام 1047،.

ألّف مجموعة من الكتب يأتي في مقدمتها ترجمة كتاب في المدفعية لإبراهيم بن غانم الرياش سما" العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع" الذي سنأتي على بيانه في المبحث الخاص بدور العلماء في التأليف في مجال الجهاد "بالإضافة إلى كتاب " رحلة لشهاب في لقاء الأحباب" وهو الآن من الكتب المفقودة. أثبت فيه مناظراته للمسيحيين واليهود ولعله جزء من الكتاب المراد الحديث عنه" ناصر الدين على القوم الكافرين"غير أن سنة وفاته تبقى مجهولة -وترجمة الرّسالة الزّكوطية للإسرائيلي إبراهيم السّلمنقي(انظر: أحمد بن قاسم الحجري (أفوقاي) رحلة أفوقاي الأندلسي، ص11، 12.

وبلاد الفلامينك هولندا، قصّ ما عاشه وما كان له بها من مناظرات وقصص مع القساوسة والرّهبان في هاته المدن،حتى أشاروا عليه أن يدون ذلك في كتاب ليتسنى الإطلاع عليه.لكن لا نعلم سبب الإمتناع عن ذلك،ولكن لمـــــّا طلب منه الشّيخ الأجهوري المالكي[1] في رجوعه من الحج مارًا بمصر تدوين رحلته استجاب له وتمّ له ذلك[2] ويعد هذا الكتاب مصدر تاريخي هام في تاريخ الأندلس كونه كُتِب بعد صدور قرار طرد الأندلسيين المتبقين في الأندلس فصاحبه يتكم بمنأى عن محاكم التّفتيش، يجادل المسيحيين واليهود مستعرضا أهم الأحداث وناقلا ما كان من النّصارى الإسبان من أعمال وحشية في حق المسلمين شارحا وعارضا لأهم الظروف التي عجّلت بانتقالهم إلى المغرب[3]

قَسَّمَ الشّيخ الحجري مؤلفه هذا إلى ثلاثة عشرة بابا نذكر منها أبوابا فقط حسب ما يقتضيه موضوع الدّراسة .

ففي الباب السّادس من الكتاب يورد الحجري مناظرة مع قاضي الأندلس النّصراني(لم يذكر إسمه) فقال:"ولما التقيت بالقاضي كان يشكر لي دينه حتى قال لي مرارا يا فلان رأيت أنه يليق بك أن ترجع نصرانيا.قلت له: على أي مذهب من النّصارى؟

قال ليس لنا إلا مذهبا واحدا[4] .

قلت له:لو كان الله تعالى يحي نصرانيا من زمن سيدنا عيسى عليه السّلام ثم يحي نصرانيا من القرون الماضية وجميعها ستة عشر قرنا فكل واحد منهم يقول لغيره أنهم كفار لما يرى من الزّيادة والنقصان

---

[1] – شيخ المالكية في عصره، يسمى علي بن زين العابدين بن محمد بن أبي محمد بن زين الدين عبد الرحمن بن علي أبو الإرشاد نور الدين الأجهوري نسبة إلى جمهور الورد قرية بريف مصر، ولد عام 967هـ، بمصر وبها توفي عام 1066هـ).

كان إمام الأئمة في مصر وقتها وعَلَمُ الإرشاد علم العصر في غيره. فقيها جمع بين العلم والأدب فاشتهر وعمّ نفعه حيث عمّر طويلا وتسامع النّاس به فأصبح مقصدا لكل طالب علم للأخذ عنه، ألّف كتبا كثيرة حيث شرح كتاب " التّهذيب "للتفتزاني في المنطق وكذا كتبه الثّلاث عل مختصر خليل في فقه المالكية في 12 مجلدا ، وشرح عقيدة الرّسالة وشرح ألفية السّيرة للزين العراقي ومجلد في المعراج ومجلد في الأحاديث التي اختصرها ابن أبي حمزة من البخاري وشرح ألفية بن مالك . (انظر: محمد أمين بن فضل بن محب الدين بن محمد المحيي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: المطبعة الوهبية ،مصر-1284هـ، ص157، 158، 160.

[2]– حسام الدّين شاشية: الجدل الديني من خلال كتاب ناصر لدين على القوم الكافرين"مؤمنون بلا حدود ،مؤسسة دراسات وأبحاث، قسم الدّراسات الدّينية ،2015، ص01.

[3] – محمد رزوق:الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، ص11.

[4]– أحمد بن قاسم االحجري(ت بعد: 1640م):كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين، تحقيق وتقديم وترجمة شوروفان كوننكزفلد، قاسم السّامرائي،خيرارو فيخرز، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدّولي، 1996، ص59.

عند غيره في الدّين والعقل السّليم يحكم بحكم قطعي أنّ دين الله تعالى لا فيه زيادة ولا نقصان كما هو ديننا.

قال القاضي: ديننا كذلك.

قلت: دينكم مفتوح للزياد والنّقصان لأن كل باب له أمر عندكم ليزيد وينقص ما يظهر له في الدّين

قال: هذا سيدنا عيسى ذكره الأوائل من الأنبياء حتى قالوا أنه لا يكون قبر أحد من الأنبياء معروفا حقيقة إلاّ قبره – قلت له ذلك قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم – قال: كيف ذلك؟ .

قلت: ليس هو كما تقول النّصارى أنه في حلقة من حديد في الهوى(الهواء) وسط قبة مبنية بحجر المغناطيس الذي من خاصيته يجذب الحديد إليه لأنه مدفون في الأرض في مدينة صلى الله عليه وسلم بينها وبين مكة عشرة أيام .

قال لي: أنظر إلى العافية التي في بلادنا بخلاف بلادكم لأن الأحكام تدل على صحة ديننا[1]

قلت له: ليست أحكامكم وشريعة دينكم مأخوذة من الإنجيل إنما شرعكم على مذهب المجوس الذين كانوا برومة (روما) وكُتُبُ شريعتكم مترجمة من كتبهم مثل الكتاب الكبير المسمى"ببلض" وغيره

قال: صدقت[2]

ومما ذكره لنا أيضا أنه لما حلّ بفرنسا لقي بها تاجرا اسمه"فُرَط"وكان قد عرفه من قبل في مراكش وكان ممّن يجيد العربية لطول إقامته ببلاد المسلمين ومخالطتهم ورغبته في تعلمها لأغراضه الخاصة، ولما اجتمع به بدأ التّاجر يستعظم دينه ويستنقص دين المسلمين على عادة كل نصراني متهما وزاعما أن دين الإسلام يبيح الزّنا والسّرقة اعتمادا على ما اطلع عليه في حديث أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم سُئل عن المؤمن هل يزني، فأجاب بنعم وسُئل عنه هل يسرق فأجاب بنعم وسُئل عنه هل يكذب فأجاب بلا فانبرى له الفقاي مبينا له الحديث على حقيقته قائلا إنّ الذي لا يكذب لا يزني ولا يسرق فكيف يقال أن الزّنا والسّرقة مباحان وهناك ما يَرُدُّ ذلك في القرآن والسّنة.فكلاهما يُقرُّ بأن السّارق تُقطع يده والزّاني يرجم حتى الموت إذا كان محصنا، ولكنّ النّصراني لم يتوقف عند هذا بل زاد في عتوه وتمجيده لدينه قائلا: إنَّ عيسى عليه السّلام كان إبنًا لله وإبنًا للإنسان وأنه مات ليخلص الذّنب الأول لآدم وهنا ردّ عليه الفقاي بأبيات منسوبة للقاضي عياض يقول:[3]

---

[1] – الحجري الفقاي: كتاب ناصر الدّين على القوم الكافرين، 60.

[2] – الفقاي: المصدر نفسه، ص61.

[3] – بن منصور عبد الوهاب:أحمد بن قاسم الفقاي الحجري،ص25.

عجبا للنصـــــــارى في نبيهم *** وإلى أي والد نسبـــــــــوه

أسلموا إلى اليهـــــــود وقالوا *** أنهم بعد صلبه قتلـــــــوه

فإذا كان ما يقـــــولون حقا *** فاسألوهم أين كان أبـــــوه

فإذا كان راضيا لأذاهـــــم *** فاشكروهم لأجل ما عذبـــوه

وإذا كان ساخا لأذاهـــــم *** فاعبدوهم لأنهم غلبـــــــوه[1]

قال فبهت التّاجر وأُسقط في يده ولم يعرف ما يقوله[2]

وفي مناظرة أخرى حول تحريم الخمر قال نصراني وما السّبب حتى منعكم نبيكم الخمر قلت منعه الله تعالى لأن أفضل ما تكرم به على بني آدم هو العقل والذي يزيله هو الخمر وهو أقبح المسائل كلها. قال عندنا هو ممنوع أن يشرب الإنسان منه حتى يسكر. قلت: ظهر لي أنه ممنوع لكم في الإنجيل ولا انتبهتم له قال: في أي موضع. قلت في الدّعاء الذي أمركم به سيدنا عيسى عليه السّلام أن تدعو به وأوله"أبونا الذي في السّماء...إلى أن تقولوا ولا تدعنا نقع عند فتنة النّفس وآخرون يترجمون"ولا تدخلنا التخريب" وهم الأكثر والأول عندي هو الصّحيح. قالوا عندنا هذا. قلت هل يجوز أن تأخذ الفتنة بيدك وتلب ان لا يدع تقع عندها؟ لأنك إذا زدت من الخمر قليلا عن العادة يذهب بالعقل وإذا ذهب وقعت في الفتن مع طلبك الله أن لا يدعك تقع. قال نحن نتحفظ في شربنا حتى لا يذهب العقل. قلت لهم عندي أنّ من هو مثلكم قضاة وعلماء ومن أكابر النّاس أن الإنصاف للحق موجود عندكم والبعد عن الكذب والباطل وإلى هذا تحلفون بدينكم أنكم ما زدتم قط من شرب الخمر حتى ذهب بالعقل.وتكلموا بينهم وضحكوا جميعا وكأنهم اعترفوا[3]

يورد لنا الفقاي مسألة الزّواج عند النّصارى في حديث له مع راهب نصراني يقول قلت للراهب: هل هو أفضل عند الله تعالى وعندكم ترك الزّواج[4]قال كثير يتزوجون. وسرد لنا مثالا في ذلك وجهه

[1] - بن منصور عبد الوهاب:أحمد بن قاسم الفقاي الحجري ، ص26.

[2] -الحجري أفوقاي: رحلة أفوقاي، ص66.

[3] – المصدر نفسه، ص67.

[4] – هناك ثلاثة اتجاهات في الشّرائع المسيحية في أمر زواج الكاهن وعدمه. فالأول يذهب إلى تحريم زواج الكاهن الذي انقطع لخدمة الكنيسة وهذا في شرع طائفة الأرثوودوكس حيث أن الرهبنة عندهم تعتبر مانعا للزواج. أما الاتجاه الثاني فهو يبيح زواج الكاهن لأن الرجل ضرورات المرأة وأخذ بهذا الرأي جماعة الإنجيل (البروتستانت)أما الاتجاه الثالث يحرم الزواج على بعض الرتب وغيرها كما في الطوائف الكاثوليكية.

أما بالنسبة للرهبانية (الراهب)فقد ذهب رأي ببطلان زواج الراهب وذهب إلى تحريمه طائفتي الأرثودكس والكاثوليك. بينما ذهب الأقباط في الاتجاه الآخر وقالوا أن زواج الراهب يعني عدوله عن الرهبانية. والمعلوم أن البروتستانت لا ترى مانعا من أن يتزوج

للكائن في محاولة منه تقريب الفهم بأن قال هب أن السّلطان نادى رجلين وأنعم عليهما فقبل واحد ورفض الآخر وتنكر،وذلك أن الله عز وجلّ زيّن هذا العالم من أجل بني آدم فالذي يعمل قدر جهده ليكون له أولاد ليشكروا الله تعالى بعده على ما أنعم عليه فهو شاكر والذي لم يقصدهم ولا يريدهم فليس شاكر.ردّ الرّاهب:كثير من يتزوج قلت:الزّواج سبب في الأولاد لعمارة العالم وعبادة الله والشّكر عليها لأن فإن ثم قلت له هل في دينكم أن يوم الحساب إذا سُئل إنسان عن عمل صالح تركه أو فعله هل ينجو ويسلم بقوله أنا ما عملته ولكن عمله غيري وناب عنّي فيه فتوقف الرّاهب عن الجواب ولم يجد ما يقول وقال ادخلوا معي إلى البستان فدخلنا معه. وبينما كنا سائرين بين الأشجار رأيت شجرة لم تثمر قلت له لماذا غرستم هذه الشجرة[1] قال: لتثمر وتعمل فاكهة قلت وإذا لم تفعل وتعمل فاكهة ما يصنع بها، فتبسم وعلم أن المثال كان عليه[2] .

ففي مسألة زواج النّصارى يورد التّرجمان الميورقي ما يؤكد بطلان زعم النّصارى في الزّواج وما جاءت به شرائعهم" إنكم متفوقون في دينكم على أن النّبي داود تزوج مائة امرأة وَوُلد له منهن أزيد من خمسين... وكذلك سليمان تزوج ألف امرأة كما جاء في التوراة وأنتم تعتقدون أن التوراة نزلت من عند الله.وكذلك جميع الأنبياء عليهم السّلام تزوجوا.

وولد لهم الأولاد بخلاف عيسى ويحي وزكرياء عليهم السّلام وفي التّوراة يحلُّ للرجال ان يتزوجوا من النّساء قدر ما يقدر عليه من نفقاتهن وأنتم يا معشر النّصارى لم تدينوا في التزويج بما شرعه الله في التّوراة والانجيل وانما تمسكتم في ذلك بقول"بولس"لأنه عند أوائلكم بمنزلة نبي فإنه أمركم أن لا يتزوج الرّجل غير امرأة واحدة. فإذا ماتت عوضها بأخرى[3] وأمر أن يتزوج القس(القسيس امرأة —بكرا لا ثيبا فإذا ماتت حرم عليه التزويج[4].

يعبر محمد القيسي صاحب كتاب" مفتاح الدّين والمجادلة بين النّصارى والمسلمين من قول الأنبياء والمرسلين والعلماء الرّاشدين"عن شراسة الأمر وقسوته،وهو الذي كان يضطر في أسره "

=الراهب ويؤيدهم في ذلك طائفة الأرثودكس بشرط أن لا يتزوج راهبة .انظر:طه الشّريف.الزّواج الإسلامي ومقارنته بالزواج في الشرائع المسيحية، وكالة الأهرام، ط1، 2005،ص110.

[1] – أفوقاي: ناصر الدّين على القوم الكافرين، ص56.

[2] – المصدر نفسه، ص57.

[3] – محمد الزهيري النّكلاوي الحنفي(ت:1198هـ): مختصر تحفة الأريب في الرد على أهل الصّليب، تحقيق عبد الله بن سعد الطخيس، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1429هـ/2008م، ص76.

[4] – المصدر نفسه، ص77.

بكتلونيا" وهي(اقليم من الشّمال الشّرقي لإسبانيا)إلى مجادلة القساوسة والرّهبان لأنهم كانوا يتخذون منه نموذجا ومرجعا للتدرب على الجدال الدّيني في مطلع القرن الميلادي الرّابع عشر كونه كان بارعا في هذا الفن .يقول في هذا"فحاسبت نفسي أشد حساب وطالبتها بالبلاغة أشدّ الطّلب وقلت نكتب بهذا الكتاب ليتذكر أولوا الألباب فلم نجد في حومتنا من ينقله عنّا لبعد ديارنا وانقطاعنا عن أهل ملّتنا. لا طالب يطلب ولا كاتب يكتب مع أن الكلام لا يثبت في الهواء ولا يقف في الخوا...ولعمري كأني لو استطعت لجعلت القلم من نباتي والمداد من أجفاني مرضاة إخواني.ونجعل الورق من جلدي.بل من سحق خدّي ولو علمت أن أحدا من المسلمين يكتب ويطلب ما جرى على خاطري ولا نطق به لساني لأن لسان أعجمي قد خانني جناني. وكثرت أحزاني وأسلبني خاطري...وحُقَّ لمن أسرته الرّوم وكابد المشقة والهموم أن يَكْلَمَ لسانه ويضعف بيانه ويذهب تبيانه وتسلمه نفسه ويكون خير يومه أمسه...وغصبني ثوب الإحسان واستبدلني به لباس الحرمان ورماني بين حزب الشّيطان في دار الكفر والطّغيان أخدم النّصارى العصيان والقسيسين والرّهبان في المجادلة والهوان حتى سلبني عقلي وصيّرني لا أملك قياد قولي وما أنا إلا أحسب إني أنظر إلى قبري قبل إنقضاء عهدي[1]ولعلّ مكوثه بأرض النصارى مدة طويلة حرمه من ترجمة مناظراته مع النصارى إلى كتب يستفيد منها أهل ملّته من المسلمين، وما وصلنا من مؤلفاته الّا كتابه هذا ولا يزال في حدود علمي في حكم المخطوط .

02:التأليف في الجهاد :

بعد معركة العقاب وكذا قرب سقوط دولة الموحدين تراجعت شعيرة الجهاد في الأندلس نتيجة توالي هجمات النّصارى واشتدادها بمسمى حروب الاسترداد بزعمهم والتي مكنت من تقويض مساحة جزيرة الأندلس،الأمر الذي جعل المسلمين يستفيقون من غفلتهم وسباتهم وكبواتهم العديدة وأعادو بعث هذه الشّعيرة المقدسة واستقبلوا أمرهم ولم يستدبروه، وسرعان ما حولوا أنفسهم الى جيش من المجاهدين الذين وهبوا كل شيئ في حياتهم للجهاد ضدّ الغزاة والمعتدين،وعملوا على إقناع النّاس برسالة الجهاد ودفعهم إلى البذل والتّضحية بالنفس والنّفيس واستعملوا في ذلك المدارس والمساجد التي أصبحت جزءا من معركة الخلاص المنشود .

[1] – فريدة بنعزوز: الأسر في رحلة مغربيةمورسكية لمجهول من القرن الهجري التاسع، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي تطوان، 2009، العدد 16، ص15.

ونظرا لأهمية فريضة الجهاد التي حضيت بإهتمام كبير من العلماء و الفقهاء والمحدثين فألّفوا فيها كُتبا لبيان أهميتها والحضّ على تأديتها، ولعلّ أبرزها وأقدمها كتاب الجهاد لعبد الله بن المبارك والذي جمع فيه معظم أحاديث الجهاد[1]

تعددت دوافع الكتابة والتّأليف لدى علماء المسلمين خلال فترة دراستنا،فكانت للظّروف السّياسية التي عايشها المسلمون آنذاك دور كبير في ظهور بعضها وهناك دوافع أخرى يمكن إرجاعها لأهداف محددة وخاصة تلك التي قصد بها العلماء الحضّ على الجهاد والدّعاية له، ومنه ما كان سيرة شخصية لقائد مجاهد معروف تخليدا لبطولاته وإظهار مساهماته في مقاومة أعداء الإسلام.

يلاحظ الدّارس لمؤلفات علماء فترة الدّراسة أنّ غالبيتها صُنفت في الجهاد وبيان فضائله وبعضها الآخر سيرة لقادة الجهاد إعترافا بفضلهم ومنجزاتهم [2]

وجنّد الشّعراء والكتاب أنفسهم لهذا السّبيل أيضا للذود عن عقيدة الأمة والدّفاع عنها في محاولة منهم لردّ عدوان النّصارى المتربصين بالدّيار الإسلامية داخليا وخارجيا ،حيث عملوا على تعبئة النّاس تعبئة عقدية وإعلامية كاملة،سعى من خلالها كل إنسان إلى تقديم ما أمكن تقديمه على حسب استطاعته في سبيل استكمال التّعبئة المادية والرّوحية، ولم يغفل العلماء والشّعراء في تدوين الإنتصارات في أشعارهم وكذا في مدح ملوكهم .

كانت الحروب دافعا قويا لظهور لون من ألوان الأدب لم يكن موجودا من قبل بهذه القوة التي شهدها نهاية العصر الأندلسي، وهذا اللّون يرجع إلى أصل واحد هو الجهاد والدّعوة لحماية الإسلام والمسلمين،من ذلك على سبيل المثال أدب الجهاد والحضّ عليه ووصف الجيوش وآلات الحرب والحصون وإبراز فضائل الشّجاعة والنّخوة والبطولة والتّفاني في سبيل الدّفاع عن العقيدة الإسلامية.

من العلماء الذين وجدت في مؤلفاتهم إشارات في التّحريض على الجهاد أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي(ابن الحاج ت: 737هـ)[3]، وهو بهذا يحاكي الذين سبقوه في

---

[1]– عبد الله بن المبارك: الجهاد، تحقيق نزيه حماد، دار النور، بيروت، لبنان، 197، ص40 – لؤي البواعنة: دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي، ص127 .

[2] – لؤي البواعنة: المرجع نفسه، ص346

[3]– الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشّهير بابن الحاج من أهل الفضل والمعرفة يقتدي به صَحِب جلة من العلماء ذوي المكانة منهم أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة. له التآليف النافعة ومن أهمها وأجلّها الكتاب المسمى "بالمدخل" الذي قال فيه ابن حجر" هو كثير الفوائد كشف فيه عيوب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها وأكثرها مما ينكر بعضها.فرغ من

هذا المجال والذين عملوا على كتابة السّير والمغازي وإعادة بعثها من جديد كي تكون كتبًا محضةً تحضّ على الجهاد ومدافعة العدو،أورد في كتابه "المدخل" في جزءه الثّالث فصل في الغنيمة ومستحقيها وهم الذين خرجوا جهادا لا تجارة .وأن تكون الغنيمة حصلت بالقتال أو ما أوجف عليه بالخيل والركاب. وفصل في الأسرى من الكفار ودور الإمام وحريته في أن يقتل أو يسرق أو يفدي أو يأخذ الجزية عنهم فهو مخير فيما يفعل[1]وفصل آخر في حكم المرتدين عن دين الإسلام ويذكر الحكم فيهم فيقول "إنه يجوز قتالهم مقبلين ومدبرين كالمشركين وإباحة دمائهم أسرى وممتنعين وأن أموالهم تصير فيئا للمسلمين وبطلان مناكحتهم"[2].

وفصل في القتال أورد فيه أحاديث تبعث الحمية في نفوس المجاهدين كالحديث الذي روي عن أبي بكر الصّديق رضي الله عنه أنه قال لخالد بن الوليد حين بعثه لقتال أهل الرّدة"احرص على الموت توهب لك الحياة"ووجه أبو مسلم قوما إلى الغزو فقال "الزموا قلوبكم الصّبر فإنه سيف الظفر واذكروا كثرة الضغائن فإنها تحض على الإقدام والزموا الطاعة فإنها حصن المحارب.ومن الحكمة قوة النّفس في الحرب علامة الظفر...ومنها تقحم الحرب وينجح القلب ومنا الهزيمة تحل العزيمة ومنه الحيل أبلغ من العمل ومنها الرأي السّديد أجدى من الأيدي الشّديد ومنها شدّة الصّبر فاتحة النّصر وينبغي المشورة في القتال وفي كل أمر يعرض.ومن الأحاديث أيضا ما روى عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم السّاعة" وفي هذا تكريم أهل المغرب يجعلهم يخوضون المعارك مستشعرين حديث رسول الله مقبلين غير مدبرين .

ثم ينتقل إلى ذكر فضائل الجهاد فمن ذلك قوله تعالى"**اِنَّ أَللَّهَ اَشْتَرٰىٰ مِنَ أَلْمُومِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ اُلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِے سَبِيلِ اِللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِے اِلتَّوْرِيٰةِ وَالِانجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنَ اَوْفِيٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ اَللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ اُلذِے بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ أَلْفَوْزُ الْعَظِيمُ**"[3] [4].

تأليفه في محرم سنة 732هـ، عاش بضعا وثمانين سنة. توفي بالقاهرة 737هـ– أنظر: أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي(ت: 737هـ): المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر د ت، ص (مقدمة الكتاب)، ج1، ص2

[1]– ابن الحاج العبدري: المدخل،ج3، ص03.

[2] – المصدر نفسه، ج3، ص04.

[3] – سورة التوبة: الآية111

[4] – ابن الحاج العبدري: المدخل، ج3، ص10، 11.

في معرض ذكر الحضّ أيضا يورد حديثا روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً سأل النّبي صلى الله عليه وسلم فقال أي النّاس أفضل قال رجل يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه قال ثم من قال مؤمن في شعب من الشّعاب يعبد الله ويَدَعُ النّاس من شره"ومنه حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال"من خير معاش النّاس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت" فهو بهذا يظهر وفضل الجهاد وشرفه والمواظبة عليه وأن الإكتساب منه خير من باقي الكسب[1].والأحاديث التي أوردها ابن الحاج في هذا الباب كثيرة أُورد منها البعض فقط من باب الإستدلال فقط.

أورد المؤلف فصلا آخر في الرّمي وفضائله مدعما إياه بالأحاديث النّبوية المحرضة والدّاعية إليه من هذا الحديث أخرجه التّرميذي وأبو داود والنّسائي عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول"إن الله تعالى يُدخل بالسّهم الواحد ثلاث نفر الجنة صانعه يحتسب في صنيعتها الخير والرّامي به ومنبله"وفي التّرميذي قال"كل ما يلهو به الرّجل المسلم باطل إلاّ رميه بقوسه تأديبه فرسه ملاعبته أهله[2].

ذكر فصلا آخر في فضل الرّباط وذكر الخيل وفضلها مدعما ذلك بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتفي بذكر أهمها.اخرج البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد أنه قال"رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وموضع سوط في الجنة خير من الدّنيا وما فيها والرّوحة يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدّنيا وما فيها"[3] وفي الخيل اخرج مالك في موطئه وغيره عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عله وسلم قال "الخيل لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما الذي هو له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأروائها حسنات له..."والحديث هنا طويل اكتفينا فيه بالشاهد فقط[4] .

ذكر(ابن الحاج) فصلا في الشّهادة وفضل الشّهيد بدأ بذكر الآيات الأحاديث في ذلك منها قول الله تعالى "**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**" [5]ومن الأحاديث

---

[1] – ابن الحاج العبدري: المدخل ، ج3ص14.

[2]– المصدر نفسه، ، ج3ص16، 17.

[3] – نفسه، ج3، ص18.

[4] – نفسه، ج3، ص18.

[5] – سورة آل عمران، الآية169 .

في هذا الباب ما أخرجه مسلم في صحيحه عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسروق عن الآية السّابقة قال أما أنا قد سألنا عن ذلك فقال"أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في لجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل"يضيف على هذا ينبغي للمقاتل أن يستشعره في قتاله وهو إعلاء كلمة الله وإظهارها وإخماد كلمة الكفر وإخمادها[1].

حاجة الإسلام للقوة دفاعا عن المسلمين ودعوتهم جعلته يدعو إلى إتخاذ الأسباب في إعداد وسائل القوة والتي وضع الخيل في مقدمتها أو مرادفة لها مصداقا لقوله تعالى **"وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا** اسْتَطَعْتُمْ **مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ"**[2]

يعتبر كتاب"مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الإحتفال واستدراك ما فتحه من المقال" لصاحبه من الكتب التي لها ارتباط وثيق مع شعيرة الجهاد والحض عليها .

أوضح ابن جزي في مقدمة كتابه أنّ سبب تأليفه هو رغبة السّلطان أبي عبد الله الغني بالله في اختصار كتاب"الإحتفال" إلّا أنه لم يقتصر على الإختصار والإنتقاء بل إنه اتبع نسقا جديدا وذهب مذهبا آخر في ترتيب الأبواب وحذف الألفاظ الغريبة، واسقط بعض الأبواب الغير مهمة.

تأليف كتاب في هذا الموضوع يعطينا لمحة عن مدى عناية الأندلسيين المسلمين بتربية الخيول وارتباطهم لها خاصة في حالات الحرب نظرا لسرعتها وليونة حركتها، كما كانت في أوقات السّلم وسيلة احتفالات جماعية كالسباق، وبما أن الأندلس بلاد كبيرة لها تاريخ جهادي كبير جعلها موطنا لأنواع من الخيول وما،كان من الطبيعي أن يتنافس الشّجعان من رجال الأندلس والمغرب وأن يكتب الكتاب وينسخ النّساخ ويقرأ المجاهدون ما كُتِب ويُكْتب عن الفروسية والفرسان[3].

فعموم الكتاب حث على ارتباط الخيل في سبيل الله فمن ارتبطها كان له الأجر بمعنى الثّواب الأجل في الآخرة والغنيمة في الدّنيا وما يصيبه من مغانم الجهاد والأحاديث في هذا الجانب كثيرة، يورد أحمد بدر رواية أبي مخنف في الطبري(ج6،ص503) في الأثر يقول"الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها مُعانون عليها فامسحوا نواصيها وادعوا لها بالبركة "وفي رواية أخرى"الخيل معقود في

---

[1] – ابن الحاج العبدري: المدخل ، ج3، ص20.

[2] – سورة الأنفال : الآية 60

[3] – عبد الله بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي(القرن الثامن الهجري):كتاب الخيل: مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الإحتفال"حققه محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان1400هـ/1986م،ص11–أحمدبدر:التنظيم العسكري عند العرب المسلمين ،مجلة دراسات تاريخية، اشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع ،العدد الرابع، جمادى الثاني ،دمشق ،سوريا ، 1401هـ/1981م، ص130،131 .

نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة"وذهبت بعض الأحاديث العملية واجبة على القادر"مامن رجل مسلم إلّا وحق عليه أن يرتبط فرسا إذا أطاق عليها[1].

ذكر مؤلف الكتاب أن كتابه هذا مستخلص ومنتقى من كتاب"مطلع اليمن والإقبال" مستدلاً بذلك في قوله:"إن كتاب الإحتفال هو كتاب ألّفه الفقيه الأديب اللّغوي أبو عبد الله محمد بن رضوان بن أرقم من أعلام وادي آش ألّفه وجمعه للمقام العلي الظاهر السّني مقام السلطان الكبير الشهير عزّ الإسلام وفخر اللّيالي والأيام أمير المسلمين الغالب"مؤسس دولة بني الأحمر[2].

أما ابن أرقم مؤلف كتاب الإحتفال فقد ترجم له ابن الخطيب في وقال عن كتاب "الإحتفال" ألف كتاب سماه "الإحتفال في استيفاء ما للخيل من الأحول" وهو كتاب ضخم وقفت عليه "ولكنه عندما ذكر سنة وفاته قال 657هـ والسّلطان الغني بالله أبي عبد الله محمد بن أبي الحجاج الذي تولى عرش غرناطة أولا من سنة 755هـ إلى 760هـ ومن بعدها 763هـ إلى 793هـ[3]فالتاريخ هنا خطأ إذا تتبعنا التّسلسل الزّمني لملوك بني الأحمر فعلى الأرجح وقع سهوا.

والاختلاف الحاصل هو من هو ابن جزي هل هو الشّهيد في معركة طريف، أم ابن جزي المجهول تاريخ وفاته وبالعودة إلى مقدمة الكتاب يظهر أن ابن جزي هذا كان من عُمال وخدام دولة بني الأحمر والمقربين إلى ثامن ملوكهم الغني بالله[4].

وأهمية الموضوع عند المؤلف وغيره من المؤلفين المشارقة والأندلسيين الذين اختاروا الخيل لموضوعاتهم سواء ترجع إلى أن الخيل كانت هي الوسيلة والآداة في ميادين الغزو والجهاد والذّب عن الحمى والدّفاع عن الحوزة[5].

بالإضافة إلى أنَّ موضوع الخيل تتجاذبه علوم أخرى على غرار البيطرة واللّغة والأدب والفروسية والتّاريخ ولعل هذا المؤلف أشار في ثنايا كتاب"الاحتفال" إلى إسم كتاب آخر في الخيل واستعمالاتها

---

[1] – نمر عمر صفوري: أحكام الخيل في الشّريعة الإسلامية، رسالة ماجستير في الفقه والتشريع، جامعة النجاح الوطنية، نابلس ،فلسطين، 2016، ص40.أحمد بدر:المرجع السابق ، ص131

[2]– عبد القادر زمامة: عبد الله بن جزي وكتابه مطلع اليمن والإقبال في انتقاد كتاب الاحتفال، معجم اللغة العربية، الجمهورية العربية السورية، ص280.

[3] – عبد القادر زمامة: عبد الله بن جزي وكتابه مطلع اليمن والإقبال، ص281.

[4]– عبد القادر زمامة: المرجع نفسه، ص282.

[5] – نفسه، ص280.

وربطها للجهاد وهو الكتاب المعنون ب"حلية الفرسان وشعار الشجعان" لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي الغرناطي[1]،والذي ذكر فيه أشياء كثيرة عن الخيل وما يختص بها وما يرتبط بها[2]والذي سنأتي على ذكره في البحث.

أضاف محقق كتاب"حلية الفرسان"في مقدمته النّقاط الهامة في الكتاب حيث قال"لا يختص هذا الكتاب بالخيل وحدها كما صنع أبو عبيدة في كتابه"الخيل"أو شرف الدّين الدّمياطي في كتابه "فضل الخيل"ولا يختص بناحية واحدة من الخيل كما صنع ابن الكلبي في كتابه"أنساب الخيل" وإنما هو جامع بين الخيل وبين أنواع السّلاح ففيه وصف دقيق للأسلحة كالقوس الإفرنجية التي تستعمل في بلاد الأندلس وكذا الدّرع والقوس التي لا نكاد نراها في المؤلفات الأندلسية.كالشّبر لنوع من الشّجر والدّردال واللّمط لنوع من الحيوان في بلاد المغرب"فهو موسوعة لاتكتفي بذكر الخيل فقط بل تعدت إلى ذكر ما لا ينفك عنها من الأسلحة المستعملة في القتال عموما،غير أن المؤرخ محمد داود يقول"وقد وقفت عبى نسخة من كتاب حلية الفرسان وشجاعة الشّجعان"من تأليف ابي عبد الله محمد بن محمد النّعاس القيسي"يذكر في أوله أنّ الدّاعي من تأليف الكتاب هو أمر من السّلطان أبي الحجاج يوسف بن السّلطان محمد بن السّلطان أبي الحجاج يوسف بن السّلطان أبي الوليد إسماعيل من بني الأحمر، وجاء في أخر الكتاب أنه فرغ من تأليف الكتاب في مدينة غرناطة في ذي الحجة عام 804هـ، وأنّ محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن إبراهيم أبكري الكريسي نسخ نسخة من نسخ المؤلف بمدينة تطاون(تيطوان)ومن الأصل الثّاني للنسخة تم استنساخ هاته النّسخةالتي نعمل على التّعريف ثمّ قام الكاتب الحاج محمد بن محمد الجعيدي التّطواني بنسخها في مدينة القصر الكبير حيث فرغ من كتابة هذه النّسخة في شهر ربيع الأول عام 1092هـ، وفي وصف النّسخة دائما يضيف محمد داود

[1] –ابن هذيل: هو عالم و أديب يتميز بثقافة واسعة، تتلمذ ابن هذيل و أخذ من محمد بن احمد بن محمد الحسين والوحيد الذي صرح به ولكن إطلاق هذا الإسم يحدث أحيانا خلطا بين الشّخصيات، فهو خلاف الشّاعر أبي بكر بن هذيل(ت:389هـ)، وخلاف الحكيم الأندلسي زكريا يحي بن هذيل الذي كان من اشهر علماء الأندلس في القرن الثامن هجري وتعاصر مع ابن هذيل المقصود في التعريف وعاش في مدينة غرناطة عاصمة بني نصر أو بني الأحمر أنظر: علي بن عبد الرحمن بن هذيل:مقالات الأدباء ومناظرات النجباء،تحقيق عبد الرحمن بن عثمان بن عبد العزيز الهليل،مكتبة الملك فهد الوطنية،ط1،السعودية 1421هـ /2001م،ص21، 22، 28–للمزيد:أبي الحسن على بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري: فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار ،تحقيق عبد الله حمادي،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري،الكويت 2004،ص05وما بعدها.

[2] – زمامة : المرجع السابق، ص80.

أنّ النّسخة التي اطلع عليها نسخة قديمة من ثلاثة وستين صفحة متوسطة الحجم وهي الآن موجودة في مكتبة ابن غازي بمكناسة الزيتون لدى الأستاذ محمد المنوني(رحمه الله ت: 1999م)[1].

خصّص ابن هذيل في كتابه الثّاني"عين الأدب والسّياسة جزءا هاما في آخر الكتاب لتعليم الرّمي والسّباحة والفروسية والثّقافة والعلم في المحاربة، فأما الرّمي فهو من الأمور التي وجب على الرجل تعلمها وتعليمها قال"فالتشاغل به من التّجارات المنجحة"[2] .

ضمّن ابن هذيل كتابه هذا شيئا من كتابه تحفة الأنفس وشعار أهل الأندلس"متعلق بالرّماية فقط،حيث قال"اعلم أن التّرغيب في الرّماية روى عقبة ابن عامر قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول"وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة أَلا إنَّ القوة الرّمي وكان عليه الصّلاة والسّلام يعجبه أن يكون الرّجل راميا فارسا سابحا.

وقال صلى الله عليه وسلم"علّموا أبناءكم الرّمي فإنه نكاية للعدو"وقال لقوم من الأنصار رآهم يرمون " ارموا يا بني إسماعيل فقد كان أبوكم راميا .وقال عليه الصلاة والسّلام "من رمى بسهم في سبيل الله مخطئا أو مصيبا كان له من الأجر كرقبة أعتقها من ولد اسماعيل"وقال صلى الله عليه وسلم"إن الله تعالى ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة.صانعه يحتسب في صنعه الخير والرّامي له والمعد به"

قال رضي الله عنه"ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدا أحدا غير سعد فإنه قال له يوم أحد.ارم فداك أبي وأمي[3].

وقال صلى الله عليه وسلم"ما مد النّاس أيديهم إلى شيء من السّلاح إلاّ وللقوس عليه فضيلة" هذا عن الرّمي والقوس وأحاديث أخرى عن السّباحة قال"حق الولد على الوالد أن يعلمه كتاب الله والسّباحةوالرّمي"وقال أيضا" نعم لهو المؤمن الرّمي والعيامة(السّباحة)ومن تركها كانت نعمة جحدها"

وقال"كل شيء من لهو الدّنيا باطل إلّا ملاعبة الرّجل أهله وتأديبه فرسه ورميه عن قوسه وتعلمه السّباحة"قال بعض الحكماء"من تمام ما يجب للأبناء على الآباء تعليمهم الكتابة والحساب والسّباحة"[4] .

---

[1] – ابن هذيل:مقالات الأدباء، ص07–محمد داود: تاريخ تطوان ،معهد مولاي الحسن، تيطوان، 1379هـ/1959م ،ص99

[2] – ابي الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل (ق:8هـ) :عين الأدب والسّياسة وزين الحسب والرّياسة دار الكتب العلمية .بيروت: لبنان، دون طبعة، د س ط، ص296.

[3] – ابن هذيل:عين الأدب والسّياسة، ص297.

[4] – المصدر نفسه، ص298.

أورد في الكتاب أيضا بعض ما ورد في كتاب سراج الملوك للطرطوشي حيث قال"واعلم جند الله عدد الملك وحصونه ومعاقله وأوتاده وهم حماة البيضة والذّابون عن الحوزة والدّافعون عن العورة وهم جئن للثغور وحراس الأرض والعدّة للحوارث وامداد المسلمين والجهد الذي يلقى العدو والشوكة عليه والسّهم الذي يرمي به والسّلاح المدفوع في نحره وبهم يذب عن الحريم ويؤمن السّبيل وتسّد الثغور"[1].

من المؤلفات أيضا ذات الصّلة الوثيقة بفريضة الجهاد ما كتبه العالم الأندلسي أحمد بن إبراهيم بن الزّبير بن محمد بن ابراهيم بن الزّبير الثقفي العاصمي الغرناطي الأندلسي[2] التي ذكرت مع مؤلفاته وهي كتاب"سبيل الرّشادفي فضل الجهاد" يشرح فيها كل ما له علاقة بالجهاد وهو في حكم المفقود وورد اسم الكتاب بمسمى آخر وهو"الإرشاد في فضائل الجهاد[3]ومثله كتاب"الجواب المختصر المروم في تحريم سكن المسلمين بلاد الروم" الذي لم أعثر عليه الّا في إشارة إشارة لإبن الخطيب عموما دون أن يعطي تفاصيل أخرى عن المحتوى واكتفى بذكر العنوان ومؤلف الكتاب أبا بكر بن الفخار الجذامي[4].فمن المسائل التي أراد المؤلف التّنبيه إليه هو أن الإقامة في بلاد الكفر مدعاة للإمتناع عن الجهد والرّضوخ للآخر، ومخافة أن يُحشر المقيم مع النّصارى من غير قصد بمعاونتهم على إخوانهم من المسلمين إمّــا بالنّفس أو المال فيصيرون جنودا مُسْتَعْمَلين في صفوف المشركين[5].

وضع العلماء مولفات من نوع آخر وهي مؤلفات تَصِفُ الأسلحة المستعملة في الجهاد ومنها الخيل ويذكر ابن الخطيب أنّه في فترة حكم السّلطان الغرناطي محمد الأول مؤسس مملكة غرناطة قام أحد علماء مدينة وادي اش المسمى محمد بن رضوان بن الأرقم الوادي اشي(ت:657ه).الذي بتصنيف مؤلفه في علم الخيل وكيفية استخدامها في القتال والحرب والذي أسماه"الإحتفال في استيفاء

[1] – ابن هذيل :عين الأدب والسّياسة، ص299، 300.

[2]– أحمد بن إبراهيم بن الزّبير بن محمد بن إبراهيم بن الزّبير الثقفي العاصمي الغرناطي الأندلسي، يكنى أبا جعفر، ولد بجيان سنة 627ه، أخذ علومه عن أبي عبد الله بن يوسف الطنجالي، والحجاج يوسف بن أبي ركانة المالقي. وعن أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن حمد بن أبي الأحوص.وابن جابر الوادي آشي،ألّف في عديد العلوم نذكر منها كتاب"ملاك التأويل في المتشابه"و"شرح الإشارة للباجي في الأصول"و"البرهان في ترتيب سور القرآن"و"ردع الجاهل عن اعتساف المجاهل"، وتوفي سنة 708ه–ابن القاضي المكناسي:درة الحجال،ج1، ص11، 12.

[3] – المصدر نفسه، ص11.

[4] – لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص94.

[5] – أبي العباس أحمد بن يحي بن محمد التّلمساني الونشريسي: أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النّصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر 834ه–914ه/1430م–1508م،تحقيق حسين مؤنس،مكتبة الثقافة الدّينية 1416ه، 1996م، ص61.

ما للخيل من الأحوال"وكتاب أبي محمد عبد الله بن جزي(ت:757ه/1356م) الذي سماه"مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الإحتفال واستدراك ما فتحه من المقال"والذي استقاه من الكتاب السّابق الذكر، فَحَسْب ابن الخطيب أنّ السّلطان الغرناطي محمد الخامس طلب من العالم الغرناطي ابن جزي المذكور اختصار كتاب"الإحتفال"كي يسهل على النّاس فهمه ويقبلوا على تطبيق محتواه "...فرأى أيده الله برأيه السّديد ونظره الرّشيد أن أنتقي له في الكتاب ما يخِفُ في المطالعة ويحسن عند المذاكرة والمراجعة..."[1]وتكمن أهمية الموضوع عند ابن جزي في كون الخيل هي الوسيلة والأداة في ميادين الغزو والجهاد والذّب عن الحمى والدّفاع عن الحوزة،حيث جاءت مادة الكتاب مشتمعة على ذكر أنواع الخيل وأسمائها وأوصافها وكل ما قيل فيها بدءًا بالعصر الجاهلي، ولم يدخر فيها مؤلفنا جهدا في استشارة أهل الإختصاص خاصة أهل أهل الأدب في شرح مسمياتها التي عجز عنها، وسيأتي بيانهما في طيات هذا البحث بالتفصيل.

ويورد العلامة عبد الله الأزدي[2] في كتابه القيم"بهجة النّفوس"في قيم الجهاد يرى بأن من أعظم مباهج النّفس الجهاد في سبيل الله والغزو والرّباط.مستدلاً بحديث عبد الله بن مسعود: قال قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم" أي العمل أفضل قال الصّلاة على ميقاتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادني"وفيه دليل على أفضلية الجهاد. يؤكده قوله صلى الله عليه وسلم" أعمال البّر في الجهاد كبزقة في بحر"[3] .

أما عن المؤلَفِ الثّالث في هذا الصّنف فهو كذلك لإبن هذيل والمسمى" تحفة الأنفس وشعار أهل الأندلس" والذي ذكره في مقدمة كتابه" عين الأدب والسّياسة"وتكمن أهمية الكتاب في أنه كان إستجابة لأوضاع البلاد الأندلسية وما إعتراها من مدّ وجزر في ساحة الحروب خاصة بعد تقلّص مساحة الأندلس الإسلامية نتيجة الغارات المتكررة عليها، ضف إلى ذلك ما أصابها من وهنٍ وضعفٍ في مجال السّياسة فأراد ابن هذيل من وراء تأليفه هذا الكتاب التّذكير بأهمية الجهاد كونه العماد الذي تقوم عليه دولة الإسلام خاصة بعد ازدياد التّكالب النّصراني وهذا نلمسه في قوله معبرا عن الهدف

---

[1]– لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة ، ج2 ،ص142– أحمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس، ص237.

[2]– الأزدي:هو الفقيه عبد الله بن سعيد بن أبي حمزة الأندلسي له كتاب بهجة النّفوس.يشرح فيها ثلاثة مائة حديث من صحيح البخاري، ومختصر في الحديث وله كذلك مصنفات منها جمع النهاية في بدء الخير والغاية.. وله شرح حديث الإفك توفي سنة 675ه.أنظر: الغامدي: الصّراع العقائدي، ص545.

[3]– الغامدي: الصراع العقائدي، ص546–أبي محمد عبد لله بن أبي حمزة الأندلسي(ت:699ه)، بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها، مطبعة الصدق الخيرية بجوار الأزهر، مصر، ط1، 1348ه، ج1، ص75.

من التأليف في هذا المجال"وذلك الذي أوجب على العبد تأليف هذا الكتاب وتلخيصه وتهذيبه وتمحيصه عندما لاذ به وتمسك بفاضل مذهبه في الجهاد والرباط وما ينتظم بذلك من آيات قرآنية وأحاديث نبوية ومسائل فقهية وتواريخ علمية وصناعة وفروسية وآثار ملوكية وشجاعة طبيعية وحكمة سياسية ومكيدة حربية وأبيات شعرية وجلاء وكفاح وحيل وسلاح وما يختار ويحمد من صفاتها ويكرم ويذم من شياتها وجميع ما يخص بأحوال المركوب ويتضمن تعليم الركوب وتتميم المطلوب"(انتهى كلام المؤلف)[1].

قدّم المؤلف كتابه هذا إلى الغني بالله سلطان غرناطة(763هـ/1362م)وكان مقسم إلى أبواب حيث جعل قسم الجهاد في عشرين بابا شاملة لأحكام الجهاد والرّباط. وما قيل في التّحريض عليه وما اتصل به أخبار الشّجاعة والإقدام ووصايا أمراء الجيوش وما يتصل بذلك من شرح لأساليب الحرب وطرقها و أشكال القتال.معتمدا في ذلك عددا من المصادر لتسهيل مهمة إنجاز كتابه ما توفر له وسهل الوصول إليه، فأما الموجود فاعتمد على كتاب السّيرة النّبوية لابن هشام، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وسراج الملوك لطرطوشي،و كتاب الحماسة لأبي تمام، وكتاب راحة القلوب والأرواح في الخيل والسّلاح، وأشار محقق الكتاب في الفهارس إلى مجموع الكتب المعتمدة منها ما هو مفقود[2].

وكنتيجة للجهاد نجد الشّهادة هي مطلب كل مجاهد وعلى هذا الأساس نجده إعتنى بها أيـّما عناية إذ يخصص لها حيزا كبيرا في باب فضل الجهاد وما أعدّ الله للمجاهد والشّهيد في سبيله.فيورد أن كتاب الله أفضل راشد وأصدق شاهد يشهد ولا شيء أعظم مما عظمه الله تبارك وتعالى وقد دلنا على تجارة رابحة وصفقة بالفوز والنّجاح راجحة فقال عزّ من قائل"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ[3] [4].

---

[1] - علي بن عبد الرحمن بن هذيل (ق8): تحفة الأنفس وشعار أهل الأندلس، تحقيق عبد الإله أحمد نبهان ومحمد فاتح صالح زعل ، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين،الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى ،1425هـ/2004م، ص1.(مقدمة المحققان)

[2] - ابن هذيل: تحفة الأنفس، ص51.

[3] -سورة الصف: الآيات من 10-إلى 13.

[4] - ابن هذيل: المصدر نفسه، ص51.

أورد في باب التّحريض ما مفاده أنه ينبغي للإمام أن يحضّ النّاس ويحرضهم على الجهاد مستدلاً بقول الله تعالى"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ"[1] وأضاف كان الرّسول صلى الله عليه وسلم يحرّض ويقول يوم بدر والذي نفسي بيده لا يقاتلكم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة[2].

والتّحريض من أفعال البرّ وأعمال الخير وأسباب الثّبوت عند اللّقاء ومن باب التّعاون على البرّ والتّقوى وكان يقال"محرض واحد خير من ألف مقاتل"فما روي عن عمر رضي الله عنه أنه كان يعطي الشّعراء والخطباء اعطياتهم ويأمرهم أن يلحقوا بالجيش للحضّ والتّحريض.

أورد مؤلف الكتاب فتوى جواز أن يعرض للشهادة من الرّاغبين فيها من يعلم أنه اذا قتل زاد حماس المجاهدين في المعركة. إما تحريضا للمسلمين على القتال حميّة له وإما تخذيلا للمشركين وبعث الرّعب في قلوبهم[3] .

ومن كلام بعض المحرضين يورد ما من شأنه أن يبعث روح الجهاد ويعززها فيقول"يا أيها النّاس قد جدّت بكم الحرب مجدّوا وشمرت عن ساقها فشدّوا وأعدت لكم مكايدها فاستعدوا وأخلصوا نياتكم وأسرار ضمائركم، وغيروا غيرة الرّجال في حمى ذماركم وكونوا على عدوكم يدا"[4].

يعرج إلى الصّفات التي يجب أن تكون في الشّخص المحرّض على غرار الإعتزاز بالله والإخلاص في أمر الله والشّدة على أعداء الله[5] .

وأورد في باب آخر ما يجوز فعله في الغزو وما لا يجوز فيه وما يجوز أن يفعله المسلمون بأرض عدوهم وبهذا يكون قد قدم نصائح جمّة للمجاهدين حتى يعطوا الصّورة اللائقة بالإسلام[6]،ومن أمثلة أمثلة ذلك"لا يجوز قتل النّساء خاصة والصبيان في حرب ولا غيرها ما لم يقاتلوا.فإن قاتلوا فاقتلوا مقبلين وتركوا مدبرين[7] .

---

[1] -سورة الأنفال، الآية65.

[2] - ابن هذيل: تحفة الأنفس، ص149.

[3] - المصدر نفسه، ص150.

[4] - المصدر نفسه، ص157.

[5] - المصدر نفسه، ص159.

[6] - المصدر نفسه، ص169.

[7] - المصدر نفسه، ص177.

وفي قتل النّساء خاصة منهن المترهبات فالأحوط أسرهن إذ الرّهبانية تختص بالرّجال أو تركهن لانقطاعهن عن أهل الكفر[1].

نورد مؤلفا ارتأيت أن يكون في هذا الباب نظرا لما يحويه في مضمونه فهو مزيج بين جهاد النّفس وجهاد الميدان والسّيف وهو كتاب"جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى"[2] لابن عاصم الغرناطي[3].

هناك مجموعة من الأسباب التي أدت إلى تأليف الكتاب نحاول إيرادها حسب أقوال من صنف له وكتب عليه. فالمقري في أزهار الرّياض يقول:"...وكان العلاّمة الفقيه الوزير الكاتب أبو يحي بن عاصم صاحب الشّرح على تحفة أبيه رحم الله الجميع عندما رأى اختلال أمر الجزيرة أعادها الله وأخذ النّصارى دمرهم الله...ولم يبق إذ ذلك بيد المسلمين إلا غرناطة وما يقول منها مع وقوع فتن بين ملوك بني نصر حينئذ...ألف كتابا سماه "جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى"[4]

[1] – ابن هذيل: تحفة الأنفس ، ص178.

[2] – وأورده المقري في أزهار الرياض كتاب"جنة الرضا" وقال"هو كتاب عجيب جدا غريب رأيت بعضه بتلمسان"، و ورد ذكره في كثير من المصادر الأدبية وكتب التّراجم مثل نيل الإبتهاج في معرض ذكره لمؤلفات ابن عاصم الغرناطي، وكذا هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي وسماه"جنة الرّضا في التّسليم لما قدر الله تعالى وقضى"، وفي ايضاح المكنون لاسماعيل باشا البغداد يورد اسمه كسابقه. أنظر: المقري التّلمساني: ازهار الرّياض،ج1، ص50.أبي يحي محمد بن عاصم الغرناطي المتوفي سنة (875هـ)–جنة الرّضا في التّسليم قدر الله وقضى"، تحقيق صلاح جرار، دار البشير للنشر والتوزيع.1410هـ،1989م،ج1، ص73 (مقدمة المحقق)للمزيد: التّنبكتي:نيل الابتهاج،ص313– البغدادي:هدية العارفين، ج2،ص30–البغدادي:ايضاح المكنون،ج1، ص369.

[3] –ابن عاصم الغرناطي:هو أبي يحي محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسي الغرناطي الأندلسي المالكي يعرف بقاضي الجماعة، تاريخ ميلاده مجهول، تتلمذ على يد أبي القاسم بن سراج والمنتوري، وأبو عبد الله البياني، وأبي القاسم السّبتي وغيرهم كثير،تولى اثنا عشر خطة في وقت واحد من القضاء والوزارة والكتابة والخطابة والإمامة ويفهم من هذا أنه كان كاتبا ورئيسا للكتاب وخطيبا ووزيرا وشاعرا وناثرا وإماما ومفتيا وقاضي للجماعة وعالما فقيها.مات مذبوحا عام(857هـ) ولم يعرف سبب ذبحه .انظر: محمد مخلوف: شجرة النور الزكية،ج1، ص249–المقري التّلمساني:ازهار الرّياض، ج1، ص145– التنبكتي : نيل الابتهاج، ص 313–ابن عاصم الغرناطي–جنة الرضا، ص48، 60.وفيما يخص آثاره فقد فقدت جلها ولم يسلم منها إلاّ كتاب "جنة الرضا" أما البقية فهي :تقيد عرف في أهل بيته و شرح تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام، و الرّوض الأريض في تراجم ذوي السّيوف والأقلام والقريض.أنظر: محمد عويد السّاير:محمد عبيد الشبهاني ،أدب ابن عاصم الغرناطي(ت:857هـ) ، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب ،العدد3، 2010، ص143، 144.

[4] –المقري التّلمساني :أزهار الرياض، ج1، ص50.

وقال فيه ابن مخلوف(شجرة النّور الزكية)"كتاب عجيب جدا غريب ألفه يندب بلاد الأندلس ويحرك عزائم الإسلام لنصرة الدين لما استولى العدو على غالب تلك البلاد....جنة الرضا قد ألف في الغرض المذكور ..."وقد سار على نهجه الشّاعر أبو البقاء الرندي[1] .

والمطّلع على هذا الكتاب لا يجد فيه نصًّا مباشرًا يوحي بأن هذا الكتاب أُلِّف في تحريك عزائم المسلمين حيث لم نعثر فيه على خطب مسجدية أو سلطانية أو ميدانية تحضّ على الجهاد، ولكنه ربما يستنتج ذلك من خلال استقراءه للظروف التي كانت تسود المملكة خاصة المحنة والإبتلاء التي عاشتها الأندلس فهو كثير الإستشهاد بالأحداث البارزة في تاريخ المملكة وكأني به يريد العمل على استنهاض الهمم بالرجوع إليها وإيقاض الضّمير الذي نام في نظره.فهو يهدف من خلال مؤلفه هذا إلى تقديم العظة والعبرة والتّنبيه من الغفلة[2]

من المؤلفات أيضا ولكن تختلف عن سابقتها في المضمون فهي عبارة عن دعوة لتعلم صنعة الأسلحة ونعني بهذا كتاب "العزّ و المنافع للمجاهدين بالمدافع " وورد اسمه أيضاً "العزّ والرّفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافعّ ترجمة أفوقاي أو شهاب الدّين أحمد الحجري الملقب بأفوقاي[3] وكان قد أعطاه إياه صاحب الكتاب المدعو إبراهيم غانم(وقيل ابن غانم) الملقب بالرباش ويتحدث الكتاب عن فن صناعة المدفعية وكيفية استخدامها والقتال بها [4].

بدأ تأليفه باللغة الإسبانية ابراهيم بن غانم الأندلسي بحلق الوادي بتونس عام 1040هـ وأكمله عام 1042هـ،ولما حلّ أحمد الفقّاي بتونس وهو راجع إلى المغرب من الحج أطلعه مؤلفه ابراهيم الرباش عليه وطلب منه أن ينقله إلى اللّغة العربية ليعم النّفع به المسلمين.ففعل وأتم تعريبه عام 1048هـ/1638م. توجد منه نسخا عديدة في دول مختلفة على غرار المغرب والجزائر ومصر والنّمسا وإيرلندة أما بالمغرب فتوجد منه ثلاث نسخ أولاها محفوظة بالخزانة الحسينية الملكية تحت رقم 2646- والثانية محفوظة بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع أرقامه مبتورة الأخير والثالثة محفوظة بنفس الخزانة تحت رقم 87د وهي أحسن النّسخ وأصحها وأكملها مكتوبة في 117ورقة بخط أندلسي جميل واضح

---

[1]- ابن مخلوف محمد بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة 1349، ج1، ص248، 249.

[2] - ابن عاصم: جنة الرضا-ج1، ص73، 74.

[3] - عمل مترجما للمنصور السّعدي وابنه زيدان و كاتبا للرسائل التي كان زيدان يبعثها إلى ملوك الدول الأوروبية، وعمل مترجما للوليد بن زيدان وأخيه عبد الملك (أنظر:محمود عاشور عبيد الحسناوي: موقف الدّولة السّعدية من مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة(916-1069هـ/1510-1659م)،مذكرة ماجستير، تاريخ إسلامي، جامعة ذي قار-1434هـ /2013م ، ص26.

[4] - نفس المرجع، ص26.

ملون ومصحح، تحدث عن المدافع وكيفية تحريكها والقتال بها ومذيلة بخاتمة من وضع المترجم المعرّب أحمد الفقاي تحدث فيها باختصار عن حياته بالأندلس والمغرب ورحلته إلى الشّرق ووصوله إلى تونس في طريق رجوعه إلى المغرب.ولعلّ الدراسات التي أقيمت على هذه الكتاب كانت بإستعمال النّسخ التونسية و المغربية ولأدلّ على ذلك ذكر التّفاصيل الدّقيقة حول مكان تواجدها وأرقام إيداعها .

وكانت هذه النّسخة من الكتب المحبسة على خزانة جامع الزّيتونة بتونس قبل أن تنقل إلى المغرب وعليها ثلاث شهادات أو تقريضات تنوه بها وتنبه إلى قيمتها وأهميتها اثنان نثريتان من إنشاء العلّامة أحمد الشّريف مفتي الحنفية وإنشاء محمد بن عثمان الحشاشي الشّريف متفقد خزائن الكتب بالجامع الأعظم والمكلف بتراتيبها والثّالثة شعرية دالية القافية من نظم عبد الرحمن بن مسعود الجبالي.[1]

كتاب آخر في هذا المجال أعتقد أنه في حكم المفقود وهو للعالم أبو خميس الأنصاري[2]وهو كتاب في الغزو والجهاد سماه" النّفحة الأرجية في الغزوة المرجية".أشار إليه ابن الخطيب في الإحاطة دون أن يُفصّل في محتواه[3].

ألّف العالم أبو عبد الله محمد بن علي الشّقوري[4] بدوره في هذا المجال كتابا لم نصل إليه ولكن أشار إليه ابن الخطيب بعنوان"كتاب الجهاد الأكبر"[5].

يضاف إليهم كتاب"الإعتماد في الجهاد" لمحمد بن سعيد الأندلسي الفاسي الرّعيني[6](ت:778)[1]

الرّعيني[6](ت:778)[1]

[1] – أنظر: عبد الوهاب ابن منصور: أحمد بن قاسم الفقاي الحجري، ص33

[2]– هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن خميس الأنصاري من أهل الجزيرة الخضراء. كان رجلا فقيها خطيبا خطيبا بمسجد بلده في الجزيرة الخضراء إلى أن تغلب العدو عليها وحاصرها 20شهرا ثم انتقل إلى مدينة سبتة.واستقر بها خطيبا ،بالإضافة الى أنّه كان مجودا للقرآن فاضلا وقورا مشاركا في علوم كثيرة ،..كان أحد بلغاء عصره له مصنفات منها" النفحة الأرجية في الغزوة المرجية" توفي الطاعون بسبتة عام 750هـ– أنظر:لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص184، 185.

[3]– المصدر نفسه، ج2، ص185.

[4]–الشّقوري:نسبة إلى شقورة بالأندلس، هوغالب بن علي بن محمد اللّخمي أبو تمام الشقوري، طبيب من العلماء من أهل غرناطة، رحل إلى المشرق فحجّ وقرأ الطب بالقاهرة وزاول العلاج، ثم عاد فولي مهمة الحسبة بمدينة فاس، توفي بمدينة سبتة عند حركة السّلطان أبي الحسن المريني فاتجه إلى الأندلس بقصد الجهاد، له تآليف كثيرة في الطب .انظر:الزركلي، الأعلام، ج5، ص304–باقر أمين الورد: معجم العلماء العرب (الجزء الأول:العلماء القدماء من أواخر القرن الأول الهجري إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري)الطبعة الاولى، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1406هـ/1986م ، ص

[5]– نهاد عباس زنيل: الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وآثرها على التطور الحضاري في أوروبا، القرون الوسطى (92-897هـ/711م-1492م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013، ص251.

[6]– المعروف أيضا بالسّراج في العصر المريني

وقبل أن نختم هذا المبحث كان لزاما علينا الإشارة إلى دور علماء الغرب الاسلامي في الرّد على المتقاعسين عن شعيرة الجهاد،وتطرقهم إلى ظاهرة الفرار أمام العدو،ومثّل هذا التّيار المؤرخ لسان الدّين ابن الخطيب في رسالته التي سماها "رسالة في تفضيل الجهاد على الحج"انظر الملحق 01 ،التي أورد نصّها المقري التّلمساني في نفح الطّيب والتي مفادها أن الحج يتخذه البعض وبخاصة العلماء سببًا للفرار من العدو ومحاربته،فهو بهذه الرّسالة يؤكد على وجوب مواجهة العدو والثّبات أمامه ومحاربته مقدم على فريضة الحج، فهو يرى أن الحج منفعته منفعة خاصة تعود على الحاج نفسه،وهو شعيرة تتكرر كل سنة يستطيع الحاج تأجيلها إلى وقت لاحق،أما في الجهاد فقد تعددت المنفعة وعمّ نفعها جمع كبير من الناس[2]

كان المورسكيون في الفترة أعقبت سقوط غرناطة يشعرون بالحنين إلى الأمجاد الماضية حين كان الإسلام في الاندلس يمثل مرحلتهم التّاريخية ومن يحكمهم اليوم كان تابعا بالامس، ففي غرناطة بالتحديد ألّفوا كتبًا و ترجمات مزيفة لكتب تاريخية عربية عن غزو إسبانيا التي سوف تعود وكتبوا نصوصا مسيحية سابقة على الإسلام للحواريين من أمثال القسيس"إسيدرو" وبشّروا بعودة مجد الإسلام وإنتصار الأتراك مما كان يشجع المورسكيين المظطهدين ويمنحهم الأمل في إستعادة السّلطة السياسية في إسبانيا وإعادة بناء المجتمع الإسلامي فيها،وكان هناك وعي بوجود ماضي إسلامي منشود وحاضر يائس ومستقبل يبعث على الأمل المنشود [3]

أسهمت مؤلفات العلماء المعاصرين للصراع الإسلامي النّصراني في الأندلس في رصد الكثير من أحداثه السّياسية والعسكرية متناولين بذلك الإستعدادات العسكرية لكلا الجانبين ومجريات المعارك التي وقعت بينهما وما تمخض عنها من نتائج وما تخلل فترة الصّراع من إتفاقيات للصلح ومعالجة لأبرز القضايا الخاصة بالجبهة الإسلامية وما رافقها من عوامل فرقة ودعوات للوحدة ورصٍ للصفوف مع إبراز لدور بعض القيادات السّياسية والعسكرية الإسلامية في هذا الصّراع وجهادهم للنّصارى [4]

---

[1]– ابن النّحاس الدّمشقي الدّمياطي(ت:814هـ): مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومنير الغرام إلى دار السلام في الجهاد وفضائله ، تحقيق ادريس محمد علي، محمد خالد اسطنبولي، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1410هـ1990م، ص40.

[2]– المقري التّلمساني: نفح الطيب،ج1 ،ص189،186

[3] – ميكيل دي ايبالثا: المورسكيون في إسبانيا وفي المنفى، ترجمة جمال عبد الرحمن، الطبعة الاولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، مصر، 2005، ص137

[4] – لؤي البواعنة: دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي،ص

03: دورهم في السفارة الى الأقاليم :

تصاعدت وتيرة الهجمات النّصرانية على الأراضي الإسلامية واستغلّ النّصارى الأوضاع لصالحها،فكان لزاما هنا التّعجيل والسّعي إلى مهادنة النّصارى للتفرغ إلى مسألة الوحدة ورصّ الصّفوف، وليس غريبا أن يبرز العلماء المسلمين من محدثين وفقهاء ووعاظ[1]وغيرهم في المجال السّياسي والدّبلوماسي وأن يكلفوا بصفة رسمية في مهام السّفارة بين العدوتين لأنهم أقدر على هذه المهمة من غيرهم في معالجة الامور بروية،وقد قيل"أرسل حكيما ولا توصه"،وربما يعود السّبب إلى ما أشتملت عليه شخصياتهم من صفات ومزايا مفقودة في غيرهم من أبناء المجتمع، بالإضافة لما كان لديهم من علوم دينية وإلمام واسع بعلوم اللّغة والشعر والتاريخ وفصاحة بفن القول وقدرة الإقناع ،وتبلورت مهامهم بين طلب المساعدة وحشد الطاقات الإسلامية ضد النّصارى من شتى أنواع العا لم الإسلامي،وبين سعي العلماء للإصلاح بين الحكام المسلمين تحقيقا للوحدة المنشودة بين إمارات الأندلس في حدّ ذاتها وبين المغرب والأندلس على أوسع نطاق حتى تتمكن من الوقوف في وجه المتربصين، كما قام بعضهم بدور مفاوضات مع ملوك الإسبان عندما تستدعي الحاجة إلى ذلك، على أن هذ الدّور لم يكن حكرا عل فئة الفقهاء بل شمل كل من له صفة عالم بغض النّظر عن التّخصص، ففي منتصف القرن السّابع الهجري سعت مملكة عرناطة ممثلة في ملوكها إلى إقامة علاقات متينة مع دولة بني مرين بالمغرب الأقصى بالخصوص،ودولة بني زيان بالمغرب الأوسط والدّولة الحفصي بالمغرب الأدنى بنسبة أقل وهذا نظرا للموقع الجغرافي المتقارب بين غرناطة وبني مرين الذي يسهل مهمة السّفير في الإنتقال من وإلى المغرب في فترة وجيزة .

[1]– استحوذ الفقهاء على أكبر نصيب من مهام الذين كونهم كانوا أكثر ثباتا في مثل هذه المواقف إضافة إلى منزلة الفقهاء عند السّلاطين وهيبتهم عندهم، وهذا على حساب باقي موظفي الدّولة الحجاب والوزراءو الكتاب وهذا نظرا لما يملكونه من معلومات عن الدولة وخوفا مما يمكن أن يحدث من سعايات ومؤامرات وحتى المغريات في البلاطات الأخرى التي لا يستطيع الوزير والكاتب رفضها لسهولة إنقيادهم مقابل مغريات.

01/ العلماء السّفراء من غرناطة الى المغرب:

بحكم مجاورة مملكة غرناطة لممالك النّصارى قشتالة وأرغون وبرشلونة كان لزاما عليها إيجاد وسيلة من وسائل الإتصال بينهم فكانت السّفارة التي تمثلت في عقد تحالفات وتقديم للتهاني والتّبريكات تارة ومعاهدات سلام تارة أخرى[1]

يروي لنا النّويري عن موقعة 719هـ أنه لما بلغ النّصارى خبر قيام سّلطان غرناطة الغالب بالله أبو الوليد بتحصين البلاد والثّغور وإصلاح حال الرّعية. عزم النّصارى على منازلة الجزيرة الخضراء بقيادة دون بطرة الذي حشد لذلك قوة كبيرة، ولما عَلِمَ السّلطان أبي الوليد اسماعيل، حاول استمالة النّصارى بالأموال ككل مرة لكن ملك النّصارى رفض العرض مما جعل السّلطان يكتب كتابا إلى سلطان بلاد المغرب أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني طالباً عونه، وشرح له أوضاع المسلمين وتربص العدو وإجتماعه وأهل ملّته على البلاد الإسلامية ويسأله فيه إنجاده بطائفة من جيشه،وسَيَّرَ إليه مجموعة من الفقهاء على رأسهم أبا عبد الله الطنجالي محدث الأندلس،وعابد الأندلس أبا عبد الله السّاحلي والصّوفي أبا جعفر بن الزّيات.وأبا تمام غالب الغرناطي،فعبروا إلى المغرب حتى ووصلوا فاس وسألوه إغاثة المسلمين وإعانتهم غير أن السّلطان رفض تقديم العون وتقاعس عن نصرتهم ورجعوا إلى الأندلس بعد أن خيّبهم السّلطان ولم يبقى لهم ملجأ إلّا الله تعالى،وأخذوا في إصلاح الجزيرة وبعد مناجزة العدو لهم تمكنوا من دحره وإلحاق هزيمة نكراء به[2]

وفي عام 701هـ وفي سبيل تجديد عقود وعهود المودّة بين الأندلس النّصرية والمغرب المريني سارع أبو عبد الله المخلوع ولي عهد محمد الفقيه بإرسال سفارة إلى السّلطان المريني بفاس ترأس السّفارة الوزير أبا سلطان عزيز الدّاني وكاتبه الشّيخ ابو عبد الله محمد بن الحكيم اللّخمي[3]، فأكرمت وفادتهما

---

[1] - ايمان بنت دخيل الله العصيمي: العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة (201-897هـ/817-1492م) رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية ،1430هـ/2009م ص63- البواعنة: دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي، ص281 ،282 .

[2] – شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب النويري:733هـ: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق الأستاذ شمس الدين، دار الكتب العلمية.بيروتن لبنان، ط1، 1424هـ/2004م ،ج3،ص239، 240 –وآمنة محمود الذيابات: أخبار مملكة غرناطة في المصادر المشرقية ، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد38، حزيران، 2016، ص255.

[3]–يكنى ابا عبد الله (ذي الوزارتين) إشبيلي الأصل نشأ في رندة،كان علما في الفضيلة ومكارم الأخلاق أديبا شاعرا خطيبا كاتبا بليغا فصيح القلم ،مؤثرا لأهل العلم والأدب ،يقوم على المسائل الفقهية، أكرم العلم والعلماء ،رحل إلى الحجاز عام 683هـ

وطلب منهما السّلطان المريني أن تقوم غرناطة بإمداده بالجند للإستعانة به لحصار تلمسان فكان له ذلك بإرسال قوة عسكرية ساعدته في ذلك ،ولكن مخالفة الملك المخلوع الغرناطي لملك قشتالة جعله يغضب ويرد القوة العسكرية الغرناطية التي استقدمها لمساعدته في الحصار[1]

من الذين أسندت لهم مهمة السّفارة القاضي أبي بكر يحي بن مسعود المحاربي الغرناطي[2] استعمل في السّفارة إلى ملك المغرب عام 722هـ[3] ولم تفصل المصادر التي بين أيدينا في أي مهمة أرسل واكتفت بعموم اللّفظ .

تولى إبراهيم فرج بن عبد البر الخولاني"إبن الحرة"(675هـ-757هـ)مهام السّفارة إلى العدوة المغربية وكذا إلى قشتالة في أغراض تليق بمبعثه[4].وتولى أبو إسحاق النّميري مهام السّفارة نذكر منها السّفارة التي قام بها إلى ملك تلمسان أحمد بن موسى بن يوسف بن يحي بن يغمراسن بن زيان والتي أُسر فيها بعد قتال شديد[5] ومثله في الوظيفة ابن أبي يحي السّولى[6] الذي استعمل في السّفارة إلى المغرب وباقي الممالك النّصرانية في الأندلس بقصد لم الشمل وعقد إتفاقيات الهدنة [7]

واستعمل القاضي أبو القاسم الشّريف الغرناطي في السّفارة إلى ملوك المغرب وكان ينوب عنه الشّيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن فرج اللّخمي عند إرتحاله بين الأقاليم في القضاء[8]

=وجال في المشرق حيث أقام بمكة وأخذ من علمائها،ثم إلى المدينة،ثم إلى دمشق،ثم المغرب،توفي بغرناطة قتيلا عام 708هـ.انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج2 ،ص446،445،444 .

[1]-آمال سالم عطية: السّفارات في المغرب الاسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين(13/14م)،أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط ،جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر،1436 /هـ1437- 2015/2016م ، ص91

[2]-ولد عام 653هـ قرأ على وابن الطلاع،و أبي جعفر بن الزبير،وابن أبي الأحوص،وتوفي بمدينة سلا سنة 722هـ، ودفن بالجبانة المعروفة خارج رباط الفتح- النباهي المالقي: المرقبة العليا، ص139، 140.

[3] -المصدر نفسه، ص140.

[4] -ابن الخطيب: المصدر السابق، ج1، ص362.

[5] - المصدر السابق،ج1، ص362.

[6]- هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر السّولى ويكنى أبا سالم من أهل تازى.صدر من صدور المغرب مشاركا في العالم متبحر في الفقه.كان وله مكانة عند الملوك.قيد على المدونة كتابا مفيدا وشرحا كتاب" الرسالة، أصيب بالفالج ولزم منزله بفاس، توفي بعد عام 748هـ- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص373.

[7]- المصدر نفسه، ج1، ص373.

[8] -النّباهي المالقي:المرقبة العليا، ص177.

وأُرْسِلَ الفقيه أبو القاسم الغرناطي المكنى أبو عبد الله[1] سفيرا إلى غرناطة في عهد السّلطان أبو الوليد اسماعيل، ومن المهام التي قام بها سفارته إلى جهات متعددة من لدن ملوك بني نصر إلى العدو الإسباني وإلى ملوك بني مرين بالمغرب، فقد ذكر بن الخطيب أنه اشتمل في السّفارة إلى العدو ونجح في مهامه، وكانت هذه الفترة من أشد الفترات السّياسية على المسلمين بالأندلس، ففيها فقدوا معظم العواصم الأندلسية، وانحصرت الرقعة الاسلامية ولم يبق تحت أيديهم إلا رقعة صغيرة في الجنوب. لذا نجد أبا القاسم يقوم بسفارة إلى فاس للإتصال بملوك بني مرين الذين عبرو البحر إلى الأندلس وكان لهم بلاء حسن في الدّفاع عن الثّغور الإسلامية بالأندلس[2]

تولى القاضي الأندلسي أبو البركات بن الحاج البلفيقي سفارة بلاده إلى بلاط فاس بالمغرب مبعوثا من قبل السّلطان محمد الخامس عام 756هـ/1355م ولا ندري السّبب الذي سفر فيه، وفي المرة الثّـــانية تولى السّفارة إلى المغرب لتقديم تعزية ملك غرناطة إلى أبي بكر بن أبي عنان في وفاة والده وهنأه في توليه العرش سنة 760هـ[3].

استدعى السّلطان الغرناطي أبي الحجاج يوسف العالم الشهير"ابن عاصم"مؤلف كتاب"جنة الرضا"بعد أن تمّ له الأمر واستقرت له أمور السّلطنة واستعمله في السّفارة إلى بلاد المغرب نائبـــا عنه.ولما سأله عن سبب عدم مصانعته له عندما سفر للسلطان الأيسر من مالقة فأجابه بن عاصم"

---

[1] - محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن ناصر بن حيون بن القاسم بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، يكنى أبو القاسم الغرناطي، ولا ندري لم ورد هذا الإسم هكذا هل مخافة تداخل بعض الأسماء مع الأخرى ،أو الغرض إثبات النّسب لآل البيت، ولد سنة 697هـ بمدينة سبتة، وهناك اختلاف في سنة الوفاة، فهناك من قال سنة 761هـ وقيل سنة 760هـ و قيل أنه توفي قاضيا بغرناطة، تولى مهام الإنشاء حتى وذاع صيته إلى أن ترقى إلى وظيفة الكتابة والقضاء والخطابة بحاضرة غرناطة بعد أن ولي مالقة ثم عزل عن القضاء وتفرغ للتدريس، من مؤلفاته رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة.. لم نجد في المصادر التي ترجمت لأبي القاسم ذكرا لتاريخ هجرته مع أهله إلى مدينة سبتة والمواضع التي مروا بها أثناء تنقلهم حتى استقروا بهذه المدينة.كما أغفلت المصادر تعيين الأماكن التي قضى فيها طفولته وأسماء المساجد التي كان يقصدها لتلقي الدّروس أنظر:ابن الخطيب:الإحاطة،مج2، ص181، 182، 183، 185، 187،697هـ-760هـ-رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة، ط1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1418هـ/1997م.

[2] - لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة، مج2، ص183،- أبو القاسم الغرناطي: رفع الحجب المستورة ،ج1، ص38، 39.

[3] -لسان الدين بن الخطيب:الإحاطة،ج2،ص143-المقري التّلمساني:نفح الطيب ج5،ص471-عبد الرحمن بن خلدون:التعريف بابن خلدون ،ص305

لو ناصحتك وتركت النّصح هل كنت تثق بي فيما استدعيتني إليه من السّفارة للمغرب...والقصد هنا أن يكون السّفير وفيا لمن سفر له"[1]

تولى السّفارة بين ملوك العدوتين في أحوال المسلمين الشّيخ أبا عبد الله الطنجالي(ت:764)،[2] فيذكر المقري هذه السّفارة أنه لما عزم ملوك الفرنجة الزّحف على غرناطة في المائة الثّامنة للهجرة ،اتفق أهل غرناطة على ضرورة الإستنجاد ببني مرين وعيّنوا للرسالة الشّيخ أبا اسحاق بن ابي العاصي والشّيخ عبد الله الطنجالي، والشّيخ ابن الزّيات البلشي(نسبة إلى بلش من أرض الأندلس) والشّيخ أبو عبد الله بن أحمد الهاشمي نفع الله تعالى بهم، يروي لنا النّويري عن موقعة 719هـ فيقول"...أنه لما بلغ النّصارى حال أمير المسلمين أبي الوليد الغالب بجزيرة الأندلس...أنه أخذ بالعزم في تحصين البلاد والثّغور وإصلاح حال الرّعية كبر ذلك عليهم وعزموا على منازلة الجزيرة الخضراء وانتدب لذلك سلطان قشتالة واسمه دون بطرة..."توجه وفد الفقهاء حتى انته وإلى مدينة فاس يقول المقري،"...ثم بعد سفرهم نازل الإفرنج غرناطة بخمسة وثلاثين ألف فارس ونحو مائة ألف مقاتل راجل، ولم يوافقهم سلطان المغرب فقضى الله تعالى ببركة المشايخ الثّلاث أن كسر النّصارى في السّاعة التي كسر خواطرهم فيها ملك المغرب، وظهرت في ذلك كرامة لسيدي عبد الله الطّنجالي رحمه الله تعالى..." يضيف النّويري"...وأخبرني من شهد هذه الوقعة كما زعم...أنه شهد رجلا يقاتل العدو ويقتل منهم في هذه الوقعة فشبهته ببعض من أعرفه فجعلت أحرضه على القتال ثم دنوت منه فلم أجده...وفي هذا دلالة على أنّ الله تعالى أمدّ هذه الطائفة بالملائكة في هذه الغزوة ..."

واستعمل محمد بن علي بن أحمد الخولاني أبو عبد الله المعروف بابن الفخار وبالألبيري في السّفارة كغيره من الفقهاء إلى العدوة المغربية وبقي في مهمته إلى أن توفي بغرناطة عام 754هـ[3].

---

[1] – أبي يحي محمد بن عاصم الغرناطي :جنة الرّضا في التّسليم لما قدره الله وقضى، تحقيق صلاح جرار، دار البشير عمان، الأردن 1989،ج1، ص58.

[2]- تم التّعريف به في الفصل الثاني مبحث(فك الأسرى).

[3]- لسان الدين بن الخطيب:الإحاطة، ج4، ص69، ج3، ص186–المقري: نفح الطيب، ج4 ،ص511،510– النويري: نهاية الأرب في فنون الادب،ج32،ص242،241،240،239–إيمان بنت دخيل الله العصمي: العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس من بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة(201هـ،897هـ/817م،1492م) رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، قسم التاريخ والحضارة،1430هـ،2009م،ص76–آمنة محمود الذيابات البطوش:اخبار مملكة غرناطة في المصادر المشرقية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد 38 ،2016 ،ص254

وفي سبيل الإستنجاد وصل الشّيخ إبراهيم الحاج عام 763هـ إلى المغرب[1].مبعوثا من أمير غرناطة يطلب المساعدة بالمدد العسكري والمادي وإعانتهم على عدوهم، فاستجاب له ملك المغرب و أرسل لهم 50000 قدح من الزّرع و3000دينار من الذهب[2].

تُعدّ سفارة المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون[3] إلى غرناطة من أهم السّفارات فقد أرسله السّلطان المريني أبو زيان[4](763-767هـ/1361-1365م)في سفارة إلى السّلطان الغرناطي محمد الخامس في ربيع الأول سنة(764هـ/1363م)لتوطيد العلاقة بين العدوتين المغربية والأندلسية بعد أن شابتها بعض الشوائب بسبب مشكلة مدينة رندة التي تنازل عنها بني مرين لمحمد الخامس من قبل[5] .

واستعمل عبد الرّحمن بن خلدون في السّفارة في سنة765هـ أرسله السّلطان الغني بالله المخلوع بعد ان استعاد ملكه ابن خلدون الذي كان قد وفد إليه وأنزله منزلة الاحتفاء والإنعام حين أوكلت له مهمة رسمية تتعلق بإبرام معاهدة مع ملك قشتالة"بيدرو الأول" ملك قشتالة(المسمى عند قومه بيدرو القاسي وعند يهود ومسلمي الأندلس بالطاغية)لتعميق أواصر الصّداقة بينهما،فقبل ابن خلدون بالمهمة مرحبا متحمسًا لا سيما وأن أخوف ماكان يخافه أن يتصالح القشتاليون والأرغونيون بحكم الضّرورة وانسجام المصالح تحقيقا للمبدأ القائل عدو عدوي صديق ،ونجح بدوره ابن خلدون في

---

[1] هو إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن أسد النميري، عرف بابن الحاج، ولد بغرناطة سنة 713هـ/1313م. ولي كتابة الإنشاء في الدّولة النصرية. له عدة مؤلفات منها: المساهمة والمسامحة،كتاب الوسائل، نزهة الناظر في الخمائل وكتاب الزهرات وإحالة النظرات" فيض العباب في الحركة إلى قسنطينة والزاب"...إلخ-أنظر:يحي بن خلدون: بغية الرّواد،ج2، ص144، 145-ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص342، 363. -أنظر: ابن القاضي:جذوة الاقتباس،ج1، ص91.

[2] - يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص144، 145.

[3]- المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون، وأصله من إحدى القبائل العربية الموجودة في حضر موت اليمنية، ولد بتونس في عام 732هـ/1332م وكانت أسرته تعيش في مدينة اشبيلية، وبعد سقوط اشبيلية في أيدي النّصارى رحلت أسرته إلى تونس..بدأ تولى الوظائف وهو لا يزال شابا ثم تدرج فيها حتى وصل إلى منصب كاتب السّر في عهد السلطان أبي سالم المريني عام 760هـ/1359م وتولى بعدها ديوان الإنشاء-أنظر:عبد الرحمن بن خلدون:التعريف بابن خلدون،ص1-ص455-أحمد بابا التمبكتي :نيل الإبتهاج، ص169- السّخاوي: الضّوء اللّامع، ج4، ص145

[4]- هو السلطان أبو زيان محمد بن يعقوب بن أبي الحسن بويع في 763هـ/1361م كثرت في عصره الإضطرابات والثّورات ضدّه، استشعر بخطر الوزير عمر الفودودي واستبداده فخطط لقتله ولما أحس الوزير بذلك قتله خنقا(انظر:ابن الأحمر: النفحة النسرينية، ص159-إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج2، ص61.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر، ج7 ،ص550- محاسنة:الحياة السياسية في دولة بني الأحمر،ص150

سفارته هذه حتى أنه أثار اعجاب الملك القشتالي في حسن تدبير الأمور ومقدرته على التّفاوض ودعاه إلى الإقامة معه وحاول إغرائه وإلحاقه ببلاطه وعرض عليه بسخاء وإلحاح تمليكه أرض أجداده بإشبيلية إن هو قبل بالإنتظام في حاشيته غير أن ابن خلدون رفض عرضه واعتذر.وتمّ للملك الغرناطي ما أراد يقول ابن خلدون في هذا"...وسفرت عنه سنة خمسة وستين وسبعمائة إلى الطاغية ملك قشتالة يومئذ بطرة بن الهنشة بن أذفنش لإتمام عقد الصلح مابينه وبين ملوك العدوة بهدية فاخرة من ثياب الحرير والجياد والمقربات بمراكب الذهب الثقيلة فلقيت الطاغية بإشبيلية وعاينت أثار سلفي بها وعاملني من الكرامة بما لامزيد عليه ..."[1]،إلّا أن ابن خلدون اختار الرّجوع إلى غرناطة التي وجد فيها ظالته في الاستقرار والطمأنينة[2]

وكان للشيخ السّاحيلي ابو عبد الله بن عبد الرّحمان الأنصاري مكانة لدى حكام عصره في الاندلس، فأرسلوه سفيرا إلى المغرب فنجح في مسعاه وعلت منزلته واشتهر بين النّاس وونال حقه من السلطان الذي أكرمه وأغدق عليه من الأعطيات [3].

بعد أن ساءت العلاقات السّياسية بين العدوتين المغربية والأندلسية في عهد السّلطان أبي الحجاج يوسف الأول حاول السّلطان محمد الخامس تلافي الخلل وإزالة الشّرخ وإعادة بعثها من جديد ومحاولة تقريب وجهات النّظر ،حيث تبادل البلاطان الأندلسي والمغربي الممثل في بني مرين السّفارات ومن ذلك السّفارة التي قام بها الوزير لسان الدين بن الخطيب عام(755هـ-1354م)سفيرا عن سلطانه الغني بالله(ابن الأحمر إلى السّلطان أبي عنان)كان الهدف من هذه السّفارة أن يسود الحب والودّ بين العدوتين وكذا التنويه بالخطر المحدق وأطماع النّصارى في إلتهام ماتبقى من أرض الإسلام في الاندلس،وبالموازاة مع ذلك دعوة إلى إستمرار الدّعم العسكري والمعونة المرينية التي أصبحت بمثابة سنّة أَلِفها أهل الأندلس من عصر أسلافه سلاطين بني مرين ،فما كان من السّلطان المريني أبي عنان

---

[1]- اختار ابن خلدون أن يكون فردا صالحا في مجتمعه الذي ينتمي إليه بين ابناء ملته،ولم يكن ممن تشغله الدّنيا وزخرفها من مال وجاه ومنصب،وهذا بعد أن عرض عليه ملك قشتالة الإقامة في مملكته بإشبيلية، وفي المقابل وعده برد املاك أجداده.انظر :السيد محمد الخضر: حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الإجتماعية، المطبعة السلفية ،القاهرة، 1343هـ، ص13-بن سالم حميش: عن سيرتي ابن بطوطة وابن خلدون، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر ،2014 ،ص47،48-ابن خلدون: ديوان العبر، ج7،ص550- محاسنة:الحياة السياسية في دولة بني الأحمر،ص150

[2] - ابن الخطيب: الإحاطة،ج1، ص30.

[3] - المصدر نفسه، ص56

إلّا أن قابل الوفد بالترحيب وأكرم وفادته.ونجح ابن الخطيب في مهمته هذه نجاحا عظيما،وفيها مدح أبي عنان بالقصيدة التي مطلعها:[1]

خليفة الله ساعد القـــــــدر *** علاك مالاح في الدّجى قــمر

ودافعت عنك كف قدرتـــــه *** ما ليس يستطيع دفعة البشــــر

وجهك في النائبات بدر دجى *** لنا وفي المحل كف المطـــــــر

والناس طرا بأرض أندلـــــس *** لولاك ما وطـــنوا وما عــمروا

وغاية الأمر أنه وطــــــــن *** في غير علياك ماله وطـــــــر

قد اهمتهم نفوسهــــــــم *** فوجهوني إليك وانتظـــــروا

أُعجب أبو عنان بهذه الأبيات و اهتزّ لها، فما كان منه إلّا أن استجاب للمطالب التي حملها ابن الخطيب لصالح ملك غرناطة، وقال له قبل أن يجلس ما ترجع إليهم إلّا بجميع طلباتهم وفي مقدمتها العون الحربي الذي كان رأس المطالب لمقاومة أطماع ملك قشتالة[2].

لعل نجاح ابن الخطيب في مسعاه في كل مرة جعله يظفر بمكانة ممتازة لدى السّلطان الغني بالله إذ منحه ثقة الملك كأبيه من قبل وخلع لقب ذي الوزارتين لجمعه بين الكتابة والوزارة[3].

ولعلّ التّاريخ السّياسي الحافل لإبن زمرك الذي قضى زمنا طويلا قارب الأربعين سنة في خدمة ملوك ابن الأحمر يصرّف أمورهم ويدير دواليب السّلطة حتى أصبح من ذوي الأمر النّافذ والحضوة المتزايدة أهلته لأن يكون من ذوي الشّأن العالي فقد كان يذهب في السّفارة لعقد الصّلح بين الملوك ويفاوض الإسبان في القضايا المفصلية للدولة[4]

---

[1] – لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة، ج2،ص19،18– عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر، ج7، ص442،441– المقري التلمساني: نفح الطيب، ج5،ص99،98 للمزيد: فاروق اسليم: مفهوم الشعر وبواعثه في ديوان لسان الدين بن الخطيب، مجلة جامعة دمشق، المجلد23، العدد الثاني، 2007، ص51.

[2]–لسان الدين ابن الخطيب: الإشارة إلى ادب الوزارة، تحقيق الدكتور كمال الدّين شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، القاهرة، 1424هـ-2004م، ص14، 15– ابن الخطيب: الإحاطة،ج2، ص19– السلاوي: الاستقصا، ج2، ص96– الناصري: الاستقصا ،ج3، ص195–محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610-896هـ/1213-1465م)، ط1 1985، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت، +ط2 ،1987م، ص231.

[3] –ابن الخطيب: الإشارة إلى أدب الوزراة، ص15.

[4] – ابراهيم قطان: ابن زمرك الأديب والسّياسي(من كتاب الأندلس صفحات مشرقة) من تأليف نخبة من الكتاب، وزارة الإعلام ، ط1، مجلة العربي ،2004 ،ص84

ومن السّفراء الذين وفدوا على السّلطان أبي عنان المريني في مهمة السّفارة الشّيخ الخليلي الذي دارت بينه وبين السّلطان المريني محاورة أدبية لطيفة ذكرها المقري في نفح الطيب[1].

اظطلع بعض شيوخ الصّوفية في غرناطة بمهمة السّفارة أيضا إلى جانب أدوارهم المختلفة في المجتمع،نذكر منها على سبيل المثال سفارة الشّيخ أبي الحسن ابن المحروق رسولا من الأندلس إلى المغرب يطلب العون والإمداد حيث توجت هذه السّفارة بخطبة القاها بجامع القرويين منها"...أيها النّاس رحمكم الله إنّ إخوانكم المسلمين بالأندلس قد دهم العدو قصمه الله تعالى...الجهاد الجهاد فقد تعين، الجار الجار فقد قرّر الشّرع حقّه وبيّن ،الله الله في الاسلام..."[2]

02- السّفارة من المغرب إلى غرناطة:

تولى القاضي إبراهيم بن عبد الرّحمن بن أبي بكر التّسولي التّازي (ت:748ه/1347م) السّفارة في مهمة رسمية حيث أرسله السّلطان أبو الحسن المريني إلى الأندلس يقول المقري"إمتحن بصحبة السّلطان فصار يستعمله في السّفارة..."يضيف"..كان وجيها عند الملوك صحبهم وحضر مجالسهم وأُستعمل في السّفارة فلقيناه بغرناطة وأخذنا عنه..."[3]

يُعدّ ابن مرزوق الجدّ من أكثر أفراد الأسرة المرزوقية ممارسة للسياسة حيث تقلّد مناصب سياسية ودينية،خاصة في دولة بني مرين التي كان مقربا من سلطانها أبي الحسن المريني الذي استعمله سفيرا إلى الأندلس سنة 741ه إلى ملك قشتالة وذلك عقب انهزامه في معركة طريف والتي حضرها ابن مرزوق رفقة السّلطان،وهذا بغية عقد الصّلح مع ملك قشتالة وافتكاك إبنه أبي عمر تاشفين المسجون، وكذا العمل على تفقد الثّغور خاصة بعد الخراب الذي تعرضت له أثناء المعارك بغية إحصائها والعمل على اعادة إصلاحها، نجح ابن مرزوق في مسعاه حيث استطاع أن يَفْتَكَّ الأسرى، وتمكن على إثر ذلك من استنقاذ الأمير تاشفين المأسور منذ يوم طريف 741ه/1340م ومرة أخرى سنة 753ه حيث استخدم في السّفارة و أبان عن مقدرة وبراعة كبيرتين في مهمته هذه من حيث الدّبلوماسية والقدرة على التّفاوض والدّفاع عن مصالح الدّولة الإسلامية[4]

[1]- المقري التّلمساني: نفح الطيب، ج1، ص681.

[2]- لسان الدّين بن الخطيب الإحاطة،ج ،ص165، 166- ابن الخطيب: ريحانة الكتاب ،ج2 ص61-62

[3] - المقري التلمساني: المصدر السابق، ج5، ص387 ، 388

[4]- يقول ابن خلدون في هذا "وحضر معه وقعة طريف التي كان فيها تمحيص للمسلمين فكان يستعمله في السّفارة ..." تاريخ ابن خلدون،ج7، ص529، 530-ابن حجر العسقلاني :الدّرر الكامنة، ج3، ص361.سليمان ولد خسال: جهود فقهاء

تردد قاضي الجماعة بفاس الشّيخ محمد بن أحمد بن عبد الملك على الأندلس في سبيل السّفارة بعد أن قدّمه السّلطان أبو عنان قاضيا ثم سفيرا[1]، ومثله العالم أبا عبد الله القرشي المقري[2] قاضي الجماعة بفاس في عهد السّلطان المذكور آنفا حيث وبعد أن عُزِل عن القضاء تولى مهام السّفارة. حيث وصل إلى الأندلس في أوائل عام(756هـ) فلما أتمّ مهمته و قضى غرض الرّسالة وأبرم العقود التي أوكلت له.ظهر منه ما أغضب السّلطان وأنكر عليه صنيعه،حيث بدا له في نفسه التّخلي عن وظيفته كسفير، والتّفرغ والانقطاع إلى العبادة."...فلما قضى غرض الرسالة وأبرم عقد وجهته واحتل مالقة في منصرفه بدا له في نبذ الكلفة واضطراح وظيفة الخدمة..."ثم استقر بغرناطة واختص بالإقراء في جامعها[3]. [4]،يقول في ذلك ابن خلدون"ثم بعثه في سفارة إلى الأندلس فامتنع من الرّجوع وقام السّلطان لها في ركابه ونقم على صاحب الأندلس تمسّكه به وبعث إليه فيه يستفد منه فلان ابن الأحمر بالشفاعة فيه واقتضى له كتاب أمان بخط السّلطان أبي عنان ووافده في جماعة من شيوخ العلم. القاطنين بها منهم شيخنا أبو القاسم الشّريف السّبتي ...وأبو البركات محمد بن محمد بن الحاج البلنيقي...فوفدوا به على السّلطان شفيعين على عظيم تشوفه للقائهما فقبلت الشّفاعة... بمجلس السّلطان.وكان يوما مشهودا واستقر القاضي المغربي في مكانه بباب السّلطان"[5].

ومن السّفراء المغاربة الذين قاموا بسفارة إلى بلاط بني الأحمر الشّيخ محمد بن محمد[6] بن أبي بكر القرشي المقري الذي أرسله أبو عنان في سفارة إلى غرناطة سنة 757هـ/1358م.

=المغرب العربي في بناء النّظام السياسي الإسلامي (633-922هـ) دكتوراه العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر ،ص337- نصر الدّين بن داود ،المرجع السابق 261

[1] -لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة ، مج2، ص187.

[2] - هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمن بن علي بن داود القرشي. قاضي الجماعة بفاس وتلمسان، ولد في تلمسان أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن(ليس هناك تاريخ محدد)عُرف باجتهاده وحفظه وعنايته وإطلاعه على العربية والفقه والتفسير والحديث والتاريخ والآداب، له مشاركة في الجدل والمنطق، مع مشاركة في علم التصوف، رحل إلى المشرق فحج والتقى بالعلماء هناك ثم رجع إلى بلده فأقرأ بها وانقطع على خدمة العلم، فلما آل حكم المغرب للسّلطان أبو عنان فارس استعمله في القضاء على فاس، ثم استعمل في الرسالة ألف كتابا يحوي أكثر من 100 مسألة فقهية ضمها كل أصيل من الرأي، ودوَّن كذلك في التّصوف وله كتاب "الحقائق والرقائق"، توفي بفاس سنة 759هـ-أنظر:ابن الخطيب: الإحاطة، مج2، ص،ص191، 194، 195.

[3] – ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج2، ص196

[4] - المصدر نفسه، مج2، ص196.

[5] – عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر، ج7، ص24- التنبكتي: كفاية المحتاج، ج2 ،ص63

[6] – عبد الرحمن بن خلدون: المصدر نفسه، ج5، ص208، 209.

من جهة أخرى وجه السّلطان المريني أبي سالم الذي خلف أبا عنان الشّيخ أبا القاسم الشّريف سفيرا الى مملكة بني الأحمر في غرض التّوسط لدى الملك إسماعيل عام 760هـ في السّماح للملك الغني بالله المخلوع ووزيره في اللّجوء إلى المغرب ونجحت هذه الوساطة وقدم الغني بالله ووزيره إلى المغرب وأنزلهما السّلطان أبي سالم ضيفين عنده وأحسن معهما الصّنيع وأكرم الوفادة والضّيافة [1]

واشتهر في هذه الفترة أيضا الشّيخ ابن الحاج أبو إسحاق إبراهيم بن محمد(ت:768هـ/1367م)[2] الذي تولى عدة سفارات من وإلى الأندلس اختلفت مقاصدها بين الصّداقة والهدنة والصّلح .[3]

ومثله الشّيخ ابو جعفر أحمد بن الحسين بن علي المالقي الزّيات الذي استطاع أن يحجز لنفسه مكانة رفيعة عند السّلطان أهلته لأن يكون سفيرا إلى الأمصار [4]

وتردد قاضي الجماعة بفاس محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي(ت:779هـ) على الأندلس سفيرا فأحسن الصّنيع وقام بالمهام التي كُلِّف بها على أحسن وجه فذاع فضله وعُلم قدره[5]

استعمل أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الكلاعي[6] في السّفارة بين الملوك بغية إصلاح الأمور، ولعلّ قدرته على التّفاوض جعلت الجانب الآخر يرضخ لطلباته، وأصبح مسموع الكلام فما

[1] – أحمد توفيق محمد محاسنة :الحياة السياسية في دولة بني الأحمر ،ص 146-147

[2]- من بيت علم شهير له مكانة ونباهة وحضوة لدى الحكام، قرأ و وروى عن علماء كثيرون من المغرب والمشرق أهلته لذلك رحلاته الكثيرة لانه كان جوالا، برع والحديث والفقه البلاغة والادب، تميّز في الكتابة والشّعر ما ضمن له مكانة مرموقة لدى حكام عصره، ألف في التصوف، فمن مؤلفاته في ذلك "اللّباس والصّحبة في جمع طرق المتصوفة" انظر: المقري التلمساني: نفح الطيب، ج5 ،ص531–جماعة من الاساتذة: تراث الاندلس تكشيف وتقويم نماذج تقدي المؤلفين والمؤلفات،اشراف محمد حجي ، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الانسانية ،الدار البيضاء، المغرب ،1993 ،ص53

[3] –توفيق محاسنة: الحياة السياسية في دولة بني الأحمر ،ص53

[4] – المرجع نفسه،ص55

[5] – الفشتالي: هو محمد بن أحمد الفشتالي من أهل فاس متميز في الأدب والشّعر و تميز بالوقار والأصالة،،مع تخصصه في الكتابة،تولى وظيفة القضاء بطلب السّلطان المريني ابو عنان الذي زاد فيتقريبه منه حتى اصبح من خاصته .انظر: ابن الاحمر: نفحة النسرين ،ص29 – التنبكتي: كفاية المحتاج،ج2، ص85.

[6] – من أهل بلش مالقة، يكنى أبا جعفر، ويعرف بالزيات والخطيب، عالم من علماء التصوف، ولد ببلش في حدود عام 649هـ، أخذ علومه عن جملة من العلماء منهم خاله الفقيه أبو جعفر أحمد بن علي المذحجي، وأبو الحسن فضل بن فضالة والقاضي أبو علي الحسن بن أبي الأحوص الفهري. ومؤلفاته كثيرة نذكر منها "اللّطائف الروحانية والعوارف الربانية"والعبارة الوجيزة عن الإشارة" و"المقام المخزون في الكلام الموزون" ونظم السلوك في شيم الملوك،" و" لذات السّمع من القراءات السّبع"و" قاعدة البيان وضابطة اللسان" وغيرها كثير، توفي بها يوم الأربعاء السابع عشر من شوال عام (728هـ)–أنظر:ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص288.

كان من النّاس إلّا إحترامه ورفع مكانته بغية الحصول على بركته والتماس بركته[1]وخلفه ابنه في منصب السّفارة(محمد بن احمد)[2].

أرسل السّلطان يوسف المريني الشّيخ علي بن عبد الله الحق الزّرويلي[3](أبو الحسن الصّغير)سفيرا من المغرب إلى الأندلس ولم تذكر المصادر غرض السّفارة ولكنها لاتخرج عن توطيد العلاقات بين العدوتين[4].

لاشك أن هذا النّوع من السّفارات الدّبلوماسية التي قام بها علماء الغرب الإسلامي من وإلى الأندلس كانت تُعَبِّرُ عن نوع جديد من الجهاد في سبيل الله ، فالسّفارات التي كانت من أجل الصّلح بين أقطاب العالم الإسلامي أو أية قوتين إسلاميتين هو بالضرورة عمل يفتح المجال على إجتماع الكلمة ووحدة الصّف الذي يدعو إليه الإسلام،و التي تعمل هي الأخرى على الوقوف حجر عثرة أمام رغبات النّصارى في النّيل من القوى الإسلامية فيفي كل مرة محاولة منهم في إعادة بعث وجودهم في جزيرة الأندلس التي طالما طمعوا في استرجاعها ،هذا بعكس الحال إذا ما استمر الصّراع بين الإخوة و الذي يعطي الفرصة للقوى النّصرانية في التّموقع على مسرح الأحداث وتحقيق تقدم كبير في المنطقة[5].

II : لجهود الدّعوية للمّ الشّمل والحفاظ على الهوية الإسلامية

حرص العلماء على تماسك المسلمين ووحدتهم ولم يقفوا مواقف سلبية من الصّراعات الدّاخلية التي كانت تنخر جسد الأمة الإسلامية وتهدد كيانها بل كان لهم دور كبير في حلّ كثير من النّزاعات القائمة بين الحكام والملوك حول أحقية كل واحد منهم في حكم بعض أقاليم الأندلس في القرون الثّلاثة الأخيرة المؤذنة بسقوطها، وكلّلت دعواتهم وأساليبهم في هذا المجال بالنّجاح الى حدّ كبير.

---

[1] - ابن الخطيب: الإحاطة ،ج1، ص287، 288،289، 290.

[2] – المصدر نفسه ، ج2، ص139.

[3]– فقيه حافظ محصل، كان يحفظ ما يزيد عن ثمانين ديوانا عن ظهر قلب، تولى قضاء مدينة تازة، ثم مدينة فاس، كان مشاركا في اصول الفقه، تولى التّدريس في جامع الأزدع بفاس، توفي سنة 719هو ودفن بها– إبن القاضي: جذوة الاقتباس،ص 472.

[4] - نفسه، ص472.

[5]– آسيا سليمان نقلي:دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية، مكتبة العبيكان، ص110

01:دور العلماء في الدعوة الى الوحدة:

قام العلماء بدورهم في إعادة بعث فريضة الجهاد التي كادت أن تخبو في فترات معينة في تاريخ الأندلس خاصة منه تاريخ غرناطة في عصر ملوك بني الأحمر، ففي هذا التّقاعس ضرر بالغ على الإسلام والمسلمين الأمر الذي أعطى للقوى النّصرانية دعما إضافيا وجعلهم يوسعون رقعة أعمالهم وإعتداءاتهم تحت مسمى حروب الإسترداد التي صوغت لهم استعمال كل أنواع البطش وهذا كله لما أحسوا بمدى التّفكك الحاصل خاصة بين العدوتين المغربية والاندلسية، ففي الوقت الذي كانت المدن الأندلسية تسقط تباعا كانت الصّراعات الدّاخلية تشتد حدّتها بين الحكام، فمن هنا كان لزاما على العلماء أخذ الأمر بجدّية في دعوة الملوك والسّلاطين إلى نبذ الفرقة والدّعوة إلى الجهاد .

كان للعالم ابن عاصم الغرناطي دور كبير في هذا المجال حيث أخذ على عاتقه دعوة المسلمين جميعا إلى الإتحاد والتّكاتف وتغليب مصلحة العامة الأمة الإسلامية على المصلحة الشّخصية الضّيقة والعمل على نبذ الفرقة والتّناحر والمشاحنات السّياسية والعمل ايضا على نبذ دعوات الصّلح والهدنة الماكرة التي كانت تدعو إليها الحكومة الإسبانية من حين لآخر، والتي كان الهدف منها الإستعداد الجيد وترتيب الصفوف لمعاودة الإغارة على الأقاليم الإسلامية وكذا التّفرغ لطرف من الأطراف ومحاولة ربح الوقت، كما دعا في نفس السّياق إلى توحيد الصّفوف وإعلان التّعبئة العسكرية لمواجهة الخطر الإسباني فقام بكتابة رسالة مطولة وجهها إلى أهالي غرناطة شعبا وحكومة وذلك عقب إنتصارات المسلمين في الأندلس عام 852هـ/1448م منبها فيها على خطورة الوضع وضرورة اتخاذ الاجراءات السّليمة والتّصدي للعدو النّصراني والعمل على إيقاض الملوك من الغفلة والتّخاذل للوقوف بحزم في وجه التّحديات الخطيرة التي تعصف بالوجود الإسلامي بالمنطقة [1]

توالت صيحات العلماء والمفكرين والشّعراء والتي تدعو إلى وقف الخلافات والفرقة بين المسلمين والدّعوة إلى عدم الاختلاف ووجوب الإنشغال بالعدو الذي يداهم غرناطة ومحاربته.وفي هذا السّياق وردت فتوى في المعيار للونشريسي[2]سُئِل فيها عن خروج أبي عبد الله بن أبي الحسن على أبيه

[1]- المقري التلمساني: أزهار الرياض، ج1 ،ص50، 53، 158، 170- قبس فاروق: القاضي أبو الحسن النباهي مؤرخا، ص230، 231

[2]- أحمد الونشريسي أبي العباس التلمساني(834-914هـ/1430-1509م) تلمساني المولد والنشاة يعد الونشريسي من فقهاء المالكية في عصره، حمل لواء المذهب المالكي في الغرب الاسلامي، ومن أشهر علماء الجزائر بدون منازع في القرن السادس عشر الميلادي العاشر الهجري، درس على كبار العلماء امثال ابن مرزوق والعقباني، في اوائل سنة 874هـ ساءت العلاقة بينه وبين سلطان تلمسان الأمر الذي جعل السّلطان يُنكبه ويعمل على انتهاب داره، الونشريسي شدّ الرّحال في اتجاه فاس أين استقر

السّلطان جاء فيه:"سيدي رضي الله عنكم وأدام النفع بكم، جوابكم في عصابة من قواد الأندلس وفرسانها نبذوا بيعة مولانا أبي الحسن نصره الله وخرجوا على طاعته وقاموا بدعوة ابنه ودعوا النّاس إلى بيعته،وطاوعهم على ذلك من شاء الله تعالى إلى أن وقعت كائنة أليسانة وفقد فيها جملة منهم وأُسر الأمير وانجلى من عند الحضرة فلجأوا إلى صاحب قشتالة دمره الله مستنصرين به ومعتصمين بحبل جواره فواطؤوه على شروط التزموها إليه ووعدهم بتسريح الأمير المذكور للخروج به لأرض المسلمين، وعقد له صلحا على ما طاع له من البلاد،ولا خفاء بما هو قصد الكافر قصمه الله في هذا الذي فعل فلكم الفضل في الجواب عن فعلهم أولا، هل كان لهم متمسك من الشّرع أو إنما كان بمحض عصيان الله تعالى وخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ؟ وإن قدّر الله بخروجهم من أرض النّصارى مصرين على ماكانوا عليه من التّعصب على الفتنة و الخلاف فهل يجوز لأحد من المسلمين مساعدتهم على ذلك والأخذ معهم فيه؟وهل يحلّ لأهل مدينة من المدن او حصن من الحصون أن يأويهم؟وماحكم الله فيمن آواهم وأعانهم وانتظم في سنتهم أومال بقلبه أو فعله اليهم؟بيّنوا لنا ذلك بيانا شافيا ليُستضاء بنوره ويهتدى بهديه والله يبقي بركتكم ويعلي في أعلام العلماء درجتكم.."[1].

صدر السّؤال عن مجموعة كبيرة من العلماء الشّيوخ على غرار المفتي أبو عبد الله المواق، وقاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن الازرق،وأبو الحسن علي بن داوود، وأبو عبد الله محمد الجعدالة و أبو عبد الله محمد الفخّار و الحاج ابو الحسن علي القلصادي،وأبو حامد بن الحسن ،و القاضي أبو عبد الله محمد بن سرحونة،و أبو عبد الله محمد المشدالي،وأبو محمد عبد الله الزليجي،وأبو عبد الله محمد الحذام ،وأبو جعفر أحمد بن عبد الجليل، وأبو عبد الله محمد بن فتح ، والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد البر، والاستاذ أبو جعفر محمد البقني.

أجاب :"بسم الله الرّحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله، صدرت الفتيا من السّادات العلماء الجلة الأعلام هداة الأنام ومصابيح الظلام بالحضرة العلية الغرناطية حرسها الله على السّؤال فوقه...ابقى الله بركتهم وحفظ في درجة الأعلام رتبتهم.."[2] يضيف"...بأن خَلْعَ النّاس المسؤول عنهم لبيعة مولانا أبي الحسن نصره الله وقيامهم بدعوة إبنه ليس له متمسك من دين الله وإنما

=هناك، واستطاع في فترة وجيزة أن يصنع لنفسه إسما و سطع نجمه بها فأصبح عالمها وفقيهها ومدرسها ومفتيها، ولعل شهرته الواسعة زادت مع مؤلفه الشهير المعروف بالمعيار الذي يقول في التّمكروتي(نقلا)"جمع فأوعى وحصل فوعى"عمار هلال: الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين الرابع والرابع عشر الهجريين ،مجلة، العدد، ص27

[1] – أبي العباس الونشريسي: المعيار المعرب، ج11، ص148

[2]– نفس المصدر، ج11، ص149

هو محض عصيان وخروج عن طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما ارتكبوه بذلك من وجوه المفاسد التي لا يرضى الله بها من شق عصا الإسلام في هذا الوطن الغريب وتفريق أمره بعدما كان مجتمعا وايقاد نار الفتنة والعداوة والبغضاء بسببها في قلوب المسلمين وإفساد ذات البين التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم " فإنّها الحالقة "ومع ما في ذلك من توهين المسلمين واطماع العدو الكافر في استئصال بيضتهم واستباحة حريمهم، وكل ذلك محرم في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع العلماء[1]،إلى غير ذلك من وجوه المعاطب التي لا تخفى، وإن ركونهم إلى الكفار واستنصارهم بهم لا يخفى أنهم داخلون في وعيد قول الله تعالى"**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ**" [2] وقال في آية أخرى " **وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ** "[3]،وإنّ تجديد بيعتهم للأمير المأسور إصرار على ما ذكر من المعاصي والمحرمات وتأكيد لما ارتكبوه من الجرائم والسّيئات فمن آواهم وأعانهم بقول أو فعل فهو معين على معصية الله تعالى ومخالفة لسنة رسوله ومن هوى فعلهم أو أحب ظهورهم فقد أحب أن يعصي الله في أرضه بأعظم العصيان هذا ما داموا مصرين على فعلهم فإن تابوا ورجعوا عمّا هم عليه من الشّقاق والخلاف فالواجب على على المسلمين قبولهم لأن الله يقول "**فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**"[4]، نسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يقينا شرّ نفوسنا وأن يصلح ذات بيننا إنه القادر على ذلك،ومن اشهده السّادات المذكورين فيه بما سطر وكتب عنهم من الجواب على السؤال المنبه عليه وأنهم قائلون به وصادر عنهم ولا خفاء بمعرفتهم وهم بحال كما الأشهاد.."[5]

وكشرح للأوضاع التي مهدت للدّخول في هذه الأوضاع والتي أدّت إلى إرسال الرّسالة فبلغ التّدهور أشدّه في دولة بني نصر خاصة في عصر السّلطان أبي الحسن علي بن سعيد(868-887هـ)الذي عمل على مهادنة النّصارى وغلب عليه الإنغماس في الملذات والشّهوات وآثر البذخ على الإهتمام

[1] - الونشريسي: المعيار ، ج11 ، ص149

[2] - سورة المائدة، الاية 51

[3] - سورة الممتحنة، الاية 01

[4] - سورة المائدة، الاية 39

[5] - الونشريسي: المعيار ، ج11 ص150

بأمور رعيته ورضي بالمقابل وانصاع للنّصارى في دفع الجزية[1]،غير أنه بعد مدة امتنع عن دفع الجزية متحديًا في ذلك قشتالة وردّ على رسولها "إنّ سلاطين غرناطة الذين تعودوا دفع الجزية ماتوا وإنّ دار السّكة لا تنتج الّا السّيوف هذه الأيام،ولما سمع فرناندو زوج إيزابيلا صاح غرناطة غرناطة سوف أنتزع حباتك واحدة واحدة..."[2]

بدأت المشاكل والصّراعات الدّاخلية في هذه الفترة الحرجة بين الملك أبي الحسن علي بن سعد وولديه محمد ويوسف إبني عائشة لتفضيل أبيهما زوجته الإسبانية التي أسرها في إحدى الغزوات على أمهما السّنية ابنة عمّه[3]اشعلت هذه المفاضلة بين الأخوين نار الفتنة فدارت معارك بين الأب وابنيه، أدت إلى قتل يوسف، وبقي محمد مع من سانده وهم بني السّراج الذين قاموا بحركة عصيان في مدينة غرناطة فأبعدوا الأب وحلّ إبنه أبو عبد الله محمد(الملك الصغير)[4]وبعد أن استقر على عرشه إستئنف القتال ضدّ القشتاليين حتى أُسر في إحدى المعارك عام 889ه وكان أسره بمثابة المنعرج الذي ساهم بقوة في سقوط غرناطة رغم أن الملكان الكاثوليكيان فرناندو وايزابيلا عاملاه برفق ولين واطلقا سراحه في العام الذي يليه،ليطلب الملك من أبيه الذي أُرجع إلى مكانه بعد أسر الملك الصّغير،غير أنّ الملك الأب أبو الحسن علي بن سعيد مات فجأة لصرع وعمى أصاباه، فآل الملك إلى حفيده إبن أخيه (أخ الأب)أبي عبد الله الملقب بالزّغل[5]،[6] الأمر الذي أدى إلى إنقسام غرناطة نصفين بين محمد بن ابي الحسن وعمّه الزّغل الذي يئس من استمرار المعارك بينه وبين ابن أخيه من جهة وبين النّصارى من جهة أخرى فكان ذلك سببا في رحيله إلى تلمسان بعدما تنازل عن كثير من الحصون لقشتالة، وكافأته إيزابيلا على ذلك وضمنت سلامته وحاشيته وأعانته على المرور إلى تلمسان،وبذلك الإنقسام

---

[1] - مجهول: نبذة العصر ،ج1 ،ص45

[2] - عادل بشتاوي: الأمة الاندلسية الشّهيدة، ص117

[3] - المقري التّلمساني: نفح الطيب،ج4، ص512

[4] -أبوعبد الله محمد بن أبي الحسن علي بن سعد المعروف بالحادي عشر، والملقب بالصغير حسب الرواية الإسبانية تمييزا له عن عمّه أبي عبد الله الزّغل، جلس على كرسي العرش في أواخر 887ه، وأطاعته غرناطة ووادي آش وأقاليمها وبقيت مالقة وغرب الأندلس على طاعة أبيه، وكان سنه يومئذ 25سنة، توفي بفاس سنة 940ه. انظر:المقري التلمساني:المقري التلمساني: نفح الطيب، ج4 ص515

[5] - الزغل: هو ابو عبد الله محمد بن سعد أي الرّجل الشّجاع عمّ آخر سلاطين غرناطة كان واليا على مالقة، طال العداء بينه وبين اخيه ابي الحسن وبعد وفاة اخيه تكرر العداء بينه وبين ابن أخيه محمد الى أن عبر إلى تلمسان ومات بها، .انظر: عنان، نهاية الأندلس، ص192، سعيدوني:دراسات أندلسية، ص151

[6] - المقري التّلمساني: نفح الطيب،ج4، ص515- الناصري: الإستقصا،ج2 ، ص102

والتّخاذل وركونهم للدّعة وشهوات الدّنيا وتركهم للجهاد ضعفت فيهم الحميّة الدّينية فكان الجزاء أن فقدوا الفردوس الأندلسي[1]

وفي السّياق نفسه مثلت السّفارات جانبا آخر من الدّعوات الدّاعية إلى الوحدة ولم الشّمل ونبذ الفرقة،ومن أمثلة ذلك سفارة ابن خلدون عبد الرّحمن إلى غرناطة مبعوثا من السّلطان المريني أبو زيان(763-767هـ/1361-1365م)في سفارة إلى السّلطان الغرناطي محمد الخامس في ربيع الأول عام 764هـ/1363م،لتوطيد العلاقة بين العدوتين المغربية والأندلسية وتلافي الخلاف حتى لا يستغله النّصارى في تشتيت الصّفوف،بعد أن شابتها بعض الشّوائب خاصة مدينة رندة التي تنازل عنها بنو مرين لمحمد الخامس من قبل.[2]

وحرصا على توطيد العلاقات بين العدوتين خاصة بين بني مرين والأندلس أرسل السّلطان يوسف الأول عام 750هـ/1349م بسفارة تولاها أبو محمد بن أحبانا يخبره بالثورة الدّاخلية التي قام بها أهل تونس ضدّ السّلطان أبي الحسن غير أن سلطان غرناطة يوسف الأول ردّ عليه باعتذار مكتوب مفاده أن الخطر النّصراني يحول بينه وبين تقديم المساعدة [3]

وفي إطار العلاقات الودية تولى الفقيه أبي الحسن البنا سفارة السّلطان الغرناطي إبن الاحمر إلى السّلطان الحفصي أبو إسحاق المستنصر بجملة من الهدايا من رقيق وخيل منوها بعمق العلاقات وطيب المودة بينهما آملاً في إستمرار العلاقات على ما هي عليه [4]

وفي سبيل تمتين روابط المحبة والتّواد بين العدوتين إستقبل السّلطان أبي عنان المريني وكان ردّ عليه بأن أرسل رسله مع السّفارة المرينية ليخبره عن رغبته الملحّة في أن تتواصل العلاقات بين الدّولتين إذ جاء في الرّسالة ما يلي:"...رأينا أن وجهنا إلى بابكم الرفيع ببكتابنا صحبة إرسالكم الواصلين إلينا من تجدد العهد بتقدير ما تبديه من الود ونعيده ونلمسه من جميل إعتقادكم وستزيده وشرح مالدينا ...وهو القائد أبو فلان وهو من ببساطنا مكانه وله في طريق الرّسالة دربه بها وأمانه أصحبناه

---

[1] – المقري التّلمساني: نفح الطيب،،ج4، ص524- الناصري: الإستقصا،ج2، ص104، 105- محمد على قطب: مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، د د ط ،1406هـ/1985م ،ص27 ،28

[2] – بعد عودة السّلطان الغرناطي محمد الخامس للحكم عام 763هـ/1362م طلب منه السّلطان المريني ابو زيان ردّ رندة مرة أخرى إلى أملاك بني مرين لكن السّلطان محمد الخامس رفض طلبه وأراد التّمسّك بها لتصبح تحت سيطرة بني الأحمر وفي ذلك الشّأن تدخل الوزير لسان الدّين بن الخطيب الذي كان لا يزال في بلاد المغرب

[3] – سالم عطية أمال: السّفارات في المغرب الإسلامي، ص90

[4] – لسان الدين بن الخطيب: ريحانة الكتاب، ج1، ص179، 180- سالم عطية أمال: المرجع السابق، ص105 .

إرسالكم،وصل الله كرامتهم ويمّن ظعنهم وإقامتهم وألقينا له في جميع الجزئيات التي وردو فيها ما يلقيه وحملناه ما يليق لمقامكم ويبديه ..."[1]

كما كان لمحمد بن مرزوق دور آخر في في خدمة السّلطة الزّيانية حيث أرسله السّلطان أبو سعيد عثمان إلى أبو الحسن المريني(ت:759هـ/1358م) عندما أراد مهاجمة تلمسان من أجل الصّلح وإقناع هذا الأخير عن بلد تلمسان وأهلها وتلافي الخلاف[2]

ولعلّ تحرشات القوى النّصرانية وتكالبها في كل مرة من الأمور التي عجّلت إلى عقد إتفاقيات تحالف مع دول المغرب الإسلامي والدّولة النّصرية فهنا نأتي على ذكر مجموع اتفاقيات السّلام التي كانت تتم بين المرينين والزّيانين حقنا لدماء المسلمين وتفرغا للجهاد في الأندلس،فقد حرصت قشتالة ومن والآها في عديد المرات تحريض بني زيان على نقض هذه المعاهدات بمساعدة بني الأحمر والعمل على تعطيل رغبة بني مرين في ملك الأندلس،وعلى هذا وعملا على إفشال مخطط النّصارى تردد بذلك الرّسل والسّفراء بين الدّولة الزّيانية والدّولة النّصرية.ففي سنة 763هـ/1361م وصل الفقيه الكاتب إبراهيم بن الحاج رسولا من الأندلس يطلب من أمير المسلمين في تلمسان دعما لإخوانهم في الأندلس لإعانتهم في رد عدوان النّصارى فكان له ما أراد وعادت سفارته بخمسين ألف قدح من الزرع وثلاثة آلاف من الذهب للكراء عليه في البحر [3]

أرسل يغمراسن سفارة عام 676هـ/1287م إلى ملك الأندلس مرفوقة بهدايا متبوعة بعبارات الودّ، تمثلت الهدايا في تحف ونفائس من منتوجات بلاده، فردّ اليه إبن الأحمر رفقة العالم إبن مروان التّجاني مقابل ذلك عشرة آلاف دينار فلم يرضى يغمراسن بالمال وردّها على صاحبها وكادت هذه الحادثة أن تعصف بالعلاقات الجيدة بين الدّولتين لولا أن تداركا الوضع وعملا على إزالة العقبات التي تعكر صفوها.[4]

لم ييأس يغمراسن في محاولة ردّ ابن الأحمر إلى رشده وذكره بالمسؤوليات الملقات على عاتقه كملك تجاه الأمة الإسلامية وحرص على تكثيف السّفارات بين العدوتين مذكرة وموجهة ومرشدة

---

[1] – سالم عطية أمال، نفسه، ص90 – لسان الدين بن الخطيب: كناسة الدكان، ص131

[2] – سمية مزدور: المرجع السابق ، ص55

[3] – قويدر عباس: الجيش في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م) اطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط ، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2016/2015م ،ص258

[4] –عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر، ج7، ص120، 122 – يحي ابن خلدون: بغية الرّواد، ج2، ص107–عبده عواجي: علاقات مملكة غرناطة، ص111– سالم عطية أمال :السّفارات في المغرب الإسلامي، ص76 .

ومحذرة من الوقوع في براثين مخططات قشتالة التي دأب وأسلافه التّحالف معها في كل مرة ،هذا لا ينفي وقوع تلمسان في الخطأ الذي إرتكبه إبن الأحمر حين حالف يغمراسن ملك قشتالة ضدّ ملك بني مرين الأمر الذي خدم مصلحة النّصارى الذين استمروا في مشروعهم التّوسعي بالعمل على إفشال جهود الوحدة المنشودة التي تنادي بها أقطار الغرب الإسلامي[1].

استمرت العلاقات الودية بين الأندلس وتلمسان فترة من الزمن، وترجم هذه العلاقة تدخل أبو حمو موسى الثّاني لدى النّصارى من أجل إفتداء مركب أرسل من طرف ملك الأندلس إلى ملك تلمسان، وهو في طريقه إلى هنين(من أقاليم تلمسان)إعترضته مجموعة من قراصنة الإفرنج عام 768هـ/1366م حيث منعوا المركب من المضي إلى غايته وقاموا بأسر راكبيه، ولتصحيح الأوضاع تدخّل سلطان تلمسان وعمل على إفتداء الأسرى من ماله الخاص، واستمرت العلاقات الزيانية الغرناطية على ماكانت عليه من ودّ طبعها الدّعم الدائم للعدوة الأندلسية بالمؤونة والسّلاح في حربها مع النّصارى حتى السّقوط النهائي للأندلس[2].

ومن أوجه التّقارب إرسال السّلطان الغرناطي أبو عبد الله محمد الغني بالله الذي خلف أباه في الحكم عام 755هـ/1354م وزيره إبن الخطيب سفيرا عنه إلى المغرب وسلطانه أبي عنان في وفد يضم وزراء الأندلس وعلمائها على رأسهم الشّيخ القاضي أبا القاسم الشريف، وإستفتح ابن الخطيب كلامه بتجديد الولاء للبلاط المريني مضمنا حديثه طلب الدّعم العسكري كعادة سابقيه [3]

ضمّن ابن الخطيب رسالته الإخبار بإغتيال السّلطان أبو الحجاج وما أعقب ذلك مجددا له وجوب رص الصّف بقوله"وإن فقدنا والدنا فأنتم لنا من بعده الوالد والذّخر الذي تكرم منه العوائد...وأنتم ردء المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذي يعينهم بإرفاده وينصرهم بإنجاده ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده..."[4]

[1] – الناصري: الإستقصا، ج3 ، ص53– عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص79

[2] – يحي ابن خلدون: بغية الرّواد، ص185– قويدر عباس: الجيش في العهد الزياني،ص 259 .

[3] – لسان الدّين بن الخطيب: كناسة الدكان، ص145 ،146– الناصري: الإستقصا، ج3 ، ص191 .

[4] – الناصري: الإستقصا، ج3 ،ص198– عبد الرحمن بن خلدون: ديوان العبر، ج7، ص691 – المقري التلمساني:أزهار الرياض،ج1، ص206

02:دور العلماء في الحفاظ على الهوية الإسلامية :

أثّر العلماء كثيرا في مجتمعاتهم خاصة منهم علماء الشّرع،ويتجلى هذا في تميز المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات في كل زمان لأنهم الحامون لهذا الدّين بتعليمه للجماعة الإسلامية وتأصيل أحكامه وآدابه بين أفرادها[1]، فعملوا وفق ماتقتضيه المهمة المنوطة بهم حيث أستطاعوا بحكم المخالطة الدّائمة للمجتمع حثّ النّاس على الدّراسة وطلب العلم،وفيما بعد وجهوا عنايتهم الفائقة لإنشاء مدارس كثيرة للفقراء وأصحاب العاهات ينفق عليها من الصّدقات الخاصة وكانوا أتقياء يحبون إهداء الكتب وأشياء أخرى للمساجد والمنشآت الخيرية والتي كان يستفيد منها الطلاب وحدهم[2] .

سار علماءالغرب الإسلامي على هذا النّهج عموما في رعاية الهوية الإسلامية والحفاظ على تميزها عن سواها، ولابد أنهم في وقت تصاعد الصّراع مع النّصارى في عصر بني الأحمر وعصر سقوط مملكة غرناطة قد اهتموا بهذا الجانب أكثر، وأخذوا على عاتقهم مقاومة كل مامن شأنه التأثير في حياة المسلمين من مظاهر ذات صلة بحياة النصارى.

ظلّ علماء الغرب الإسلامي خاصة الفقهاء منهم يؤطرون المورسكيين ويعلمونهم مبادئ دينهم، ويحثونهم على التّمسك بها وعدم الانحراف وراء حملات التّبشير التي كان يقوم بها الرّهبان،رغم كل المتابعات والمضايقات الممارسة على مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة وكان لهم الدّور الأكبر في حثّ المورسكيين على المحافظة على هويتهم الإسلامية[3]كما سيتبين لنا في هذا العنصر من الدّراسة.

قام علماء الغرب الإسلامي بجهود كبيرة في الحفاظ على الهوية الإسلامية بحكم مجاورتهم للنّصارى خاصة فيما أباحه الشّرع مع النّصارى واليهود. وفي فتاويهم وكتبهم ورسائلهم وخطبهم في هذا الباب حيز كبير في الحثّ على الحرص الشّديد من طعام النّصارى ونسائهم والبيع والشّراء معهم والمناظرة والمدارسة لهم (الحرص هنا مقصود به عامة الناس)...إلخ[4] .

---

[1]- محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين أبا خيل :جهود علماء الأندلس في الصراع مع النّصارى عصري المرابطين والموحدين دار أصداء المجتمع، 640هـ/1090، 1242م،ص 483

[2] – خوليان ريبيرا: التّربية الإسلامية في الأندلس: أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي، ط2، دار المعارف، 1994، ص32.

[3] – مفتاح على عثمان عبد الكافي: المورسكيون ودورهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية في الأندلس، ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة التحدي، سرت، ليبيا ،20060/2005، ص190

[4]- الغامدي: الصّراع العقائدي، المرجع السابق، ص574.

ومع إشتداد حدّة التّطورات السّياسية والأحداث غير المرتقبة في الأندلس قبيل وبعد سقوطها إظطرّ الفقهاء إلى مراعاة أوضاع المدجنين الذين عاشوا تحت سيطرة الإسبان عن طريق فتاوى تجمع بين أوضاعهم الإجتماعية ومعتقداتهم الدّينية وعلى سبيل المثال نذكر أنّ سكان غرناطة من المدجنين إستفتوا فقهاء غرناطة حول شرعية شراء الأراضي التي سلبها إياهم النّصارى وإنتزعوها منهم عنوة فكان ردّ الشّيخ السّرقسطي أن النّصارى ليس لهم حق في الأساس يصوغ لهم إنتزاع أراضي المدجنين فهم ليسو أصحابها وإنما هي أرض إسلامية ولكن بالنظر إلى الوضع المتردي الذي يعيشونه فجاز لهم شراؤها تلبية لحاجاتهم وحفاظا على إستقرار أمورهم هناك[1]

ففي مسألة الأكل في آنية النّصارى وإباحته من عدمها يتكلم عن ذلك إبن أبي جمرة الأندلسي(سبق التعريف فيه في مؤلفات العلماء)أنّه لا يجوز الأكل منها إلّا للضرورة وأصحاب الضّرورات لهم حكم خاص بهم"والحكم هنا بعدم الجواز مخافة أن يكون قد خالطه شيء من محرماتهم وكذا أن التّسهيل في الإباحة مدعاة للوقوع في الحرام[2] .

يضيف في مسألة اتخاذ النّصارى أولياء ووضع نساء المسلمين عندهم،"فيغريها أحد خنازير النّصارى في نفسها وفي دينها ويحول بينها وبين وليّها بالارتداد في الدّين"فالسّرقسطي هنا يعتبر هذا من البلايا التي ابتليت بها الأمة وأن هذا مخالف للدّين ولنصوص الشّريعة ويقول محذرا من هذا المسلك الخطير على الدّين وعلى مصلحة الأمة"وقد جاء اليوم بعض النّاس فاتخذوهم أصدقاء وكلفوهم الأشغال وأئتمنوهم عليها فإن لله وإنا إليه راجعون"[3].

شملت مهمة الحفاظ على الهوية الإسلامية عند الموركسيين باقي العادات والتّقاليد التي كانت سائدة بعد أن ضيّق عليهم النّصارى وأجبروهم على تركها بالقوة كالعادات يوم ولادة المولود والختان وغيرها وأجبروهم على التّعميد والتّغطيس وحرصوا على مراقبة شديدة على الرّافضين لهذه الممارسات

ورد في كتاب"حياة الموريسكيين الدّينية"عن مسألة الختان مفاده"أن سجينا(قبل أن تسجنه محاكم التفتيش)ومعه اثنا عشر فقيها من فقهاء الأندلس لا يعرف لهم إسم ،كانوا يجتمعون في مكان يعرفونه هم فقط.لإجراء عمليات الختان للأطفال الموريسكيين وكانت المكان مجهزا بكل مايلزم من العدة والدّواء لمعالجتهم بعد عملية الختان، وتلي عمليات الختان دروس مهمة من الشّيخ ومن معه من

---

[1] - شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، ص131

[2] - نفس المرجع، ص576.

[3] - نفسه، ص606.

الفقهاء الذين كانوا يزرعون في عقول المورسكيين ويعلمونهم أن هذا الختان واجب في الطائفة الإسلامية المحمدية لدخول الجنة وعندما يجرون عمليات الختان وعلى عادتهم تجرى حفلات كبيرة يطعمون فيها الطعام وكان المكان يستقطب اليه الكثيرون مع مراعاة الحرص الشّديد على عدم كشفه

ومما يذكر عن هذا الشّخص(الشّيخ المجهول)أيضا أنه جاء بطفلين إلى بيته لإجراء عمليات الختان لهما وكان يعتبرهما كأبناء، وبناء على أوامر هذا الشّخص شرع الفقهاء في عملهم وقاموا بختن حوالي 55 شخصا آخرين، ثم قدّم لهم الهدايا والطّعام وتحمّل نفقتهم لمدة ثلاثة أيام كرجل ثري عرف عنه الثّراء، وهنا يتبادر لنا السّؤال التّالي هل فعلا كان الشّخص المجهول يملك هذا المال فعلا أم أنه نتاج عمليات تبرع واسعة في الخفاء جمعت لهذا السّبيل؟[1]

ولكن صاحب الكتاب يذكر هذا الشّخص باسم السّجين لعدم معرفته بشخصه فلا نستبعد أن يكون هو نفسه من جملة الفقهاء العاملين على عمليات الختان كونها شعيرة دينية خيف عليها من الزوال في ظلّ الزّخم والعادات والعادات النّصرانية التي تدعو إلى النّقيض من ذلك.

شاعت في غرناطة ظاهرة خطيرة وهي الجنوح إلى التّنصر وتصدى لها العلماء وكانوا يدعون إلى نبذها ومحاولة صدّ النّاس عنها خاصّة عن طريق الفتاوى التي يصدرونها في حق المنتصر.

ورد في كتاب المعيار للونشريسي نازلة في مسألة التنصّر سُئل فيها الفقيه القاضي ابن سراج الغرناطي بمثل هذه المسألة عن رجل مسلم تنصّر وتزوج في أرض العدو بامرأة نصرانية وأقام معها سنين ثم عاد إلى الإسلام وأسلم وأسلمت في وقت واحد وخرج بها إلى بلاد المسلمين" هل يقران على نكاحهما أو يفسخ بطلاق وبعد ذلك ينشئان عقدا آخر.

أجاب:"تصفحت السّؤال أعلاه والجواب أن المرتد لا يقدر على نكاحه في حال ردته على المشهور وهو منصب المدونة. وقال ابن الماجشون أنه يقرُّ. وذهب إليه ابن حبيب والمشهور المعول عليه هو الأول فيفسخ النّكاح المسؤول عنه بطلاق وتتربص المرأة حتى يمضي لها ثلاثة أطهار ويردها الزوج إن أحب..."[2] ولعل تشديد الحكم في هذه المسائل كان الغرض منه ثني المسلم عن مراده وإلاّ كان مدعاة لكل من شأنه تنصره.

[1]-بدرو لونغاس:حياة االمورسكيين الدينية، ترجمة جنال عبد الرحمن، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 2010، ص242.

[2]- الونشريسي: المعيار: ج3،ص250.

ولعل التّنصّر في أواخر الحقبة الغرناطية أصبح خوفا من الجانب النّصراني وممارساته القمعية من جهة وطمعا فيما سيناله المنتصر من متاع من جهة أخرى وهذا ما تشير إليه المراجع المسيحية وكتب النّوازل للفقهية وما يؤكد هذا الطرح قول الشّاعر محمد العربي العقيلي وهو معاصر للشاعر الأندلسي القيسي عبد الكريم: عندما ظفر المسلمون بمسلم تنصّر.

ألا رُبَّ مغرور تنصّـــــــر ضلّه * فحاق به شؤم الضـــلال وشره

فإن يرتفع عند النّصارى بالابتدا * فكم عندنا من حرف حبل يجره[1]

من القضايا التي أثرت في الشّخصية العربية في الأندلس قضية الزّواج بين المدجنين والنّصارى حيث فقد المدجنون دينهم ولغتهم واندمجوا في المجتمع النّصراني بعد مرور الوقت.

يتضح لنا هذا جليا إذا رجعنا قليلا الى الخلف أي فترة نهاية دولة الموحدين فمن بين زعماء شرقي الأندلس بعض الأمراء يرجعون إلى أصل نصراني مثل محمد بن سعد بن مردنيش ملك بلنسية ومرسية ، وكان يتكلم القشتالية ويتقلد السّلاح القشتالي ومعظم ضباطه وجنوده من النّصارى[2]

وعمد مسلموا الأندلس الموريسكين إلى طرق أخرى للحفاظ على الهوية الإسلامية والحرص على عدم الإنصهار في عقائد النّصارى إلى التأليف في مختلف العلوم خاصة الأدبية منها كما شمّروا ساعد الجد في محاولة منهم إلى العودة إلى أحياء التّراث الإسلامي ومن ذلك ما تم نسخه وترجمته إلى الإسبانية خاصة ما كان منه من السّيرة النبوية والمجادلات الدّينية وحكايات الفروسية ومرويات المغازي وغيرها كثير وهذا عزم المحموم برغبة نصرانية قوية في إحتواء العنصر العربي[3].

أدت نتائج ثورة البشرات[4] إلى تنصّر معظم مسلمي الأندلس، فبعد سقوط مملكة غرناطة (897هـ/1492م)آخر معاقل المسلمين في الأندلس ومع أن شروط معاهدة التّسليم كانت تضمن

---

[1] – محمد بن شريفة: البسطي آخر شعراء الأندلس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1985، ص190.

[2] – لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص70– عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص199

[3]– فريدة بنعزوز: بن عزوز نبيلة: أندلسيو الجزائر آثارهم وتاريخهم، حاضرة تلمسان أنموذجا، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، تخصص الدراسات الأدبية والحضارة الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان(1438–2017/1439–2018م)،ص23.

[4] – **ثورة البشرات**:(1501): هي انتفاضة شعبية أعقبت انتفاضة المسلمين في البيازين عام 1499م ضدّ الظروف القاسية ثأرا ونصرة لإخوانهم في البيازين في منطقة البشرات جنوب غرناطة.وكان ردّفعل النّصارى عنيف لإخضاع الثورة والحرص على وأدها في المهد .وقامت بقتل أفراد قرية "غويخار سيرا"انتقاما ممن تنقلو إلى منطقة البشرات، ولكن الممارسات النصرانية لم تكن لتمر عرضا بل لاقت مقاومة عنيفة من الثّوار أقعدت الجانب الإسباني للتفاوض وافق خلالها الملكان الكاثوليكيان بالوفاء ببعض الشروط.المدونة في معاهدة الإستسلام.ولكن عموما الهدوء كان مرحليا فقط فما كانت الثّورات لتخبوا إلّا لتشتعل من جديد إلى غاية(1952).يقابلها ممارسات وحشية أتت على معظم الثوار، وتمّ تحوّيل مسجد البيازين إلى كنيسة ومدرسة اسمها كنيسة

حرية العقيدة والممارسات الدّينية في شروطها،إلّا أن الهدوء دام فترة قصيرة فقط نكثت بعدها الحكومة الإسبانية عهودها وافتتحت عهدا آخر مثّله الإضطهاد وأنزلت عقوبات صّارمة بحق المورسكين في كافة أنحاء المدن الأندلسية وليس بالضرورة غرناطة، وبدأ التّفكير في الرّغبة في إخراج المسلمين من الأندلس بالكامل خاصة بعد عام(907هـ/1502م)،ووصل هذا الشّعور إلى ذروته بعد مضي قرن من الزّمن[1].

إضطر المرحّلون من الموركسين إلى اتباع أسلوب آخر تمثل في الجهاد البحري حيث شكّل قوة أرعبت سكان إسبانيا في السّواحل الأندلسية وبصورة أعم الملاحة في غرب البحر الأبيض المتوسط كونهم كثّفوا هجماتهم وزرعوا بصورة أعم الرّعب في قلوب الإسبان النّصارى وكانوا يأسرون من سكان الشواطئ ما أمكن لهم مقابل الفدية بإخوانهم الأسرى لدى الإسبان النّصارى[2] .

وبعد عام(907هـ-1502م) كان من تبقى من المسلمين في أرض الأندلس قد دخلوا في دين النّصارى مكرهين متظاهرين بقبوله ممارسين للشعائر النّصرانية كالدّخول إلى الأديرة والكنائس. وشرب الخمر فيما حافظوا على إسلامهم خفية[3]على ما تكلفهم من عذاب نفسي وجسدي كلّفهم أرواحهم.

ظل الموريسكيون إلى غاية(932هـ/1525م) يتمتعون بمساجدهم وفقهائهم لكن بعد فرض التّعميد أعطيت الأوامر بغلق جميع المساجد وأصبحت العبادات تمارس سرا داخل المنازل وفي مساجد خصصت لذلك.ولكن ملاحقة النّصارى. أدّت إلى اكتشاف وجودها بعد تحقيقات معمقة.حيث توصل المحققون إلى وجود مسجد في وسط الجبال سرقسطة يرتاده الموركسيون بانتظام،وتمّ توقيف الإمام الفقيه الذي كان يديره ويحرص على تقديم المواعظ المسمى"أمادورسا مبيرويلو"[4]وحوكم بتهمة

=المخلص، وتم تنصير الخمسين ألف قسرا من سكان غرناطة وضواحيها .فكانت بداية التخلي عن عهودهم وتم طرد الكثير منهم أما من بقي هناك وغلبوا على أمرهم دخلوا المسيحية مكرهين متظاهرين بقبول الدّين الجديد(انظر:محمد رزق،المرجع السابق،ص60 ،61.

[1]- مفتاح علي عثمان عبد الكافي: المورسكيون ودورهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية في الأندلس، ص190.

[2] – عثمان عبد الكافي: المورسكيون ودورهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية في الأندلس، ص191.

[3] – المرجع نفسه، ص192-غيلاني السّبتي: دور البحرية الجزائرية والعثمانية في إنقاذ مسلمي الأندلس (1492م-1640م)مجلة علوم الانسان والمجتمع ، 2015، العدد14، ص71.

[4]- هو إمام أندلسي موريسكي، ولكنه تسمى باسم نصراني خوفا من ملاحقته واكتشاف أمره .

تدريس القرآن بداخله وتم إيقافه ومن معه من المصلين منهم الفلاح الموريسكي:"باسكال رايس" الذي اتهم أنه كان يصلي فيه[1].

لم يتخلّ الفقهاء عن جهودهم في المحافظة على الإسلام واستمروا في الوعظ والإرشاد ومساعدة المرضى ونسخ القرآن الكريم وبقوا يؤطرون المورسكيين ويعلمونهم أمور دينهم ويحثونهم على التّمسك بها وعدم الانحراف وراء الحملات المغرضة للنصارى والرّهبان رغم المتابعات المتواصلة التي كان يقوم بها المحققون بل. فرغم بساطة العيش وطرق التّكسب التي اختاروها لأنفسهم خاصة في مجال الحرف إلّا أنّ هذا لم يمنعهم واجبهم المنشود.

دأب"الفقيه ميكيل دي لا فوينتي "في مدينة "بلشيت" بعملية نسخ القرآن الكريم ووهذا بالموازاة مع ما كان يقوم به من مهمام كالوعظ وتّعليم القرآن مقابل كيس من القمح فقط.

كان الفقيه"بنيالوصا الكسندري"يقوم بنسخ الكتب الدّينية وكانوا يستقبلون الوفود القادمة من المغرب وعموم افريقيا الحاملين معهم للكتب والمؤلفات الضّرورية لنسخها في الأندلس وإعادة بيعها ولكن هذه المهنة جلبت عليه غضب النّصارى واتهموه بإمتهان مهنة محضورة عندهم[2]. هذا بالإضافة إلى الدّور التّعليمي الذي قاموا به، وكذا الإشراف على عمليات ختان الأطفال[3]

لم تُثن ملاحقات النّصارى للمورسكين عن دورهم القيادي في نصح الأمة وحتى الأسر كان له نصيبه منها ففي سجن طليطلة كان الفقيه خيرونيمو دي روخاس يجادل المسيحيين المسجونين معه بحجة أنه يحاول أن ينقذهم من براثين الجهل الذي يتخبطون فيه ورغبة في تطهير أرواحهم[4].

وشدّد العلماء عن حرمة تقليد النّصارى في تصرفاتهم وسلوكاتهم وتجلى ذلك من خلال فتاويهم في حرمة ذلك فنجدهم فضحوا أسرار النّصارى وحذروا منهم ومن يدعهم وسلوكياتهم المنحرفة ودعوهم إلى التّمسك بالدّين ونبذ البدع والعادات النّصرانية الزائغة، كمشاركة النّصارى إحتفالاتهم خاصة ليلة السّابع والعشرين من رمضان حيث يجتمع فيها من البدع الكثير منها اجتماع النّاس على ابتياع الحلوة. والحرص كذلك على ابتياعها في"اليناير"وحفل العنصرة والخامس أفريل

---

[1] – عثمان عبد الكافي: المرجع السابق، ص2007.

[2] – محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين(16، 17)، افريقيا الشرق ،ط3، المغرب 1998، ص104.

[3] – عثمان عبد الكافي: المورسكيون ودورهم في الحفاظ على الهوية ، ص208.

[4] – المرجع نفسه، ص209.

.وفيها اختلاط للرجال والنّساء بقصد الفرجة ويذهب العالم القباب[1]، بعد أن طرح عليه سؤال في هذا مفاده"... فهل يؤثر اجتماع الرّجال والنّساء إن اجتمعوا أم لا يلزم هذا إلا الحاكم لأن هذا الأمر لا يقدر على تغييره إلّا من له أمر،والسّائل هنا يقصد هل للعلماء حق الإنكار هنا أم هو متروك للحكام قدر عليه أم لم يقدر:أجاب القباب"جميع ما وصفت من المحدثات التي[2] يجب قطعها ومن قام بها أو أعان عليها أو سعى في دوامها فهو ساع في بدعة وضلالة ويضن بجهله أنه بذلك معظم معظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائم بمولده وهو مخالف لسنته مرتكب لمنهيات نهى عنها صلّى الله عليه وسلّم متظاهر بذلك محدث في الدّين ما ليس منه ولم يتعرض لما حذر الله تعالى منه حيث قال"**فَلْيَحْذَرِ ٱلذِينَ يُخَالِفُونَ عَنَ اَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ اَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ**" [3]

بعد سقوط غرناطة تزايدت عمليات التّصفية والإنتقام والقمع ضدّ كل من له صلّة بالإسلام والمسلمين خاصة، فكان الشّيخ أبو جعفر صانع يمتهن صناعة أغلفة الكتب والتي اشتهر بها يفكر في ما يملكه منها وماهو بحوزة مكتبات غرناطة من نفائس كونه كان محبا للعلم وأنشغل عقله بالكتب والمخطوطات المتعددة التّخصصات، أدرك حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه مدركا تمام الإدراكٍ أن حتما سعي القشتالين للبحث والتّفتيش عنها قصد طمس الهوية الإسلامية التى شكلت خطرا عليهم لقرون والعمل على وإتلافها، وهو صنيعهم في سائر المدن الأندلسية التي سقطت تحت ايديهم،عجّل في جمع الكتب والمخطوطات الثّمينة من المساجد والمكتبات وبيوت العلماء والمعلمين من الفقهاء

---

[1]- **القباب**:هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن القباب الجذامي الفاسي، ولد عام 724هـ، قال عنه لسان الدين بن الخطيب" طالب فقيه نبيل مدرك جيد النظر سديد الفهم...عدل بمدينة فاس"،نشأ بفاس حاضرة العلم والثّقافة سخّر جهوده كلها في موائد العلم والعلماء مستمعا وطالبا متعلما،رحل إلى مدينة سبتة وتولى بها وظيفة القضاء، ومارس بها مهام التدريس، ثم رحل إلى مدينة سلا ومنها إلى جبل الفتح وولي قضاءه ،ثمّ نزل بغرناطة ولقي بعض أعلامها كالشّاطبي ويمم بإتجاه المشرق وزار الحرمين واستفاد من العلماء هناك، وفي طريق العودة مرّ بتونس وحضر مجلس الشّيخ بن عرفة، خلّف رصيدا علميا شهد له من ترجم له أنه مصنف بارع قدير،فمن المؤلفات نذكر شرح مسائل ابن جماعة في البيوع، وشرح قواعد الإسلام للقاضي عياض السّبتي (544هـ). ومختصر أحكام النظر لأبي الحسن بن القطان (ت628)، توفي عام 777هـ أنظر: الإحاطة،ج1، 188/187 .ابن فرحون: الدّيباج المذهب، ص41-أبي العباس أحمد بن قاسم الجذامي الفاسي القباب: شرح مسائل ابن جماعة التونسي في البيوع ، تحقيق على محمد ابراهيم بورويبة، دار ابن حزم ،ط1 ،1428هـ/ 2007 ، ص15، 16، 19.

[2]- الغامدي: الصّراع العقائدي ،ص 646.

[3]- سورة النور: الآية 63

الذين يعرفهم خالطهم مرارا بحكم صّنعة تغليف الكتب وبعد أن تمّ له الجمع أخفاها في بيته الثّاني المنزوي بجبل عين الدّمع مخافة أن تقع عليها أعين النصارى[1].

صدق حدس الشّيخ أبو جعفر بعد مدّة قصيرة، فقد إقتحم القشتاليون الأماكن التي وضعوها نصب أعينهم بغية جمع الكتب الموجودة هناك،ولكن التّخطيط المحكم والمسبق للشيخ أبو جعفر مكّن من تفادي بطش النّصارى وإتلاف الكتب،فكانوا يرجعون في كل مرة خائبين فلم يجدوا الّا مجموعة قليلة ليست ذات أهمية ولا تستحق الجهد المبذول من أجلها فبعضها وإن لم يكن جميعها مجرد نسخ ليست أصلية، أمّا الأصول وما كان ذا أهمية بالغة فقد إختفت تماما، زاد من إيمان الشّيخ أبو جعفر وعزمه على مواصلة ماكان قد بدأ به ولو كلّفه ذلك حياته هو مشاهد الإحراق الفضيعة وهمجية الإسبان وحقدهم الدّفين على مقومات الأمة الإسلامية[2]

توفي الشّيخ أبو جعفر بعد تمكّنه من حماية الكتب ويتمكّن أحد أحفاده من نقل بعض الكتب والمخطوطات إلى مكان آمن، بعد أن أصبح مصير الكتب في خطر بعد إزدياد تحرشات النّصارى وتمكن بعد عناء من الجواز بها الى المغرب في رحلة محفوفة بالمخاطر فقد على إثرها البعض منها، بعد أن كانت الوصية نقلها إلى مكان آمنا في رأي الشّيخ و هو الجامع الأزهر بمصر[3].

والذي يقرأ التّاريخ بتمعن يجد أنّ ما لحق بالمسلمين في الأندلس على مدار الثّمان قرون من محاولات حثيثة لطمس هويتهم الحضارية يجد أنّ هذه المحاولات التي ظاهرها إخراج المسلمين لم تكن الهدف بكل غاياته بل هدفهم هو القضاء على حضارة الإسلام، والإبقاء على قاعدة الصّراع الأزلي وهو الصّراع بين الإسلام والكفر.

03: العلماء ونوازل الهجرة :

ازداد وضع الأندلس تدهورا مع توالي إنكماش الرقعة الإسلامية، بسقوط المراكز الإسلامية خاصة مدينة طليطلة التي تعتبر من المدن التي تحتل مكانة في التّاريخ الإسباني لأنها آخر عاصمة للدولة القوطية ومراكز للكنيسة الكاتوليكية بها، لذا كان التركيز عليها،وبعدها توالت الأقاليم تتهاوى الواحدة تلوى الأخرى كقرطبة واشبيلية ومرسية وانهيار المدن دفع الأندلسيين إلى الهجرة إلى المدن المغربية خاصة بعد سقوط غرناطة الحصن الأخير للإسلام في الأندلس وما تبعها من اضطهاد

[1]– أحمد جبريل:عذراء شفشاون، دار نون للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، الطبعة الأولى، 2018م، ص12

[2] – المرجع نفسه، ص13 .

[3] – نفسه، ص17، 18 .

للمسلمين هناك من طرف النّصارى الذين نكثوا كل عهودهم التي جاءت بها معاهدة التّسليم[1]وبقوا بين خيارات ثلاث إما اعتناق المسيحية بصدق أو رفض التّنصر وقبول نتائج ذلك الرّفض الذي قد يكلف حياة المسلم هناك أو القبول بالتنصر ظاهريا والمحافظة على دينهم سرا[2] ولكن ذلك لم يكن بالامر السّهل في وسط مجتمع نصراني[3] وآلة موت تحيط بهم من كل مكان ممثلة في محاكم التّفتيش، وبالتالي عاشوا نصارى في الظاهر ومسلمين في الباطن وتشبّثوا بهذه الإزدواجية العقدية وتمكنوا من إحباط لمشاريع النّصرانية الرّامية إلى إدماجهم لمدة من الزمن.

ولكن الحرص الذي أظهرت الكنيسة إلى الوجود فكرتان تتعلقان بالوجود الإسلامي في الأندلس كماحرصت على توجيه سياسة السّاسةإليهما،فالفكرة الأولى ترى بوجوب الحفاظ على الجالية الأندلسية والعمل على صهرهم في مجتمعهم النّصراني عن طريق التكثيف من العلوم الدّينية وتكليف رجال الكنيسة بهذه المهمة خاصة لمن يتقن العربية منهم.

أما الفكرة الثانية والمعارضة اقترحها الكاردينال أخسيمانس الذي تولى الكاردينالية بغرناطة فكان يرى بالقضاء على الوجود الإسلامي في اسبانيا فكان من الواجب طردهم من الأندلس وفرض التعليم المسيحي عليهم بالقوة وعدم السّماح لهم بإظهار دينهم لأنه يرى استحالة تخلي هؤلاء عن دين الأجداد[4]بين هذا وذاك وجد الأندلسيون أنفسهم بين مطرقة المكوث في الأندلس وسندان والقبول بالإملاءات النصرانية أو الهجرة إلى أرض الإسلام حفاظا عليه. فعرضوا أمرهم على علماء العدوة المغربية قصد البت في الأمر[5] رفض بعض علماء الدين المغاربة جواز بقاء المسلمين في أراضي النّصارى المعروفة بدار الحرب وطلبوا منهم العودة متى استطاعوا وهو مذهب العالم المسلم ابن جبير الأندلسي(ولد:540هـ) الذي قال"لا يوجد عذر عند الله للمسلم الذي يبقى في بلاد الكفر إلّا إذا كان عابرا في الطريق واضح إلى ديار الإسلام " ولعلّ الهدف من إيراد فتوى ابن جبير الأندلسي رغم

---

[1]- حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة ، ط9، 2009، ج2، ص240.

[2]– **التّــقية**: المداراة والكتمان وهي التّظاهر بما ليس هو الحقيقة أو المداراة، وهي أشبه بنظام سري أو بالأحرى تعني الإحتياط والكتمان والحذر والسّرية،"فهي إذن الفعل الذي بواسطته يمتنع المسلم الذي يعيش وسط بيئة اجتماعية عدائية عن ممارسة دينه متظاهرا باعتناق الدّين الذي فرض عليه فرضا"–انظر:جمال يحياوي: سقوط الأندلس ومأساة الأندلسيين 1492-1610هـ، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 2004،ص55.

[3] – بن عزوز نبيلة: أندلسيو الجزائر آثارهم وتاريخهم، ص93.

[4] – حساني مختار:تاريخ الدّولة الزّيانية،ص242، 243.

[5] – محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم، ص148.

أنه متقدم عن زمن دراستنا بحوالي قرنين من الزمن هو تشابه محتوى فتواه مع فتوى الونشريسي التي نحن بصدد ذكرها رغم إختلاف الظروف والزمان.

عندما سقطت حواضر الأندلس بيد النّصارى هاجر الكثير من المسلمين خوفا من البطش الممارس ضدّهم، ولكنهم لم يجدوا في المغرب ماكانوا يأملون من حياة سهلة وعزموا على العودة إلى الأندلس، خاصة بعد ما تسامعوا بصنيع ملوك قشتالة في السّماح لمن بقي هناك بالإقامة وزادت رغبتهم في الرّجوع أكثر، وفي هذا السّبيل وجه أحد الفقهاء سؤالاً للونشريسي يطلب رأيه في الموضوع[1] .وسنتعرض لمسألة فتاوى الهجرة من خلال ثلاث فتاوى اثنتان منها للونشريسي والثّالثة لأبو جمعة المغراوي الوهراني وكلاهما يسير في جانب معين[2].

الفتوى الأولى: أبو العباس الونشريسي:

يقول: كتب إليَّ الشّيخ الفقيه المعظم الخطيب الفاضل...أبو عبد الله بن قطية أدام الله سموه ورقيه " الحمد لله وحده جوابكم يا سيدي...في نازلة وهي"أن قوما من هؤلاء الأندلسيين الذي هاجروا من الأندلس وتركوا هناك الدّور والأرضين والجنات ...وخرجوا من تحت حكم الملة الكافرة وزعموا أنهم فروا إلى الله سبحانه بدار الإسلام[3]...ندموا على الهجرة بعد حصولهم بدار الإسلام وزعموا أنهم وجدوا الحال عليهم ضيقة وأنهم لم يجدوا بدار الإسلام التي هي دار المغرب...والتّسبب في طلب أنواع المعاش على الجملة ...وصرّحوا في هذا المعنى بأنواع من قبيح الكلام الدّال على ضعف دينهم وعدم صحة يقينهم في معتقدهم وأن هجرتهم لم تكن لله ورسوله كما زعموا وإنما كانت لدنيا يصيبونها عاجلا عند وصولهم ...فلما لم يجدوها وفق أغراضهم صرّحوا بذم دار الإسلام ...ومدح دار الكفر ...وربما حفظ على بعضهم أنه قال على جهة الإنكار للهجرة لدار الإسلام"[4]ونحن نورد هذه المقتطفات لتوضيح الرّسالة فقط كي نعرف على أي أساس بنى الونشريسي فتواه ورده عليهم يضيف وذهبوا إلى أبعد من هذا عندما صرّح بعضهم أنه "جاء صاحب قشتالة إلى هذه النّواحي نسير إليه

[1] – مفتاح علي عثمان: المورسكيون ودورهم في الحفاظ على الهوية، ص301

[2]– محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم ، ص148.

[3]– أبي العباس أحمد بن يحي بن محمد التّلمساني الونشريسي(834-914هـ/1430-1508م:أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه العقوبات والزواجر، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدّينية بور سعيد 1416هـ، 1996م، ص22، 23.

[4]– الونشريسي: المصدر نفسه، ص23.

فنطلب منه أن يردّنا إلى هناك[1] والفقيه هنا يبحث عن ردّ يشفي غليله وأهل المغرب والأندلس في المسائل التي طرحها ولطالما شكّل موضوع الهجرة هاجسا أرّق الأندلسين خاصة وقد ورد نصّ الفتوى كاملا في كتاب المعيار لا يسع المجال لذكرها كاملة [2] .

حرص الونشريسي في ردّه على الأسئلة المطروحة في الرّسالة على أن يكون المسلم دوما تحت ذمة الإسلام مع الحرص على عدم البقاء في أرض الكفر والهجرة منها متى سمحت الظروف بذلك دون أدنى نظر لأي مغنم ما عدا النّجاة بدينه وشخصه[3] قائلا :"إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة وكذلك الهجرة من أرض الحرام و الباطل، ولا تسقط الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية لعنة الله على معاقلهم وبلادهم ولا يتصور العجز عنها بكل وجه وحال لا الوطن ولا المال فإنّ كلّ ذلك ملغى في نظر الشرع، وأما المستطيع بأي وجه كان وبأي حيلة تمكنت فهو غير معذور وظالم لنفسه.."فكانت فتواه صارمة في حق الأندلسيين وما بدر منهم من كلام قبيح وسبّ للإسلام وتمنيهم الرّجوع إلى دار الشّرك والأصنام وغير ذلك من الفواحش[4] .

أما استدلوا به وتذرعوا به من عجز عنها وحال للوطن والمال إلى غير ذلك من أمور الدنيا الواهية لا يسقط هذه الهجرة [5] واستدل بقوله تعالى"**إِلاَّ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا** "[6].

أضاف"مارق عن الدّين مفارق لجماعة المسلمين"،وهذا ردّه عن القائلين بجواز الإقامة في أرض الكفر والقعود عن الهجرة معتمدا في هذا على فتاوى من سبقوه كابن رشد الجد(ت: 520هـ)[7] وأبي بكر العربي[8] ومحمد بن الحاج (ت:930هـ) الدّالة على تحريم الإقامة في دار الكفر[1].

---

[1] – محمد زروق: الأندلسيون وهجراتهم، 148.

[2] – الونشريسي: المعيار المعرب، ج2-119 وما بعدها .

[3]– عبد القادر بوعقادة:الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنيين7، و9هـ/13، 15م دكتوراه، تاريخ وسيط، جامعة الجزائر2، 1435هـ 1436هـ/2014-2015م، ص134.

[4] – بن عزوز نبيلة: أندلسيو الجزائر آثارهم وتاريخهم، ص94.

[5] – محمد رزوق: الأندلسيون وهجراتهم، ص148.

[6]– سورة النساء:الآية 99

[7] – محمدرزوق :المرجع السّابق، ص148.

[8] –قال ابن رشد الجد في مسألة تحريم الإقامة بأرض الكفر:" فرض الهجرة غير ساقط بل الهجرة باقية لازمة إلى يوم القيامة على من أسلم بدار الحرب أن لا يقيم بها حيث تجري عليه أحكام المشركين وأن يهجرها ويلحق بدار المسلمين حيث تجري عليه أحكامهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنا بريء من كل مسلم مقيم مع المشركين "إلّا أنّ هذه الهجرة لا يحرّم على المهاجر

الفتوى الثانية للونشريسي:كتبت هذه الفتوى عام(901هـ/1495م) في شأن أحد مسلمي الأندلس يريد الاستقرار بأرض الأندلس وكان مبرره في ذلك أنه يعمل على تقديم العون لمن بقي هناك من المسلمين ومساعدتهم في حلّ مشاكلهم والتّوسط لهم لدى السّلطات الإسبانية فهو بمثابة الناطق الرّسمي لهم،ويعمل على تخليص الكثير منهم من مشاكلهم اليومية[2]وجاء نصّ الفتوى كالتالي" وكتب إليّ الفقيه أبو عبد الله المذكور أيضا بما نصّه"...رجل من أهل مربلة[3] معروف بالفضل والدّين تخلّف عن الهجرة مع أهل بلده ليبحث عن أخ له فُقِدَ قبل في قتال العدو بأرض الحرب عن خبره إلى الآن فلم يجده وآيس منه فأراد أن يهاجر فعرض له سبب آخر وهو أنه لسان وعون للمسلمين المساكين الذميين حيث سكناه ولمن جاورهم أيضا من أمثالهم بغرب الأندلس يتكلم عنهم مع حكام النّصارى فيما يعرض لهم من نوائب الدّهر ويخاصم عنهم ويخلص كثيرا منهم من ورطات عظيمة...يلحقهم في فقده ضرر كبير إن فقدوه.فهل يرخص له في الإقامة هناك من المصلحة لأولئك المساكين الذميين مع أنه قادر على الهجرة متى شاء أو لا يرخص له ولا رخصة لهم أيضا في إقامتهم هناك وتجري عليهم أحكام الكفر ولا سيما وقد سمح لهم في الهجرة مع أن أكثرهم قادرون عليها؟[4].

وكان ردّه على هذه المسألة واضحا وبالرفض فقال:"فالواجب على كل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر السّعي في حفظ رأس الإيمان بالبعد والفرار عن مساكنة أعداء حبيب الرّحمن.والاعتلال بإقامة

=بها الرّجوع إلى وطنه إن عادت دار إيمان وإسلام ،كما حرّم على المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الرّجوع إلاّ للذي ادخره الله لهم من الفضل في ذلك"أضاف فإذا وجب بالكتاب والسّنة وإجماع الأمة على من أسلم بدار الحرب أن يهجرها ويلحق بدار المسلمين ولا يثوي بين المشركين ويقيم بين ظهرانيهم لئلا تجري عليه أحكامهم في تجارة أو غيرها: انظر:أبو العباس الونشريسي: أسنى المتاجر، ص30، 31.

رأي أبي بكر بن العربي: قال:"أما الهجرة من أرض الكفر فريضة إلى يوم القيامة قال: والذهاب إلى أرض الكفر ينقسم إلى 06 أقسام، الأولى الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام وكانت فرضا في أيام النبي عليه الصلاة والسّلام وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة والتي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان فإن بقي في دار الحرب عصى واختلف في حاله. وقال" إن الله حرم أولا على المسلمين أن يقيموا بين أظهر المشركين وافترض عليهم أن يلتحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فلما فتح الله مكة سقطت الهجرة وبقي تحريم المقام بين أظهر المشركين–انظر:المصدر السابق، ص36.

[1]– عبد القادر بوعقادة : الحركة الفقهية ، ص1034.

[2]– بن عزوز نبيلة: أندلسيو الجزائر آثارهم وتاريخهم ، ص95.

[3] – **مربلة**: مدينة صغيرة تقع على ساحل البحر المتوسط على مساحة 60كم، تقع غربي مالقة ،كثيرة الفواكه والغلال ، مشهورة كمركز لصيد السردين والأسماك.أنظر:لسان الدّين بن الخطيب: مشاهدات ابن الخطيب ص75–القلقشندي:صبح الأعشى، ج5،ص219–العمري: وصف افريقية والمغرب والأندلس، ص49– لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة ، ج2، ص145.

[4]– أبو العباس الونشريسي: أسنى المتاجر، ص58.

الفاضل المذكور بما عرض من غرض التّرجمة بين الطّاغية وأهل ذمته من الدّجن العصاة لا يخلّص من واجب الهجرة ...لأن مساكنة الكفار من غير أهل الذمة والصّغار لا تجوز ولا تباح ساعة من نهار لما تنتجه من الأدناس والأوصار والمفاسد الدّينية والدّنيوية طول الأعمار...ومساكنهم تحت الذّل والصّغار..."[1].

وبعد ما استعرض الصّعوبات التي تؤدي هناك لا تتم على أحسن صورة فقال" نقص صلاتهم وصيامهم وزكاتهم وجهادهم وإخلالهم بإعلاء كلمة الله وشهادة الحق وإهمالهم لأجلها وتعظيمها وتنزيهها عن ازدراء الكفار وتلاعب الفجار..."[2]

وقف حسين مؤنس موقفا معارضا من فتوى الونشريسي قائلا"وهذا الشّيخ الذي تصدّى لإبداء الرأي في مَصْر في المسلمين المتخلفين في الأندلس لم يكلف نفسه عندما جلس يكتب هذه الفتوى عناء البحث عن أحوال من يفتي فيهم ويتقصى أخبارهم ويعرف الأسباب التي تضطرهم إلى البقاء في الأندلس وتحول بينهم وبين الهجرة إلى المغرب ولم يذكر أنهم أولاً وقبل كل شي بشر ضعفاء عسر عليهم مغادرة الأوطان ومعاهد الحياة الطّويلة التي تقلب فيها الآباء والأجداد قرونا طويلة..."[3]. يضيف في موضع آخر أنّ العالم قد فاته أنّ الغالبية العظمى من النّاس هم العاجزين عن الرّحلة وأن الهجرة لم تكن إذ ذاك رحلة هينة تتوقف على رغبة المسلم الذي وقع في ذلك المأزق إذ كان لابد للعازم عليها أن يؤدي قدرا من المال ذهبا حتى تأذن له السّلطات في الانتقال.بل كانت أمرا عسيرا كل العسر. وكانت الطرقات مخوفة حافلا بالصعوبات والمخاطر والمكاره لا يأمن المهاجر على نفسه فيها[4]،مثل ظاهرة اللّصوصية والخوف على النّفس من القتل أو الوقوع أسرى يتعرضون بعدها للاسترقاق[5] ضف إلى ذلك الخطر الذي يحدق بهم في ركوبهم البحر في مراكب لا تسع العدد الذي تحمله والأتاوات التي تفرض عليهم في المرافئ.فمن لا يدفع لا يطلقونه وفي حال بلوغهم الضفة الأخرى(العدوة المغربية)ثمّ لا يجد من أهلها ترحابا كالذي وجدوه مهاجري الأندلس قبل سقوط غرناطة. ولا يجدوا كذلك من يسهل لهم سبل العيش الكريم كما رأيناه مدونا في فتوى الشيخ والسؤل

---

[1]-الونشريسي:أسنى المتاجر،ص59- محمد رزوق:الأندلسيون وهجراتهم،ص149-بن عزوز:أندلسيو الجزائر آثارهم وتاريخهم، ص95.

[2] - الونشريسي: المصدر السابق، ص59.- محمد رزوق المرجع السابق، ص149.

[3]- محمد رزوق: المرجع السابق، ص149.

[4] - الونشريسي: المصدر السابق ،ص18 - فريدة بن عزوز: اندلسيوا الجزائر، ص94.-محمد رزوق: المرجع السّابق، 149.

[5] - الونشريسي: المصدر السابق، ص19.

الموجه إليه في ضيق أهل المغرب ضرعا من الأندلسيين يضيف:"كل هذه الجوانب الانسانية غابت عن صاحب الفتوى وفاته أيضا أنه كان عليه وعلى أصحابه الشيوخ قبل أن يصدر هذه الفتوى أن يفعل شيئا لاستنقاذ أولئك الناس كأن يجود بشيء من ماله ويتصدى لجمع المال لاستنقاذهم فقد كانت الهجرة في ذلك الوقت مسألة مال...كذلك أن ينهض أو يحض ويحث غيره على النّهوض لاستقبال أولئك المساكين وتيسير أمر مقامهم..."وهذا لا يكون إلّا عن طريق دروسه وخطبه التي كان من المفروض أن تكون في هذا الجانب من الجوانب التي ستلقى حتما الآذان الصاغية من أهل المغرب الذين كانوا السّباقين لنجدة إخوانهم حتى في العدوة الأخرى كان الأولى بالونشريسي أن يقتفي أثر الإمام المازري[1](ت: 536هـ-1141م) في فعله وموقفه وفتواه التي أفتى فيها إلى معاونة مسلمي صقلية ولم يدع إلى تهجيرهم بل وإلى رعايتهم كذلك والمحنة هنا واحدة وهي استيلاء الصليب على أرض المسلمين والمصاب واحد ولكن الفتوى كانت بالنظر إلى ظروف الآخر في البلاد القصية[2] والمازري لا يعبر عن حنين خاص لصقلية ولكنه يحسن الظن بالمسلمين المقيمين فيها تحت راية الكفار ويباعد المعاصي عنهم في الفتوى التي وجهت إليه عن أحكام تأتي من صقلية من قبل قاضيها وشهود عدول هل يقبل منهم ذلك أن لا ؟ ولكنه في قضية السّفر إليها يمنعه إذا كانت أحكام الكفر جارية على من يدخلها من المسلمين ولو لأجل استجلاب الأقوات مستدلا بذلك بقوله تعالى"**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**"[3] [4].

[1] - **المازري**: هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري نسبة إلى مازرة وهي مدينة على الساحل الجنوبي من جزيرة صقلية شمال البلاد التونسية.أصله من مازر موطن أبيه. لم تمدنا المصادر شيئا عن ولادته.أما الوفاة فأجمعت على أنه في التاريخ المدون أعلاه بمدينة المهدية. وقيل أن جثمانه نقل من غده إلى رباط المنستير ودفن هناك.تتلمذ على أبو الحسن اللّخمي وعبد الحنيد بن الصائغ وهذا ما ذكره من أرخ له كون تلاميذه الذين لازموه وأخذوا عنه لم يؤرخ له أحد منهم سمع الحديث وطاع على علوم كثيرة من الطب والحساب والآداب وغير ذلك ألف كتابه المعروف " المعلم في شرح مسلم" أنظر: القاضي عياض السّبتي:الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض(476هـ-544هـ/1083م-1149م)،تحقيق ماهر زهير جرار دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1402-1982م، ص65. للمزيد:أبو عبد الله المازري (ت: 536هـ): فتاوى المازري، تحقيق الطاهر المعموري، الدار التونسية للنشر، تونس 1994، ص18، 25.

[2]- عبد الرحمن الحجي: هجرة علماء الأندلس، ص98.

[3]- سورة التوبة : الآية 28.

[4]- المازري: فتاوى المازري، ص10.

والشاهد هنا أن حسين مؤنس يقول"... والذي يهمنا في هذا كله هو ما يؤثر عن الإمام المازري من أنه كان في تلك الأثناء يكرم من يفد إلى افريقية(كان هو بالمهدية من أرض تونس وبها مات) من مهاجري صقلية فيوسع على فقيرهم ويساعد بالنصيحة الميسور منهم عطفا على أولئك اللاجئين المصابين بفقدان الوطن.وقد استقر منهم كثير في أحواز المهدية والمنستير وسوسة. فاشتروا الأرضين لأثمارها بالفلح فكان المازري أكبر معين لهم على استقرارهم في الوطن وتأنيس غربتهم"[1] .

فمادام ترحيل المسلمين من الأندلس هو الغاية التي كانت تصبو إليها الصليبية الحاقدة وتهجيرهم بالفتوى هو بحد ذاته مطلب المعادي فكان من الواجب على الونشريسي والعلماء والحكام أن ينبروا لتثبيت إخوانهم هناك ويمدوهم العون بل ويجاهدوا معهم ،كون المجتمع الأندلسي مسلم وما عاداهم هم الأقلية[2].

إختار البقاء في بلاد الحرب والعمل بمقتضى الشريعة لأنّ هناك فئة من النّاس كانت تعتقد أنّ السّيطرة الإسبانية على الأندلس ظرفية وستعود إلى الحوزة الإسلامية في ظرف وجيز وأنّ الكثير من المسلمين كانوا فقراء وبالتالي لم يقدروا على تحصيل المبالغ الضخمة التي تمكنهم من العبور إلى الضّفّة الأخرى وكذا ومن جهة أخرى منع الآخرين منهم من المغادرة بأوامر من النّصارى[3]

الفتوى الثالثة :أبو جمعة المغراوي:

سار الشّيخ المغراوي الوهراني[4]على نقيض سابقه الونشريسي في نازلة الأندلسيين واختار نهج المازري في ايراد فتواه.فبعث فتواه إلى مسلمي غرناطة حين اشتد عليهم بطش النّصارى وازداد التضييق

---

[1]- أبو العباس الونشريسي: أسنى المتاجر، ص19.

[2]- عبد الرحمن الحجي :هجرة علماء الأندلس، ص98.

[3] – ماثيو كار: الدّين والدّم إبادة شعب الأندلس، ترجمة مصطفى قاسم، ط1 ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 1434هـ-2013م ،ص133،134 .

[4]- أبو جمعة المغراوي: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بوجمعة المغراوي الوهراني الفاسي عرف بشقرون اسمه محمد وكنيته أبو عبد الله ولقب بشقرون لأنه كان اشقر اللون.والمغراوي نسبة إلى مغراوة وهي قبيلة زناتية.كان عالما جليلا لا نعرف الكثير عن حياته قبل هجرته إلى المغرب الأقصى وتاريخ ميلاده بالتقريب هو(879هـ) في وهران، أما عن كنيته الهواري المغراوي أنظر: الزّياني: دليل الحيران وانس السّهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، وزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص75، 79.توفي عام 929هـ وجزم بهذا التاريخ ابن مريم وابن مخلوف وعبد الحي الكتاني بينما قال ابن القاضي أن سنة وفاته كانت سنة 930هـ وقال التنبكتي في نيل الإبتهاج بسنة 917هـ وهذا بعيد كل البعد عن التاريخ الحقيقي .انظر:ابن =القاضي المكناسي :درة الحجال ، ج2، ص152– التنبكتي : نيل الإبتهاج يوسف عدار: محمد بن أبي جمعة الوهراني (حياته

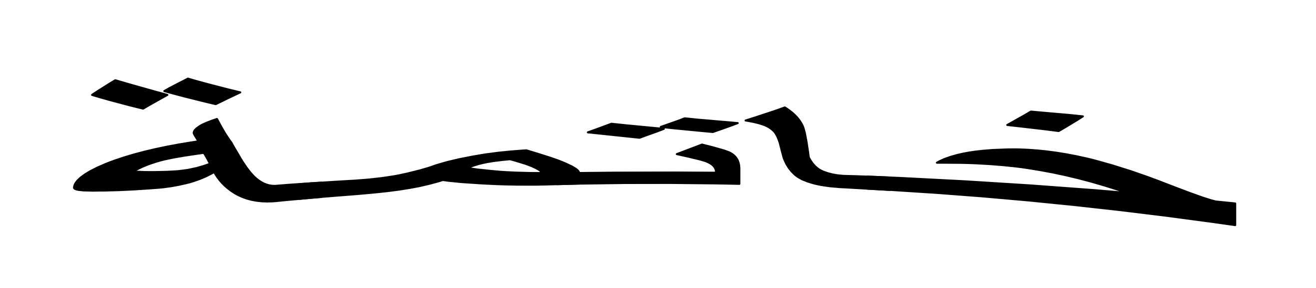
على الشّعائر الدّينية فكانت فتواه خطابا شاملا في قواعد الإسلام التي تضمنت تصريحا يؤكد على ضرورة التمسك بأركان الإسلام جاء فيها قوله:"..إخواننا القابضين على دينهم كالقابض على الجمر من أجزل الله ثوابهم فيما لقوا في ذاته وصبروا النّفوس والأولاد في مرضاته الغرباء القرباء إن شاء الله من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته وارثوا سبيل السّلف الصّالح في تحمل المشاق.."[1].وهو بهذايعمل على إقناع مسلمي الأندلس بضرورة البقاء التّمسك بمواطنهم وأراضيهم وعدم تركها للنّصارى في المقابل اعطت لهم حلولا تسهل عليهم كيفية ممارسة شعائرهم الدينية باللّجوء إلى ما يعرف بالتقية أي إخفاء إسلامهم على النّصارى وهذا جائز معتمدا في فتاويه على نصوص القرآن الكريم والسّنة النّبوية،واستدلّ بذلك على ما حدث لعمار ياسر في قصة تعذيب الكفار له وأرغموه على النّيل من الرّسول صلى الله عليه وسلم .وعندما سأل الرّسول ما أخبره أن وجب عليه الحفاظ على نفسه لأن الإيمان بالقلب[2] قال "فاعبدوه واصطبروا لعبادته فالصلاة ولو بالإيماء والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أو رياء لأن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم .فالغسل من الجنابة ولو عوما في البحور وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار وتسقط في الحكم طهارة الماء وعليكم بالتيمم ولو مسحا بالأيدي للحيطان وإن أكرهتم في وقت صلاة على السجود للأصنام أو حضور صلاة فأحرموا بالنية وانووا صلاتكم المشروعة وأشيروا إلى ما يشيرون إليه من صنم مقصودكم الله...وإن أكرهتم على ربا أو إحرام فافعلوا منكرين بقلوبكم.."وبالتالي مثلت هذه الفتوى المرجع الأساسي للمحافظة على هويتهم الاسلامية مع البقاء في وطنهم الأم [3].

=وآثاره) مجلة التراث العربي، العدد107، ص56، 58. للمزيد: ابن خلدون، ديوان العبر(الخبر عن بني حزرون ملوك سجلماسة من الطبقة الأولى من مغراوة وأولية ملكهم ومصارهم)، ص51.

[1]-جمال يحياوي:سقوط الأندلس ومأساة الأندلسيين،ص265-بوعقادة: الحركة الفقهية ص–محمد رزوق:المرجع السّابق ،ص150- فريدة بنعزوز: أندلسيو الجزائر آثارهم ، ص94.

[2]- حساني مختار :تاريخ الدولة الزيانية، المرجع السابق ، ص245.

[3]-يحي بوعزيز : أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1 ،دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان،1995، ص209


خاتمة

خاتمة :من خلال هذه الدّراسة حاولت أن أبيّن الدّور الذي قام به علماء الأندلس في مختلف المجالات والأحداث التي عاشتها الأندلس منذ بداية تراجع القوى الإسلامية زمن دولة الموحدين إلى سقوط غرناطة. ولعل أهم ما توصلنا إليه هو:

*تألق علماء الغرب الاسلامي في تسيير شؤون الدّولة وتسيير الأزمات من خلال المهام التي أسندت لهم، كالوزارة والكتابة والقضاء والسّفارة خاصة، وهذا يؤكد مكانتهم وضرورة اللجوء اليهم وإشراكهم في الحكم للإستفادة من تجاربهم.

*قدّم العلماء التّوجيه والإرشاد للسلطة وفق ما تمليه الشّريعة الإسلامية خاصة ماتعلق بنصح الملوك، وهذا ما ساهم في علو مكانة العلماء عند الشّعب الأندلسي فأصبحوا من جملة الشّخصيات المرهوبة الجانب المسموعة الكلمة في الحق،و استعمل العلماء في نصحهم اسلوب اللّين والشّدة في بعض الأحيان الذي عرّض الكثيرين منهم إلى تنكيبهم.

*استطاع علماء الغرب الإسلامي المساهمة في حلّ مشكلات المجتمع والتّخفيف منها خاصة زمن الاوبئة والمجاعات والظروف الإقتصادية الصّعبة حيث نجدهم السّباقين في ذلك تدفعهم الرّغبة في الحصول على الثّواب وإستشعارهم لكبر المسؤولية الملقاة على عاتقهم كدعاة والرّغبة في إعطاء صورة نمطية تساهم في التّشجيع على أعمال الخير، أضف إلى ذلك مشاركتهم أفراد المجتمع أفراحهم وأحزانهم،مشاركين النّاس في كل شؤونهم اليومية وهمومهم ساعين في ذلك لتقديم يد العون وجبر الخلل

*وسّع علماء الغرب الإسلامي دائرة نشاطاتهم خاصة في مجال التّأليف عامة وفي مجال الجهاد خاصة ،حيث شجع أمراء الأندلس على التّأليف الجهادي بالكتابة في السّيرة النّبوية رغبة منهم في إذكاء شعلة الجهاد في الرّعية، ويشمل التّأليف كذلك دورهم في الجدل والمناظرة دفاعا عن عقيدة الإسلام،ودفع شُبه المشككين فيه.

* كان للعلماء الدّور الفعال في الدّعوة إلى الجهاد في سبيل الله الذي نتج عنه إضعاف حركة الإسترداد المسيحي،كما شهدت كبرى المعارك مثل الدّنونية وطريف حضور جماعي لهذه الفئة والكشف عن هذا الجانب الخفي عند العامة وتغيير المفهوم السّائد أنّ العلماء مدرسون ووعاظ وفقهاء وأثبتت أنها حملت لواء الجهاد وفضّلته على نشر العلم وجمعت في الكثير من الأحيان بين الفرضين معاً وتجلى ذلك من خلال تقدمهم صفوف المجاهدين وإنكارهم على من تولى يوم الزحف .

*بذل العلماء وسعهم في توحيد العدوتين الأندلسية والمغربية وسّعوا إلى توحيد الأمة ورصّ صفوفها و التّصدي للعدوان النّصراني وتذليل عوامل الفرقة والإنقسام بين أبناء الأمة الواحدة وتسخير كل

مقومات الأمة للوقوف أمام دعوات الفرقة ومسبباتها، والسّعي دائماً لإبقاء الأندلس متلاحمة الأجزاء متحدة الكلمة في وجه العدو النّصراني، وكانت آرائهم وفتاويهم هي العامل المهم لتحقيق هذه الوحدة التي أرادوا لها أن تكون وسيلة لحفظ ما تبقى من الإسلام في الأندلس بمدافعة النّصارى، فكانوا من السّباقين دائماً في الإنكار على ملوك الغرب الإسلامي على الممارسات التي كانت تحدث ضدّ شعوبهم من دفع الجزية، وكانوا من المنكرين عليهم في تخاذلهم في ردّ العدوان الصّليبي على أراضي الأندلس مذكرين دائما بأيام الأندلس الأموية داعين إلى إعادة الخلافة .

*وقوف العلماء إلى جانب السّلطة في إدارة المؤسسات وكذا توعيتهم بمخاطر الغزو النّصراني للأراضي الإسلامية والدّعوة إلى مقاومته بشتى الوسائل،عزّز من تجذر فكرة تعاون السّلطة السّياسية مع العلماء،فقد حرصوا دائماً على إعطاء الصّورة الحسنة من خلال الإجتهاد فيما ينفع الحكام والرّعية وفيما يرضى الله تعالى، فوصول بعضهم إلى مناصب مرموقة في الدّولة برهان على علو المكانة

*تنوعت وسائل التّحريض وإذكاء روح الجهاد قبل المعركة وخلالها وعند نهايتها بالاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النّبوي والوعظ وشيوع خطب الجهاد نثرا وشعرا وكذا تفعيل دور الوعاظ في المساجد وساحات القتال ودور السفراء في التجوال بين الأقاليم للإستغاثة وشحذ الهمم، مبينين فضل الجهاد وما ينتظر الشّهداء من مقام كريم عند الله عزّ وجل،في حين اختار بقية العلماء أساليب أخرى لا تقل قيمة عن سابقتها كالإنفاق المادي ويأتي على رأسه التّبرع بالأموال والعتاد الحربي وغيرها.واكتفى الآخرون بالمشاركة في بناء الحصون والقلاع والمرابطة فيها رغبة في نيل الأجر وإما الشهادة و اختار الأخرون الإنفاق في فك الاسرى من دار الحرب.

*استطاعت الدّولة المرينية أن تؤخر كارثة سقوط الأندلس قرنين من الزمن، فاستطاع ملوك بني مرين النّهوض مرة أخرى بأمور المغرب على كل الأصعدة ثم التفكير في الأندلس،لعب العلماء دورا مهما في هذا التّأخير بفضل دعواتهم للصمود في وجه العدو الغاشم مستعملين في ذلك كل الأساليب.

توصيات الدراسة:

خلصنا في النهاية إلى تسجيل مجموعة من التّوصيات التي ممكن أن تجد لها طريقا للتجسيد نذكر منها:

- أن يتم اختيار المواضيع المتعلقة بحياة العلماء بشكلها الجزء وبعبارة أخرى أن نأخذ كل عالم ونحاول دراسة مساره بالتفصيل .
- توجيه الدّراسات التّاريخية للشخصيات المغمورة أو ماصطلح على تسميتهم بالمهمشون في التاريخ إلى فئة العلماء التي تباينت درجة الإهتمام بها من عالم لآخر.
- الإهتمام بالجوانب الحياتية للعلماء أصبح ضرورة حتمية كونها تميط اللثام عن جانب كبير من حياتهم والذي ظل لسنوات طويلة حبيس دفات الكتب.
- الحرص على التفتيش على مخزونات المكتبات من مخطوطات العلماء التي تحوي سيرهم الذاتية والتي تمكننا من تغطية النقص الحاصل في ترجمات الكثير منهم.
- إعطاء الدراسات المتعلقة بأعلام الجزائر عبر العصور أهمية بالغة من حيث التشجيع على دراستها، وطبع ماتميّز فيه الباحثون ونشره على نطاق واسع حتى يعم الانتفاع به.

الملاحق

الملحق رقم 01 :

رسالة لسان الدين بن الخطيب في تفضيل الجهاد على الحج :

كتب لسان الدّين ابن الخطيب على لسان سلطانه إلى بعض العلماء العاملين ما فيه إشارة إلى بعض ذلك، ما نصه: من أمير المسلمين فلان، إلى الشيخ كذا، وصل له سعادة تجذبه، وعناية إليه تقربه، وقبولا منه يدعوه إلى خير ما عند الله ويندبه،فبعد واجب التحية يضيف"...فإنا كتبناه إليكم-كتب الله تعالى لكم عملا صالحا يختم الجهاد صحائف بره، وتتمحّض لأن تكون كلمة الله هي العليا جوامع أمره، وجعلكم ممن تهنى في الأرض التي فتح فيها أبواب الجنة حصة عمره- من حمراء غرناطة-حرسها الله تعالى.....وتعرفنا الآن ممن له بأنبائكم اعتناء، وعلى جلالكم حمد وثناء، ولجناب ودكم اعتزاء وانتماء، بتجاول عزمكم بين حج مبرور ترغبون من أجره في ازدياد، وتجددون العهد منه بأليف اعتياد، وبين رباط في سبيل الله وجهاد، وتوثير مهاد بين ربى أثيرة عند الله ووهاد، يحشر يوم القيامة شهداؤنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصّديقين، فرحين بما آتاهم الله من فضله، والله أصدق القائلين الصادقين، حيث لا غارة لغير عدو الإسلام تتّقى، إلا لابتغاء ما لدى الله ترتقى، حيث رحمة الله قد فتحت أبوابها، وحور الجنان قد زينت أترابها، دار العرب الذين قرعوا باب الفتح، وفازوا بجزيل المنح، وخلدوا الآثار، وأرغموا الكفار، وأقالوا العثار، وأخذوا الثأر، وأمنوا من لفح جهنم بما غلا على وجوههم من ذلك الغبار، فكتبنا إليكم هذا نقوي بصيرتكم على جهة الجهاد من العزمين، ونهيب بكم إلى إلى إحدى الحسنيين، والصبح غير خاف على ذي عينين، والفضل ظاهر لإحدى المنزلتين، فإنكم إذا حججتم أعدتم قرضا أديتموه، فائدته عليكم مقصورة، وقضيته فيكم محصورة، وإذا أقمتم الجهاد جلبتم إلى حسناتكم عملا غريبا، واستأنفتم سعيا من الله قريبا، وتعدّت المنفعة إلى ألوف النفوس، المستشعرة لباس البؤس، ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لأطنبنا، وأعنة الاستدلال أرسلنا، هذا لو قدمتم على هذا الوطن وفضلكم غفل من الاشتهار، ومن به لا يوجب لكم ترفيع المقدار، فكيف وفضلكم أشهر من محيا النهار،ولقاؤكم أشهى الآمال وآثر الأوطار، فإن قوي عزمكم والله يقويه، ويعيننا من بركم على ما ننويه، فالبلاد بلادكم، وما فيها طريفكم وتلادكم، وكهولها إخوانكم، واحداثها اولادكم، ونرجو أن تجدوا لذكركم الله في رباها حلاوة زائدة، ولا تعلموا من روح الله فيها فائدة وتتكيف نفسكم فيها تكيفات تقصر عنها خلوات السلوك، إلى ملك الملوك، حتى تغتبطوا بفضل الله الذي يوليكم، وتروا أثر رحمته فيكم وتخلفو فخر هذا الانقطاع إلى الله في قبيلكم وبينكم، وتختموا العمر الطيب بالجهاد الذي يعليكم، ومن الله تعالى

يدنيكم، فنبيكم العربي صلوات الله عليه وسلامه نبي الرّحمة والملاحم، ومعمل الصوارم، وبجهاد الفرنج ختم عمل جهاده، والاستباق إلى أماده، هذا ما عندنا حثثناكم عليه، وندبناكم إليه، وأنتم في إيثار هذا الجوار، ومقارضة ما عندنا بقدومكم على بلادنا من الاستبشار ، بحسب ما يخلق عنكم من بيده مقادة الاختيار، وتصريف الليل والنهار، وتقليب القلوب وإجالة الأفكار، وإذا تعارضت الحظوظ فما عند الله خير للأبرار، والدار الآخرة دار القرار، وخير الأعمال عمل أوصل إلى الجنة وباعد من النار، ولتعلموا أن نفوس أهل الكشف والاطلاع ، بهذه الأرجاء والأصقاع، قد اتفقت أخبارها، واتحدت أسرارها، على البشارة بفتح قرب أوانه، وأظل زمانه، فنرجو الله أن تكونوا ممن يحضر مدعاه، ويكرم في مسعاه، ويسلف فيه العمل الذي يشكره الله والسّلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته–انتهى –

أنظر :المقري التلمساني ، نفح الطيب ، ج1 ، 187 ،189

رسالة بن الخطيب في استنهاض السّلطان المريني :

من إنشاء لسان الدّين على لسان سلطانه في استنهاض عزم صاحب فاس السّلطان المريني لنصرة الأندلس وهذه مقتطفات منها " .... مقام محل أخينا الذي حسنت في الملك سيره، وتعاضد في الفضل خبره وخبره ودلت شواهد مداركه للحقوق، وتغمده للعقوق، على أن الله تعالى لا يهمله ولا يبذره، فسلك فخره متسقة درره، ووجه ملكه شادخة غرره، السلطان كذا ابن السلطان كذا أبقاه الله رفيعا علاؤه، .....سلام كريم، طيب عميم، ورحمة الله وبركاته.أما بعد حمد الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا، ولا يخيب لمن أخلص الرغبة إليه أملا، وموفي من ترك له حقه أجره المكتوب متمما مكملا، وجاعل الجنة لمن اتقاه حق تقاته نزلا، ملك الملوك الذي جلّ وعلا، وجبار الجبابرة الذي لا يجدون قدره محيصا ولا دونه موئلا، والصلاة والسلام على سيدنا مولانا محمد الذي أنزل الله تعالى عليه الكتاب مفصلا،......فإنا كتبناه إليكم أصحب الله تعالى ركابكم حليف التّوفيق حلا ومرتحلا، وعرفكم عوارف اليمن الذي يثير جذلا، ويدعو وافد الفتح المبين فيرد مستعجلا، من حمراء غرناطة حرسها الله نعالى.....ومقامكم عندنا العدّة التي بها نصول ونرهب، والعمدة التي نطيل في ذكرها ونحن مهما شدّ المخنق بكم نستنصر، أو تراخى ففي ودكم نستبصر،أو فتح الله تعالى فأبوابكم نهني ونبشر، وقررنا عندكم أن العدو في هذه الأيام توقف عن بلاد المسلمين فلم تصل منه إليها سرية، ولا بطشت له يد جرية، ولا افترعت من تلقائه ثنية، ولا ندري المكيدة تدبر، أم آراء تنقض بحول الله وتتبّر ، أو لشاغل في الباطن لا يظهر، وبعد ذلك وردت على بابنا من بعض كبارهم، وزعماء أقطارهم، مخطبات يندبون فيها إلى جنوحها للسلم في سبيل النصح، لأياد سلفت منا لهم قررها، ووسائل ذكرها، فلم يخف عنا أنه أمر دبّر بليل، وخيبة تحت ذيل، فظهر لنا أن نسبر الغور، ونستفسر الأمر ، فوجهنا إليه–على عادتنا مع سلفه– لنعتبر ما لديه، وننظر إلى بواطن أمره، ونبحث عن زيد قومه وعمره، فتأتّى ذلك وجرّ مفاوضة في الصّلح أعدنا لأجلها الرسالة، واستشعرنا البسالة، ووازنا الأحوال واختبرنا، واعتززنا في الشروط ما قدرنا، ونحن نرتقب ما يخلق الله تعالى من مهادنة تحصل بها الأقوات المهيأة للانتساف، وتسكن ما ساء البلاد المسلمة من هذا الإرجاف، ونفرغ الوقت لمطاردة هذه الآمال العجاف، أو حرب يبلغ الاستبصار فيه غايته، حتى يظهر الله تعالى في نصر الفئة القليلة آيته، ولم نجعل سبب الاعتزاز فيما أدرنا، وشموخ الأنف فيما أصدرنا، إلا ما أشعنا من عزمكم على نصرة الإسلام، وارتقاب خفوق الأعلام، والحفوف إلى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام، وأن الأرض حميّة الله تعالى قد اهتزت، والنفرة قد غلبت النفوس واستفزت ، واستظهرنا بكتبكم التي

تضمنت ضرب المواعد، وشمرت عن السواعد، وأن الحيل قد أطلقت إلى الجهاد قد قام به المؤمنون، والأموال قد سمح سدتها بروق الأسنة، وفرض الجهاد قد قام به المؤمنون، والأموال قد سمح بها المسلمون، وهذه الأمور التي تمشت بقريبها أو بعيدها أحوال الإسلام، والأماني المعدة لتزجية الأيام، ثم اتصل بنا الخير الكارث بما كان من حور العزائم المؤمنة بعد كورها، وتسويف مواعد النصرة بعد استشعار فورها، وأن الحركة معملة إلى مراكش الجهة التي في يدكم زمامها،وإليكم وإن تراخى الطول ترجع أحكامها، والقطر الذي لا يفوتكم مع الغفلة، ولا يعجزكم عن الصولة، ولا يطلبكم إن تركتموه، ولا يمنعكم إن طرقتموه وعركتموه، فسقط في الأيدي الممدودة، واختلفت المواعد المحدودة، وخسئت الأبصار المرتقبة، ورجفت المعاقل الأشبة، وساءت الظنون، وذرفت العيون، وأكذب الفضلاء الحبر، ونفوا أن يعتبر، وقالوا: هذا لا يمكن حيث الدين الحنيف، والملك المنيف، والعلماء الذين أخذ الله تعالى ميثاقهم، وحمّل النصيحة أعناقهم، هذا المفترض الذي يبعد، والقائم الذي يقعد، يا أباه الله تعالى والإسلام، وتأباه العلماء والأعلام ، وتأباه المآذن والمنابر، وتأباه الهمم والأكابر، فبادرنا نستطلع طلع هذا النبأ الذي إن كان باطلا فهو الظن، والله المن، وإن كان خلافه لرأي ترجح، وتنفق بقرب الملك وتبجح، فنحن نوفد كل من يقدم إلى الله تعالى بهذا القطر في شفاعة، ويمد إليه كف ضراعة، ومن يوسم بصلاح وعبادة، ويقصد في الدّين بثّ إفادة، يتطارحون عليكم في نقض ما أبرم، ونسخ ما أحكم، فإنكم تجنون به على من استنصركم عكس قصد، وتحلون عليه ما عقد، ووهب العذر يقبل في عدم الإعانة، وضرورة الاستعانة والاستكانة،أي عذر يقبل في الاطراح، والاعراض الصّراح؟ كأن الذي غير واحد، كأن هذا القطر لكلمة الإسلام جاحد، كأن ذمام الإسلام غير جامع، كأن الله غير راء ولا سامع، فنحن نسألكم بالله الذي تساءلون به والأرحام، ونأنف لكم من هذا الإجحام، ونتطارح عليكم أن تتركوا حظكم في أهل تلك الجهة حتى يحكم الله بيننا وبين العدو الذي يتكالب علينا بإدباركم، بعدما تضاءل لاستنفاركم، ولا تنكلفكم غير اقتراب داركم،وما سامكم المسلمون بها شططا، وما حملوكم إلا قصدا وسطا، وما ذهبتم إليه لا يفوت، ولا يبعد ةقد تجاورت البيوت، إنما الفائت ما وراءكم، من حديث تأنف من سماعه أودّاؤكم، ودين يشمت به أعداؤكم، فأسعفوا بالشفاعة فيمن بتلك الجهة المراكشية قصدنا، وحاشا إحسانكم أن يرضى فيه ردّنا، وأنتم بعد بالخيار فيما يجريه الله على يديكم من قدره، أو يلهمكم إليه من نصره، وجوابكم مرتقب بما يليق بكم، ويحمل بحسبكم، والله سبحانه يصل سعدكم، ويحرس مجدكم، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.........**المقري ، نفح الطيب ، ج4 ، 412 ،415**

الملحق رقم 03 : رسالة ابن الخطيب في تحريض الناس على الجهاد

"معاشر المسلمين المجاهدين وأولى الكفاية عن ذوي الأعذار من القاعدين أعلى الله بعلو أيديكم كلمة الدين وجعلكم في سوى الأجر والفخر من الزاهدين، اعلموا رحمكم الله أن الإعلام بالأندلس، ساكن دار، والجزيرة الخضراء بابه، ومبعد مغار، والجزيرة الخضراء ركابه، فمن جهتها اتصلت في القديم والحديث أسبابه، ونصرته على أعداية وأعداء الله أحبابه، ولم يشك العدو الكافر الذي استباحها وطمس بظلمة الكفر صاحبها على أثر اغتصابها واسوداد الوجوه المؤمنة لمصابها، وتبديل محاربها،وعلوق أصله الخبيث في طيّب ترابها، أن صريع الدين الحنيف بهذا الوطن الشريف، لا ينتعش ولا يقوم بعد أن فرى الحلقوم، وأن الباقي رمق يذهب، وقد سدّ إلى التدارك المذهب، لولا أن الله دفع الفاقرة ووقاها، وحفظ المسكنة واستبقاها. وإن كان الجبل عصمه الله نعم البقية، وبمكانة حقَّت التقية، فحسبك من مصراع باب فجع بثانية، ومضايق جوار حيل بينه وبين أمانيه.والآن يا عباد الله قد أمكنكم الانتهاز، فلا تضيعوا الفرصة، وفتر المخنّق فلا (تسوّغه غصة) ، واعمروا البواطن بحميّة الأحرار، وتعاهدوا مع الله معاهد الأولياء الأبرار، وانظروا للعون من الذرارى والأبكار، والنشأة الصغار، زُغْب الحواصل في الأكوار، والدين المنتشر بهذه الأقطار، واعلموا للعواقب ، تحمدوا عملكم، وأخلصوا لله الضماير، يبلغكم من فضله أملكم، فما عذر من سلَّم في باب وكره، وماذا ينتظر من أذعن لكيد عدوه ومكره، من هذه الفرصة، دخل الإسلام تروِّع أسوده، ومن هذه الجهة طلع (الفتح الأول) تخفق بنوده، ومنها تقتحم الطير الغريب، إذا رامت الجواز وفوده، فيبر بها صافات والدليل يقوده.الباب المسدود يا عباد الله فافتحوه، وجه النصر تجلى، يا عباد لله فالمحوه، الداء العضال يا عباد الله فاستأصلوه، حبل الله يا رجال الله قد انقطع فصلوه. في مثلها ترخص النفوس الغالية، في مثلها تختَبر الهمم العالية، في مثلها تشهر العقايد الوثيقة، وتدسُّ الأحباس العريقة، فنظر الله وجه من نظر إلى قلبه، وقد امتلأته حمية الدين، وأصبح لأن تكون كلمة الله هي العليا متهلل الجبين.

اللهم إنا نتوسل إليك بأسرار الكتاب الذي أنزلته، وعناية النبي العربي الذي أوفدت من خصوص الرحمات وأجزلت، وبكل نبي ركع لوجهك الكريم وسجد، وبكل ولى(سدّه من إمدادك كما وجد) ، إلا ما رددت علينا ضالتنا الشاردة، وهنأتنا بفتحها(من) نعمك الواردة، يا مسهل المآرب العسرة، يا جابر القلوب المنكسرة، يا ولي الأمة الغريبة، يا منزل القريبة، اجعلنا من ملايكة نصرك مددا، وانجز لنا من تمام نورك الحق موعدا. ربنا آتنا من لدنك رحمة، وهيء لنا النصارى أمرنا رشد

أنظر :المقري ، نفح الطيب ، ج6 ، 165 ،166

الملحق رقم05:

***رسالة مفتي وهران أبو جمعة المغراوي إلى الموريسكيين سنة1504هـ ***

"الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه تسليما.

"......من عبيد الله أصغر عبيده، وأحوجهم إلى عفوه، ومزيده، عبيد الله تعالى أحمد بن بوجمعة المغراوي ثم الوهراني، كان الله للجميع بلطفه وستره، سائلا من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء، بحسن الخاتمة والنجاة من أهوال هذه الدار، والحشر مع الذين أنعم الله عليهم النصارى الأبرار، ومؤكدا عليكم في ملازمة دين الإسلام آمرين به من بلغ من أولادكم. إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عدوكم بطويتكم، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، وإن ذاكر الله بين الغافلين كالحي بين الموتى، فاعلموا أن الأصنام خشب منجور، وحجر جلمود لا يضر ولا ينفع، وأن الملك ملك الله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله. فاعبدوه، واصطبروا لعبادته، فالصلاة ولو بالإيماء، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أو رياء، لأن الله لا ينظر إلى صورتكم ولكن إلى قلوبكم، والغسل من الجنابة واو عوما في البحور، وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار، وتسقط في الحكم طهارة الماء وعليكم بالتيمم ولو مسحا بالأيدي للحيطان، فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء والصعيد إلا أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي والوجه إلى تراب طاهر أو حجر أو شجر مما يتيمم به، فاقصدوا بالإيماء، نقله ابن ناجي في شرح الرسالة لقوله عليه السلام: فأتوا منه ما استطعتم. وإن أكرهوكم في وقت صلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم فأحرموا بالنية، وأنووا صلاتكم المشروعة، وأشيروا لما يشيرون إليه من صنم، ومقصودكم الله، وإن كان لغير القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام، وإن أجبروكم على شرب خمر، فاشربوه لا بنية استعماله، وإن كلفوا عليكم خنزيرا فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم، ومعتقدين تحريمه، وكذا إن أكرهوكم على محرم، وإن زوجوكم بناتهم، فجائز لكونهم أهل الكتاب، وإن أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم، فاعتقدوا تحريمه لولا الإكراه، وأنكم ناكرون لذلك بقلوبكم، ولو وجدتم قوة لغير تموه. وكذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم،ثم ليس عليكم إلا رؤوس أموالكم، وتتصدقون بالباقي، وإن تبتم إلى الله تعالى.وإن أكرهوكم على كلمة الكفر، فإن أمكنكم التورية والإلغاز لذلك، وإن قالوا اشتموا محمدا فإنهم يقولون له ممد، فاشتموا ممدا، ناوين أنه الشيطان أو ممد اليهود فكثير يهم اسمه.وإن قالوا عيسى ابن الله، فقولوها إن أكرهوكم، وانووا إسقاط مضاف أي عب اللاه مريم معبود بحق.وإن قالوا قولوا المسيح ابن الله فقولوها إكراها، وانووا بالإضافة لملك كبيت الله لا يلزم أن يسكنه أو يحل به،

وإن قالوا قولوا مريم زوجة له فانووا بالضمير ابن عمها الذي تزوجها في بني إسرائيل ثم فارقها قبل البناء، قاله السهيلي في تفسير المبهم من الرجال في القرآن.أو زوجها الله منه بقضائه وقدره. وإن قالوا عيسى توفي بالصلب، فانووا من التوفية والكمال والتشريف من هذه، وإماتته وصلبه إنشاد ذكره، وإظهار الثناء عليه بين الناس، وأنه استوفاه الله برفعه إلى العلو، وما يعسر عليكم فابعثوا فيه إلينا نرشدكم إن شاء الله ....ونحن نشهد لكم بين يدي الله أنكم صدقتم الله ورضيتم به. ولابد من جوابكم. والسلام عليكم جميعا. "

ومن نثره في استدعاء إمداد وحضّ على الجهاد: يا أيها الناس رحمكم الله تعالى، إخوانكم المسلمون بالأندلس قد دهم العدوّ قصمه الله تعالى ساحتهم،ورام الكفر خذله الله تعالى استباحتهم، ورام الكفر خذله الله تعالى استباحتهم، وزحفت أحزاب الطواغيت إليهم، ومد الصليب ذراعيه عليهم، وأيدكم بعزة الله تعالى أقوى، وأنتم المؤمنون أهل البر والتقوى، وهو دينكم فانصروه، وجواركم الغريب فلا تخفزوه، وسبيل الرشد قد وضح فلتبصروه، الجهاد الجهاد فقد تعين، الجار الجار فقد قرر الشرع حقه وبين، الله الله في الإسلام، الله الله في أمة محمد عليه الصلاة والسلام، الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله، الله الله في وطن الجهاد في سبيل الله، قد استغاث بكم الدين فأغيثوه، قد تأكد عهد الله وحاشاكم أن تنكثوه، أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة أعانكم الله تعالى عند الشدائد، جدّدوا عوائد الخير يصل الله تعالى لكم جميل العوائد، صلوا رحم الكلمة، واسوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة، كتاب الله بين أيديكم، وألسنة الآيات بين تناديكم، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم، والله سبحانه يقول فيه"يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم " (الصف:10) ومما صح عنه قوله" من أغبرت قدماه في سبيل الله حرّمهما الله على النار" " لا يجتمع غبار في سبيل الله ولا دخان جهنم" " من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا"، أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت، بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت، احفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عباده، جاهدوا في الله بالألسن والأقوال حق جهاده:

ماذا يكون جوابكم لنبيكم * وطريق هذا العذر غير ممهّــــــد
إن قال لم فرّطتم في أمـــتي * وتركتموهم للعدو المعــــــــتدي
تالله لو أنّ العقوبة لم تخــف * لكفى الحيا من وجه ذاك السيّد

المقري –نفح الطيب –ج6، ص165، 166.

فهرس المصادر والمراجع :

-القرآن الكريم

-قائمة المصادر :

ابن الأبّـــــــــــــار:القضاعي (595-658هـ/1199-1260م):

• الحلة السّيراء :تحقيق ،حسين مؤنس ، ط،1دار المعارف، القاهرة ،مصر،1963م ط2،1985م

ابن الأحـــــــــــــمر: ابو الوليد اسماعيل بن يوسف الغرناطي الأندلسي: (807هـ)

• نثير فوائد الجمان في نظم فحول الزمان ،تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة ، بيروت ،1967

•اعلام المغرب والاندلس في القرن الثامن وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظمني و اياه الزمان ، تحقيق محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، 1407هـ/1987م

الإدريســــــــــــي الشّريف ابي عبد الله بن ادريس الحمودي الحسيني: (ق6هـ)

• نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الوطنية، القاهرة ، مصر ، 1422-2002

•وصف افريقيا الشمالية- تحقيق- هنري برس – الجزائر-1376-1957م-

ابن الأزرق : أبو عبد الله (ت:896هـ)

•ابن الازرق:بدائع السلك في طبائع الملك،تحقيق علي سامي النشار،ط1دار السلام،1429 /2008

• روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام : تحقيق سعيدة العلمي ، منشورات كلية الدعوة الاسلامية ، الطبعة الاولى ، طرابلس ، 1999م/1429هـ

الأصفـــــــــــهاني العماد الكاتب: (519هـ/597هـ)

•خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء المغرب والأندلس)، تحقيق

الإصطـــــــــخري :المعروف بالكرخي:(ت:346هـ)

•أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط3 ،مكتبة مدبولي ، القاهرة ،1411هـ- 1991م

إبن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم(ت:668هـ)

•ذيل عيون الانباء في طبقات الاطباء، مطبعة فتح الله الياس نوري واولاده ،ط1 ،مصر ،1361هـ/1942م ،

أفوقاي احمد بن قاسم الحجري(ت بعد: **1640م**):

•رحلة افوقاي الأندلسي(ت بعد: 1640م) (مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب -تحقيق – محمد رزوق–ط1–دار السويدي للنشر والتوزيع –ابو ظبي –الامارات العربية المتحدة -2004،

•كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين –تحقيق وتقديم وترجمة شوروفان كوننكزفلد–قاسم – السّامرائي –خيرارو فيخرز–المجلس الأعلى للأبحاث العلمية–الوكالة الاسبانية للتعاون الدّولي–1996

الباديسي عبد الحق بن اسماعيل(625هـ/ كان حيا عام 722هـ)

•المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ، تحقيق سعيد أعراب .ط2، المكتبة الملكية ، الرباط .1414 هـ، 1993م

البخـــــــــــاري: ابو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(194–256هـ)::

• صحيح البخاري ،ط.الرابعة ،عالم الكتب ،بيروت(1405هـ/1985م)،

• صحيح البخاري، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت، 1423هـ/2002 ،

ابن بسام الشّنتيريني(542هـ)

• الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس ،دار الثقافة بيروت 1417هـ–1997م–ط–القاهرة–

البسطي عبد الكريم القيسي الأندلسي (ق9هـ)

•ديوان البسطي ، تحقيق مجموعة من الباحثين التونسيين ،ط1، بيت الحكمة ، تونس، 1988.

•ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي،تحقيق جمعة شيخة والدكتور ،محمد الهادي الطرابلسي ،بيت الحكمة ،المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ،قرطاج ،1988.

ابن بطوطة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد اللّواتي الطنجي(779هـ):

• رحلة ابن بطوطة ، تحقيق على المنتصر الكتاني مؤسسة الرسالة ، ط4 مؤسسة الرسالة، 1405هـ

• رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار- تحقيق عبد الهادي التازي،مطبعة المعارف الجديدة ،الرباط، المغرب، 1417هـ/1997م.

البغدادي باشا اسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم اليباني :(1339هـ/1920م)

• ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف الدين بالتقابا ، رفعت بيلكه الكليسني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،لبنان ،2008 .

• هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين ، وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية ، استانبول ، اسماعيل باشا1951.

ابن بلكين الأمير عبد الله بن باديس بن حبوس:(447هـ/بعد 483م)

• التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بن زيري في غرناطة،تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدّينية ، القاهرة-2006م-1427.

التّسولي ابي الحسن علي بن عبد السلام (ت:1285هـ):

• البهجة في شرح التحفة على الارجوزة المسماة بتحفة الحكام للقاضي ابي بكر محمد بن محمد بن عاصم الاندلسي المتوفي سنة 829هـ ومعه حلى المعاصم لفكر ابن عاصم للإمام ابي عبد الله محمد التّاودي المتوفي سنة 1209هـ ، تحقيق عبد القادر شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1418 هـ/1998 م

التلمساني ابو عبد الله محمد بن أحمد الحسني (ت:771هـ)

•مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الاصول ويليه كتاب مثارات الغلط في الأدلة ، تحقيق محمد علي فركوس ،الطبعة الاولى ، مؤسسة الرباط ، السعودية ، 1419هـ/1998م

التّليدي عبد الله بن عبد القادر:

•المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، دار الأمان الرباط ، ط4 ، 1424هـ/2003م

التّنبكتي أحمد بابا (963-1036هـ):

• كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، دراسة وتحقيق الاستاذ محمد مطيع ، المملكة المغربية ، وزارة الشؤون الدينية الاسلامية ، 1421هـ/2000م

• نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة ،دارالكتاب،ط2،طرابلس،2000

ابن الجزري شمس الدّين (ت:833هـ)

• غاية النّهاية في أسماء رجال القراءات أولي الرواية ، تحقيق أبي ابراهيم عمرو بن عبد الله ، دار اللؤلؤة للنشر ، ط1، القاهرة ،مصر1438هـ/2017م

ابن جابر الاندلسي :(ت:780هـ)

• الحلة السيراء في مدح خير الورى ، تحقيق علي ابو زيد ، الطبعة الثانية ، عالم الكتب ، دمشق ، سوريا ، 1405هـ/1985م

ابن جزي الكلبي أحمد بن محمد الغرناطي المالكي (ت:741هـ) :

•الدّر المبين في قواعد عقائد الدين ، تحقيق نزار حمادي ، دار الضياء للنشر ، الطبعة الاولى ، الكويت ، 1436هـ/2015م

•القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية ، تحقيق ماجد الحموي ،ط1 ، دار ابن حزم ،بيروت لبنان ،1434هـ/2013م

ابن جزي الكلبي الغرناطي عبد الله بن محمد (القرن الثامن الهجري) :

• كتاب الخيل: مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال" حققه محمد العربي الخطابي-دار الغرب الإسلامي –بيروت-لبنان1400هـ/1986م

ابن أبي جمزة الاندلسي أبي محمد عبد لله (ت:699هـ):

• بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها ،مطبعة الصدق الخيرية بجوار الأزهر ،مصر ،ط1، 1348هـ

الجهشياري :(ت331هـ) :

• كتاب الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الاولى ، مصر ، 1357هـ/1938م

الحموي ياقوت (ت626هـ):

•معجم البلدان، دار صادر بيروت، لبنان 1397هـ، 1977م .

الحميري محمد عبد المنعم (ت:727هـ):

•الرّوض المعطار في خبر الأقطار ،معجم جغرافي مع فهارس شاملة، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت،لبنان ط1،1975، ط2، 1984

•صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار،دار الجيل ، بيروت ،لبنان ط2، تحقيق ليفي بروفسال، 1408هـ-1988م

الحنبلي مجير الدين (870هـ/967هـ) :

• الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق محمود عودة الكعابنة ، مكتبة دنديس ، الطبعة الاولى ، عمان ، الاردن ، 1420هـ/1999م

الخشني محمد بن الحارث :(361هـ)

• قضاة قرطبة وعلماء افريقية، مراجعة عزت العطار الحسيني ،مكتبة الخانجي،القاهرة الطبعة الأولى (1372هـ/1953م) والطبعة الثانية(1415هـ/1994م)

ابن الخطيب لسان الدّين السّلماني (713هـ-هـ776 هـ):

• ديوان لسان الدين بن الخطيب السّلماني ،تحقيق محمد مفتاح ،دار الثقافة ،ط1،الدار البيضاء ،المغرب 1409هـ/1989م،

• نفاضة الجراب في علالة الإغتراب ، تحقيق السّعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1989

• الاحاطة في اخبار غرناطة.تحقيق محمد عبد الله عنان ،مكتبة الخانجي،الشركة المصرية للطباعة ط2،القاهرة 1393هـ/1973

• الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ،ط1، بيروت ، لبنان،1983،

• تاريخ اسبانيا الاسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ،تحقيق ليفي بروفسال ، دار المكشوف ، ط2، بيروت ، لبنان 1956

• صفة المملكة غرناطة وهي مأخوذة من كتاب معيار الإختبار ،مطبعة الدولية المسيحية، مجريط(مدريد)، 1870م،

• معيار الاختبار في ذكر المعاهد والدّيار ، تحقيق محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر 2002

• مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله)، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة ،الاسكندرية ، مصر، 1983

•الإشارة إلى ادب الوزارة ، تحقيق الدكتور كمال الدين شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد ،القاهرة ،1424هـ، 2004م

• اللّمحة البدرية في الدّولة النّصرية، تحقيق محي الدّين الخطيب، المطبعة السّلفية ومكتبتها،القاهرة 1347هـ

• رقم الحلل في نظم الدّول، المطبعة العمومية ،حاضرة تونس،1216

• كناسة الدكان ، تحقيق محمد كمال شبانة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، 1966

ابن خلدون عبد الرحمن(732هـ/808هـ)

• كتاب العبر(المعروف بتاريخ ابن خلدون ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت ، لبنان،1971-

• التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ، دار الكتاب اللبنانية مكتبة المدرسة ، بيروت ،1983

ابن خلدون يحي :

•بغية الرواد :

الـــــــــــدواداري: الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري – آذرتاش آذرنوش

• زبدة الفكر في تاريخ الهجر ، تحقيق رونالد ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت،لبنان، 1419هـ/1998م، الدار التونسية للنشر، 1986

الدّكالي محمد بن علي :

• الإتحاف الوجيز في تاريخ العدوتين ، تحقيق مصطفى بوشعراء ، الطبعة الثانية ، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية مطبعة المعارف الجديدة ، سلا ، المغرب ، 1996

الدّمياطي ابن النّحاس الدّمشقي (ت:814هـ)

• مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومنير الغرام إلى دار السلام في الجهاد وفضائله ،تحقيق ادريس محمد علي ،محمد خالد اسطنبولي،دار البشائر الإسلامية ،ط1، 1410هـ1990م

الذّهبي شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان (ت:748)

• نزهة الفضلاء تهذيب سيرة أعلام النبلاء، دار الأندلس ، 1991 .

• سير أعلام النبلاء،تحقيق شعيب الأرناؤوط، حسين الأس، مؤسسة الرسالة بيروت،ط3 ،1985.

• معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ،تحقيق ،طيار آلتي قولاج، عيون التراث الإسلامي ،اسطنبول ، تركيا 1416هـ/1995م

الرّعيني أبي زكريا يحي بن محمد بن محمد الطرابلسي (الحطاب):

• رسالة في حكم بيع الأحباس، تحقيق إقبال عبد العزيز المطوع، الأمانة العامة للأوقاف، الشارقة،1427هـ/2006م

الرّعيني أبي جعفر (779هـ)ورفيقه ابن جابر الاندلسي المشهوران بالأعمى والبصير:

• رسالتان في السيرة النبوية والمولد الشريف ، تحقيق مصطفى بن مبارك عكلي التمكروتي ، دار ابي الرقراق للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، 1432هـ/2011م

ابن زمرك محمد بن يوسف الصّريحي الأندلسي:

• ديوان ابن زمرك : تحقيق محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي ط1، 1997

ابن الزّبير(ت: 1308م) :

• كتاب صلة الصلة : القسم الثالث ،تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد اعراب ، الرباط -1993

الزّركشي(ق9هـ)

• تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية :تحقيق محمد منصور ، المكتبة العتيقة ،تونس، 2002

ابن أبي زرع الفاسي: (**ت:741هـ/1340م**).

•الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط،المغرب،1972

الزّياني:

• دليل الحيران وانيس السّهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي ، وزارة المجاهدين ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، ط1، 2013

الزّركلي خير الدّين :

• الاعلام-دار العلم للملايين –بيروت –لبنان-1980م

• الأعلام-ط4-دار العلم للملايين –بيروت-لبنان، 1999-

•الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمشرقيين ،دار العلم للملايين ،الطبعة15.بيروت ،لبنان

الزّقاق علي بن قاسم :

• شرح العلامة احمد بن زياد الابهمي (ت:1322هـ)على نظم المنهج المنتخب في أصول المذهب ، ددط ، دسط

الزهري :

• الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق ، منشورات المعهد الفرنسي ، دمشق ، 1970

الزهيري محمد النكلاوي الحنفي(ت:1198هـ):

• مختصر تحفة الأريب في الرد على أهل الصّليب ،تحقيق عبد الله بن سعد الطخيس،مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط1، 1429هـ، 2008م

السّبتي محمد بن القاسم الأنصاري:

• اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ،تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الطبعة الثانية ،الرباط 1403هـ،1983م .

السّخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن :

• الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ،بيروت، 1412هـ، 1992م

السّجلماسي عبد الرّحمن بن محمد (ابن زيدان) 1290هـ1356هـ:

• اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ،تحقيق الدكتور علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى ، القاهرة 1429-2008،

ابن سعيد المغربي أبي الحسن علي بن موسى (ت:685هـ):

•كتاب بسط الارض في الطول والعرض ، تحقيق خوان قرنيط خينيس، مطبعة كريماديس ،تطوان،المغرب، 1958

• الجغرافيا : تحقيق اسماعيل العربي،المكتب التّجاري للطباعة والنّشر،

• المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف ، ط4 دار المعارف ، القاهرة ، مصر ،1995

سلام بن عبد الله بن سلام الباهلي الإشبيلي(ابو الحسن) (ت:544هـ)

• الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق ، تحقيق إحسان ذنون الثامري ،الطبعة الاولى ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1432هـ-2011م

السّملالي العباس بن إبراهيم :

• الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام ، المطبعو الملكية، الرباط،1413هـ، 1993م

ابن سلمون الكناني :

• العقد المنظم للحكام فيما يجري بين ايديهم من العقود والأحكام ،تحقيق محمد عبد الرحمن الشاغول ،دار الافاق العربية ،القاهرة ، مصر ، 2011

السّيوطي عبد الرّحمن:

• بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ، ط1، 1384هـ، 1965م

الشّاطبي ابي إسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد اللّخمي (ت:790هـ):

• فتاوى الإمام الشاطبي ، تحقيق محمد أبو الاجفان ، الطبعة الثانية ، تونس ، 1406هـ/1985م

• الإعتصام ، تحقيق ابو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان مكتبة التوحيد ، المجلد الثاني

الشّفشاوني محمد بن عسكر :

• دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ،تحقيق محمد حجي ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، ط2، الرباط، المغرب ،1397هـ،1977هـ.

الششتري أبي الحسن : (610هـ-668هـ)

• ديوان أبي الحسن الششتري أمير شعراء الصوفية بالمغرب والأندلس (610هـ-668هـ) وضبط محمد العدلوني الادريسي وسعيد أبو الفيوض،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،ط1،الدار البيضاء،2008.

ابن صاحب الصلاة :

• المن بالامامة ،طبعة 3 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،لبنان ،1987م.

ابن الطواح عبد الواحد محمد (ق8هـ):

• سبك المقال لفك العقال ، تحقيق محمد مسعود جبران ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ،دار الكتب الوطنية ،ط2 ،بنغازي ،2008

ابن عبد البر أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد:

• الاستيعاب في معرفة الأصحاب ،تحقيق علي محمد البجاوي ،دار الجيل ،ط1،بيروت ، لبنان، 1412هـ/1992م.

ابن عاصم الغرناطي أبي يحي محمد المتوفي سنة (875هـ):

•جنة الرضا في التسليم قدر الله وقضى" ،تحقيق صلاح جرار،دار البشير للنشر والتوزيع.1410هـ،1989م

العبدري المالكي الفاسي أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: 737هـ) :

• المدخل، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، مصر د ت،

العذري (الدلائي)أحمد بن عمر بن أنس : (478هـ)

• نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، تحقيق، عبد العزز الاهوائي ،1965م

ابن عذارى المراكشي (كان حيا سنة 712 هـ):

• البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ،محمد زنيبر ، محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1406هـ-1985م

العمري شهاب الدين احمد بن يحي ابن فضل الله (ت:749هـ):

• مسالك الابصار في ممالك الامصار ،تحقيق كامل سلمان الجبوري ،لبنان ، 2010.

• مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب)، تحقيق حمزة أحمد بن عباس، دار الكتب الوطنية ، ابو ظبي ، 2003،

العسقلاني ابن حجر :

• الاصابة في تميز الصّحابة ، تحقيق علي احمد البجاوي ،دار الجيل،بيروت، ط1، 1412هـ.

ابن العماد الحنبلي الدمشقي (1032-1089هـ):

• شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،تحقيق عبد القادر الاناؤوط ومحمود الاناؤوط ،ط1 ،دار ابن كثير ، دمشق .1413هـ/1992م ،

ابن عميرة المخزومي ابي المطرف احمد:

• تاريخ ميورقة ، تحقيق محمد بن معمر ، ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ، 2007

عياض السّبتي القاضي(476هـ-544هـ/1083م-1149م) :

• الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض(476هـ-544هـ/1083م-1149م) ، تحقيق ماهر زهير جرار دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1402، 1982م،

• ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،تحقيق سعيد أحمد اعراب،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية ، 1402هـ/1982م

ابن غازي محمد العثماني :

• الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ،تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الطبعة الثانية ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1408هـ/1988م.

الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد (ت:704هـ) :

• عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية، تحقيق رابح بونات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1970، ص270

إبن الفراء الغساني الأندلسي ابي بكر بن عتيق (635-698هـ):

• نزهة الأبصار في فضائل الأنصار، تحقيق عبد الرزاق بن محمد مرزوق، ط1، أضواء السّلف ، الرّياض، (1425هـ/2004م).

أبو القاسم محمد ابن أحمد الغرناطي (697هـ-760هـ):

• رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة، ط1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1418هـ/1997م.

أبو القاسم بن سراج الاندلسي (ت:848هـ):

• فتاوى قاضي الجماعة ابي القاسم بن سراج الاندلسي ، تحقيق محمد ابو الإجفان ، المجمع الثقافي ، 2000م .

ابن القاضي ابي العباس احمد بن محمد المكناسي (:960هـ/1025م):

• درة الحجال في أسماء الرجال ،تحقيق محمد الاحمدي عبد النور ، مكتبة دار التراث ، القاهرة.

• جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة ،الرباط ، 1973.

القباب أبي العباس أحمد بن قاسم الجذامي الفاسي :

• شرح مسائل ابن جماعة التونسي في البيوع ، تحقيق على محمد ابراهيم بورويبة ، دار ابن جزم ،ط1 -1428هـ، 2007 .

القزويني زكريا بن محمد بن محمود :

• اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر ، بيروت ، لبنان، دت ط.

القلقشندي ابي العباس أحمد :

• كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشا، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1333هـ،1915هـ.

ابن قنفذ الخطيب الشهير القسنطيني :

• كتاب الوفيات ،تحقيق عادل نويهض ،منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ،ط4 ،1403هـ-1983 .

الكتاني أبي عبد الله محمد بن جعفر بن ادريس :

• سلوة الانفاس ومحادثة الأكياس بمن اعتبر من العلماء والصّلحاء بفاس، تحقيق الشّريف محمد بن علي الكتاني، المغرب–ب ت ط، ب س ط .

المازري أبو عبد الله (ت: 536هـ) :

• فتاوى المازري، تحقيق الطاهر المعموري ، الدار التّونسية للنشر، تونس 1994.

المجاري أبي عبد الله محمد الاندلسي (ت:863هـ):

•برنامج المجاري ،تحقيق محمد ابو الاجفان ،دار الغرب الاسلامي بيروت –لبنان –ط1 -1982.

مجهول:

• أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ، تحقيق ابراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1410هـ/1989م.

• كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ،تحقيق، سهيل زكار، عبد القادر زمامة ، دار الرّشاد الحديثة، ط1، الدّار البيضاء ، المغرب، 1399هـ، 1979م.

• نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق الفريد البستاني ، مكتبة الثقافة الوطنية ، ط1، بور سعيد ، 2002 .

المحبي محمد أمين بن فضل بن محب الدين بن محمد:

• خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، المطبعة الوهبية ، مصر، 1284هـ .

ابن مخلوف محمد بن محمد :

• شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1349 1329هـ/1929م

• شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1424هـ، 2002م

ابن مرزوق التلمساني ابي عبد الله محمد(ت:781هـ):

• المسند الصّحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيقيرا، الشّركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،1981.

• المناقب المرزوقية ، دراسة وتحقيق سلوى الزهراوي ، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، المملكة المغربية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1429هـ/2008م .

ابن المبارك عبد الله :

•الجهاد ، تحقيق نزيه حماد ، دار النور ، بيروت ، لبنان ، 1971 .

المقدسي المعروف بالبشارى :

• أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل ، عام 1906 .

ابن مقلاش الوهراني عبد الرحمن بن محمد:

• شرح البوردة البوصيرية (الشرح المتوسط)،تحقيق محمد مرزاق ، دار ابن حزم ، 1430هـ، 2009م

المقري التلمساني شهاب الدين أحمد بن محمد: (ت:1041هـ/1631م).

• نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، دار الثقافة، بيروت، 1968.

• أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السّقا، ابراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي، مطعبة لجنة التأليف والترجمة ، ط1، 1358هـ، 1939م .

ابن مريم أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد.الشريف المليتي المديوني التلمساني :

• البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله الشيخ محمد بن أبي شنب ،ط، المطبعة الثعالبية ، الجزئر ، 1226هـ.

النّباهي ابو الحسن عبد بن الحسن المالقي (ت:776هـ/1374م) :

• تاريخ قضاة الاندلس وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق لجنة إحياء التّراث العربي ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، 1983/1403م .

النّويرى شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب (ت:733هـ):

• نهاية الأرب في فنون الأدب ،تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية ، لبنان، 1424هـ، 2004م .

الناصري أحمد بن خالد السّلاوي أبو العباس (ت:1279هـ/1863م):

• كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق جعفر النّاصري، محمد الناصري، دار الكتاب ، الدّار البيضاء ، 1954 .

النّميري ابن الحاج :(713هـ/توفي بعد 774هـ)

• فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة الى قسنطينة والزاب ، دار الغرب الاسلامي ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 1990 ،

ابن هذيل الفزاري أبي الحسن على بن عبد الرحمن(ق:8هـ):

• فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار ، تحقيق عبد الله حمادي ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعري، الكويت ، 2004 .

• عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،دون طبعة،د س ط

• تحفة الأنفس وشعار أهل الأندلس ، تحقيق عبد الإله أحمد نبهان ، محمد فاتح صالح زعل ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، العين ، الإمارات العربية المتحدة ، ط1 ، 1425هـ، 2004م .

الوزاني الفاسي الشريف أبي عيسى سيدي المهدي (ت: 1342هـ/1924م) :

• تحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس،تقديم ، هاشم العلوي القاسمي ، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية المملكة المغربية ، 1422هـ، 2001م .

الونشريسي ابي العباس احمد بن يحي بن محمد التّلمساني: (ت:914هـ/1508م).

• أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزّواجر 834هـ-914هـ/1430م-1508م،تحقيق حسين مؤنس ،مكتبة الثّقافة الدّينية، 1416هـ-1996م

• المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، لبنان، 1401هـ، 1981م.

• عدّة البروق في جمع ما في المذهب من المجموع والفروق ، دراسة وتحقيق حمزة أبو فارس ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1410هـ/1990م

يوسف الثالث ملك غرناطة :

• ديوان ملك غرناطة ، تحقيق عبد الله كنون، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة

اليعقوبي أحمد بن يعقوب اسحاق جعفر بن وهب بن واضع :(**ت:684هـ**)

• البلدان ، تحقيق، محمد امين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، د س ن

– قائمة المراجع :

•**أرسلان شكيب**: آخر بني سراج ويليها خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة، مطبعة المنار، مصر، 1343هـ، 1925م.

•**أرسلان شكيب**: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان ، د.ت

•**أشباخ يوسف** :تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ،ترجمة محمد بن عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، 1417هـ، 1997م .

• **باشا أحمد تيمور**: أعلام المهندسين في الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012

• **البارون دي كولاصو ماكنمارا**: الملوك المغاربة ، ترجمة عثمان المنصوري ، الطبعة الأولى ، مطابع الرباط نت ، المغرب 2016 .

• **بروكلمان كارل**: تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي ، ط5 ، دار العلم للملايين ، القاهرة ، 2001

• **باقر أمين الورد**: معجم العلماء العرب (العلماء القدماء من أواخر القرن الاول الهجري الى أواخر القرن الثالث الهجري)مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الاولى ، بيروت ، 1406هـ/1986م.

•**بوعزيز يحي**: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، ط1 ،دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ،1995 .

• **البستاني بطرس**:أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث (حياتهم-أثارهم —نقد أثارهم) دار ، نظير عبود، بيروت ، لبنان ،1989م .

• **البواعنة لؤي** : دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي للمشرق الإسلامي (490-648هـ/1097-1250م)،دار اليازوري العلمية للنشر ،عمان، الأردن ، 2006

• **البياض عبد الهادي**:الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والاندلس (ق6 .8هـ /12م ،14م)، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008 .

• **التّازي عبد الهادي** :التّاريخ الدّبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ،عهد بني مرين والوطاسيين ، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية ،1408هـ،1988م .

• **بن تاويت محمد**: بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس واستاذ وطبيب ، دار النشر ، دون سنة نشر .

• **التّكريتي راجي عباس** :الاسناد الطبي في الجيوش العربية الاسلامية / منشورات وزارة الثقافة والاعلام (سلسلة الدراسات)، الجمهورية العراقية ،1984.

• **تشارلز لي هنري** : العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ترجمة حسن سعيد الكرمي ، الطبعة الأولى ، دار لبنان للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1409هـ، 1988م .

• **تيتاو حميد**: الحرب والمجتمع بالغرب خلال العصر المريني (609هـ،869هـ/1212م،1465م) إسهام في دراسة إنعكاسات الحرب على البنيات الإقتصادية والإجتماعية والذهنية، مؤسسة الملك عبد العزيز ،الدّار البيضاء ،المغرب ، 2009

- **جنثالث بالنثيا آنخل**:تاريخ الفكر الأندلسي،ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1955م .
- **جماعة من الاساتذة** :تراث الأندلس تكشيف وتقويم نماذج تقويم المؤلفين والمؤلفات، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الاسلامية والعلوم الانسانية ،الدّار البيضاء ، المغرب ،1993
- **جبريل أحمد** : عذراء شفشاون (أخت هارون) ، دار نون للنشر والتوزيع ، الجيزة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 2018م .
- **جيران محمد مسعود** :مالك بن المرحل أديب العدوتين(604هـ/699هـ) دراسة تحليلية في أخباره وآثاره وتحقيق نصوصه الأدبية الباقية ، المجمع الثّقافي ، أبو ظبي ،2005 .
- **حمدي عبده سلامة موسى**: نحو وعي بالتاريخ وحتى لا ننسى وحتى نعتبر ،محاكم التفتيش الكنسية بالأندلس ، ط1 ، مكتبة المهتدين ، مصر ، 2014.
- **حدادي أحمد**: المجالس والمناظرات الادبية والعلمية في غرناطة حصيلة وافاق ،منشورات كلية الاداب جامعة وجدة ، المغرب ، 1988
- **حامد محمد خليفة**:الأنصار في العصر الرّاشدي سياسيا وعسكريا وفكريا ، مكتبة الصحابة ، الشّارقة ، الإمارات، ط1، 1424هـ، 2003م .
- **الحمصي احمد سليم**: ابن زمرك الغرناطي (733هـ-896هـ/1333-1393م)سيرته وأدبه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1405هـ/1985م .
- **الحجي عبد الرحمن علي**:هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة (ظروفها وآثارها ،المجمع الثّقافي ، أبو ظبي ،2003م .
- **الحجي عبد الرحمن علي** : التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة(92-897هـ/711-1492م)، دار القلم، ط2، دمشق ، بيروت، 1402هـ،1981م .
- **الحريري محمد عيسى** : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610-896هـ/1213-1465م)، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت ،ط1+ط2،1985،1987م
- **حسن إبراهيم حسن** : النّظم الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، دت ،

• **حسن إبراهيم حسن**: تاريخ الإسلام السّياسي والدّين والثّقافي والإجتماعي،ط1، مكتبة النّهضة المصرية، 1967م .

• **أبو حجر آمنة** : موسوعة المدن الإسلامية ، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن ،

• **حساني مختار**: تاريخ الدّولة الزّيانية، منشورات الحضارة ، ط9، 2009 م .

• **الحقيل إبراهيم بن سعد** : قراءة نقدية في كتاب الأعلام لخير الدّين الزّركلي ، ط1 ، دار الفتح للدراسات والنّشر ، عمان، الأردن ، 1433هـ، 2012 م .

• **حمدي عبد المنعم محمد حسين**:التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية ، مصر، 1997 م .

• **حميش بن سالم** : عن سيرتي ابن بطوطة وابن خلدون ،وزارة الثقافة والفنون والتراث ،قطر ، 2014 م .

• **حومد أسعد**:محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2،بيروت،1988م .

• **الخطيب أسعد**:البطولة والفداء عند الصّوفية دراسة تاريخية ، الطبعة 5 ، دار التقوى ، دمشق، سوريا ، دون تاريخ .

• **الخطابي محمد العربي**: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي (مدخل ونصوص) الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990 م .

• **الخضر السيد محمد**:حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية، المطبعة السّلفية ،القاهرة ، 1343هـ .

• **الخضيري محمد بن عبد العزيز**:المناظرة العجيبة(وقائع مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى بحضرة ملكهم ، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض ،السّعودية ،1420هـ، 2000م.

• **داود محمد**: تاريخ تطوان ،معهد مولاي الحسن ، تيطوان ، 1379هـ/1959م

• **درنيقة محمد أحمد** : صفحات من جهاد الصّوفية والزّهاد، جروس برس،ط1 ، 1415هـ، 1994.

• **دي ايبالثا ميكيل**: المورسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ترجمة جمال عبد الرّحمن ، الطبعة الأولى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2005

•**الداية محمد رضوان** : في الأدب الأندلسي،دار الفكر ،دمشق، سورية ، 2000م.

•**الداية محمد رضوان** : أبو البقاء الرّندي شاعر رثاء الأندلس، مكتبة سعد الدّين،ط1 ،1396هـ/1976م .

• **رزوق محمد**:الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16، 17 ،إفريقيا الشّرق ،ط3، المغرب، 1998 .

• **رستم محمد ابن زين العابدين**: بيوتات العلم والحديث في الأندلس،ط1، دار ابن حزم ، 1430هـ، 2009م .

• **ابو رميلة هشام** :علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس –دار الفرقان –ط1-1404هـ/1984م

• **ريبيرا خوليان**: التربية الإسلامية في الأندلس: أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية ، ترجمة الطاهر أحمد مكي، ط2، دار المعارف ، 1994 م .

• **زرقان عزوز** :شعر الاستصراخ في الأندلس ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان،2008 م.

•**زناتي أنور محمود**: تاريخ الأندلس من الفتح حتى السّقوط من خلال مخطوط(تاريخ الأندلس)لإسماعيل بن ابراهيم بن أمير المؤمنين ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر، 1428هـ/2007م

• **زمامة عبد القادر** : عبد الله بن جزي وكتابه مطلع اليمن والإقبال في انتقاد كتاب الإحتفال ، معجم اللّغة العربية ،الجمهورية العربية السّورية.

• **زنيل نهاد عباس**:الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وآثرها على التطور الحضاري في أوروبا القرون الوسطى(92،897هـ/711م،1492م)،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،2013 م.

• **السّبتي عبد الأحمد**:**حليمة فرحات**: المدينة في العصر الوسيط قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الاسلامي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ،1994 م.

• **السّيد فؤاد صالح**: معجم الألقاب والاسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1990 م.

• **السّيد عبد العزيز سالم**: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الاسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،1997 م.

•**السّباعي مصطفى** :من روائع حضارتنا ، ط1 ، دار الوراق للنشر والتوزيع ، الرّياض ، السّعودية ، 1420 هـ، 1999م .

• **السّامرائي كمال** : مختصر تاريخ الطب العربي ، دار النضال، بيروت، لبنان ، 1990 م.

•**السّويدان طارق**:الأندلس التّاريخ المصور،شركة الإبداع الفكري،ط1،الكويت،1426هـ،2005م

• **سمر عبد الحليم عبد المعز**: تجارة الدّولة المرينية (628-876هـ/1269-1473م) ، الاسكندرية ، 2019 م.

•**السّيد عبد العزيز سالم**:في تاريخ وحضارة الاسلام في الأندلس ،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ، مصر، 1985م .

• **السّيوطي خالد عبد الحليم عبد الرحيم**:الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس (ابن حزم ،الخزرجي) ،دار قباء للطباعة والنشر ،2001 م.

• **السّجل العلمي لندوة الأندلس**، قرون من التقلبات والعطاءات ، القسم الخامس العلوم الشرعية ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1417هـ

• **شاشية حسام الدّين** : الجدل الدّيني من خلال كتاب ناصر الدّين على القوم الكافرين " مؤمنون بلا حدود ،مؤسسة دراسات وأبحاث، قسم الدّراسات الدّينية ، 2015 م.

• **الشلية عبد الله سعد الرشيدي**: اليسير في فكاك الأسير ، (دون بيانات)

• **شاوش الحاج محمد بن رمطان**:باقة السّوسان في التّعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر ، 1995 م.

• **بن شريفة محمد**: البسطي آخر شعراء الاندلس، دار الغرب الاسلامي،ط1،، بيروت ، لبنان ، 1985 م.

• **شيحة عبد الحميد** : الوطن في الشعر الأندلسي ، دراسة فنية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر، 1418هـ، 1997م .

• **الصّدفي رزق الله منقريوش**: تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال بالفجالة ، مصر 1326م.

• **صفوت أحمد زكي** : جمهورية خطب العرب في عصور العربية الزهراء، العصر العباسي الأول ويليه ذيل الجمهة ، ط1،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، مصر، 1352هـ، 1933 م.

- **صفوري نمر عمر**: أحكام الخيل في الشّريعة الإسلامية ، رسالة ماجستير في الفقه والتشريع ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين ، 2016 م.
- **الصمدي خالد** : مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي من النشأة إلى نهاية القرن السابع الهجري ، جذورها وآثارها ، منهاهجها ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1427هـ/2006م .
- **ضيف شوقي** : فنون الادب العربي ، الفن الغنائي، الرّثاء ، دار المعارف ،ط 4 ، 1955 م.
- **طه الشّريف**: الزّواج الاسلامي ومقارنته بالزواج في الشّرائع المسيحية ، وكالة الأهرام ،ط1،2005.
- **الطيبي أمين توفيق** :دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، 1984 م.
- **عبد اللطيف حمزة**: أعلام العرب (القلقشندي في كتابه صبح الأعشى)، الموسوعة المصرية العامة للتأليف والطباعة والترجمة ، 1962
- **عيسى بك احمد**: معجم الاطباء من سنة 650هـ الى يومنا هذا (ذيل عيون الانباء في طبقات الأطباء لإبن أبي أصيبعة) مطبعة فتح الله الياس نوري واولاده ،ط1 ،مصر ،1361هـ/1942م
- **العامري محمد بشير حسن راضي**: مظاهر الإبداع الحضاري في التّاريخ الأندلسي، دار غيداء للنشر والتّوزيع، عمان، ط1، 1433هـ، 2012م .
- **العبادي أحمد مختار**: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ، د ط، د ت .
- **عباس صالح مهدي**: جهود علماء مملكة غرناطة الاندلسية في الشعر التعليمي ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد
- **العفاني سعيد بن حسين**: زهر البساتين من مواقف العلماء والربانيين ، دار العفاني ، القاهرة ، دون تاريخ .
- **عنان محمد عبد الله** : دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين- مكتبة الخانجي، ط4، 1417هـ، 1997م، مطبعة مصر، 1985 م.
- **عنان محمد عبد الله** :أندلسيات،سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربي، الكتاب 20، 1988 م.

• **عنان محمد عبد الله** : الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر ،1417هـ، 1997م .

• **عنان محمد عبد الله** : تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي ،ط2، القاهرة ، 1390هـ/1970م.

•**عباس إحسان:**ابن رضوان وكتابه في السّياسة ،مقال مستل من كتاب "العيد "الصادر سنة 1967

• **عيسى محمد عبد الحميد:**تاريخ التّعليم في الأندلس، دار الفكر العربي ،مصر،ط1،2016 م.

•**العيدوس محمد حسن:** تاريخ وحضارة الاندلس ،النظم الادارية في اسبانيا الإسلامية ، الطبعة الاولى ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، مصر ، 1433هـ /2012م .

• **الغامدي خالد بن ناصر بن سعيد آل حسين العبدلي:**الصّراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى من الفتح الإسلامي (92هـ) حتى سقوط غرناطة(897هـ) ، دراسة عقدية ،جهاد الأستاذ لخدمات الطباعة ، المملكة العربية السعودية 1422هـ/2002م .

• **أبو الفضل محمد أحمد:** تاريخ مدينة ألمرية الاندلسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ط1 ، 1981 م.

• **فاضل فتحي محمد والي** : الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي، دار الأندلس ،1417هـ،1996

• **فرحات يوسف شكري:** غرناطة في ظل بني الاحمر دراسة حضارية، دار الجيل، بيروت ،ط1، 1413هـ، 1993م .

• **فروخ عمر:**تاريخ الأدب العربي (الجزء السادس) الأدب في المغرب والأندلس من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة (أوائل القرن الثالث عشر أواسط القرن السادس عشر ميلادي، ط1، دار العلم للملايين ، لبنان ،بيروت، 1983 م.

• **الفقي عصام الدين عبد الرؤوف:** تاريخ المغرب والأندلس ، د ط، مكتبة النّهضة الشّرق للنشر، القاهرة، مصر، 1990 م.

• **فيلالي عبد العزيز:** بحوث في تاريخ المغرب الاوسط في العصر الوسيط ، دار الهدى ،الجزائر 2014 م.

• **قاسم طويل مريم** : مملكة غرناطة في عهد بن زيري البربر(403-483هـ/1012-1090م) دار الكتب العلمية ط1، بيروت ، لبنان 1414هـ، 1994م .

- **قطب محمد على**: مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس ، د د ط ،1406هـ/1985م
- **كحالة عمر رضا** : معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، مؤسسة الرسالة ،ط1 ،بيروت ،1414هـ، 1993م .
- **كنون عبد الله**: ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسية ، مركز التراث الثقافي المغربي ، دار ابن حزم ، الدار البيضاء ، المغرب.
- **الكتاني علي المنتصر** : انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان،2005 م.
- **كربخال مارمول** : تاريخ ثورة وعقاب أندلسي مملكة غرناطة ، ترجمة جعفر بن الحاج السّلمي، الجمعية المغربية الأندلسية ، مطبعة الخليج العربي ، تطوان، ط1، 2013م.
- **لونغاس بدرو**: حياة االمورسكيين الدينية : ترجمة جنال عبد الرحمن ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مصر ، 2010 م.
- **ماثيو كار** : الدين والدّم إبادة شعب الأندلس ، ترجمة مصطفى قاسم ، ط1 ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، أبو ظبي ، 1434هـ،2013م ،ص133-134
- **محمد عبد المؤمن**: الحضور الغماري في الأندلس خلال عصر بني نصر ، د دط ، دت
- **الموسوعة الفقهية** : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،ط1 ،مطابع دار الصفوة ،الكويت، 1414هـ، 1994م.
- **مقيدش محمود** :نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق ، علي الزّواوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت ، لبنان، 1988 م.
- **مسعد مصطفى سامية** : الحياة الإقتصادية والإجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1، 1423هـ، 2003م،
- **مؤنس حسين**: معالم تاريخ المغرب والأندلس،دار الرشاد، ط2-القاهرة، 1418هـ،1997م.
- **مؤنس حسين**: تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الاندلس،الطبعة الثّانية ، مكتبة مدبولي، 1986
- **مؤنس حسين** : رحلة الاندلس حديث الفردوس المفقود ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1963م ، ط2 ، 1405هـ، 1985م
- **بن منصور آمنة**: المناظرة في الأندلس ،الأشكال والمضامين، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، 1971م.

• **أبو مصطفى كمال السّيد**: جوانب من الحياة الإجتماعية والإقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي ، مركز الاسكندرية للكتاب ، 1996م

• **نقلي اسيا سليمان** : دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الادنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية ، مكتبة العبيكان،

• **نبهان عبد الله** : المختار من كتاب معجم البلدان ، ط دمشق ، 1983 م.

• **نويهض عادل**:معجم اعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية ،بيروت ، لبنان ، 1400هـ، 1980م

• **الهرامة عبد الحميد عبد الله:** شعر أبي البركات بن الحاج البلفيقي (680هـ/ 771هـ) مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، دبي ، الامارات العربية المتحدة ، 1996 م.

• **يوسف أحمد ياسين**:بلدان الاندلس في اعمال ياقوت الحموي الجغرافية (574،626هـ/1178،1229م) دراسة مقارنة ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، العين الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2000م .

• **يحياوي جمال** : سقوط الأندلس ومأساة الأندلسيين 1492-1610هـ، دار هومة، بوزريعة ، الجزائر ، 2004م .

-قائمة المجلات :

•بدر أحمد : **التنظيم العسكري عند العرب المسلمين** ،مجلة دراسات تاريخية ، اشبيلية للدراسات و النشر والتوزيع ،العدد الرابع ، جمادى الثاني ،دمشق ،سوريا ، 1401هـ، 1981م.

• بلهواري فاطمة ، عبو دليلة : **أطباء الدار السلطانية في عصر بني الأحمر (635هـ،897هـ/1238م،1492م) وجهودهم الطبية**، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية ، المجلد5، العدد09، جوان ، 2015 م.

• بركات محمد مراد: **ابن الأزرق بين بدائع السّلك وروضة الإعلام**، دراسة وتحليل نقدي- مجلة التّراث العربي، السنة الرابعة والعشرون ،2004، العدد

• بنعزوز فريدة: **الأسر في رحلة مغربيةمورسكية لمجهول من القرن الهجري التاسع** ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة عبد الملك السعدي تطوان ، 2009

• التّازي عبد الهادي : **مع ابن الأزرق في مخطوطته بدائع السلوك في طبائع الملوك**- مجلة دعوة الحق-السّنة العاشرة 1967م

- الثّقفي أحمد بن عضّة: **الأثر القرآني في شعر إبن جابر الاندلسي (ت780هـ)**، مجلة بابل للدّراسات الانسانية ، مج 4 ،ع2
- جاسم الطيف جاسم ، قتيبة محمود جميل : **بني اشقيولة ودورهم السياسي في مملكة غرناطة(635-701هـ/1238-1301م)**، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، كلية التربية – جامعة سامراء، المجلد الثالث، العدد الخامس، السّنة الثالثة، 2016 م .
- جغام ليلى: **رثاء المدن بين سقوط الأندلس وأحداث الثلاثاء الأسود**، دراسة جمالية، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، العدد04، 2009
- الجنابي عامر عجاج حميد ، يوسف كاظم جغيل الشّمري: **العلاقات السياسية بين سلطنة عمان والدّولة العثمانية خلال الربع الأخير من القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي**، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل ، العدد 13، 2013 م
- بن حمادة سعيد: **الصحة العقلية والنفسية بالمغرب والاندلس خلال العصر الوسيط** ، دورية دراسات تاريخية ، الجزائر.
- حمزة عباس فائزة : **الحياة العلمية في مدينة مالقة** ، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية ، العدد 4 ، مجلد 12 ، الموصل ، العراق.
- الخولي محمد عبد العظيم : **مكانة المرأة المغربية في العصر المريني (668-869هـ/1269-1465م)** مجلة المؤرخ العربي ، العدد 26 ، الجزء الاول ، 2018م.
- دي لا خرنجا فرناندو: **كتاب تحفة المغرب ببلاد المغرب**، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد. المجلد السابع عشر ، مدريد 1972، 1973
- الذّنون عبد الحكيم : **قصر الحمراء في غرناطة من أيام العرب المجيدة** ، مجلة التراث العربي، العدد... السنة.....،
- الذيابات البطوش أمنة محمد : **أخبار مملكة غرناطة في المصادر المشرقية**، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الثامن والثّلاثون، 2016
- زمامة عبد القادر : **بنو الأحمر في غرناطة**، إصدارات جامعة محمد الخامس ، العدد:26، السّنة 13 ، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1396هـ، 1976م.

• السّلمي ابراهيم بم عطية هلال : **الطب العسكري الأندلسي من القرن الرابع هجري إلى القرن الثامن الهجري دراسة تاريخية حضارية** : مجلة دراسات حوض النيل–جامعة أم القرى ،قسم التاريخ العدد18 .

• السّنيدي صالح بن محمد: **الجامع الاعظم في غرناطة الاسلامية ومصيره بعد السقوط دراسة تاريخية أثرية** ، المجلة الجزائرية للدراسات الانسانية ، العدد 1 ، 2019 م.

• السّاير محمد عويد –محمد عبيد السّبهاني : **أدب ابن عاصم الغرناطي(ت:857هـ)** ، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب ، العدد3، 2010 م.

• الشّرقي ابن الطيب : **اللّفظ ومستواه الصّوابي من خلال موطئة الفصيح** ،مجلة اللسان العربي ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، العدد 29، 1987

•شكاك صالح : **حب الاوطان من مراتب الايمان** ، مجلة التصوف وفقه التحرر ،جامعة القنطرة ، المغرب ، دت

• شاكر مصطفى: **المدن في الاسلام حتى العصر العثماني** ،ط1 ، الكويت ،1988

• الطائية سعد هاشم : **شعر ابن شيرين الجذامي الأندلسي جمع ودراسة وتحقيق** ، مجلة كلية التّربية ، واسط ، العدد13.

• الطائي عادل عواد : **الصنوف والخدمات في جيش دولة المرابطين (430،539هـ/1038، 1144م) في المصادر والمراجع العربية** ، الفكر العسكري العربي، مجلة شؤون عربية الموصل، العراق ، 2012 م.

• العامري محمد بشير ، زينة داود سالم: **المؤرخ الوزير ابن الخطيب الغرناطي شيخ علماء غرناطة** ، مجلة كلية التربية للبنات ، المجلد 27 ، العدد 2 ، بغداد ، العراق ، 2016 م.

• عبد حمزة محسن : **اللجوء السّياسي وتأثيره في العلاقات السياسية بين مملكة غرناطة العربية الإسلامية ودول المغرب العربي في القرن الثامن هجري الرابع عشر الميلادي** ، مجلة أهل البيت عليهم السلام، جامعة أهل البيت عليهم السلام،كربلاء ، العراق ، العدد08.

• عبيد العاني رياض احمد:**الأحوال العامة في مملكة غرناطة (635هـ،897هـ/1492،1237م)** مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، المجلد 17 ، العدد9 ، 2010 م.

- عبيد عائدة محمد :**الكتاب والكتاب في مملكة (سلطنة) غرناطة في عهد بني الاحمر (635-897هـ/ 1238-1492م)**، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، كلية الاداب قسم التاريخ ، جامعة الموصل ، العراق ، العدد 13 ، المجلد 4 ، 1433هـ/2012م
- عدار يوسف : **محمد بن أبي جمعة الوهراني (حياته وآثاره)** مجلة التراث العربي ،العدد107
- العلياوي حسين جبار : **فداء أسرى المسلمين في الأندلس حتى نهاية عهد الطوائف (13هـ/481هـ-761م/188م)**، مجلة كلية العلوم الإنسانية ، جامعة البصرة ، العدد التّاسع عشر(19)، 2015 م.
- عبد القادر عثمان محمد : **الحضور الاجتماعي والثقافي لليهود في مملكة غرناطة (403،483هـ/1012،1090م)الاسباب والمظاهر والنتائج**، مجلة كلية الآداب، ام درمان ، السودان، العدد1434هـ، 2013م .
- غرداين مغنية : **شرقي الاندلس بعد المرابطين(518-545هـ/1134-1151م)** ، مجلة كان التاريخية، س6، ع20، 2013.
- الغنطوسي عبد الرحمن ابراهيم حمد : **عدنان محمود عبد الغني الشاوي ، علماء المغرب الأقصى من خلال كتاب الذّخيرة السّنية لإبن أبي زرِع الفاسي المتوفي (741هـ 1340م) خلال القرن السابع للهجرة الثالث عسر للميلاد** ، مجلة الفراهيدي ، العدد 23 ، 2015
- غيلاني السّبتي : **دور البحرية الجزائرية والعثمانية في إنقاذ مسلمي الأندلس (1492م-1640م)** ، مجلة علوم الانسان والمجتمع ، 2015.
- فاروق اسليم: **مفهوم الشعر وبواعثه في ديوان لسان الدين ابن الخطيب**، مجلة جامعة دمشق، المجلد23، العدد الثاني، 2007 م.
- قطان ابراهيم: **ابن زمرك الاديب والسياسي (من كتاب الاندلس صفحات مشرقة) من تأليف نخبة من الكتاب** ، وزارة الاعلام ، ط1، مجلة العربي ،2004
- قبس فاروق صالح مطلوب : **تاريخ الحركة الادبية في الاندلس ، ابو يحي بن عاصم الغرناطي في ظل دولة بني الاحمر سلاطين غرناطة أنموذجا (دراسة تاريخية)** ،مجلة الفراهيدي ، العدد 22، 2015م.
- كعدان محمد عبد الناصر : **النظرية السببية للأورام عند القربلياني في منظور علم الأورام الحديث** (مقال منشور على الأنترنت)

الكنوني آسية : **مدخل الى المناظرات الدينية بالغرب الاسلامي** ، مجلة كلية والاداب والعلوم الانسانية ، الرباط المغرب ، العدد 23 ،2016

• لفتة زياد طارق : **أبو البقاء الرندي حياته وشعره** ،مجلة كلية التربية للبنات ، ديالى ، العراق ، العدد 7 ، السنة4، 2017

• المغراوي رابح عبد الله : **تاريخ الأوضاع الحضارية لمملكة غرناطة من خلال كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة لإبن الخطيب** (**713**هـ/**76**هـ) حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الكويت ، 2000 .

• مؤنس حسين: **موسوعة تاريخ الاندلس(فكر تاريخ–حضارة –تراث)** مكتبة الثقافة الدينية–القاهرة–مصر –1416هـ /1996م

• محمود عبد الله ، قيس فاروق صالح: **القاضي أبو الحسن النباهي مؤرخا**. مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، المجلد 15، العدد 09، 2008.

• ابن منصور عبد الوهاب: **احمد بن قاسم الفقاي الحجري آخر موريسكي يؤلف بالعربية ويدافع جهرة عن الإسلام** ،مجلة الأكاديمية ، المغرب، العدد 12 .1995

• نشاط مصطفى : **السجن السياسي بالمغرب الوسيط** ، **أعمال الحلقة الدراسية التاريخ والسياسة مقاربات وقضايا** ، كلية الأداب والعلوم الانسانية ، بنمسيك ، مخبر المغرب والعوالم الغربية ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2013

• ناظم ابراهيم كريم محمد العبدلي: **العمران الحربي في مدينة غرناطة حاضرة سلطنة غرناطة** (**636**هـ،**897**هـ/**1230**،**1492**م) مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية ،العدد 2، 2012

• النقيب أحلام حسن مصطفى،برزان ميسر حامد أحمد:**دور المدرسة اليوسفية في انتشار العلوم والمعارف في مملكة غرناطة** ،مجلة آداب الرافدين،العدد 61، 1433هـ،2012م.

• هلال عمار : **الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين الرابع والرابع عشر الهجريين** ،مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 01،2019 .

•والي فاضل فتحي محمد ،**الفتن والنكبات الخاصة واثرها في الشعر الأندلسي** ،الطبعة الاولى،دار الاندلس للنشر والتوزيع ،المملكة العربية السعودية ، 1417هـ–1996م ،

مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد–المجلد ،

•اليعقوبي حسين : **في الفكاكة والفكاكين** ، مجلة دراسات أندلسية، المغاربية للطباعة والنشر (عدد خاص) العدد السابع ، 1992م، 1412هـ.

–قائمة الرسائل الجامعية :

• آل زيد الشريف خالد بن عبد الله بن حسن : مدينة مالقة عند عصر الطوائف حتى سقوطها (دراسة سياسية واقتصادية)422هـ، 892هـ) رسالة ماجيستير في التاريخ الاسلامي،قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ،جامعة ام القرى ،1425هـ، 1426هـ.

• بوحسون عبد القادر الأندلس في عهد بني الأحمر دراسة ثقافية وتاريخية (635،897هـ/1238،1492م) اطروحة دكتوراه تاريخ المغرب الإسلامي ، قسم التاريخ ،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان(1433،1434هـ/2012،2013م)،

• بوشعيب ليلى ، كتاب زهرة الروض في تلخيص تقدير الفرض لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن باق (ت: 763هـ/1362م) ، ماجستير تاريخ وسيط ، جامعة قسنطينة 2 ، 1432-1433هـ/2011-2012م

• بوعقادة عبد القادر : الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنيين 7، 9هـ/13 ، 15م دكتوراه ، تاريخ وسيط، جامعة الجزائر 2 ، 1435،1436هـ/2014،2015م

• بعلي زبير : نوازل النكاح من مخطوط العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام لقاضي قضاة غرناطة الفقيه أبي القاسم سلمون بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الغرناطي (ت:767هـ، 1367م) ماجستير تاريخ وسط كلية العلوم الإسلامية، جامعة قسنطينة، قسم التاريخ والآثار (1430هـ، 1431هـ/2009، 2010

• جرار ايمن يوسف ابراهيم : الحركة الشعرية في الأندلس عصر بني الأحمر ،ماجستير لغة عربية،جامعة النجاح الوطنية ،نابلس ، فلسطين ،2007

• الحسناوي محمود عاشور عبيد :موقف الدّولة السّعدية من مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة(916-1069هـ/1510-1659م)، مذكرة ماجستير،تاريخ إسلامي ،جامعة ذي قار، 1434هـ، 2013م .

• حيدر محمد علي: مساهمات الامام الباقلاني في مقارنة الأديان مع التركيز الخاص على مناظراته مع النّصارى، ماجستير في الإسلاميات والعلوم الإنسانية ،جامعة دار الهدى الإسلامية ،كيرالا ،الهند، 2018 م.

• الخزاعي عبد الأمير حسيني علوان ، البحرية الإسلامية في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (92هـ-897هـ/711م-1492م)،دار دجلة للنشر والتوزيع السّلماني، تحقيق الدكتور محمد مفتاح، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1409هـ-1989م.

• أبو الخيل محمد بن ابراهيم بن صالح الحسين:جهود علماء الأندلس في الصّراع مع النّصارى عصري المرابطين والموحدين(640،483هـ/1246،1090م)ط1،دار أصداء المجتمع،1419هـ، 1998م:

• الدّراجي عدنان خلف سرهيد:التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النّصرانية خلال عصر سلطنة غرناطة 635هـ،897هـ/1238م،1492م ،دكتوراه فلسفة ،قسم التّاريخ،جامعة المستنصرية 1433هـ،2012م .

•الدّرة عبد القادر علي أحمد: العلماء الشهداء في الأندلس ، ماجستير تاريخ ، الجامعة الإسلامية غزّة ، 1430هـ/2009

• الزّبدة ماجد نمرة : محنة العلماء في الأندلس ،رسالة ماجستير في التاريخ ، الجامعة الإسلامية ،غزة، 1436هـ،2014م.

• الزّيداني ضيف الله بن هادي بن علي الشّهري: أصول الفقه في القرن الثّامن الهجري، دراسة تاريخية تحليلية، دكتوراه أصول الفقه، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الشريعة، الرياض، 1426هـ

• ساسي عبد الرحيم : الفقه المقاصدي عند ابن مرزوق الحفيد (ت"842هـ) رسالة ماجستير في العلوم الاسلامية قسم الشريعة والقانون ، جامعة الجزائر 01 ، 1436هـ/1437هـ-2015م/2016م

• سالم عطية امال : السفارات في المغرب الاسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (14/13م)، اطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط ،جامعة مصطفى اسطمبولي ،معسكر ،1437،1436 هـ/ 2016،2015م

• السّنيدي محمد بن علي بن محمد: شعر ابن الحاج النّميري الغرناطي (768/713هـ)دراسة في المضمون والشكل ، ماجستير في الاداب ، كلية اللغة العربية ، جامعة محمد بن سعود الاسلامية ، الرّياض ، 1430هـ/1431هـ.

- سمور قتيبة علي ابراهيم : العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الاسبانية في شمال الأندلس (540-620هـ/1148-1228م)، ماجستير تاريخ إسلامي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1996م.
- الشّوابكة نوال عبد الرحمن محمد : فن الخطابة في الأندلس ،رسالة ماجيستير كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية ، 1999 م.
- صديقي عبد الحبار : سقوط الدولة الموحدية-دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات ،ماجستير تاريخ المغرب الإسلامي ، قسم التاريخ ،جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان(1434هـ، 1435هـ/2013-2014م).
- العبدلات فاطمة مفلح مرشد : الحضّ على الجهاد في الأدب الأندلسي ، رسالة دكتوراه في اللّغة العربية ،كلية الدراسات العليا ،الجامعة الأردنية ،2007 م.
- العصيمي ايمان بنت دخيل الله: العلاقات العلمية بين الاندلس ومدينة فاس بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة (201،897هـ/817،1492م) رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي والخضارة ، جامعة ام القرى ، المملكة العربية السعودية ،1430هـ/2009م
- عويضة شريف عبد الحليم محمد: شعر أبي الحجاج يوسف الثالث ملك غرناطة دراسة موضوعية فنية ، رسالة ماجستير ، الأدب العربي، جامعة المدينة العالمية ، ماليزيا ،2014م.
- العاصمي المالكي سعيد بن مسفر بن سعيد : المدحة في شعر لسان الدين بن الخطيب الغرناطي (ت:776هـ).البعد والتشكيل،رسالة ماجستير في الأدب العربي، كلية اللغة العربية ،جامعة أم القرى ،السعودية، 1422هـ.
- عبد المعطي جمال عبد الجابر: شعر الجهاد في الأندلس في ظل بني الاحمر ، ماجستير الأدب،الجامعة الأردنية ، 1985، 1986م .
- عباس قويدر : الجيش في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)،اطروحة دكتوراه في التّاريخ الاسلامي الوسيط ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، 2016/2015م.
- بن عزوز نبيلة: أندلسيو الجزائر آثارهم وتاريخهم، حاضرة تلمسان أنموذجا،رسالة دكتوراه، كلية الآداب، تخصص الدراسات الأدبية والحضارة الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،1438-1439/2017-2018م.

- قاتل إلهام: النّخبة العالمة في المغرب الأوسط (ق7-9هـ/13-15م). منطلقات الفكر وأنماط السّلوك ، دكتوراه تاريخ وسيط ، جامعة المسيلة ، 2018/2017م
- الكافي مفتاح علي عثمان عبد الله : المورسكيون ودورهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية في الأندلس، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب والتربية ، قسم التاريخ، 1425، 1426هـ/2005،2006م.
- اللّبدي هبة ابراهيم منصور : الوصف في شعر الملك الأندلسي يوسف الثالث ، ماجستير في اللغة العربية، جامعة النّجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين، 2012 م.
- أبو لبدة رانية أحمد ابراهيم: شعر الحروب والفتن والأندلس عصر بني الأحمر ماجستير، لغة عربية ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، 2007م .
- مبطي السعودي الهذلي جميلة : التّعايش الاسلامي عشية فتح الاندلس والتّعايش المسيحي عند الإحتلال الإسباني للأندلس (92-897هـ/711-1492م) دراسة مقارنة ، كلية الشريعة والدّراسات الإسلامية ، قسم التاريخ والحضارة الاسلامية ، جامعة ام القرى ، السّعودية
- مفتاح علي عثمان عبد الكافي :المورسكيون ودورهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية في الأندلس ،رسالة ماجستير ،تاريخ إسلامي ،جامعة التّحدي ،سرت ،ليبيا، 2005م،2006م .
- محمد نوح يونس عبد الله : الشّعر في إقليم غرناطة في القرن السّابع هجري،أغراضه وقضاياه الفتية ، ماجيستيرالآداب ، جامعة نبغازي، ليبيا، 2011 م.
- محاسنة أحمد توفيق محمد : الحياة السّياسية في دولة بني الأحمر من 629هـ-1232م/897هـ-149م ،ماجيستير تاريخ ،كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية ، 1998م.
- الهروط عبد الحليم حسن جدوع :الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر ، ماجيستير، لغة عربية، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية ، 1994م .
- ولد خسال سليمان : جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي (633-922هـ) دكتوراه العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر
- اليوسي الشّهري عبد الله فراج بن صالح: دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد الاسلامي ضد المغول (616-720هـ)،ماجستير تاريخ اسلامي، قسم الدراسات العليا في التاريخ والحضارة الاسلامية ،جامعة ام القرى ، السعودية ، 1416هـ.

- قائمة المراجع الأجنبية:

•Marcais (Gerges) :Manuel d'Art Musulman ,L'Architecteur ,2 vol ;Paris 1926

• BEINART, TOLEDO, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.15, P.1198; LINDO, THE JEWS, P.6.

•HAIM BEINART, GRANADA, ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL.7, P.825

*Ambrosio Huici Miranda .LaTorna de sole pro la Escuadra de Alfonso . Hesp .1952 .

فهــــرس الآيات القرآنية

الآية	السّورة	رقمها	الصفحة
اَلذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّاً وَلَآ أَذيَ لَّهُمُۥ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ	البقرة	262	109
مَا عِندَكُمْ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ اَ۬للَّهِ بَاقٍۖ	النحل	96	112
يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَٰتِكُم بِالْمَنِّ وَالاَذ۪يٰ كَالذِے يُنفِقُ مَالَهُۥ رِيَٰٓءَ اَ۬لنَّاسِ وَلاَ يُومِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ اِ۬لاَخِرِۖ	البقرة	264	120
اِن تُبْدُواْ اُ۬لصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُوتُوهَا اُ۬لْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٞ لَّكُم	البقرة	271	120
وَإِن يَّاتُوكُمُۥ أُسَٰ۪رےٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمُۥ إِخْرَاجُهُمُۥ	البقرة	85	128
وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَٰتِلُونَ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ اَ۬لرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَٰنِ اِ۬لذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ اِ۬لْقَرْيَةِ اِ۬لظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً	النساء	75	128
كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذْنِ اِ۬للَّهِۖ	البقرة	249	148
وَذَكِّرْ فَإِنَّ اَ۬لذِّكْر۪يٰ تَنفَعُ اُ۬لْمُومِنِينَ	الذاريات	55	150
وَ لاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُّقْتَلُ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ أَمْوَٰتُۢۖ بَلَ اَحْيَآءٞ وَلَٰكِن لاَّ تَشْعُرُونَ	البقرة	154	150
وَقَٰتِلُو فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ اِ۬لذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوٓاْۖ	البقرة	190	150
وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّيٰ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٞ وَيَكُونَ اَ۬لدِّينُ كُلُّهُۥ لِلهِۖ فَإِنِ إنتَهَوْاْ فَإِنَّ اَ۬للَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٞ	الانفال	39	151
وَأَنفِقُواْ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمُۥ إِلَى اَ۬لتَّهْلُكَةِۖ	البقرة	195	151

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
أَمْ حَسِبْتُمُۥٓ أَن تَدْخُلُواْ اُ۬لْجَنَّةَ وَلَمَّا يَاتِكُم مَّثَلُ اُ۬لذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم	البقرة	214	151
اِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً اَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـٔاًۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَےْءٖ قَدِيرٌ	التوبة	39	152
إِنفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٞ لَّكُمُۥٓ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ	التوبة	41	152
فَلْيُقَٰتِلْ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ اِ۬لذِينَ يَشْرُونَ اَ۬لْحَيَوٰةَ اَ۬لدُّنْيا بِالَاخِرَةِۖ وَمَن يُّقَٰتِلْ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ فَيُقْتَلَ اَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُوتِيهِ أَجْراً عَظِيْماً	النساء	74	152
فَقَٰتِلْ فِے سَبِيلِ اِ۬للَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۖ وَحَرِّضِ اِ۬لْمُومِنِينَۖ عَسَى اَ۬للَّهُ أَنْ يَّكُفَّ بَأْسَ اَ۬لذِينَ كَفَرُواْۖ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً	النساء	84	152
وَلَا تَهِنُواْ فِے إِبْتِغَآءِ اِ۬لْقَوْمِۖ إِن تَكُونُواْ تَالَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَالَمُونَ كَمَا تَالَمُونَۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اَ۬للَّهِ مَا لَا يَرْجُونَۖ وَكَانَ اَ۬للَّهُ عَلِيماً حَكِيماً	النساء	104	152
وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اَسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ اِ۬لْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ اَ۬للَّهِ وَعَدُوَّكُمْ	الأنفال	60	152
قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اُ۬للَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٖ مُّومِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْۖ وَيَتُوبُ اُ۬للَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَّشَآءُۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ	التوبة	15-14	152
وَقَٰتِلُواْ اُ۬لْمُشْرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةٗۖ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ اَ۬للَّهَ مَعَ اَ۬لْمُتَّقِينَ	التوبة	36	153
يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لنَّبِےٓءُ حَرِّضِ اِ۬لْمُومِنِينَ عَلَى اَ۬لْقِتَالِۖ	الأنفال	65	153
يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ اُ۬لذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ اَ۬لْكُفَّارِ	التوبة	123	154

وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّفِينَ			
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ اَلِيمٍ	الصّف	10	156
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلذِينَ يُفَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ	الصّف	04	160
إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِفَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ	الرعد	11	162
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً اَنْعَمَهَا عَلَىٰ فَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيم	الأنفال	53	162
اَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ اِلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ	النحل	125	216
وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ	الأنبياء	107	216
فُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ اِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۥٓ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ ٱللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئاً	آل عمران	64	216
وَلاَ تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلاَّ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ ٱلذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَفُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِالذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ	العنكبوت	46	216
وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ	هود	118	217
لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمُۥٓ أُمَّةً وَٰحِدَةً	المائدة	48	217
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ	الأنعام	107	219
وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ	الأنعام	112	219
إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ اِلْكُفْرَ	الزمر	07	219
فُلْ فَلِلهِ اِلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَيٰكُمُۥٓ أَجْمَعِينَ	الأنعام	149	219

وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَاكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمُۥٓۖ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ءَلَايَةً لَّكُمُۥٓ إِن كُنتُم مُّومِنِينَ			
نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاتُواْ حَرْثَكُمُۥٓ أَنَّىٰ شِئْتُمْۖ	البقرة	223	228
اِنَّ اللَّهَ اَشْتَرَىٰ مِنَ الْمُومِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَۖ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اِللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي اِلتَّوْرِيٰةِ وَالِانجِيلِ وَالْقُرْءَانِۖ وَمَنَ اَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ اللَّهِۖ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الذِے بَايَعْتُم بِهِۦۖ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ	التوبة	111	236
وَلاَ تَحْسِبَنَّ الذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اِللَّهِ أَمْوَٰتاًۖ بَلَ اَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ	آل عمران	169	237
وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ اِلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ	الأنفال	60	238
يَٰٓأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُواْ هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ اَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اِللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمُۥٓ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا اُلاَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۖ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۖ وَبَشِّرِ اِلْمُومِنِينَ	الصف	13-10	244
يَٰٓأَيُّهَا النَّبِےٓءُ حَرِّضِ اِلْمُومِنِينَ عَلَى اَلْقِتَالِۖ	الأنفال	65	245
يَٰٓأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۖ بَعْضُهُمُۥٓ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۖ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمُۥٓۖ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِے اِلْقَوْمَ الظَّالِمِينَ	المائدة	51	264
وَمَنْ يَّفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ اَلسَّبِيلِ	الممتحنة	01	264
فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ	المائدة	39	264

رَّحِيمٌ			
فَلْيَحْذَرِ اِ۬لذِينَ يُخَالِفُونَ عَنَ اَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ اَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ	النور	63	275
اِلاَّ اَ۬لْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ اَ۬لرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَٰنِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً	النساء	99	279
يَٰٓأَيُّهَا اَ۬لذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا اَ۬لْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ اُ۬لْمَسْجِدَ اَ۬لْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۖ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اُ۬للَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۖ إِنَّ اَ۬للَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ	التوبة	28	282

فهرس الموضوعات

ملخص الدراسة:

تعالج الدّراسة الحياة الإجتماعية لعلماء الغرب الإسلامي في عصر بني الأحمر وجهودهم في محاولة إنقاذ مملكة غرناطة،وعليه فقد تم التّطرق إلى الأوضاع الإجتماعية التي عاشوها وكل ماتعلق بحياتهم الأسرية و المكانة المرموقة التي تميّزوا بها عن بقية أفراد المجتمع بالإضافة إلى دورهم في قضاء حوائج النّاس عن طريق الإنفاق والصّدقة والتخفيف من الضرائب،فك الأسرى والتحذير من البدع والظواهر المنتشرة في الغرب الإسلامي و عالجت أيضا دور العلماء في ميادين المعارك و تّحريض الأمراء والحكام والعامة على الجهاد لتتوج مشاركاتهم بسقوط البعض منهم شهداء في ميادين الجهاد، تُوجت ثم جهودهم بمؤلفات عدّة الرّد على النّصارى عملوا من خلالها على ردّ شبهات النّصارى ضدّ الإسلام،وكتب من رسائل و مناظرات،ومن ثمّ دورهم في الدّعوة إلى الوحدة،والحفاظ على الهويةو التّشبث بالعقيدة الإسلامية والحث على الإستقرار بأراضي الأندلس.

Abstract

The study deals with the social life of the scholars of the Islamic West in the era of Bani al-Ahmar and their efforts to try to save the Kingdom of Granada, and accordingly, the social conditions they lived in and everything related to their family life and the prestigious position that distinguished them from the rest of society were addressed

In addition to their role in meeting the needs of people through spending, giving charity, reducing taxes, releasing prisoners, and warning against innovations and phenomena that are widespread in the Islamic Westand

It also dealt with the role of scholars in the fields of battle and the incitement of princes, rulers and the general public to jihad, so that their participation culminated in the fall of some of them as martyrs in the fields ofjihad.

Then their efforts in several books to respond to the Christians, through which they worked to respond to the suspicions of the Christians against Islam, and wrote letters and debates, and then their role in calling for unity, preserving identity, clinging to the Islamic faith and urging stability in the lands of Andalusia.





People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Algiers1 (Ben Youssef Ben Khaddah)

Facultiy of Islamic sciences

Scholars of the Islamic West in the era of Bani al-Ahmar-a study of their social conditions and their role in saving the Kingdom of Granada

Specialization in Islamic Civilization

PhD thesis in Islamic civilization entitled:

student preparation : Hamatit AbdelKarim

Supervised by Professor Samia Jebari

University year:

(1442 AH-1443 AH / 2021-2022 AD)